الرِّسَالَةُ القُشَيْرِيَّةُ

للإمام أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القُشَيْرِي

المتوفّى سنة ٤٦٥ هـ

وضع حواشيه

خليل المنصور

منشورات

محمد علي بيضون

لنشر كتب السنة والجماعة

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان



١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان
رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
هاتف وفاكس : ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ - ٣٧٨٥٤٢ (١ ٩٦١)
صندوق بريد : ١١ - ٩٤٢٤ بيروت - لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beirut - Lebanon
Ramel Al-Zarif, Bohtory St., Melkart Bldg, 1st Floor
Tel. & Fax : 00 (961 1) 37.85.42 - 36.61.35 - 36.43.98
P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beyrouth - Liban
Ramel Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1ére Étage
Tel. & Fax : 00 (961 1) 37.85.42 - 36.61.35 - 36.43.98
B.P.: 11 - 9424 Beyrouth - Liban

ISBN 2-7451-0003-3



http://www.al-ilmiyah.com/

e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تقديم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله وسيد رسله محمد بن عبد الله وعلى آله الأطهار وأصحابه الميامين الأخيار.

أما بعد. فلا شكّ أن «الرسالة القشيرية» من أهم المصادر المعتبرة في التعرف إلى مذهب الصوفية المعتدلة وشرح ألفاظها ومصطلحاتها الشائعة فيما بينهم. فقد حوت هذه الرسالة بين دفَّتيها مجموعة كبيرة من التعابير التي تدور غالباً على ألسنة الصوفية، كما شرحت الأحوال والمقامات والتجلّيات التي يصعب أحياناً على القارىء العادي أن يفهمها؛ ولكن أسلوب القشيري وسلاسة لغته قربت هذه المفاهيم إلى العقول والقلوب معًا. وبالإضافة إلى هذا، فقد احتوت هذه الرسالة على تراجم لعدد من كبار المتصوفين كما نقلت الكثير من أقوالهم وبينت أحوالهم.

والذي دفع القشيري إلى كتابة هذه الرسالة رؤيته جماعات من المدّعين للصوفية قد سلكوا مسالك لا تمتّ إلى الدين ولا إلى التصوّف بصلة، فأشفق «على القلوب أن تحسب أن هذا الأمر على هذه الجملة قد بني قواعده وعلى هذا النحو سار سلفه» كما يقول. وقد قسّم هذه الرسالة إلى قسمين:

القسم الأول: في سِيَر أعلام التصوّف وبعض أقوالهم وأفعالهم، كنماذج للمريد يسير على هديها.

أما القسم الثاني: فقد عبّر عنه بقوله: «ذكرت فيه بعض سير شيوخ هذه الطريقة في آدابهم وأخلاقهم ومعاملاتهم وعقائدهم بقلوبهم، وما أشاروا إليه من مواجيدهم، وكيفية ترقّيهم من بدايتهم إلى نهايتهم، لتكون لمريدي هذه الطريقة قوة، ومنكم لي بتصحيحها شهادة، ولي في نشر هذه الشكوى سلوة، ومن الله الكريم فضلاً ومثوبة» انتهى.

ومساهمة منّا في توضيح الطريق، نعيد نشر هذا الكتاب القيّم راجين من الله سبحانه وتعالى أن يجعل ذلك في ميزان حسناتنا، إنه سميع مجيب.

ترجمة المؤلف

هو الإمام أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة بن محمد الإستوائي القشيري النيسابوري الشافعي، المحدّث الصوفي. ولد سنة ٣٧٦ هـ في شهر ربيع الأول في بلدة «إستوا» ونسبته «القشيري» إلى بني قشير بن كعب.

توفي أبوه وهو صغير، فرُبِّي يتيماً؛ ولكن النجابة ظهرت فيه من صغره؛ فتثقف بالأدب والعربية، ولكنه لم يكن يعلم الحساب فذهب إلى «نيسابور» ليتعلم طرفًا من الحساب، حتى يتمكن من إدارة قرية له بإستوا. وأرادت المقادير، أن يحضر درس أبي عليٍّ الدقاق، فيرى إخلاصاً ويرى تقوى، ويرى نوراً يرتسم على وجهه، ويشرق من كلماته فينير قلوب السامعين ويجذبهم إلى الله. وكانت فطرة القشيري النقية على استعداد تام لسلوك الطريق، ورأى الإمام أبو علي الدقّاق فيه النجابة، فقبله في زمرة مريديه، ثم اصطفاه في زمرة أخصائه، وزوّجه ابنته، مع كثرة أقاربها.

وانتهى الأمر بالقشيري إلى أن أصبح ـ كما يقول عنه الإمام عبد الغافر النيسابوري ـ «الإمام مطلقًا، الفقيه، المتكلم، الأصولي، المفسر، الأديب، النحوي، الكاتب الشاعر، لسان عصره وسيد وقته، وسر الله بين خلقه، مدار الحقيقة، وعين السعادة، وقطب السيادة، مَنَ جمع بين الشريعة والحقيقة، كان يعرف الأصول على مذهب الأشعري والفروع على مذهب الشافعي. . ».

ولقد ترجم له صاحب كتاب: «دمية القصر» أبو الحسن الباخرزي فقال:

«جامع لأنواع المحاسن تنقاد له صعابها ذلل المراسن، فلو قرع الصخر بصوت تحذيره لذاب، ولو ارتبط إبليس في مجلس تذكيره لتاب، وله فصل الخطاب في فصل المنطق المستطاب، ماهر في التكلم على مذهب الأشعري، خارج في إحاطته بالعلوم عن الحد البشري، كلماته للمستفيدين فوائد وفرائد، وأعقاب منبره للعارفين وسائد. ثم إذا عقد بين مشايخ الصوفية حَبْوَته، ورأوا قربته من الحق وحظوته، تضاءلوا بين يديه،

وتلاشوا بالإضافة إليه ، وطواهم بساطه في حواشيه ، وانقسموا بين النظر والتفكير فيه . وله شعر يتوِّج به رؤوس معاليه ، إذا ختمت به أذناب أماليه».

وقد توفي الإمام القشيري صبيحة يوم الأحد في السادس عشر من شهر ربيع الأول عام ٤٦٥ هـ، بمدينة نيسابور، ودفن بجوار شيخه أبي علي الدقّاق.

ومن تصانيفه التي ذكرها إسماعيل باشا البغدادي في هدية العارفين:

- أربعون في الحديث.
- استفاضة المرادات.
- بلغة المقاصد.
- التخيير في علم التذكير في معاني اسم الله تعالى.
- التيسير في علم التفسير.
- عيون الأجوبة في فنون الأسئلة.
- الفصول في الأصول.
- كتاب المعراج.
- لطائف الإشارات في تفسير القرآن.
- المنتهى في نكت أولي النُّهَى.
- ناسخ الحديث ومنسوخه.
- نحو القلوب.
- حياة الأرواح والدليل إلى طريق الصلاِح.
- شكاية أهل السنة بحكاية ما نالهم من المحنة.
- منثور الخطاب في شهود الألباب.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي تفرَّد بجلال ملكوته، وتوحَّد بجمال جبروته[1] وتعزَّز بعلوِّ أحديته، وتقدَّس بسموِّ صمديته[2]، وتكَّبر في ذاته عن مضارعة كل نظير وتنزَّه في صفاته عن كل تناهٍ وقصور، له الصفات المختصة بحقِّه، والآيات الناطقة بأنه غير مشبَّه بخلقه.

فسبحانه من عزيز، لا حدَّ يناله، ولا عد يحتاله، ولا أمد[3] يحصره، ولا أحد ينصره، ولا ولد يشفعه، ولا عدد يجمعه، ولا مكان يمسكه، ولا زمان يدركه، ولا فهم يقدره، ولا وهم يصوِّره.

تعالى عن أنْ يُقال: كيف هو؟ أو أين هو؟ أو اكتسَب بصنعه الزين، أود دَفع بفعله النقص والشين؛ إذ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، ولا يغلبه حيٌّ، وهو الخبير القدير.

أحمده على ما يُولي ويصنع، وأشكره على ما يزوي[4] ويدفع، وأتوكل عليه وأقنع، وأرضى بما يُعطي ويمنع.

وأشهد أنَّ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة موقن بتوحيده، مستجير بحسن تأييده.

وأشهد أنَّ سيدنا مُحمَّداً عبده المصطفى، وأمينه المجتبى[5] ورسوله المبعوث إلى كافة الورى. صلى الله عليه وعلى آله مصابيح الدُّجى، وعلى أصحابه مفاتيح الهدى، وسلِّم تسليماً كثيراً.

---

(١) الجبروت: التجبر والكبر والعتو والقهر.

(٢) الصَّمْدُ: القصد.

(٣) الأمد: الغاية والنهاية.

(٤) زوى الشيء زيًّا: جمعه وقبضه.

(٥) المجتبى: المستخلص والمصطفى والمختار.

هذه رسالة كتبها الفقير إلى الله تعالى عبد الكريم بن هوازن القشيريّ، **إلى جماعة الصوفية** ببلدان الإسلام، في سنة سبع وثلاثين وأربعمائة.

أما بعد:

جماعة الصوفية:

ـ رضي الله عنكم ـ فقد جعل الله هذه الطائفة صفوة أوليائه، وفضَّلهم على الكافة من عباده، بعد رسله وأنبيائه، صلوات الله وسلامه عليهم، وجعل قلوبهم معادن أسراره، واختصَّهم من بين الأمة بطوالع أنواره.

فهم الغياث للخلق، والدائرون في عموم أحوالهم مع الحق بالحق.

صفاهم من كدورات البشرية، ورقَّاهم إلى محال المشاهدات بما تجلى لهم من حقائق الأحدية. ووفَّقهم للقيام بآداب العبودية، وأشهدهم مجاري أحكام الربوبية.

فقاموا بأداء ما عليهم من واجبات تكليف، وتحققوا بما منه سُبحانه لهم من التقليب والتصريف.

ثم رجعوا إلى الله، سبحانه وتعالى، بصدق الإفتقار، ونعت الانكسار، ولم يتكلوا على ما حصل منهم من الأعمال، أو صفا لهم من الأحوال. علماً منهم بأنه جلَّ وعلا يفعل ما يريد، ويختار من يشاء من العبيد. لا يحكم عليه خلق. ولا يتوجه عليه مخلوق حق. ثوابه: إبتداء فضل. وعذابه: حكم بعدل. وأمره قضاء فصل.

ثم اعلموا، رحمكم الله، أنَّ المحققين من هذه الطائفة انقرض أكثرهم، ولم يبق في زماننا هذا من هذه الطائفة إلا أثرهم، كما قيل:

أما الخيام فإنها كخيامهم ... وأرى نساء الحيّ غير نسائها

حصلت الفترة في هذه الطريقة . . ، لا، بل إندرست الطريقة بالحقيقة:

وقد مضى الشيوخ الذين كان بهم اهتداء، وقلَّ الشباب الذين كان لهم بسيرتهم وسنتهم اقتداء، وزال الورع وطوى بساطه، واشتد الطمع وقوى رباطُه.

وارتحل عن القلوب حرمة الشريعة، فعدُّوا قلة المبالاة بالدين أوثقَ ذريعة ورفضوا التمييز بين الحلال والحرام. ودانوا بترك الإحترام، وطرح الإحتشام، واستخفُّوا بأداء العبادات، واستهانوا بالصوم والصلاة، وركضوا في ميدان الغفلات وركنوا إلى اتباع الشهوات، وقلة المبالاة بتعاطي المحظورات، والارتفاق[1] بما يأخذونه من السوقة، والنسوان، وأصحاب السلطان.

---

(١) الارتفاق: الانتفاع.

ثم لم يرضوا بما تعاطوه من سوء هذه الأفعال، حتى أشاروا إلى أعلى الحقائق والأحوال. وادَّعوا أنهم تحرروا من رقِّ الأغلال وتحققوا بحقائق الوصال وأنهم قائمون بالحق، تجري عليهم أحكامه، وهم محو، وليس لله عليهم فيما يؤثرونه أو يذرونه عتب ولا لوم، وأنهم كوشفوا بأسرار الأحدية، واختطفوا عنهم بالكلية. وزالت عنهم أحكام البشرية. وبقوا بعد فنائهم عنهم بأنوار الصمدية، والقائل عنهم غيرهم إذا نطقوا، والنائب عنهم سواهم فيما تصرَّفوا، بل صرفوا.

سبب تأليف الرسالة:

ولما طال الابتلاء فيما نحن فيه من الزمان بما لوَّحت ببعضه من هذه القصة وكنت لا ابسط إلى هذه الغاية لسان الإنكار، غيرة على هذه الطريقة أن يذكر أهلها بسوء، أو يجد مخالف لثلبهم مساغاً؛ إذ البلوى في هذه الديار بالمخالفين لهذه الطريقة والمنكرين عليها شديدة.

ونما كنت أؤمل من مادة هذه الفترة أنْ تنحسم، ولعل الله سبحانه يجود بلطفه في التنيه لمن حاد عن السنة المثلى في تضييع آداب هذه الطريقة.

ولما أبى الوقت إلا استصعاباً. وأكثر أهل العصر بهذه الديار إلا تمادياً فيما اعتادوه واغتراراً بما ارتادوه.

أشفقت على القلوب أنْ تحسب أنَّ هذا الأمر ـ على هذه الجملة ـ بني قواعده. وعلى هذا النحو سار سلفه.

فعلَّقت هذه الرسالة إليكم. أكرمكم الله. وذكرت فيها بعض سير شيوخ هذه الطريقة في آدابهم، وأخلاقهم، ومعاملاتهم، وعقائدهم بقلوبهم، وما أشاروا إليه من مواجيدهم، وكيفية ترقبهم من بدايتهم إلى نهايتهم؛ لتكون لمريدي هذه الطريقة قوة، ومنكم لي بتصحيحها شهادة. ولي في نشر هذه الشكوى سلوة، ومن الكريم فضلاً ومثوبة.

وأستعين بالله سُبحانه فيما أذكره؛ وأستكفيه؛ وأستعصمه من الخطأ فيه، وأستغفره وأستعينه. وهو بالفضل جدير، وعلى ما يشاء قدير.

فصـــل
في بيان اعتقاد هذه الطائفة في مسائل الأصول
[التوحيد عند الصوفية]
التوحيد وأصوله عند الصوفيين

اعلموا، رحمكم الله، أنَّ شيوخ هذه الطائفة بنوا قواعد أمرهم على أصول صحيحة في التوحيد، صانوا بها عقائدهم عن البدع[1] ودانوا بما وجدوا عليه السلف وأهل السنة: من توحيد ليس فيه تمثيل ولا تعطيل، وعرفوا ما هو حق القدم. وتحققوا بما هو نعت الموجود عن العدم.

ولذلك قال سيِّد هذه الطريقة «الجنيد»[2]، رحمه الله: «التوحيد إفراد للقدم من الحدث.

وأحكموا أصول العقائد بواضح الدلائل، ولائح الشواهد.

كما قال أبو مُحمَّد الجريري، رحمه الله: «من لم يقف على علم التوحيد بشاهد من شواهده زلت به قدم الغرور في مهواة من التلف» يريد بذلك: أن من ركن إلى التقليد، ولم يتأمل دلائل التوحيد؛ سقط عن سنن النجاة؛ ووقع في أسر الهلاك.

ومن تأمل ألفاظهم، وتصفح كلامهم، وجد في مجموع أقاويلهم ومتفرقاتهم ما يثق ـ بتأمله ـ بأنَّ القوم لم يقصروا في التحقيق عن شأو، ولم يعرجوا في الطلب على تقصير.

ونحن نذكر في هذا الفصل جملاً من متفرقات كلامهم فيما يتعلق بمسائل الأصول.

ثم نحرر على الترتيب بعدها ما يشتمل على ما يحتاج إليه في الاعتقاد، على وجه الإيجاز والاختصار، إنْ شاء الله تعالى.

---

(١) البدعة: ما استُحدث في الدين وغيره (ج) بدع.
(٢) انظر ترجمته في وفيات الأعيان ١/٣٧٣.
(٣) الشأو: الشوط والسبق والغاية والأمد.

[كلامهم عن معرفة الله تعالى]:

. سمعت: الشيخ أبا عبد الرَّحمن مُحمد بن الحُسين السّلمي[1]، رحمه الله، يقول: سمعت عبد الله بن موسى السلاميّ يقول: سمعت أبا بكر الشبليّ[2] يقول: «الواحد: المعروف قبل الحدود وقبل الحروف» وهذا صريح من الشبلي أنَّ القديم ـ سُبحانه ـ لا حدَّ لذاته، ولا حروف لكلامه.

سمعت أبا حاتم الصوفي، يقول: سمعت أبا نصر الطوسيّ يقول: سُئل رُويم عن أول فرض افترضه الله عزَّ وجلَّ على خلقه ما هو؟ فقال: المعرفة؛ لقوله جلَّ ذكره: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]. قال ابن عباس: إلا ليعرفون.

وقال الجنيد: إنَّ أول ما يحتاج إليه العبد من عقد الحكمة: معرفة المصنوع صانعه، والمحدث كيف كان إحداثه، فيعرف صفة الخالق من المخلوق، وصفة القديم من المحدث، ويذل لدعوته، ويعترف بوجوب طاعته؛ فإن من لم يعرف مالكه لم يعترف بالملك لمن استوجبه.

أخبرني محمد بن الحُسين، قال: سمعت مُحمَّد بن عبد الله الرازيّ يقول: سمعت أبا الطِّيب المراغيّ يقول: للعقل دلالة، وللحكمة إشارة، وللمعرفة شهادة؛ فالعقل يدل والحكمة تشير. والمعرفة تشهد: أنَّ صفاء العبادات لا ينال إلا بصفاء التوحيد.

وسُئل الجنيد عن التوحيد، فقال: إفراد الموحَّد بتحقيق وحدانيته بكمال أحديته: أنه الواحد، الذي لم يلد، ولم يولد. بنفي الأضداد، والأنداد، والأشباه، بلا تشبيه. ولا تكييف، ولا تصوير ولا تمثيل ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

أخبرنا مُحمَّد بن يحيى الصوفيّ، قال: أخبرنا عبد الله بن عليّ التميميّ الصوفيّ، يحكى عن الحُسين بن عليّ الدامغاني، قال: سُئلْ أبو بكر الزاهراباذي عن المعرفة، فقال: المعرفة اسم، ومعناه وجود تعظيم في القلب يمنعك عن التعطيل والتشبيه.

وقال أبو الحسن البوشنجيّ[3]، رحمه الله، التوحيد: أنْ تعلم أنه غير مشبه للذوات، ولا منفيِّ الصفات.

---

(١) محمد بن الحسين بن محمد بن موسىٰ الأزدي السلمي النيسابوري، أبو عبدالرحمن، من علماء المتصوفة. ولد سنة (٣٢٥ هـ) وتوفي سنة (٤١٢ هـ)، كان يضع الأحاديث للصوفية. بلغت تصانيفه مئة أو أكثر منها (حقائق التفيسر)، و (مناهج العارفين)، و (رسالة الملاقية) وغيرها. الأعلام للزركلي ٩٩/٦.

(٢) انظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ١٠٣.

(٣) انظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ١٢٠.

[صفات الله سبحانه]:

أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي، رحمه الله تعالى، قال: سمعت مُحمَّد بن مُحمَّد بن غالب. قال: سمعت أبا نصر أحمد بن سعيد الأسفنجانيّ يقول، قال: الحُسين بن مَنْصُور[1]: ألزِم الكلَّ الحدث، لأنَّ القدم له فالذي بالجسم ظهوره فالعرَض يلزمه، والذي بالأداة اجتماعه فقواها تمسكه والذي يؤلِّفه وقت يفرقه وقت، والذي يقيمه غيره فالضرورة تمسه. والذي الوهم يظفر به فالتصوير يرتقي إليه؛ ومن آواه محل أدركه أين، ومن كان له جنس طالبه مكيِّف.

إنه سُبحانه لا يظِله فوق، ولا يقله تحت، ولا يقابله حد ولا يزاحمه عند، ولا يأخذه خلف، ولا يحدُّه أمام، ولم يظهره قبل ولم يفنه بعد ولم يجمعه كلٌّ ولم يوجده كان، ولم يفقده ليس.

وصفه: لا صفة له، وفعله: لا علة له؛ وكونه: لا أمد له تنزَّه عن أحوال خلقه، ليس له من خلقه مزاج، ولا في فعله علاج، بايبنهم بقدمه، كما باينوه بحدوثهم.

إنْ قلت: متى، فقد سبق الوقتَ كونه. وإنْ قلت: هو، فالهاء والواو خلْقه. وإنْ قلت: أين، فقد تقدَّم المكانَ وجوده.

فالحروف آياته. ووجوده إثباته. ومعرفته توحيده، وتوحيده تمييزه من خلقه. ما تُصوِّر في الأوهام فهو بخلافه، كيف يحلُّ به ما منه بدأه؟ أو يعود إليه ما هو أنشأه؟ لا تماقه العيون، ولا تقابله الظنون، قربه كرامته، وبُعده إهانته، علوُّه من غير توقُّل، ومجيئه من غير تنقُّل.

هو: الأول، والآخر، والظاهر، والباطن، القريب البعيد، الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

سمعت أبا حاتم السِّجستانيّ[2] يقول: سمعت أبا نصر الطوسيَّ السرَّاج يحكي عن يُوسف بن الحُسين، قال: قام رجل بين يدي ذي النون المصري[3]، فقال:

---

(١) أبو مغيث الحسين بن منصور الحلاج الزاهد المشهور، هو من أهل البيضاء، ونشأ بواسط والعراق، وصحب أبا القاسم الجنيد وغيره، وكان في سنة ٢٩٩ ادعى للناس أنه إله. وتوفي سنة ٣٠٩ هـ. وفيات الأعيان ٢/ ١٤٠.

(٢) أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان بن يزيد الجشمي السجستاني النحوي اللغوي المقرىء، نزيل البصرة وعالمها، كان إماماً في علوم الآداب، وعنه أخذ علماء عصره، كان كثير الرواية عن أبي زيد الأنصاري وأبي عبيدة والأصمعي، عالماً باللغة والشعر، حسن العلم بالعروض وإخراج المعمىٰ، له كتاب «إعراب القرآن» و «الطير» وغيرهما. توفي في المحرم وقيل رجب سنة ثمان وأربعين ومائتين وقيل: سنة خمسين، وقيل: أربع أو خمس وخمسين بالبصرة. وفيات الأعيان ٢/ ٤٣٠.

(٣) ثوبان بن إبراهيم الأخميمي المصري أبو الفياض أو أبو الفيض، أحد الزهاد العباد المشهورين من أهل =

أخبرني عن التوحيد: ما هو؟ فقال هو: أنْ تعلم قدرة الله تعالى في الأشياء بلا مزاج، وصنعه للأشياء بلا علاج، وعلَّة كل شيء صنعه، ولا علَّة لصنعه. وليس في السموات العلا، ولا في الأرضين السفلى مدبِّر غير الله، وكل ما تصوَّر في وهمك فالله بخلاف ذلك.

وقال الجنيد: التوحيد، علمك وإقرارك بأنَّ الله فرد في أزليته لا ثاني معه ولا شي يفعل قبله.

تعريف الإيمان:

وقال أبو عبد الله بن خفيف: الإيمان: تصديق القلوب بما أعلمه الحق من الغيوب.

وقال أبو العبَّاس السياريّ[1]: عطاؤه على نوعين: كرامة، واستدراج. فما أبقاه عليك فهو كرامة، وما أزاله عنك فهو استدراج، فقل: أنا مؤمن إنْ شاء الله تعالى. وأبو العبَّاس السياريّ كان شيخ وقته.

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدَّقاق، رحمه الله، يقول: غمزَ رجلٌ رِجل أبي العبَّاس السياري: فقال: تغمز رِجلاً ما نقلتها قط في معصية الله عزَّو جل!!

وقال أبو بكر الواسطيّ[2]: من قال «أنا مؤمن بالله حقاً» قيل له: الحقيقة تشير إلى إشراف، وإطلاع، وإحاطة، فمن فقده بطل دعواه فيها.

يريد بذلك ما قاله أهل السنَّة: إنَّ المؤمن الحقيقي: من كان محكوماً له بالجنة فمن لم يعلم ذلك من سرِّ حكمة الله تعالى، فدعواه: بأنه مؤمن حقاً غير صحيحة.

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السلميّ يقول: سمعتَ منصور بن عبد الله يقول: سمعت أبا الحسن العنبريّ يقول: سمعت سهل بن عبد الله التستريّ[3] يقول: ينظر إليه، تعالى، المؤمنون بالأبصار من غير إحاطة ولا إدراك نهاية.

وقال أبو الحُسين النوريّ[4]: شاهد الحقُّ القلوبَ، فلم ير قلباً أشوق إليه من قلب مُحمد ﷺ، فأكرمه بالمعراج، تعجيلاً للرؤية والمكالمة.

سمعت الإمام أبا بكر مُحمَّد بن الحسن بن فورك[5]، رحمه الله تعالى، يقول: سمعت

= مصر، نوبي الأصل من المولي. كانت له فصاحة وحكمة وشعر، وقد اتهم بالزندقة. توفي بالجيزة سنة ٢٤٥ هـ. الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ٧٠، والأعلام ٢/ ١٠٢.

(١) انظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ١١٩.

(٢) انظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ٩٩، وفي الأعلام ٧/ ١١٧.

(٣) انظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ٧٧، وفي وفيات الأعيان ٢/ ٤٢٩.

(٤) انظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ٨٧.

(٥) الأستاذ أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك المتكلم الأصولي الأديب النحوي الواعظ الأصبهاني. أقام بالعراق مدة يدرس العلم، ثم توجه إلى الري فسعت به المبتدعة، سُمّ ومات في طريق عودته إلى نيسابور سنة ست وأربعمائة. وفيات الأعيان ٤/ ٢٧٢.

مُحمَّد بن المحبوب ـ خادم أبي عُثمان المغربيّ ـ يقول: قال لي أبو عُثمان المغربيّ يوماً:

يا مُحمد، لو قال لك أحد: أين معبودك؟ إيش تقول؟

قال: قلت: أقول حيث لم يزل.

قال: فإنْ قال: أين كان في الأزل؟ إيش تقول؟

قال: قلت: أقول حيث هو الآن، يعني: أنه كما كان ولا مكان فهو الآن كما كان.

قال: فارتضى مني ذلك، ونزع قميصه وأعطانيه.

سمعت الإمام أبا بكر بن فُورك، رحمه الله تعالى، يقول: سمعت أبا عُثمان المغربيّ، يقول: كنت أعتقد شيئاً من حديث الجهة، فلما قدمت بغداد زال ذلك عن قلبي، فكتبت إلى أصحابنا بمكة: أني أسلمت الآن إسلاماً جديداً.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين السلميّ، رحمه الله يقول: سمعت أبا عُثمان المغربيّ يقول: وقد سُئل عن الخلق، فقال: قوالب وأشباح تجري عليهم أحكام القدرة.

وقال الواسطيّ: لما كانت الأرواح والأجساد قامتا بالله، وظهرتا به لا بذواتها، كذلك قامت الخطرات والحركات بالله لا بذواتها، إذ الحركات والخطرات فروع الأجساد والأرواح. صرَّح بهذا الكلام أن أكساب العباد مخلوقة لله تعالى، وكما أنه لا خالق للجواهر إلا الله تعالى، فكذلك لا خالق للأعراض إلا بالله تعالى.

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السلميّ، رحمه الله، يقول: سمعت مُحمَّد بن عبد الله يقول: سمعت أبا جعفر الصيدلاني يقول: سمعت أبا سعيد الخراز[1] يقول: من ظنَّ أنه ببذل الجهد يصل إلى مطلوبه فمتمنٍ، ومَن ظن أنه بغير الجهد يصل فمتمنٍ.

وقال الواسطيّ: المقامات أقسام قُسِّمت، ونعوت أجريت، كيف تُستجلب بحركات؟ أو تنال بسعايات؟

[تعريف الكفر]:

وسُئل الواسطيّ عن الكفر بالله أو لله، فقال: الكفر والإيمان، والدنيا والآخرة: من الله، وإلى الله، وبالله، ولله: من الله ابتداء وإنشاء، وإلى الله مرجعاً وانتهاء، وبالله بقاء وفناء، ولله ملكاً وخلقاً.

[التوحيد]:

وقال الجنيد: سُئل بعض العلماء عن التوحيد، فقال: هو اليقين.

فقال السائل: بيِّن لي ما هو؟

---

(١) انظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ٩٢، وفي الأعلام ١/ ١٩١.

فقال: هو: معرفتك، أنَّ حركات الخلق وسكونهم، فعل الله عزَّ وجلَّ، وحده، لا شيك له، فإذا فعلت ذلك فقد وحَّدته.

سمعت مُحمَّد بن الحسين رحمه الله، يقول: سمعت عبد الواحد بن عليّ، يقول: سمعت القاسم بن القاسم يقول: سمعت مُحمَّد بن موسى الواسطي يقول: سمعت مُحمَّد بن الحُسين الجوهريّ يقول: سمعت ذا النون المصري يقول، وقد جاءه رجل فقال: ادع الله لي فقال:

إن كنت قد أُيدت في علم الغيب بصدق التوحيد، فكم من دعوة مجابة قد سبقت لك، وإلا فإنَّ النداء لا يُنقذ الغرقى.

وقال الواسطيّ: ادَّعى فرعون الربوبية على الكشف، وادَّعت المعتزلة على الستر، تقول: ما شئت فعلت.

وقال أبو الحسين النوويّ: التوحيد: كلُّ خاطر يُشير إلى الله تعالى، بعد أن لا تزاحمه خواطر التشبيه.

وأخبرنا الشيخ أبو عبد الرَّحمن السلميّ، رحمه الله تعالى، قال: سمعت عبد الواحد بن بكر، يقول: سمعت هِلال بن أحمد يقول: سُئل أبو عليْ الروذباريّ عن التوحيد، فقال:

التوحيد: إستقامة القلب بإثبات مفارقة التعطيل، وإنكار التشبيه، والتوحيد في كلمة واحدة: كل ما صوَّره الأوهام والأفكار فالله سبحانه بخلافه، لقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ [الشورى: ١١].

وقال أبو القاسم النصراباذي: الجنة باقية بإبقائه. وذكرُه لك، ورحمته، ومحبته لك باق ببقائه. فشتان بين ما هو باق ببقائه، وبين ما هو باق بإبقائه.

وهذا الذي قاله الشيخ أبو القاسم النصر أباذي، هو غاية في التحقيق؛ فإنَّ أهل الحق قالوا صفات ذات القديم سُبحانه: باقيات ببقائه تعالى. فنبه على هذه المسألة وبين أنَّ الباقي باقٍ ببقائه بخلاف ما قاله مخالفو أهل الحق «فخالفوا الحق».

أخبرنا مُحمَّد بن الحسين؛ قال: سمعت النصر أباذي يقول: أنت متردد بين صفات الفعل وصفات الذات، وكلاهما صفته تعالى، على الحقيقة، فإذا هيَّمك في مقام التفرقة قرنك بصفات فعله، وإذا بلَّغك إلى مقام الجمع قرنك بصفات ذاته. وأبو القاسم النصر أباذي كان شيخ وقته.

سمعت الإمام أبا إسحاق الإسفرايينيّ، رحمه الله، يقول: لما قدمت من بغداد كنت أدرس في جامع نيسابور مسألة الروح، وأشرح القول في أنها مخلوقة، وكان أبو القاسم النصر أباذي قاعداً متباعداً عنا؛ يصغي إلى كلامي، فاجتاز بنا بعد ذلك يوماً ـ بأيام قلائل،

فقال لمُحمَّد الفرَّاء: إشهد أني أسلمت جديداً على يد هذا الرجل، وأشار إليّ.

سمعت مُحمد بن الحُسين السلميّ، يقول: سمعت أبا حُسين الفارسيّ يقول: سمعت إبراهيم بن فاتك يقول: سمعت الجنيد يقول: متى يتصل من لا شبيه له ولا نظير له بمن له شبيه ونظير؟! هيهات، هذا ظن عجيب إلا بما لطف اللطيف من حيث لا درك، ولا وهم، ولا إحاطة إلا إشارة اليقين وتحقيق الإيمان.

أخبرنا مُحمَّد بن الحُسين، رحمه الله تعالى، قال: سمعت عبد الواحد بن بكر يقول: حدثني أحمد بن مُحمَّد بن علي البردعيّ، قال: حدّثنا طاهر بن اسماعيل الرازي، قال: قيل ليحيى بن مُعاذ: أخبرني عن الله عزَّ وجل.

فقال: آله واحد.

فقيل له: كيف هو؟

فقال: ملك قادر.

فقيل: أين هو؟

فقال: هو بالمرصاد.

فقال السائل: لم أسألك عن هذا!!

فقال: ما كان غير هذا كان صفةَ المخلوق. فأما صفته فما أخبرتك عنها.

وأخبرنا مُحمَّد بن الحُسين، قال: سمعت أبا بكر الرازيّ يقول: سمعت أبا عليّ الروذباري يقول: كل ما توهمه متوهم بالجهل أنه كذلك، فالعقل يدل على أنه بخلافه.

وسأل ابن شاهين الجنيدَ عن معنى: مع.

فقال مع، على معنيين: مع الأنبياء بالنصرة والكلاءة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦].

ومع العامة بالعلم والإحاطة، قال تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧].

فقال ابن شاهين: مثلك يصلح أنْ يكون دالاً للأمة على الله.

[العرش]:

وسئل ذو النون المصريّ عن قوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾.

فقال: أثبتَ ذاته ونفى مكانه، فهو موجود بذاته، والأشياء موجودة بحكمه، كما شاء سُبحانه.

وسئل الشبليّ عن قوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾. فقال: الرحمن لم يزل، والعرش محدث والعرش بالرحمن استوى. وسُئل جعفر بن نُصير عن قوله تعالى:

﴿الرحمن على العرش استوى﴾ فقال: استوى علمه بكل شيء فليس شيء أقرب إليه من شيء، وقال جعفر الصَّادق[1]: من زعم أنَّ الله في شيء، أو من شيء، أو على شيء، فقد أشرك؛ إذ لو كان على شيء لكان محمولاً، ولو كان في شيء لكان محصوراً، ولو كان من شيء لكان محدثاً.

وقال جعفر الصَّادق أيضاً في قوله: ﴿ثم دنا فتدلّى﴾: من توهَّم أنه بنفسه دنا جعل ثَمَّ مسافة، إنما التداني أنه كلما قرب منه بَعَّده عن أنواع المعارف إذ لا دنوَّ ولا بُعد.

ورأيت بخط الأستاذ أبي عليّ أنه قيل لصوفيّ: أين الله؟

فقال: أسحقك الله!! تطلب مع العين أين؟!

أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلميّ، قال: سمعت أبا العبَّاس ابن الخشَّاب البغداديّ يقول: سمعت أبا القاسم بن موسى يقول: سمعت مُحمَّد بن أحمد يقول: سمعت الأنصاري يقول: سمعت الخرَّاز يقول:

حقيقة القرب: فقد حِسِّ الأشياء من القلب وهدوء الضمير إلى الله تعالى.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين يقول: سمعت مُحمَّد بن عليّ الحافظ يقول، سمعت أبا مُعاذ القزويني يقول: سمعت أبا عليٍّ الدلاّل يقول: سمعت أبا عبد الله بن قهرمان يقول: سمعت إبراهيم الخواص[2] يقول:

إنتهيت إلى رجل، وقد صرعه الشيطان، فجعلت أؤذن في أذنه، فناداني الشيطاني من جوفه: دعني أقتله؛ فإنه يقول القرآن مخلوق.

وقال ابن عطاء[3]: إن الله تعالى لما خلق الأحرف جعلها سراً له، فلما خلق آدم عليه السلام بثَّ فيه ذلك السر، ولم يبث ذلك السر في أحد من ملائكته، فجرت الأحرف على لسان آدم عليه السلام بفنون الجريان وفنون اللغات، فجعلها الله صوراً لها. صرح ابن عطاء القول بأنَّ الحروف مخلوقة.

وقال سهل بن عبد الله: إنَّ الحروف لسان فعل، لا لسان ذات؛ لأنها فعل في مفعول.

قال: وهذا أيضاً تصريح بأنَّ الحروف مخلوقة.

وقال الجنيد في جوابات مسائل الشاميين: التوكل عمل القلب، والتوحيد قول

---

(١) جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط، الهاشمي القرشي، أبو عبد الله، الملقب بالصادق، سادس الأئمة الإثني عشر عند الإمامية، كان من أجلاء التابعين، وله منزلة رفيعة في العلم. أخذ عنه جماعة ولقب بالصادق لأنه لم يعرف عنه الكذب قط. كانت ولادته سنة ثمانين للهجرة وقيل: ثلاث وثمانين، وتوفي سنة ثمان وأربعين ومائة بالمدينة. وفيات الأعيان ١/٣٢٧، والأعلام ٢/١٢٦.

(٢) انظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ١/٩٧.

(٣) انظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ١/١٢٣.

القلب، قال: هذا قول أهل الأصول، إنَّ الكلام: هو المعنى الذي قام بالقلب من معنى الأمر والنهي، والخبر، والإستخبار.

وقال الجنيد في جوابات مسائل الشاميين أيضاً: تفرد الحق بعلم الغيوب، فعلم ما كان، وما يكون، وما لا يكون: أن لو كان كيف كان يكون.

وقال الحُسين بن مَنْصور: من عرف الحقيقة في التوحيد سقط عنه: لِمَ وكيف.

أخبرنا مُحمَّد بن الحُسين، قال: سمعت مَنْصور بن عبد الله يقول: سمعت جعفر بن مُحمَّد يقول: قال الجنيد: أشرف المجالس وأعلاها الجلوس مع الفكرة في ميدان التوحيد.

وقال الواسطيّ: ما أحدث الله شيئاً أكرم من الروح. صرَّح بأنَّ الروح مخلوقة.

قال الأستاذ الإمام زين الإسلام أبو القاسم، رحمه الله: دلَّت هذه الحكايات على أنَّ عقائد مشايخ الصوفية توافق أقاويل أهل الحق في مسائل الأصول.

وقد اقتصرنا على هذا المقدار خشية خروجنا عما أنرناه من الإيجاز والإختصار.

فصــل

قال الأستاذ زين الإسلام أبو القاسم، أدام الله عزَّه:

وهذه فصول تشتمل على بيان عقائدهم في مسائل التوحيد ذكرناه على وجه الترتيب.

قال شيوخ هذه الطريقة، على ما يدلُ عليه متفرقات كلامهم، ومجموعاتها، ومصنفاتها في التوحيد.

إنَّ الحق، سُبحانه وتعالى: موجود، قديم، واحد، حكيم، قادر، عليم، قاهر، رحيم، مُريد، سميع، مُجيد، رفيع، مُتكلم، بصير، متكبر، قدير، حيٌّ، أحد، باق، صمد.

وأنه عالم بِعِلم، قادر بقدرة؛ مُريد بإرادة؛ سميع بسمع؛ بصير ببصر؛ متكلم بكلام؛ حيٌّ بحياة؛ باقٍ ببقاء.

وله يدان هما صفتان؛ يخلق بهما ما يشاء، سُبحانه، على التخصيص.

وله الوجه، وصفات ذاته مختصة بذاته، لا يُقال هي هو، ولا هي أغيار له، بل هي صفات أزلية، ونعوت سَرمدية[1]، وأنه أحديُّ الذات، ليس يشبه شيئاً من المصنوعات، ولا يشبهه شيء من المخلوقات، ليس بجسم ولا جوهر ولا عرَض، ولا صفاته أعراض، ولا يتصوَّر في الأوهام، ولا يتقدَّر في العقول، ولا له جهة ولا مكان، ولا يجري عليه وقت وزمان، ولا يجوز في وصفه زيادة ولا نُقصان، ولا يخصُّه هيئة وقدٌّ، ولا يقطعه نهاية وحدٌّ،

---

(١) السرمد: الدائم الذي لا ينقطع.

ولا يحله حادث، ولا يحمله على الفعل باعث، ولا يجوز عليه لون ولا كوْن، ولا ينصره مدد ولا عون؛ ولا يخرج عن قدرته مقدور؛ ولا ينفكّ عن حكمه مفطور[1]؛ ولا يعزب[2] عن علمه معلوم؛ ولا هو على فعله كيف يصنع وما يصنع ملوم؛ لا يُقال له: أين: ولا حيث ولا كيف؛ ولا يُستفتح له وجود: فيقال: متى كان: ولا ينتهي له بقاء: فيُقال استوفى الأجل والزمان، ولا يُقال: لِمَ فعل ما فعل؛ إذ لا علَّة لأفعاله؛ و لايُقال ما هو؛ إذ لا جنس له فيتميز بأمارة عن أشكاله. يُرى لا عن مُقابلة، ويَرى غيره لا عن مماقلة، ويصنع لا عن مُباشرة ومُزاولة. له الأسماء الحُسنىٰ، والصفات العلا، يَفعل ما يريد، ويذلّ لحكمه العبيد، لا يجري في سلطانه إلا ما يشاء، ولا يحصل في ملكه غير ما سبق به القضاء، ما علم أنه يكون من الحادثات أراد أنْ يكون. وما علم أنه لا يكون، مما جاز أنْ يكون: أراد أنْ لا يكون. خالق أكساب العباد: خيرها وشرِّها. ومبدع ما في العالم من الأعيان والآثار: قُلُّها وكُثرها. ومُرسل الرسل إلى الأمم من غير وجوب عليه.

ومتعبِّد الأنام على لسان الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام؛ بما لا سبيل لأحد باللوم والإعتراض عليه، ومؤيد نبينا مُحمَّد ﷺ، بالمعجزات الظاهرة، والآيات الباهرة، بما أزاح به العذر، وأوضح به اليقين والنُكر، وحافظ بيضة[3] الإسلام بعد وفاته، ﷺ، بخلفائه الراشدين، ثم حارس الحق وناصره بما يوضحه من حجج الدين على ألسنة أوليائه، عصم الأمة الحنفية عن الاجتماع على الضلالة، وحسم مادة الباطل بما نصب من الدلالة، وأنجز ما وعد من نصرة الدين بقوله: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣].

فهذه: فصول تُشير إلى أصول المشايخ على وجه الإيجاز. وبالله التوفيق.

(١) الفِطرة: الخِلقة التي خلق عليها المولود في أول خلقه.
(٢) عزب الشيء عزوباً: بَعُد وغاب.
(٣) بيضة القوم: حوزتهم وحماهم، وفلان بيضة البلد إذا عُرف بالسيادة أو بالذل.

بـــاب
[أعلام الصوفيين]
في ذكر مشايخ هذه الطريقة

وما يدلُّ من سيرهم وأقوالهم على تعظيم الشريعة

إعلموا، رحمكم الله تعالى، أنَّ المسلمين بعد رسول الله ﷺ:

لم يتسمَّ أفاضلهم في عصرهم بتسمية عَلَم، سوى صحبة رسول الله ﷺ إذ لا فضيلة فوقها، فقيل لهم: الصحابة.

ولمَّا أدركهم أهل العصر الثاني سمى من صحب الصحابة: التابعين. ورأى في ذلك أشرف سِمة[1]. ثم قيل لمن بعدهم: أتباع التابعين.

ثم اختلف الناس، وتباينت المراتب، فقيل لخواص الناس مِمَّن لهم شدة عناية بأمر الدين: الزّهاد والعُبَّاد.

ثم ظهرت البدع، وحصل التداعي[2] بين الفرق، فكل فريق ادَّعوا أن فيهم زهاداً.

فانفرد خواصُّ أهل السُّنة المراعون أنفاسهم مع الله تعالى، الحافظون قلوبهم عن طوارق الغفلة باسم «التصوف».

واشتهر هذا الاسم لهؤلاء الأكابر قبل المائتين من الهجرة.

ونحن نذكر في هذا الباب أسامي جماعة من شيوخ هذه الطريقة، من الطبقة الأولى إلى وقت المتأخرين منهم، ونذكر جُملاً من سِيَرهم، وأقاويلهم، بما يكون فيه تنبيه على أصولهم، وآدابهم إنْ شاء الله تعالى.

---

(١) السمة: العلامة.

(٢) التداعي: التصدع.

فمنهم:

أبو إسحاق إبراهيم بن أدهم بن مَنْصور[1]

من كُورة بَلْخ[2]، رضي الله تعالى عنه.

كان من أبناء الملوك، فخرج يوماً متصيِّداً، فأثار ثعلباً أو أرنباً وهو طلبه، فهتف به هاتف: يا إبراهيم، ألهذا خُلقتَ، أم بهذا أُمرت؟

ثم هتف به أيضاً من «قربوس»[3] سرجه: والله ما لهذا خُلقت، ولا بهذا أُمرت.

فنزل عن دابته.

وصادف راعياً لأبيه، فأخذ جُبَّةَ للراعي من صوف، ولبسها وأعطاه فرسه وما معه، ثم إنه دخل البادية، ثم دخل مكة، وصحب بها سُفيان الثوريّ[4]. والفضيل بن عيَّاض، ودخل الشام ومات بها.

وكان يأكل من عمل يده، مثل: الحصاد، وحفظ البساتين، وغير ذلك.

وأنه رأى في البادية رجلاً علَّمه «اسم الله الأعظم» فدعا به بعده، فرأى الخضر عليه السَّلام، وقال له: إنما علَّمك أخي داود اسم الله الأعظم.

أخبرنا بذلك الشيخ أبو عبد الرَّحمن السلميّ، رحمه الله، قال: حدّثنا محمَّد بن الحسين بن الخشَّاب قال: حدّثنا أبو الحسن عليّ بن مُحمَّد المصريّ، قال: حدّثنا أبو سعيد الخرَّاز قال: حدّثنا إبراهيم بن بشَّار قال: صحبت إبراهيم بن أدهم، فقلت: خبِّرني عن بدء أمرك فذكر هذا.

وكان إبراهيم بن أدهم كبير الشأن في باب الورع، ويحكى عنه أنه قال: أطلب مطعمك، ولا حرج عليك أنْ لا تقوم الليل ولا تصوم النهار.

وقيل: كان عامة دعائه: «اللهم انقلني من ذلِّ معصيتك إلى عزِّ طاعتك» وقيل لإبراهيم بن أدم: إنَّ اللحم قد غلا!!

فقيل: أرخصوه أي: لا تشتروه وأنشد في ذلك:

وإذا غــلا شــيء علــيَّ تــركتــه ... فيكــون أرخــص مـا يكـون إذا غـلا

(١) انظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ١/٦٩، وفي وفيات الأعيان ١/٣١.

(٢) بلخ: مدينة مشهورة بخراسان. معجم البلدان ١/٤٧٩.

(٣) القربوس: حنو السرج؛ أي: قسمه المقوس المرتفع من قدام المقعد ومن مؤخره (ج) قرابيس.

(٤) أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي، كان إماماً في علم الحديث وغيره من العلوم وهو أحد الأئمة المجتهدين. ولد سنة خمس وقيل: ست، وقيل: سبع وتسعين للهجرة، وتوفي بالبصرة سنة إحدى وستين ومائة. وفيات الأعيان ٢/٣٨٦.

أخبرنا مُحمَّد بن الحُسين، رحمه الله تعالى، قال: سمعت مَنْصُور بن عبد الله يقول: سمعت مُحمَّد بن حامد يقول: سمعت أحمد بن خضرويه يقول: قال إبراهيم بن أدْهم لرجل في الطواف:

اعلم أنك لا تنال درجة الصالحين حتى تجوز ست عقبات:

أولاها: تغلق باب النعمة، وتفتح باب الشدّة.

والثانية: تغلق باب العزِّ، وتفتح باب الذلِّ.

والثالثة: تغلق باب الراحة، وتفتح باب الجهد.

والرابعة: تغلق باب النوم؛ وتفتح باب السهر.

والخامسة: تغلق باب الغنى، وتفتح باب الفقر.

والسادسة: تغلق باب الأمل، وتفتح باب الإستعداد للموت.

وكان إبراهيم بن أدهم يحفظ كَرْماً، فمرَّ به جندي، فقال: أعطنا من هذا العنب فقال: ما أمرني به صاحبُه.

فأخذ يضربه بسوطه، فطأطأ رأسه وقال:

إضرب رأساً طالما عصى الله. فأعجز الرجل ومضى.

قال سهل بن إبراهيم: صحبت إبراهيم بن أدهم، فمرضت، فأنفق عليّ نفقته فاشتهيت شهوة، فباع حماره وأنفق عليَّ ثمنه. فلما تماثلت، قلت: يا إبراهيم، أين الحمار؟ فقال: بعناه، فقلت: فعلى ماذا أركب؟ فقال: يا أخي على عنقي. فحملني ثلاث منازل.

ومنهم:

أبو الفَيض ذو النون المصريّ(١)

واسمه: ثَوبان بن إبراهيم، وقيل الفيض بن إبراهيم، وأبوه كان نوبياً(٢).

تُوفي سنة: خمس وأربعين ومائتين. فائق في هذا الشأن، وأوحد وقته علماً، وورعاً، وحالاً، وأدباً.

سعَوا به إلى المتوكِّل، فاستحضره من مصر، فلما دخل عليه وعظَه فبكى المتوكِّل وردَّه إلى مصر مكرَّماً، وكان المتوكل إذا ذُكر بين يديه أهل الورع يبكي ويقول: إذا ذكر أهل الورع فحيّهلا بذي النون.

---

(١) انظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ٧٠، وفي الأعلام ٢/ ١٠٢.

(٢) النوبي: نسبة إلى النوبة، والنوبة: بلاد واسعة عريضة في جنوبي مصر وهم نصارى أهل شدة في العيش، أول بلادهم بعد أسوان يجلبون إلى مصر فيباعون بها. معجم البلدان ٥/ ٣٠٨، ٣٠٩.

وكان رجلاً نحيفاً، تعلوهُ حُمرة، ليس بأبيض اللحية.

سمعت أحمد بن مُحمَّد يقول: سمعت سعيد بن عُثمان يقول: سمعت ذا النون يقول: مدار الكلام على أربع:

حُبُّ الجليل، وبُغض القليل، واتِّباع التنزيل، وخوف التحويل[1].

سمعت مُحمَّد بن الحُسين، رحمه الله يقول: سمعت سعيد بن أحمد بن جعفر يقول: سمعت مُحمَّد بن أحمد بن سَهل يقول: سمعت سعيد بن عُثمان يقول: سمعت ذا النون المصريّ يقول:

من علامات المحبِّ لله عزَّ وجل: متابعة حبيب الله، ﷺ، في أخلاقه، وأفعاله، وأوامره، وسننه.

وسُئل ذو النون عن السِّفلة فقال: من لا يعرف الطريق إلى الله، ولا يتعَرَّفه.

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السلميّ، رحمه الله، يقول: سمعت أبا بكر مُحمَّد بن عبد الله بن شَاذان يقول: سمعتُ يوسف بن الحُسين يقول:

حضرت مجلس ذي النون يوماً؛ وجاءه سالم المغربيّ، فقال له: يا أبا الفَيض، ما كان سبب توبتك؟ قال: عجب لا تطيقه. قال: بمعبودك إلا أخبرتني.

فقال ذو النون: أردت الخروج من مصر إلى بعض القُرى، فنمت في الطريق في بعض الصَّحارى، ففتحت عيني، فإذا أنا بـ«قنبرة»[2] عمياء سقطت من وكرها على الأرض، فانشقت الأرض، فخرج منها «سكرجتان»[3]: إحداهما ذهب، والأخرى فضة وفي إحداهما سُمسم، وفي الأخرى ماء، فجعلت تأكل من هذا، وتشرب من هذا.

فقلت: حسبي، قد تبت، ولزمت الباب إلى أنْ قبلني الله عزَّ وجلّ.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين يقول: سمعت عليَّ بن عُمر الحافظ يقول: سمعت ابن رشيق يقول: سمعت أبا دجانة يقول: سمعت ذا النون يقول:

لا تسكن الحكمة[4] معدة مُلئت طعاماً.

وسُئل ذو النون عن التوبة فقال:

توبة العوام تكون من الذنوب، وتوبة الخواصِّ تكون من الغفلة.

---

(١) التحويل: التغيير من حال إلى حال.
(٢) القنبرة: نوع من أنواع الطيور.
(٣) السكرجة: لفظة فارسية تعني الصحفة التي يوضع فيها الطعام.
(٤) الحكمة: العلم والتفقه.

ومنهم:

أبو عليّ الفُضَيل بن عيَّاض[1]

خُراساني، من ناحية مرو.

وقيل إنه وُلد بسمرقند[2]، ونشأ بأبيَورد[3]، مات بمكة في المحرم سنة: سبع وثمانين ومائة.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين يقول: أخبرنا أبو بكر مُحمَّد بن جعفر قال: حدّثنا الحسن بن عبد الله العسكريّ، قال: حدّثنا ابن أخي أبي زُرعة، قال: حدّثنا مُحمَّد بن إسحاق بن راهويه قال: حدّثنا أبو عمَّار، عن الفضل بن موسى، قال:

كان الفُضيل شاطراً: يقطع الطريق بين أبيورد وسرخس[4]. وكان سبب توبته: أنه عشق جارية، فبينما هو يرتقي الجدران إليها سمع تالياً يتلو: ﴿۞أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد: ١٦]، فقال: يا رب قد آن.

فرجع.. فآواه الليل إلى خربة، فإذا فيها رُفقة[5]، فقال بعضهم: نرتحل، وقال قوم: حتى نصبح، فإنَّ فُضيلاً على الطريق يقطع علينا.

فتاب الفُضيل وأمَّنهم. وجاور الحرم حتى مات.

وقال الفُضيل بن عيَّاض: إذا أحبَّ الله عبداً أكثر غمَّه، وإذا أبغض عبداً وسَّع عليه دنياه.

وقال ابن المُبارك: إذا مات الفضيل ارتفع الحزن.

وقال الفُضيل:

لو أنَّ الدنيا بحذافيرها عُرضت عليَّ ولا أحاسب بها لكنت أتقذرها، كما يتقذَّر أحدكم الجيفة[6] إذا مرَّ بها أنْ تصيب ثوبه.

---

(١) انظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ١/٦٨، وفي وفيات الأعيان ٤/٤٧.

(٢) سمرقند: بلد معروف مشهور من أبنية ذي القرنين بما وراء النهر، وهو قصبة الصغد مبنية على جنوبي وادي الصغد مرتفعة عليه. معجم البلدان ٣/٢٤٦.

(٣) أبيورد: مدينة بخراسان بين سرخس ونسا. معجم البلدان ١/٨٦.

(٤) سرخس: مدينة قديمة من نواحي خراسان كبيرة واسعة وهي بين نيسابور ومرو في وسط الطريق، بينها وبين كل واحدة منهما ست مراحل. معجم البلدان ٣/٢٠٨.

(٥) الرُّفقة: الجماعة ترافقهم في السفر. أو الصحبة.

(٦) الجيفة: جثة الميت إذا أُنتنت.

وقال الفُضيل:

لو حلفت أنّي مُراء[1] أحبُّ إليَّ من أنْ أحلف إنّي لست بمراء.

وقال الفُضيل:

ترك العمل لأجل الناس هو الرياءُ، والعمل لأجل الناس هو الشرك.

وقال أبو عليٍّ الرازيّ: صحبت الفُضيل ثلاثين سنة ما رأيته ضاحكاً ولا مبتسماً، إلا يوم مات ابنه عليّ، فقلت له في ذلك، فقال:

إنَّ الله أحبَّ أمراً فأحببت ذلك.

وقال الفُضيل:

إني لأعصى الله، فأعرف ذلك في خُلق حماري وخادمي.

ومنهم:

أبو مَحفُوظ مَعْرُوف بن فَيروز الكرخيّ[2]

كان من المشايخ الكبار، مُجاب الدعوة، يُستشفَي بقبره.

يقول البغداديون: قبر معروف ترياق[3] مجرَّب.

وهو من موالي عليٍّ بن موسى الرضا[4]، رضي الله عنه، مات سنة مائتين: وقيل: سنة إحدى ومائتين[5]. وكان أستاذ السّريّ السقطيّ، وقد قال له يوماً: إذا كانت لك حاجة إلى الله فأقسم عليه بي.

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدَّقاق، رحمه الله تعالى، يقول: كان مَعروف الكرخيّ أبواه نصرانيان، فسلَّموا معروفاً إلى مؤدبهم، وهو صبي، فكان المؤدب يقول له: قل ثالث ثلاثة. فيقول: بل هو واحد. فضربه المعلم يوماً ضرباً مبرحاً، فهرب مَعروف، فكان أبواه يقولان: ليته يرجع إلينا على أيِّ دين يشاء، فنوافقه عليه.

ثم إنه أسلم على يدي «عليٍّ بن موسى الرضا».. ورجع إلى منزله.. ودقَّ الباب.

---

(١) الذي يُري نفسه على خلاف ما هو عليه.

(٢) انظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ٧٢، وفي وفيات الأعيان ٥/ ٢٣١ والكرخي نسبة إلى الكرخ، والكرخ: حي من أحياء بغداد.

(٣) الترياق: دواء ضد السم يمنع امتصاص السم من المعدة والأمعاء.

(٤) أبو الحسن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين، وهو أحد الأئمة الاثني عشر على اعتقاد الإمامية. ولد سنة ثلاث وخمسين ومائة وقيل: إحدى وخمسين ومائة، وتوفي في آخر يوم من صفر سنة اثنتين ومائتين وقيل: ثلاث ومائتين. وفيات الأعيان ٣/ ٢٦٩.

(٥) في وفيات الأعيان ٥/ ٢٣٣: وقيل: أربع ومائتين ببغداد.

فقيل: من بالباب؟ فقال: مَعروف. فقالوا: على أيّ دين جئت؟ فقال: على الدين الحنفيّ. فأسلم أبواه.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين يقول: سمعت أبا بكر الرازيّ يقول: سمعت أبا بكر الحربيّ يقول: سمعت سريا السقطيّ يقول: رأيت مَعروفاً الكرخيّ في ا لنوم كأنه تحت العرش، فيقول الله عزَّ وجلّ لملائكته: من هذا؟ فيقولون: أنت أعلم يا رب.

فيقول: هذا مَعْروف الكرخيّ، سَكر من حُبي، فلا يفيق إلا بلقائي.

وقال مَعروف: قال لي بعض أصحاب داود الطائيّ: إياك أنْ تترك العمل؛ فإنَّ ذلك الذي يقرِّبك إلى رضا مولاك فقلت: وما ذلك العمل؟

فقال: دوام طاعة ربك، وخدمة المسلمين، والنصيحة لهم.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين يقول: سمعت مُحمَّد بن عبد الله الرازيّ يقول: سمعت عليَّ بن مُحمَّد الدَّلال يقول: سمعت مُحمَّد بن الحُسين يقول: سمعت أبي يقول:

رأيتَ معروفاً الكرخيّ في النوم، بعد موته، فقلت له: ماذا فعل الله بك؟ فقال: غفر لي.

فقلت: بزُهدك وورعك؟ فقال: لا، بقبولي موعظة ابن السِّماك، ولزوم الفقر، ومحبتي للفقراء.

وموعظة ابن السّماك: ما قاله معروف:

كنت ماراً بالكوفة، فوقفت على رجل يُقال له: «ابن السّماك» وهو يعظ الناسَ.

فقال في خلال كلامه: من أعرض عن الله بكليته أعرض الله عنه جملة.. ومن أقبل على الله بقلبه أقبل الله برحمته إليه، وأقبل بجميع وجوه الخلق إليه، ومن كان مرَّة ومرَّة فالله يرحمه وقتاً ما. فوقع كلامه في قلبي، فأقبلت على الله تعالى، وتركت جميع ما كنت عليه، إلا خدمة مولاي «عليّ بن موسى الرِّضا».

وذكرت هذا الكلام لمولاي، فقال: يكفيك بهذا موعظة إنْ اتعظت.

أخبرني بهذه الحكاية مُحمَّد بن الحُسين، قال: سمعت عبد الرحيم بن عليّ الحافظ ببغداد يقول:

سمعت مُحمَّد بن عُمر بن الفَضل يقول: سمعت عليّ بن عيسى يقول: سمعت سريا السقطيّ يقول: سمعت مَعروفاً يقول ذلك.

وقيل لمعروف في مرض موته: أوصِ.

فقال: إذا متُّ فتصدَّقوا بقميصي؛ فإني أُريد أنْ أخرج من الدنيا عرياناً كما دخلتها عرياناً.

ومرَّ مَعروف بسقَّاء يقول: رحم الله من يشرب، وكان صائماً، فتقدَّم فشرب، فقيل له: ألم تكن صائماً؟ فقال: بلى، ولكني رجوت دعاءه.

ومنهم:

أبو الحَسن سري بن المغلّس[1] السقطيّ[2]

خال الجنيد، وأستاذه.

وكان تلميذ مَعْرُوف الكرخيّ؛ كان أوحد زمانه في الورع، وأحوال السنة وعلم التوحيد:

سمعت مُحمَّد بن الحُسين يقول: سمعت عبد الله بن عليّ الطوسيّ[3] يقول: سمعت أبا عَمرو بن علوان يقول: سمعت أبا العبَّاس بن مسْرُوق يقول:

بلغني أنَّ السريَّ السقطيّ كان يتَّجر في السوق، وهو من أصحاب مَعْرُوف الكرخيّ، فجاءه معروف يوماً، ومعه صبي يتيم، فقال: إكسُ هذا اليتيم. قال سري: فكسوته، ففرح به مَعْرُوف، وقال: بَغَّضَ الله إليك الدنيا، وأراحك مما أَنت فيه.

فقمت من الحانوت وليس شيء أبغض إليَّ من الدنيا.

وكل ما أنا فيه من بركات مَعْرُوف.

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السلميّ، رحمه الله، يقول: سمعت أبا بكر الرازيّ يقول: سمعت أبا عُمر الأنماطيّ يقول: سمعت الجنيد يقول:

ما رأيت أعبدَ من السريّ: أتت عليه ثمان وتسعون سنة ما رؤي مضطجعاً إلا في علّة الموت.

ويحكى عن السريّ أنه قال:

التصوُّف: اسم لثلاث معانٍ:

وهو الذي لا يطفيء نورُ معرفته نورَ ورعه.

ولا يتكلَّم بباطن في علم ينقضه عليه ظاهر الكتاب أو السنة.

ولا تحمله الكرامات على هتك أستار محارم الله.

مات السريّ سنة: سبع وخمسين ومائتين.

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدَّقاق يحكي عن الجنيد، رحمه الله، أنه قال:

سألني السريّ يوماً عن المحبَّة، فقلت: قال قوم: هي الموافقة، وقال قوم: الإيثار،

---

(١) المغلس لقب بذلك لأنه يظل في بيته ولا يخرج منه إلا للصلاة.

(٢) انظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ٧٤، وفي وفيات الأعيان ٢/ ٢٥٧.

(٣) عبد الله بن علي الطوسي، أبو نصر السراج، زاهد، كان شيخ الصوفية على طريقة السنة، له كتاب «اللمع» في التصوف. توفي سنة ٣٧٨ هـ. الأعلام ٤/ ١٠٤.

وقال قوم: كذا. . وكذا. . فأخذ السريّ جلدة ذراعه، ومدها، فلم تمتدّ، ثم قال:

وعزَّته تعالى، لو قلت: إنَّ هذه الجلدة يبستْ على هذا العظم من محبته لصدقت.

ثم غشي عليه، فدار وجهه كأنه قمر مشرق، وكان السريُّ به أُدْمَة[1].

ويحكى عن السريِّ أنه قال: منذ ثلاثين سنة أنا في الإستغفار من قولي: الحمد لله مرَّة.

قيل: وكيف ذلك؟ فقال: وقع ببغداد حريق، فاستقبلني رجل، فقال لي: نجا حانوتك.

فقلت: الحمد لله. فمنذ ثلاثين سنة أنا نادم على ما قلت، حيث أردت لنفسي خيراً مما حصل للمسلمين!!

أخبرني به عبد الله بن يُوسف قال: سمعت أبا بكر الرازيّ يقول: سمعت أبا بكر الحربيّ يقول: سمعت السريَّ يقول ذلك.

ويحكى عن السريِّ أنه قال: أنا أنظر في أنفي في اليوم كذا. . وكذا مرَّة، مخافة أنْ يكون قد اسودَّ، خوفاً من الله أنْ يسوِّد صورتي لما أتعاطاه.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين، رحمه الله، يقول: سمعت مُحمَّد بن الحسن ابن الخشَّاب يقول: سمعت جعفر بن مُحمَّد بن نُصير يقول: سمعت الجنيد يقول: سمعت السريَّ يقول: أعرف طريقاً مختصراً قصداً إلى الجنة:

فقلت: ما هو؟

فقال: لا تسأل من أحد شيئاً، ولا تأخذ من أحد شيئاً، ولا يكن معك شيء تعطي منه أحداً.

سمعت عبد الله بن يوسف الأصبهاني يقول: سمعت أبا نصر السرَّاج الطوسيّ يقول: سمعت جعفر بن مُحمَّد بن نُصير يقول: سمعت الجنيد بن مُحمَّد يقول: سمعت السريّ يقول: أشتهي أنْ أموت ببلد غير بغداد، فقيل له: ولم ذلك؟ فقال: أخاف ألا يقبلني قبري فأفتضح.

سمعت عبد الله بن يُوسف الأصبهاني يقول: سمعت أبا الحسن بن عبد الله النوطيّ الطرسوسيّ يقول: سمعت الجنيد يقول: سمعت السريُّ يقول:

اللهم مهما عذبتني بشيء فلا تعذبني بذلِّ الحجاب.

سمعت عبد الله بن يُوسف الأصبهانيّ يقول: سمعت أبا بكر الرازيّ يقول: سمعت

---

(١) الأدمة: السمرة.

الجريري يقول: سمعت الجنيد يقول: دخلت يوماً على السريّ السقطي وهو يبكي، فقلت له: ما يبكيك؟

فقال: جاءتني البارحة الصبيّة، فقالت:

يا أبتي، هذه ليلة حارَّةٌ، وهذا الكوز[1] أُعلِّقه ها هنا.

ثم إني حملتني عيناي فنمت، فرأيت جارية من أحسن الخلق قد نزلت من السماء، فقلت: لمن أنت؟ فقالت: لم لا يشرب الماء المبرَّد في الكيزان.

فتناولت الكوز فضربت به الأرض فكسرته.

قال الجنيد: فرأيت الخزف لم يرفعه ولم يمسَّه، حتى عفا عليه التراب.

ومنهم:

أبو نصر بِشْر بن الحارث الحافيّ[2]

أصله من «مَرو» وسكن بغداد، ومات بها، وهو ابن أخت علي بن خشرم. مات سنة سبع وعشرين ومائتين. وكان كبير الشأن.

وكان سبب توبته: أنه أصاب في الطريق كاغدة[3] مكتوباً فيها اسم الله عزَّو جلَّ قد وطئتها الأقدامُ، فأخذها واشترى بدرهم كان معه غالية[4] فطيَّب بها الكاغدة، وجعلها في شق حائط. فرأى فيما يرى النائم كأن قائلاً يقول له:

يا بِشْر، طيِّبت اسمي، لأطيبنَّ اسمك في الدنيا والآخرة.

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقَّاق، رحمه الله، يقول:

مرَّ بِشْر ببعض الناس، فقالوا: هذا الرجل لا ينام الليل كلَّه، ولا يفطر إلا في كل ثلاثة أيام مرة؛ فبكى بِشْر، فقيل له في ذلك فقال:

إني لا أذكر أنْ سهرت ليلة كاملة، ولا أني صمت يوماً لم أفطر من ليلته، ولكن الله سُبحانه وتعالى يلقي في القلوب أكثرَ مما يفعله العبد لطفاً منه، سُبحانه، وكرماً.. ثم ذكر ابتداء أمره: كيف كان على ما ذكرناه.

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السلميّ، يقول: سمعت مُحمَّد بن عبد الله الرازيّ

---

(١) الكوز: إناء من فخار أصغر من الإبريق، له أذن يُشرب به الماء (ج) أكواز وكيزان.

(٢) انظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ٧٢، وفي وفيات الأعيان ١/ ٢٧٤ وقد لقب بالحافي لأنه جاء إلى إسكاف يطلب منه شسعاً لإحدى نعليه، وكان قد انقطع فقال له الإسكاف: ما أكثر كلفتكم على الناس، فألقى النعل من يده والأخرى من رجله وحلف بأن لا يلبس نعلاً بعدها.

(٣) الكاغد: ورق الكتابة (مع) (ج) كواغد.

(٤) الغالية: أخلاط من الطيب كالمسك والعنبر (ج) غوالٍ.

يقول: سمعت عبد الرَّحمن بن أبي حاتم يقول: بلغني أنَّ بِشْر بن الحارث الحافي قال:

رأيت النبي ﷺ في المنام، فقال لي: يا بِشْر، أتدري لم رفعك الله من بين أقرانك؟ قلت: لا، يا رسول الله.

قال: باتِّباعك لسنَّتي، وخدمتك للصالحين، ونصيحتك لاخوانك، ومحبتك لأصحابي، وأهل بيتي: وهو الذي بلَّغك منازل الأبرار.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين، رحمه الله، يقول: سمعت مُحمَّد بن عبد الله الرازيّ يقول: سمعت بلالاً الخوَّاص يقول: كنت في تيه بني إسرائيل، فإذا رجل يماشيني، فتعجبت منه، ثم أُلهمت أنه الخضر عليه السَّلام، فقلت له: بحقِّ الحقِّ من أنت؟

فقال: أخوك الخضر؛ فقلت له: أُريد أنْ أسألك، فقال: سَلْ. فقلت: ما تقول في الشافعيّ[1] رحمه الله؟

فقال: هو من الأوتاد.

فقلت: ما تقول في أحمد بن حَنْبل[2] رضي الله عنه؟ قال: رجل صدِّيق.

قال: فما تقول في بِشْر بن الحارث الحافي؟

قال: لم يخلق بعده مثله.

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدَّقاق، رحمه الله تعالى، يقول:

أتى بشر الحافي باب المعافى بن عِمْران، فدقَّ الحافي عليه الباب، فقيل: منْ؟ فقال؛ بِشْر الحافي.

فقالت له بُنيةٌ من داخل الدار: لو اشتريت لك نعلاً بدانقين[3] لذهب عنك اسم الحافي.

أخبرني بهذه الحكاية مُحمَّد بن عبد الله الشيرازيّ، قال:

حدّثنا عبد العزيز بن الفَضْل قال: حدثني مُحمَّد بن سعيد، قال: حدثني مُحمَّد بن عبد الله قال: سمعت عبد الله المغازلي يقول: سمعت بِشْراً الحافي يذكر هذه الحكاية.

وسمعت مُحمَّد بن الحُسين يقول: سمعت أبا الحُسين الحجاجيّ يقول: سمعت

---

(١) الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع. القرشي المطلبي الشافعي. كان كثير المناقب، جم المفاخر، منقطع القرين، وهو أول من تكلم في أصول الفقه. ولد سنة خمسين ومائة في غزة، وتوفي يوم الجمعة آخر يوم من رجب سنة أربع ومائتين. وفيات الأعيان ٤/ ١٦٣.

(٢) الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال. . الشيباني، المروزي الأصل، كان إمام المحدثين، صنف كتاب «المسند»، ولد في بغداد سنة أربع وستين ومائة، وتوفي سنة إحدى وأربعين ومائتين ببغداد. الأعلام ١/ ٢٠٣، وفيات الأعيان ١/ ٦٣.

(٣) الدانق: سدس الدرهم (ج) دوانق ودوانيق.

المحامليّ يقول: سمعت الحَسن المسوحّي يقول: سمعت بِشْر بن الحارث يحكي هذه الحكاية.

وسمعت مُحمَّد بن الحُسين يقول: سمعت أبا الفَضْل العطَّار يقول: سمعت أحمد بن عليّ الدمشقيّ يقول: قال لي أبو عبد الله بن الجلاء:

رأيت ذات النون، وكانت له العبارة، ورأيت سهلاً، وكانت له الإشارة ورأيت بِشْر بن الحارث، وكان له الورع.

فقيل له: فإلى من كنت تميل؟ فقال: لِبْشر بن الحارث أستاذنا.

وقيل: إنه اشتهى الباقلاء[1] سنين، فلم يأكله، فرؤي في المنام بعد وفاته فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: غَفر لي، وقال: كُلْ يا من لم يأكل، واشرب يا مَنْ لم يشرب.

أخبرنا الشيخ أبو عبد الرَّحمن السّلمي، رحمه الله، قال: أخبرنا عُبيد الله بن عُثمان بن يحيى قال: حدّثنا أبو عَمرو بن السّماك قال: حدّثنا مُحمَّد بن العبَّاس قال: حدّثنا أبو بكر ابن بنت مُعاوية قال: سمعت أبا بكر بن عَفَّان يقول: سمعت بِشْر بن الحارث يقول:

إني لأشتهي الشِّواء منذ أربعين سنة ما صفا لي ثمنه!!

وقيل لبِشْر: بأيِّ شيء تأكل الخبز؟ فقال: أَذكر العافية وأَجعلها إداماً.

أخبرنا به مُحمَّد بن الحُسين، رحمه الله، قال: أخبرنا عُبيد الله بن عُثمان قال: أخبرنا أبو عَمرو بن السّماك قال: حدّثنا عُمر بن سعيد قال: حدّثنا ابن أبي الدنيا قال: قال رجل لبِشْر الحكاية المذكورة.

وقال بِشْر: لا يحتمل الحلالُ السَّرف.

ورؤي بِشْر في المنام، فقيل له: ما فعل الله بك؟

فقال: غَفَر لي، وأباح لي نصف الجنة، وقال لي:

يا بِشْر، لو سجدتَ لي على الجمر ما أديتَ شكرَ ما جعلته لك في قلوب عبادي.

وقال بِشْر: لا يجدُ حلاوة الآخرة رجل يُحِبُّ أنْ يعرفه الناس.

ومنهم:

أبو عبد الله الحَارث بن أسد المحاسبيّ[2]

عديم النظير في زمانه علماً، وورعاً، ومعاملةً، وحالاً.

بصريُّ الأصل، مات ببغداد سنة ثلاث وأربعين ومائتين.

---

(١) الباقلاء: الفول.

(٢) انظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ٧٥، وفي وفيات الأعيان ٢/ ٥٧.

قيل: إنه ورث من أبيه سبعين ألف درهم فلم يأخذ منها شيئاً. قيل لأنَّ أباه كان يقول بالقدر، فرأى من الورع أنْ لا يأخذ من ميراثه شيئاً وقال: صحَّت الرواية عن النبيّ ﷺ، أنه قال: «**لا يتوارث أهل ملَّتين شيئاً**»[١].

سمعت مُحمَّد بن الحُسين يقول: سمعت الحُسين بن يَحيى يقول: سمعت جَعفر بن مُحمَّد بن نُصير يقول: سمعت مُحمَّد بن مَسْرُوق يقول: مات الحارث بن أسد المحاسبيّ وهو محتاج إلى درهم، وخلف أبوه ضِياعاً وعقاراً، فلم يأخذ منه شيئاً.

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدَّقاق، رحمه الله تعالى، يقول:

كان الحارث المحاسبيّ إذا مدَّ يده إلى طعام فيه شبهة تحرَّك على أصبعه عِرق، فكان يمتنع منه.

وقال أبو عبد الله بن خَفيف: اقتدوا بخمسة من شيوخنا، والباقون سلِّموا لهم حالهم:

الحارث بن أسد المحاسبيّ، والجنيد بن مُحمَّد، وأبو مُحمَّد رُويم، وأبو العبَّاس بن عَطاء، وعَمرو بن عثمان المكيِّ؛ لأنهم جمعوا بين العلم والحقائق.

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السّلميّ، رحمه الله، يقول: سمعت عبد الله على الطوسي يقول: سمعت جعفراً الخلديّ[٢] يقول: سمعت أبا عُثمان البلديّ يقول: قال الحارث المحاسبيّ.

من صحح باطنه بالمراقبة والإخلاص زين الله ظاهرَه بالمجاهدة واتِّباع السنَّة.

ويحكى عن الجنيد أنه قال: مرَّ بي يوماً الحارث المحاسبي، فرأيت فيه أثر الجوع، فقلت: يا عم، تدخل الدار وتتناول شيئاً؟ فقال: نعم.

فدخلت الدار وطلبت شيئاً أقدِّمه إليه، فكان في البيت شيء من طعام حمل إليّ من عرس قوم، فقدَّمته إليه، فأخذ لقمة وأدارها في فمه مرات، ثم إنه قام وألقاها في الدهليز[٣]، ومرَّ.

فلما رأيته بعد ذلك بأيام قلت له في ذلك، فقال:

إني كنت جائعاً، وأردت أنْ أسرَّك بأكلي وأحفظ قلبك، ولكن بيني وبين الله،

---

(١) أخرجه أبو داود رقم (٢٩١١) في الفرائض، باب: هل يرث المسلم الكافر وإسناده حسن.

(٢) جعفر بن محمد بن نُصير، أبو محمد الخلدي، شيخ الصوفية في أيامه ببغداد وأعلمهم بالحديث، كان خواصاً نسبة إلى قصر الخلد ببغداد، حج ٥٦ حجة. ولد ببغداد سنة (٢٥٣ هـ)، وتوفي ببغداد سنة (٣٤٨ هـ). الأعلام ١٢٨/٢.

(٣) الدهليز فارسية: المدخل بين الباب والدار (ج) دهاليز.

سُبحانه، علامة: أن لا يسوغني طعاماً فيه شبهة، فلم يمكّني إبتلاعه، فمن أين كان لك ذلك الطعام؟

فقلت: إنه حُمل إليّ من دار قريب لي من العرس، ثم قلت: تدخل اليوم؟ فقال: نعم. فقدمت إليه كِسراً يابسة كانت لنا، فأكل وقال:

إذا قدمتَّ إلى فقير شيئاً فقدِّم إليه مثل هذا.

ومنهم:

أبو سُليمان داود بن نُصير الطائي[1]

وكان كبير الشأن. أخبرنا الشيخ أبو عبد الرَّحمن السلميّ، رحمه الله، قال: أخبرنا أبو عَمرو بن مَطَر قال: حدّثنا مُحمَّد بن المسيَّب قال: حدّثنا ابن خُبيق قال، قال يُوسف بن سباط:

ورث داود الطائيّ عشرين ديناراً[2] فأكلها في عشرين سنة.

سمعت الأستاذ أبا عليٍّ الدقَّاق، رحمه الله، يقول: كان سبب زهد داود الطائي:

أنه كان يمرُّ ببغداد، فمرَّ يوماً، فنحّاه المطرقون بين يدي حُميد الطوسيّ، فالتفت داود فرأي حُميد، فقال داود: أفٍّ لدنيا سبقك بها حُميد.

ولزم البيت وأخذ في الجهد والعبادة.

وسمعت ببغداد بعض الفقراء يقول: إنَّ سبب زهده أنه سمع نائحة تنوح وتقول:

بأيِّ خديك تبدى البلىٰ وأي عينيك إذاً سالا

وقيل: كان سبب زهده: أنه كان يجالس أبا حَنيفة، رضي الله عنه، فقال له أبو حَنيفة يوماً:

يا أبا سُليمان، أمَّا الأداة فقد أحكمناها، فقال له داود: فأي شيء بقي؟ فقال: العمل به.

قال داود: فنازعتني نفسي إلى العُزلة، فقلت لنفسي: حتى تجالسهم ولا تتكلم في مسألة.

قال: فجالستهم سنة لا أتكلم في مسألة، وكانت المسألة تمرُّ بي، وأنا إلى الكلام فيها أشد نزاعاً من العطشان إلى الماء البارد ولا أتكلَّم به.

ثم صار أمره إلى ما صار.

---

(١) انظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ١/٧٦، وفي وفيات الأعيان ٢/٢٥٩.

(٢) في وفيات الأعيان ٢/٢٥٩: ثلاثمائة درهم.

وقيل: حجم «جنيدُ الحجام» داود الطائي، فأعطاه ديناراً، فقيل له: هذا إسراف.

فقال: لا عبادة لمن لا مروءة له.

وكان يقول بالليل: الّهي همُّك عطَّل عليَّ الهموم الدنيوية، وحال بيني وبين الرقاد.

سمعت مُحمَّد بن عبد الله الصوفيّ يقول: حدّثنا مُحمَّد بن يُوسف قال: حدّثنا سعيد بن عَمرو قال: حدّثنا عليٌّ بن حَرب الموصلي[1] قال: حدّثنا إسماعيل بن زياد الطائيّ قال: قالت دايةُ داود الطائيّ له.

أما تشتهي الخبز؟ فقال: بين مضغ الخبز وشرب الفتيت قراءةُ خمسين آية.

ولما تُوفي داود رآه بعض الصالحين في المنام وهو يعدو فقال له: مالك؟ فقال: الساعة تخلَّصت من السجن.

فاستيقظ الرجل من منامه، فارتفع الصياح بقول الناس: مات داود الطائيّ.

وقال له رجل: أوصني. فقال له: عسكرُ الموتِ ينتظرونك.

ودخل بعضهم عليه، فرأى جرَّة ماء انبسطت عليها الشمس، فقال له: ألا تحوِّلها إلى الظلّ؟

فقال: حين وضعتها لم يكن شمس، وأنا أستحي أنْ يراني الله أَمشي لما فيه حظُّ نفسي.

ودخل عليه بعضهم، فجعل ينظر إليه، فقال: أما علمت أنهم كانوا يكرهون فضول النظر كما يكرهون فضول الكلام؟

أخبرنا عبد الله بن يُوسف الأصبهانيّ قال: أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن مُحمَّد بن يحيى المزكي:

قال: حدّثنا قاسم بن أحمد، قال: سمعت ميموناً الغزالي قال: قال أبو الرَّبيع الواسطيّ:

قلت لداود الطائيّ: أوصني.

فقال: صُمْ عن الدنيا، واجعل فطرك الموت، وفرَّ من الناس كفرارك من السَّبع.

---

(١) علي بن حرب بن محمد الطائي الموصلي، أبو الحسن من رجال الحديث، المصنفين فيه، كان عالماً بأخبار العرب، أديباً شاعراً. وفد على المعتز بسامراء سنة ٢٥٤ هـ، فكتب له بضياع لم تزل جارية إلى أيام المعتضد. ولد بأذربيجان سنة (١٧٠ هـ)، وتوفي بالموصل سنة (٢٦٥ هـ). الأعلام ٤/ ٢٧٠.

ومنهم:

أبو عليّ شقيق بن إبراهيم البلخيّ(١)

من مشايخ خُراسان. له لسان في التوكُل، وكان أستاذ حاتم الأصمّ.

قيل: كان سبب توبته: أنه كان من أبناء الأغنياء، خرج للتجارة إلى أرض الترك، وهو حَدَث. فدخل بيتاً للأصنام، فرأى خادماً للأصنام فيه؛ قد حلق رأسه ولحيته، ولبس ثياباً أُرجوانية(٢). فقال شَقيق للخادم: إنَّ لك صانعاً حيًّا، عالماً، قادراً، فاعبده.. ولا تعبد هذه الأصنام التي لا تضرُّ ولا تنفع!!

فقال: إن كان كما تقول، فهو قادر على أَنْ يرزقك ببلدك، فلم تعنَّيت إلى ها هنا للتجارة؟

فانتبه شقيق.. وأخذ في طريق الزهد.

وقيل: كان سبب زهده: أنه رأي مملوكاً يلعب ويمرح في زمان قحط، وكان الناس مهتمين به، فقال شَقيق: ما هذا النشاط الذي فيك؟ أما ترى ما فيه الناس من الجدب والقحط؟

فقال ذلك المملوك: وما عليّ من ذلك، ولمولاي قريةٌ خالصة يدخل له منها ما نحتاج نحن إليه، فانتبه شقيق، وقال: إن كان لمولاه قرية، ومولاه مخلوق فقير، ثم إنه ليس يهتم لرزقه، فكيف ينبغي أنْ يهتم المسلم لرزقه ومولاه غنى؟!

سمعت الشيخ أَبا عبد الرَّحمن السلميّ، رحمه الله، يقول: سمعت أبا الحُسين بن أحمد العطَّار البلخيّ يقول: سمعت أحمد بن مُحمَّد البخاري يقول: قال حاتم الأصمّ:

كان شقيق بن إبراهيم موسراً، وكان يتفتى ويُعاشر الفتيان، وكان عليُّ بن عيسى بن ماهان أميرَ بلْخ، وكان يحب كلاب الصيد، ففقد كلباً من كلابه، فسعى برجل أنه عنده، وكان الرجل في جوار شقيق، فطلب الرجل، فهرب.. فدخل دار شقيق مستجيراً، فمضى شقيق إلى الأمير، وقال:

خلوا سبيله، فإنَّ الكلب عندي أرده إليكم إلى ثلاثة أيام.

فخلوا سبيله، وانصرف شقيق مهتماً لما صنع. فلما كان اليوم الثالث كان رجل من

---

(١) انظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ٧٦، وفي وفيات الأعيان ٢/ ٤٧٥، وفيه وفاته سنة ثلاث وخمسين ومائة.

(٢) ثياب أرجوانية: أي ثياب حُمر مصبوغة بالأرجوان، والأرجوان: صبغ أحمر كان الفينيقيون يستخرجونه من بعض الصدَّف.

أصدقاء شقيق غائباً من بَلْخ فرجع إليها، فوجد في الطريق كلباً عليه قلادة، فأخذه، وقال: أهديه إلى شَقيق، فإنه يشتغل بالتفَّتّي.

فحمله إليه، فنظر شقيق فإذا هو كلب الأمير، فسرَّ به، وحمله إلى الأمير وتخلّص من الضمان فرزقه الله الإنتباه، وتاب مما كان فيه. وسلك طريق الزهد.

وحكى أنَّ حاتماً الأصمَّ قال: كنا مع شقيق في مصاف نحارب الترك في يوم لا نرى فيه إلا رؤوساً تندر، ورماحاً تنقصف، وسيوفاً تنقطع، فقال لي شقيق:

كيف ترى نفسك يا حاتم في هذا اليوم؟ تراه مثل ما كنت في الليلة التي زفّت إليك امرأتك؟

فقال: لا والله.

قال: لكني والله أرى نفسي في هذا اليوم مثلَ ما كنتُ تلك الليلة.

ثم نام بين الصفّين ودرقته[1] تحت رأسه حتى سمعت غطيطه.

وقال شقيق: إذا أَردتَ أَنْ تعرف الرجل فانظر إلى ما وعده الله ووعده الناس، فبأيهما يكون قلبه أوثق؟

وقال شقيق: تُعرف تقوى الرجل في ثلاثة أشياء: في أخذِه، ومنعِه، وكلامِه.

ومنهم:

أبو يزيد بن طَيفور بن عيسى البسطاميّ[2]

وكان جدُّه مجوسياً أسلم.

وكانوا ثلاثة إخوة: آدم، وطيفور، وعليّ. وكلهم كانوا زهَّاداً عبَّاداً وأبو يزيد كان أجلّهم حالاً.

قيل: مات سنة إحدى وستين ومائتين، وقيل: أربع وثلاثين ومائتين.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين، رحمه الله، يقول: سمعت أبا الحسن الفارسيّ، يقول: سمعت الحسن بن عليّ يقول: سُئل أبو يزيد: بأي شيء وجدت هذه المعرفة؟

فقال: ببطن جائع، وبدن عار.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين، رحمه الله، يقول: سمعت مَنْصور بن عبد الله يقول: سمعت عمي البسطاميّ يقول: سمعت أبي يقول: سمعت أبا يزيد يقول: عملت في المجاهدة ثلاثين سنة فما وجدت شيئاً أشدَّ عليَّ من العلم ومتابعته، ولولا اختلاف العلماء

---

(١) الدَّرقة: تُرس من جلد ليس فيه خشب (ج) درق (جج) دراق وأدراق.

(٢) انظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ١/٧٦.

لبقيت، واختلاف العلماء رحمة إلا في تجريد التوحيد.

وقيل: لم يخرج أبو يزيد من الدنيا حتى استظهر القران كلَّه.

حدّثنا أبو حاتم السّجستاني قال: أخبرنا أبو نَصر السرَّاج، قال: سمعت طيفور البسطاميّ يقول: سمعت المعروف بعمِّي البسطاميّ يقول: سمعت أبي يقول: قال لي أبو يزيد: قُم بنا حتى ننظر إلى هذا الرجل الذي قد شهر نفسه بالولاية، وكان رجلاً مقصوداً مشهوراً بالزهد، فمضينا إليه؛ فلما خرج من بيته، ودخل المسجد رمى ببصاقه تجاه القبلة، فانصرف أبو يزيد ولم يسلِّم عليه، وقال: هذا غيرُ مأمون على أدب من آداب رسول الله ﷺ؛ فكيف يكون مأموناً على ما يدَّعيه؟

وبهذا الإسناد قال أبو يزيد: لقد هممت أنْ أسأل الله تعالى أنْ يكفيني مؤنة الأكل ومؤنة النساء، ثم قلت: كيف يجوز لي أنْ أسأل هذا ولم أسأله رسول الله ﷺ إياه؟ فلم أسأله. ثم إنَّ الله سبحانه وتعالى كفاني مؤنة النساء؛ حتى لا أُبالي استقبلتني امرأة أو حائط.

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السّلمي، رحمه الله، يقول: سمعت الحسن بن عليّ يقول: سمعت عمي البسطامي يقول: سمعت أبي يقول: سألت أبا يزيد عن ابتدائه وزهده، فقال:

ليس للزهد منزلة فقلت: لماذا؟ فقال: لأني كنت ثلاثة أيام في الزهد.

فلما كان اليومُ الرابع خرجت منه: اليوم الأول: زهدت في الدنيا وما فيها، واليوم الثاني: زهدت في الآخرة وما فيها، واليوم الثالث: زهدت فيما سوى الله، فلما كان اليوم الرابع لم يبق لي سوى الله.. فهِمْتُ، فسمعت هاتفاً يقول:

يا أبا يزيد لا تقوى معنا. فقلت: هذا الذي أريده.

فسمعت قائلاً يقول: وَجدتَ، وجدت.

وقيل لأبي يزيد: ما أشد ما لقيت في سبيل الله؟ فقال: لا يمكن وصفه.

فقيل له: ما أهون ما لقِيَت نفسُك منك؟

فقال: أما هذا فنعم، دعوتها إلى شيء من الطاعات فلم تجبني، فمنعتها الماءَ سنة.

وقال أبو يزيد: منذ ثلاثين سنة أصلِّي، واعتقادي في نفسي عند كل صلاة أصليها: كأني مجوسيّ أُريد أنْ أقطع زُنّاري[1].

سمعت مُحمَّد بن الحُسين رحمه الله يقول: سمعت عبد الله بن عليّ يقول: سمعت موسى بن عيسى يقول، قال لي أبي: قال أبو يزيد: لو نظرتم إلى رجل أُعطي من الكرامات

(١) الزُّنّار: حزام أو خيط غليظ من الحرير بقدر الإصبع يُشدّ على الوسط، (ج) زنانير.

حتى يرتقي في الهواء، فلا تغتروا به، حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي، وحفظ الحدود، وأداء الشريعة.

وحكى عمّي البسطاميّ عن أبيه أنه قال: ذهب أبو يزيد ليلة إلى الرباط، ليذكر الله، سبحانه، على سور الرباط، فبقي إلى الصباح لم يذكر، فقلت له في ذلك، فقال:

تذكَّرتُ كلمة جرت على لساني في حال صباي، فاحتشمت أنْ أذْكره سُبحانه وتعالى.

ومنهم:

أبو مُحمَّد سَهْل بن عبد الله التستريّ(١)

أحد أئمة القوم، لم يكن له في وقته نظير في المعاملات والورع.

وكان صاحب كرامات، لقي ذا النون المصريّ بمكة سنة خروجه إلى الحج.

تُوفي، كما قيل: سنة ثلاث وثمانين ومائتين، وقيل: ثلاث وسبعين ومائتين.

وقال سَهْل: كنت ابن ثلاث سنين، وكنت أقوم بالليل أنظر إلى صلاة خالي مُحمَّد بن سوار، وكان يقوم بالليل، فربما كان يقول لي: يا سهل، إذهب فنم فقد شغلتَ قلبي.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين، رحمه الله يقول: سمعت أبا الفتح يُوسف بن عُمر الزاهد يقول: سمعت عبد الله بن عبد الحميد يقول: سمعت عُبيد الله بن لؤلؤ يقول: سمعتُ عُمر بن واصل البصريّ يحكي عن سهل بن عبد الله قال: قال لي خالي يوماً:

ألا تذكر الله الذي خلقك؟

فقلت: كيف أذكره؟ فقال لي: قُل بقلبك عند تقلُّبك في ثيابك ثلاث مرات. من غير أنْ تحرِّك به لسانك: الله معي، الله ناظرٌ إليّ، الله شاهد عليّ.

فقلت ذلك ثلاث ليال، ثم أعلمته، فقال لي:

قُل في كل ليلة سبع مرات. فقلت ذلك ثم أعلمته، فقال: قُل في كل ليلة إحدى عشرة مرَّة، فقلت ذلك، فوقع في قلبي له حلاوة.

فلما كان بعد سنة قال لي خالي: احفظ ما علَّمتك، ودُم عليه إلى أنْ تدخل القبر، فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة.

فلم أزل على ذلك سنين، فوجدت لها حلاوة في سرِّي.

ثم قال لي خالي يوماً: يا سَهْل، من كان الله معه، وهو ناظر إليه، وشاهدُه، أيعصيه؟ إيَّاك والمعصيةَ.

---

(١) انظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ٧٧، وفي وفيات الأعيان ٢/ ٤٢٩، والتستري نسبة إلى تستر: وهي بلدة من كور الأهواز من خوزستان.

فكنت أخلو، فبعثوني إلى الكتَّاب، فقلت:

إني لأخشى أن يتفرق عليَّ همِّي، ولكن شارطوا المعلِّم: إني أذهب إليه ساعة، فأتعلَّم، ثم أرجع.

فمضيت إلى الكتَّاب، وحفظتُ القرآن، وأنا ابن ستّ سنين أو سبع سنين، وكنت أصوم الدهر، وقوتي خبز الشعير، إلى أنْ بلغت اثنتي عشر سنة، فوقعت لي مسألة وأنا ابن ثلاث عشرة سنة، فسألت أهلي أنْ يبعثوني إلى البصرة أسأل عنها، فجئت البصرة وسألت علماءها فلم يشف أحد منها عني شيئاً!!

فخرجت إلى «عَبَّادان»[1]، إلى رجل يُعرف بأبي حبيب حَمزة بن عبد الله العبادانيّ، فسألته عنها فأجابني. وأقمت عنده مدَّة أنتفع بكلامه وأتأدب بآدابه، ثم رجعت إلى «تستر» فجعلت قوتي اقتصاراً على أنْ يشتري لي بدرهم من الشعير «الفرّق» فيطحن ويخبز لي، فأفطر عند السحر كلَّ ليلة على أوقية واحدة بحتاً، بغير ملح ولا إدام، فكان يكفيني ذلك الدرهم سنة.

ثم عزمت على أنْ أطوي ثلاث ليال، ثم أفطر ليلة، ثم خمساً، ثم سبعاً، ثم خمساً وعشرين ليلة. وكنت عليه عشرين سنة. ثم خرجتُ أسيح في الأرض سنين، ثم رجعت إلى «تستر» وكنت أقوم الليل كله.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين يقول: سمعت أبا العبَّاس البغدادي يقول: سمعت إبراهيم بن فِراس يقول: سمعت نَصر بن أحمد يقول: قال سهل بن عبد الله:

كل فعل يفعله العبد بغير اقتداء، طاعة كان أو معصية، فهو عيش النفس، وكلُّ فعل يفعله بالإقتداء فهو عذابٌ على النفس.

ومنهم:

أبو سُليمان عبد الرَّحمن بن عَطية الدارانيّ[2]

و «داران» قرية من قُرى دمشق. مات: سنة خمس عشرة ومائتين.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين يقول: سمعت عبد الله بن مُحمَّد الرازيّ يقول: أخبرنا إسحاق بن إبراهيم بن أبي حَسَّان يقول: سمعت أحمد ابن أبي الحواري يقول: سمعت أبا سُليمان يقول:

مَن أحسن في نهاره كوفيء في ليلة، ومن أحسن في ليلة كوفيء في نهاره، ومن

---

(١) عباذان: مدينة تقع على الخليج العربي. معجم البلدان ٤/ ٧٤.
(٢) انظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ٧٩.

صدَق في ترك شهوة ذهب الله بها من قلبه، والله تعالى أكرم من أن يعذِّب قلباً بشهوة تُركت له.

وبهذا الإسناد قال: إذا سكنت الدنيا القلب ترحَّلت منه الآخرة.

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السّلميّ، رحمه الله، يقول: سمعت الحُسين بن يَحيى يقول: سمعت جَعفر بن مُحمَّد بن نُصير، يقول: سمعت الجنيد يقول: قال أبو سُليمان الداراني:

ربما يقع في قلبي النكتة من نكت القوم أياماً، فلا أقبل منه إلا بشاهدين عدلين: الكتاب، والسنَّة.

وقال أبو سُليمان: أفضل الأعمال: خلاف هوى النفس.

وقال: لكلِّ شيء عَلَمَ، وعَلَمُ الخذلان ترك البكاء.

وقال: لكل شيء صدأ، وصدأ نور القلب شبَعُ البطن.

وقال: كلُّ ما شغلك عن الله تعالى من أهل، أو مال، أو ولد فهو عليك مشؤوم.

وقال: أبو سُليمان: كنت في ليلة باردة في المحراب، فأقلقني البرد: فخبَّأت إحدى يدي من البرد، وبقيت الأخرى ممدودة، فغلبتني عيناي فهتف بي هاتف: يا أبا سُليمان، وقد وضعنا في هذه ما أصابها، ولو كانت الأخرى لوضعنا فيها.

فآليت على نفسي أنْ لا أدعو إلا ويداي خارجتان، حرًّا كان الزمن أو برداً.

وقال أبو سُليمان: نمت عن وردي، فإذا أنا بحوراء تقول لي: تنام وأنا أُربّي لك في الخدور منذ خمسمائة عام!!

أخبرنا عبد الله بن يُوسف الأصبهاني، قال: أخبرنا أبو عَمرو الجولستيّ، قال: أخبرنا مُحمَّد بن إسماعيل قال: حدّثنا أحمد بن أبي الحواريّ قال: دخلت على أبي سُلميان يوماً وهو يبكي، فقلت له ما يبكيك؟

فقال: يا أحمد، ولم لا أبكي، وإذا جنَّ الليل، ونامت العيون، وخلا كلُّ حبيب بحبيبه، وافترش أهل المحبة أقدامهم، وجرت دموعهم على خدودهم، وتقطّرت في محاريبهم، وأشرف الجليل؛ سُبحانه وتعالى؛ فنادى: يا جبريل: بعيني من تلذَّذ بكلامي واستراح إلى ذكري، وإني لمطَّلع عليهم في خلواتهم.. أسمع أنينهم.. وأرى بكاءهم، فلم لا تنادي فيهم يا جبريل: ما هذا البكاء؟!

هل رأيتم حبيباً يعذِّب أحباءه؟

أم كيف يجمل بي أنْ آخذ قوماً إذا جنّهم الليل تملّقوا لي فبي حلفت أنهم إذا وردوا عليّ يوم القيامة لأكشفنَّ لهم عن وجهي الكريم، حتى ينظروا إليّ وأنظر إليهم.

ومنهم:

أبو عبد الرَّحمن حاتم بن علوان(١)

ويُقال: حاتم بن يُوسف الأصمّ، من أكابر مشايخ خُراسان.

وكان تلميذ شقيق، وأستاذ أحمد بن خضرويه.

قيل: لم يكن أصمَّ، وإنما تصامم مرَّة فسُمِّي به.

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدَّقاق، رحمه الله يقول:

جاءت امرأة فسألت حاتماً عن مسألة، فاتفق أنه خرج منها في تلك الحالة صوت، فخجلت، فقال حاتم: ارفعي صوتك. فأرى من نفسه: أنه أصمُّ، فمرَّت المرأة بذلك، وقالت:

إنه لم يسمع الصوت، فغلب عليه اسم الصمم.

أخبرنا الشيخ أبو عبد الرَّحمن السلمي، رحمه الله، قال: سمعت أبا عليّ سعيد بن أحمد يقول: سمعت أبي يقول: سمعت مُحمَّد بن عبد الله يقول: سمعت خالي مُحمَّد بن اللَّيث يقول: سمعت خامداً اللقَّاف يقول: سمعت حاتماً الأصمَّ يقول:

ما من صباح إلا والشيطان يقول لي: ماذا تأكل؟ وماذا تلبس؟ وأين تسكن؟ فأقول له: آكل الموت، وألبس الكفن، وأسكن القبر.

وبإسناده قيل له: ألا تشتهي؟

فقال: أشتهي عافية يوم إلى الليل.

فقيل له: أليست الأيام كلها عافية؟

فقال: إنَّ عافية يومي، أنْ لا أعصى الله فيه.

وحكى عن حاتم الأصمِّ، أنه قال: كنت في بعض الغزوات، فأخذني شخص فأضجعني للذبح فلم يشتغل به قلبي، بل كنت أنظر ماذا يحكم الله تعالى فيَّ..

فبينما هو يطلب السكين من حقِّه أصابه منهم غرْب. فقتله، وطرحه عني فقمتُ.

سمعت عبد الله بن يُوسف الأصبهانيّ يقول: سمعت أبا نصر مَنْصور بن مُحمَّد بن إبراهيم الفقيه يقول: سمعت أبا مُحمَّد بن مُحمَّد بن نُصير يقول: روى عن حاتم أنه قال:

من دخل في مذهبنا هذا فليجعل في نفسه أربع خصال من الموت:

موتاً أبيض، وهو الجوع.

---

(١) انظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ٨٠، وفي وفيات الأعيان ٢/ ٢٦ وفي الوفيات حاتم بن عنوان.

وموتاً أسود، وهو: احتمال الأذى من الخلق.
وموتاً أحمر، وهو: العمل الخالص من الشوْب في مخالفة الهوى.
وموتاً أخضر، وهو: طرح الرقاع بعضها على بعض.
ومنهم:

أبو زكريا يَحيى بن معاذ الرازيّ الواعظ[1]

نسيج وحدَه في وقته، له لسان في الرجاء خصوصاً، وكلام في المعرفة. خرج إلى بَلْخ، وأقام بها مدَّة.

ورجع إلى «نيسابور» ومات بها سنة: ثمان وخمسين ومائتين.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين رحمه الله، يقول: سمعت عبد الله بن مُحمَّد بن أحمد بن حَمْدان الكعبريّ يقول: سمعت أحمد بن مُحمَّد بن السَّري يقول: سمعت أحمد بن عيسى يقول: سمعت يَحيى بن مُعاذ يقول: كيف يكون زاهداً من لا وَرع له؟! تورَّع عما ليس لك، ثم ازهد فيما لك.

وبهذا الإسناد قال:

جوع التوَّابين تجربة، وجوع الزاهدين سياسة، وجوع الصدِّيقين تكرمة.

وقال يَحيى: الفوت أشدّ من الموت؛ لأن الفوت انقطاع عن الحق، والموت انقطاع عن الخلق.

وقال يَحيى: الزهد ثلاثة أشياء، القلَّة، والخلوة، والجوع.

وقال يحيى: لا تربح على نفسك بشيء أجلّ من أن تشغلها في كل وقت بما هو أولى بها.

وقيل: إنَّ يحيى بن مُعاذ تكلم ببلْخ في تفضيل الغنى على الفقر، فأُعطي ثلاثين ألف درهم، فقال بعض المشايخ: لا بارك الله له في هذا المال فخرج إلى نيسابور، فوقع عليه اللّص وأخذ ذلك المال منه.

أخبرنا عبد الله بن يُوسف الأصبهاني قال: أنبأنا أبو القاسم عبد الله بن الحُسين بن بالويه الصوفيّ قال: سمعت مُحمَّد بن عبد الله الرازيّ يقول: سمعت الحُسين بن علويه يقول: سمعت يحيى بن مُعاذ الرازي يقول:

من خان الله في السرِّ هتك الله ستره في العلانية.

سمعت عبد الله بن يُوسف يقول: سمعت أبا الحُسين مُحمَّد بن عبد العزيز المؤذّن

(١) انظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ٨١، وفي وفيات الأعيان ٦/ ١٦٥، وفي شذرات الذهب ٢/ ١٣٨.

يقول: سمعت مُحمَّد بن مُحمَّد الجرجانيّ يقول: سمعت عليّ بن مُحمَّد يقول: سمعت يحيى بن مَعاذ الرازيّ يقول:

تزكية الأشرار لك هُجْنة بك، وحبُّهم لك عيب عليك، وهانَ عليك من احتاج إليك.

ومنهم:

أبو حامد أحمد بن خضرويه البلخيّ(١)

من كبار مشايخ خُراسان، صحب أبا تراب النخشبيّ.

قدم نيسابور، وزار أبا حَفْص، وخرج إلى بَسْطام(٢) في زيارة أبي يزيد البسطامي، وكان كبيراً في الفتوَّة.

وقال أبو حفص: ما رأيت أحداً أكبر همَّة، ولا أصدق حالاً من أحمد بن خضرويه.

وكان أبو يزيد يقول: أستاذنا أحمد.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين، رحمه الله، يقول: سمعتُ مَنْصُور بن عبد الله يقول: سمعتُ مُحمَّد بن حامد يقول: كنت جالساً عند أحمد بن خضرويه، وهو في النزع، وكان قد أتى عليه خمس وتسعون سنة.

فسأله بعض أصحابه عن مسألة؛ فدمعت عيناه، وقال:

يا بني، باب كنت أدقه منذ خمس وتسعين سنة، وهو ذا يُفتح لي الساعة لا أدري أبالسعادة يفتح أم بالشقاوة؟! أنّي لي أوان الجواب؟

قال: وكان عليه سبعمائة دينار، وغرماؤه عنده، فنظر إليهم. وقال:

اللهم إنك جعلت الرهون وثيقة لأرباب الأموال، وأنت تأخذ عنهم وثيقتَهم فأدِّعنِّي.

قال: فدّق داقٌّ الباب وقال: أين غرماء أحمد؟ فقضي عنه.

ثم خرجت روحه. ومات، رحمه الله، سنة أربعين ومائتين.

وقال أحمد بن خضرويه: لا نوم أثقل من الغفلة، ولا رقّ أملك من الشهوة، ولولا ثقل الغفلة عليك لما ظفرت بك الشهوة.

ومنهم:

أبو الحُسين أحمد بن أبي الخواريّ(٣)

من أهل دمشق، صحب أبا سُليمان الدارانيّ وغيره، مات سنة ثلاثين ومائتين. وكان

---

(١) انظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ٨٢.

(٢) بسطام: بلدة كبيرة بقومس على جادة الطريق إلى نيسابور بعد دامغان بمرحلتين. معجم البلدان ١/ ٤٢١.

(٣) انظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ٨٢.

الجنيد يقول: أحمد بن أبي الحواريّ: ريحانة الشام.

سمت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السلميّ يقول: سمعت أبا أحمد الحافظ يقول: سمت سعيد بن عبد العزيز الحلبيّ يقول: سمعت أحمد بن أبي الحواريّ يقول:

من نظر إلى الدنيا نظرة إرادة وحبّ لها أخرج الله نور اليقين والزهد من قلبه. وبهذا الإسناد يقول: من عمل عملاً بلا اتباع سنة رسول الله ﷺ، فباطل عمله.

وبهذا الإسناد قال أحمد بن أبي الحواريّ:
أفضل البكاء: بكاء العبد على ما فاته من أوقاته على غير الموافَقَة.

وقال أحمد: ما ابتلى الله عبداً بشيء أشد من الغفلة والقسوة.

ومنهم:

أبو حَفْص عُمر بن مَسْلَمة الحدَّاد[١]

من قرية يقال لها «كُورَد أباذ»[٢] على باب مدينة نيسابور، على طريق «بُخارى»[٣].

كان أحد الأئمة والسادة. مات سنة نيّف وستين ومائتين.

قال أَبو حَفْص: المعاصي بريد الكفر، كما أنَّ الحمَّى بريد الموت.

وقال أبو حَفْص: إذا رأيت المريد يحب السماع فاعلم أنَّ فيه بقية من البطالة.

وقال: حُسن أدب الظاهر عنوان حسن أدب الباطن.

وقال: الفتوَّة: أداء الإنصاف، وترك مطالبة الإنصاف.

سمعت مُحمَّدبن الحُسين يقول: سمعت أبا الحسن مُحمَّد بن موسى يقول: سمعت أبا عليّ الثقفيّ يقول: كان أبو حَفْص، يقول: من لم يزن أفعاله بأحواله في كل وقت بالكتاب والسنَّة، ولم يتهم خواطره، فلا نُعده في ديوان الرجال.

ومنهم:

أبو تُراب عَسْكَر بن حُصين النَّخْشَبيّ[٤]

صحب حاتماً الأصمَّ، وأبا حاتم العطَّار المصري.

---

(١) انظر ترجمته في الطبقات الكبرى ١/ ٨٢، وفيه: عمر بن سالم الحداد.

(٢) كورداباذ: قرية على باب نيسابور. معجم البلدان ٤/ ٤٨٩.

(٣) بُخارى: من أعظم مدن ما وراء النهر وأجلها، يُعبر إليها من آمل الشط، وبينها وبين جيحون يومان من هذا الوجه. وكانت قاعدة ملك السامانية. معجم البلدان ١/ ٣٥٣.

(٤) انظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ٨٣، وقد ذكره الزركلي في الأعلام ٤/ ٢٣٣. قال: عسكر بن الحصين أو ابن محمد بن الحسين، والنخشبي نسبة إلى نخشب من بلاد ما وراء النهر.

مات سنة: خمس وأربعين ومائتين.

قيل: مات بالبادية نهستة[1] السباع.

وقال ابن الجلاء: صحبت ستمائة شيخ، ما لقيت فيهم مثل أربعة: أوّلهم: أبو تُراب النَّخْشبيّ.

قال أبو تُراب: الفقير قُوتُه: ما وجده، ولباسه، ما ستره، ومسكنه حيث نزل.

وقال أبو تُراب: إذا صدق العبد في العمل وجد حلاوته قبل أنْ يعمله، فإذا أخلص فيه وجد حلاوته ولذَّته وقت مباشرة الفعل.

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السلميّ، رحمه الله يقول: سمعت جدِّي إسماعيل بن نجيد يقول: كان أبو تُراب النَّخْشبيّ إذا رأى من أصحابه ما يكره زاد في اجتهاده وجدَّد توبته ويقول:

بشؤمي دفعوا إلي ما دُفعوا إليه، لأنَّ الله عزَّ وجل يقول: ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ [الرعد: ١١] قال: وسمعته يقول أيضاً لأصحابه: من لبس منكم مُرَقعة فقد سأل، ومن قعد في خانقاه أو مسجده فقد سأل، ومن قرأ القرآن مِن مصحف، أو كيما يسمع الناس فقد سأل.

قال: وسمعته يقول: كان أبو تُراب يقول: بيني وبين الله عهداً أنْ لا أمد يدي إلى حرام إلا قصرت يدي عنه.

ونظر أبو تراب يوماً إلى صوفيٍّ من تلامذته قد مدَّ يده إلى قشر بطيخ، وقد طوى ثلاثة أيام، فقال له أبو تراب:

تمد يدك إلى قشر البطيخ؟ أنت لا يصلح لك التصوف، الزم السوق.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين يقول: سمعت أبا العبَّاس البغدادي يقول: سمعت أبا عبد الله الفارسيّ يقول: سمعت أبا الحُسين الرازيّ يقول: سمعتُ يوسف بن الحُسين يقول: سمعت أبا تراب النَّخْشبيّ يقول:

ما تمنت نفسي عليّ شيئاً قط، إلا مرة واحدة: تمنت عليّ خبزاً وبيضاً، وأنا في سفري، فعدلت عن الطريق إلى قرية، فوثب رجل وتعلق بي وقال: كان هذا مع اللصوص، فبطحوني وضربوني سبعين خشبة. قال: فوقف علينا رجل صوفي، فصرخ وقال: ويحكم هذا أبو تُراب النَّخْشبي، فخلوني واعتذرّوا إليَّ وأدخلني الرجل منزله، وقدَّم إليَّ خبزاً وبيضاً، فقلت: كلْها بعد سبعين جلدة.

---

(١) نهس اللحم: أخذه بمقدم أسنانه ونتفه للأكل.

وحكى ابن الجلاَّء قال: دخل أبو تراب مكة طيِّب النفس، فقلت: أين أكلت أيُّها الأستاذ؟ فقال: أكلة بالبصرة، وأكلة بالنباج، وأكلة ها هنا.

ومنهم:

أبو مُحمَّد عبد الله بن خُبيق[١]

من زهَّاد المتصوِّفة، صحب يوسف بن أَسْباط.

كان كوفيَّ الأصل. ولكنه سكن أَنطاكية.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين يقول: سمعت أبا الفرج الورثانيّ يقول: سمعت أبا الأزهر الميافارقينيّ يقول: سمعت فتح بن شُخرف يقول: حدثني عبد الله بن خبيق أول ما لقيته فقال لي:

يا خراسانيّ، إنما هي أربع لا غير: عينك، ولسانك، وقلبك، وهواك.. فانظر عينك، لا تنظر بها إلى ما لا يحل، وانظر لسانك، لا تقل به شيئاً يعلم الله تعالى خلافه من قلبك؛ وانظر قلبك، لا يكن فيه غلٌّ ولا حقد على أحد من المسلمين، وانظر هواك لا تهوى به شيئاً من الشرِّ، فإذا لم يكن فيك هذه الأربع من الخصال، فاجعل الرماد على رأسك؛ فقد شقيت.

وقال ابن خُبيق: لا تغتَمّ إلا من شيء يضرك غداً، ولا تفرح إلا بشيء يسرُّك غداً.

وقال ابن خُبيق: وحشة العباد عن الحق، أوحشتْ منهم القلوب، ولو أنهم أنسوا بربِّهم لأنس بهم كل أحد.

وقال: أنفع الخوف ما حجزك عن المعاصي، وأطال منك الحزن على ما فاتك، وألزمك الفكرة في بقية عمرك. وأنفع الرجاء: ما سهَّل عليك العمل.

وقال: طول الإستماع إلى الباطل يطفيء حلاوة الطاعة من القلب.

ومنهم:

أبو عليّ أحمد بن عَاصم الأنطاكي[٢]

من أقران بِشْر بن الحارث، والسَّريِّ السقطيّ، والحارث المحاسبيّ.

وكان أبو سُليمان الداراني يسميه: جاسوس القلب، لحدة فراسته[٣].

وقال أحمد بن عاصم: إذا طلبت صلاح قلبك فاستعن عليه بحفظ لسانك.

---

(١) انظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ٨٣ وفيه: عبد الله بن حنيف.

(٢) انظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ٨٣.

(٣) الفِراسة: المهارة في تعرّف بواطن الأمور من ظواهرها، والفِراس: الرأي المبنيّ على التفرس.

وقال أحمد بن عاصم: قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التغابن: ١٥] ونحن نستزيد من الفتنة.

ومنهم:

أبو السَّري مَنْصور بن عَمَّار(١)

من أهل مَرو، من قرية يُقال لها: «يرانقان»(٢).

وقيل: إنه من «بوشنج»(٣) أقام بالبصرة: وكان من الواعظين الأكابر.

وقال مَنْصور بن عمَّار: من جزع من مصائب الدنيا تحوَّلت مصيبته في دينه.

وقال مَنْصور بن عمَّار: أحسن لباس العبد: التواضع، والانكسار، وأحسن لباس العارفين: التقوى، قال الله تعالى: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌۚ﴾ [الأعراف: ٢٦].

وقيل: إنَّ سبب توبته أنه وجد في الطريق رقعة مكتوباً عليها «بسم الله الرحمن الرحيم»، فرفعها، فلم يجد لها موضعاً فأكلها، فرأى في المنام كأن قائلاً قال له:

فتح الله عليك باب الحكمة؛ باحترامك لتلك الرقعة.

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السلميّ، رحمه الله، يقول: سمعت أبا بكر الرازيّ يقول: سمعت أبا العبَّاس القاصّ يقول: سمعت أبا الحسن الشعرانيّ يقول:

رأيت مَنْصور بن عمَّار في المنام، فقلت له: ما فعل الله بك؟

فقا: قال لي: أنت مَنْصور بن عمَّار؟ فقلت: بلىٰ يا ربّ.

قال: أنت الذي كنتَ تزهدٌ الناس في الدنيا وترغب فيها؟

قلت: قد كان ذلك يا ربّ، ولكني ما اتخذت مجلساً إلا بدأت بالثناء عليك وثَّنيت بالصلاة على نبيّك؛ ﷺ، وثلَّثت بالنصيحة لعبادك.

فقال: صدق، ضعوا له كرسياً، يمجدني في سمائي بين ملائكتي، كما كان يمجِّدني في أرضي بين عبادي.

---

(١) انظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ٨٣.

(٢) ربما كان المقصود دندانقان: بلدة من نواحي مرو الشاهجان على عشرة فراسخ منها في الرمل وهي بين سرخس ومرو. معجم البلدان ٢/ ٤٧٧.

(٣) بُوشنج: بليدة نزهة خصيبة في وادٍ مشجر من نواحي هراة، بينهما عشرة فراسخ. معجم البلدان ١/ ٥٠٨.

ومنهم:

أبو صالح حَمْدون بن أحمد بن عُمارة القصَّار[1]

نيسابوري، منه انتشر مذهب الملامتية[2] بنيسابور.

صحب سلمان الباروسيّ، وأبا تراب النخشبيّ.

مات: سنة إحدى وسبعين ومائتين.

سُئل حمدون: متى يجوز للرجل أنْ يتكلم على الناس؟

فقال: إذا تعين عليه أداء فرض من فرائض الله تعالى في علمه، أو خالف هلاك إنسان في بدعة، وهو يرجو أنْ ينجيه الله تعالى منها.

وقال: من ظنَّ أَنَّ نفسه خير من نفس فرعون، فقد أظهر الكبر.

وقال: مذ علمت أنَّ للسلطان فراسة في الأشرار، ما خرج خوف السلطان من قلبي.

وقال: إذا رأيت سكراناً فتمايل؛ لئلا تبغي عليه، فتبتلى بمثل ذلك.

وقال عبد الله بن مُنازل: قلت لأبي صالح: أوصني.

فقال: «إنْ استطعت أنْ لا تغضب لشيء من الدنيا، فافعل».

ومات صديق له، وهو عند رأسه، فلما مات أطفأ حمدون السّراج. فقالوا له: في مثل هذا الوقت يزاد في السراج الدهنُ.

فقال لهم: إن هذا الوقت كان الدهن له ومن هذا الوقت صار الدهن للورثة.

وقال حمدون: من نظر في سير السّلف عرف تقصيره وتخلفه عن درك درجات الرجال.

وقال: لا تفتش على أحد ما تحب أنْ يكون مستوراً منك.

ومنهم:

أبو القاسم الجُنَيْد بن مُحمَّد[3]

سيد هذه الطائفة وإمامهم.

---

(١) انظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ٨٤، وفي الأعلام ٢/ ٢٧٤.

(٢) مذهب الملامتية. من مذاهب الصوفية سُئل عنه حمدون ـ صاحب الترجمة ـ فقال: هو خوف القدرية ورجاء المرجئة.

(٣) انظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعزاني ١/ ٨٤، وفي وفيات الأعيان ١/ ٣٧٣.

أصله من نهاوند[1]. ومنشؤه ومولده بالعراق. وأبوه كان يبيع الزجاج فلذلك يُقال له: «القواريريّ».

وكان فقيهاً على مذهب «أبي ثَور» وكان يفتي في حلقته بحضرته وهو ابن عشرين سنة. صحب خاله السّريّ، والحارث المحاسبيّ، ومُحمَّد بن علي القصَّاب.

مات سنة: سبع وتسعين ومائتين[2].

سمعت مُحمَّد بن الحُسين؛ رحمه الله، يقول: سمعت مُحمَّد بن الحُسين البغداديّ يقول: سمعت الفراغانيّ يقول: سمعت الجُنيد؛ وقد سُئل من العارف؟

قال: من نطق عن سرِّك وأنت ساكت.

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السّلميّ، رحمه الله، يقول: سمعت مُحمَّد بن عبد الله الرازيّ يقول: سمعت أبا مُحمَّد الجريريّ يقول: سمعت الجُنَيد يقول:

ما أخذنا التصوف عن القيل والقال، لكن عن الجوع؛ وترك الدنيا، وقطع المألوف والمستحسنات.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين، رحمه الله يقول: سمعت أبا بكر الرازيّ يقول: سمعت أبا مُحمَّد الجريري يقول: سمعت مُحمَّد بن الحُسين يقول: سمعت أبا نَصر الأصبهاني يقول: سمعت أبا عليّ الروذباري يقول: سمعت الجنيد يقول لرجل ذكر المعرفة وقال:

أهل المعرفة بالله: يصلون إلى ترك الحركات من باب البرِّ والتقرُّب إلى الله عزّ وجلّ.

فقال الجُنَيد: إن هذا قول قوم تكلموا بإسقاط الأعمال، وهو عندي عظيمة، والذي يسرق ويزني أحسن حالاً من الذي يقول هذا، فإن العارفين بالله تعالى أخذوا الأعمال عن الله تعالى، وإليه رجعوا فيها، ولو بقيتُ ألف عام لم أنقص من أعمال البرِّ ذرَّة إلا أنْ يحال بي دونها.

وقال الجُنيد: إنْ أمكنك أنْ لا تكون آلة بينك إلا خزفاً، فافعل.

وقال الجُنيد: الطريق كلها مسدودة على الخلق إلا على من اقتفى أثر الرسول عليه الصلاة والسلام.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين، رحمه الله، يقول: سمعت مَنْصور بن عبد الله يقول: سمعت أبا عُمر الأنماطيّ يقول: سمعت الجُنيد يقول:

لو أقبل صادق على الله ألف ألف سنة، ثم أعرض عنه لحظة؛ كان ما فاته أكثر مما ناله.

---

(١) نهاوند: مدينة عظيمة في قبلة همذان بينهما ثلاثة أيام. معجم البلدان ٥/ ٣١٣.

(٢) في وفيات الأعيان ١/ ٣٧٤: وقيل: سنة ثمان وتسعين آخر ساعة من نهار الجمعة ببغداد.

وقال الجُنيد: من لم يحفظ القرآن، ولم يكتب الحديث لا يُقتدى به في هذا الأمر، لأنَّ علمنا هذا مقيَّد بالكتاب والسنَّة.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين يقول: سمعت أبا نَصر الأصبهاني يقول: سمعت أبا عليّ الروذباريّ يقول عن الجُنيد: مذهبنا هذا: مقيَّد بأصول الكتاب والسنَّة.

وقال الجُنيد: علمنا هذا مشيّد بحديث رسول الله ﷺ.

أنبأنا مُحمَّد بن الحُسين رحمه الله، قال: سمعت أبا الحُسين بن فارس يقول: سمعت أبا الحُسين عليّ بن إبراهيم الحدَّاد يقول: حضرت مجلس القاضي أبي العبَّاس بن شُريح، فتكلم في الفروع والأصول بكلام حسن عجبت منه، فلما رأى إعجابي قال:

أتدري من أين هذا؟

قلت: يقول به القاضي.

فقال: هذا ببركة مجالسة أبي القاسم الجنيد.

وقيل للجُنيد: من أين استفدت هذا العلم؟

فقال: من جلوسي بين يدي الله ثلاثين سنة تحت تلك الدرجة. وأومأ إلى درجة في داره.

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقَّاق، رحمه الله، يحكي ذلك، وسمعته يقول:

رؤي في يده سبحة، فقيل له: أنت مع شرفك تأخذ بيدك سبحة؟! فقال: طريق به وصلت إلى ربي لا أفارقه.

سمعت الأستاذ أبا عليّ، رحمه الله يقول:

كان الجنيد يدخل كل يوم حانوته، ويسبل الستر، ويصلي أربعمائة ركعة، ثم يعود إلى بيته.

وقال أبو بكر العطويّ:

كنت عند الجنيد حين مات، فرأيته ختم القرآن.. ثم ابتدأ من البقرة. وقرأ سبعينَ آية ثم مات رحمه الله.

ومنهم:

أبو عُثمان سعيد بن إسماعيل الجبري(١)

المقيم بنيسابور. وكان من «الريّ» صحب شاه الكرمانيّ، ويحيى بن مُعاذ الرازيّ، ثم

(١) انظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ١/٨٦، وفي وفيات الأعيان ٢/٣٦٩ وفيهما سعيد بن إسماعيل الحيري.

ورد نيسابور، مع شاه الكرمانيّ؛ على أبي حَفْص الحداد وأقام عنده، وتخرَّج به، وزوجه أبو حَفْص ابنته.

مات سنة ثمان وتسعين ومائتين، وعاش بعد أبي حَفْص نيفاً وثلاثين سنة.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين، رحمه الله، يقول: سمعت أبا عَمرو بن حَمْدان يقول: سمعت أبا عُثمان يقول: لا يكمل إيمان الرجل حتى يستوي في قلبه أربعة أشياء:

المنع، والإعطاء، والعزّ، والذلُّ.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين، رحمه الله، يقول: سمعت عبد الرَّحمن بن عبد الله يقول: سمعت بعض أصحاب أبي عُثمان يقول: سمعت أبا عُثمان، يقول: صحبت أبا حَفْص مدَّة، وأنا شاب، فطردني مرَّة، وقال: لا تجلس عندي.

فقمت، ولم أوَله ظهري، وانصرفت إلي ورائي، ووجهي إلى وجهه.. حتى غبت عن عينيه، وجعلت على نفسي: أنْ أحفر على بابه حفرة لا أخرج منها إلا بأمره.

فلما رأى ذلك أدناني، وجعلني من خواصِّ أصحابه.

قال: وكان يُقال: في الدنيا ثلاثة لا رابع لهم:

أبو عُثمان: بنيسابور، والجُنَيد ببغداد، وأبو عبد الله بن الجلاَءِ بالشام.

وقال أبو عُثمان: منذ أربعين سنة ما أقامني الله تعالى في حال فكرهته، ولا نقلني إلى غيره فسخطته.

سمعت الشيخ أبا الرَّحمن السّلميّ، رحمه الله، يقول: سمعت عبد الله بن مُحمَّد الشعرانيّ يقول: سمعت أبا عُثمان يقول ذلك.

ولما تغيَّر على أبي عُثمان الحال مزّق ابنه أبو بكر قميصاً على نفسه، ففتح أبو عثمان عينيه وقال: خلاف السُّنة يا بني في الظاهر، علامة رياء في الباطن.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين، يقال: سمعت مُحمَّد بن أحمد الملامتيّ يقول: سمعت أبا الحُسين الوَّراق يقول: سمعت أبا عُثمان يقول:

الصحبة مع الله: بحسن الأدب؛ ودوام الهيبة، والمراقبة.

والصحبة مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم باتِّباع سنَّته، ولزوم ظاهر العلم.

والصحبة مع أولياء الله تعالى بالإحترام والخدمة.

والصحبة مع الأهل: بحسن الخلق.

والصحبة مع الأخوان: بدوام البِشْر[1] ما لم يكن إثماً.

والصحبة مع الجهَّال: بالدعاء لهم والرحمة عليهم.

---

(١) البِشر: البشاشة وطلاقة الوجه.

سمعت عبد الله بن يُوسف الأصبهانيّ رحمه الله يقول:
سمعت أبا عَمرو بن نجيد يقول: سمعت أبا عُثمان يقول:
من أمَّر السنَّة على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالحكمة، ومن أمَّر الهوى على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالبدعة، قال الله تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟﴾ [النور: ٥٤].

ومنهم:

أبو الحُسين أحمد بن مُحمَّد النوريّ(١)

بغدادي المولد والمنشأ، بغوي الأصل.
صحب السريَّ السقطيّ، وابن أبي الحواري. وكان من أقران الجُنيد رحمه الله.

مات سنة: خمس وتسعين ومائتين. وكان كبير الشأن، حسن المعاملة واللسان.
قال النوري: رحمه الله: التصوُّف: ترك كل حظ للنفس.
وقال النوريّ: أعزُ الأشياء في زماننا شيئان:
عالم يعمل بعلمه، وعارف ينطق عن حقيقة.
سمعت أبا عبد الله الصوفيّ، رحمه الله، يقول: سمعت أحمد بن مُحمَّد البرذعيّ يقول: سمعت المرتعش يقول: سمعت النوريّ يقول:

من رأيته يدَّعي مع الله حالة تخرجه عن حدِّ العلم الشرعي فلا تقر بنَّ منه.
سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السّلميّ، رحمه الله، يقول: سمعت أبا العبَّاس البغداديّ يقول: سمعت الفرغانيّ يقول: سمعت الجُنَيد يقول:

منذ مات النوري لم يخْبِر عن حقيقة الصدق أحد.
وقال أبو أحمد المغازليّ:
ما رأيت أعبد من النوري، قيل: ولا الجنيد. قال: ولا الجنيد.

وقال النوريّ: كانت المراقع غطاءً على الدرِّ، فصارت اليوم مزابل على جيَف.

وقيل: كان يخرج كلَّ يوم من داره، ويحمل الخبز معه. ثم يتصدَّق به في الطريق، ويدخل مسجداً يصلِّي فيه إلى قريب من الظهر؛ ثم يخرج منه ويفتح باب حانوته، ويصوم.

فكان أهله يتوهَّمون أنه يأكل في السوق، وأهل السوق يتوهَّمون أنه يأكل في بيته.

وبقي على هذا في ابتدائه عشرين سنة.

---

(١) انظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ١/٨٧ وفيه: أبو الحسن.

ومنهم:

أبو عبد الله أحمد بن يَحيى الجلاَّء[1]

بغداديُّ الأَصل، أقام بالرّملة[2] ودمشق. من أكابر مشايخ الشام.

صحب أبا تراب، وذا النون، وأبا عُبيد البُسريّ؛ وأباه يَحيى الجلاَّء.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين، رحمه الله، يقول: سمعت مُحمَّد بن عبد العزيز الطبريّ يقول: سمعت أبا عُمر الدمشقيّ، يقول: سمعت ابن الجلاَّء يقول:

قلت لأبي وأمي؛ أحبُّ أنْ تهباني لله عزَّ وجلّ، فقالا: قد وهبناك لله عزَّ وجلَّ.

فغبت عنهما مدَّة، فلما رجعت كانت ليلة مطيرة، فدفقت الباب، فقال لي أبي: من ذا؟ قلت: ولدك أحمد.

فقال: كان لنا ولد، فوهبناه لله تعالى، ونحن من العرب لا نسترجع ما وهبناه، ولم يفتح لي الباب.

وقال ابن الجلاَّء: من استوى عنده المدح والذم، فهو زاهد. ومن حافظ على الفرائض في أول مواقيتها فهو عابد، ومن رأى الأفعال كلها من الله، فهو مُوحِّد لا يرى إلا وَاحداً.

ولما مات ابن الجلاَّء نظروا إليه، وهو يضحك: فقال الطبيب: إنه حيّ.

ثم نظر إلى مجسَّته[3] فقال: إنه ميت. ثم كشف عن وجهه، فقال: لا أدري أهو ميت أم حي!!

وكان في داخل جلده عِرق على شكل «الله».

وقال ابن الجلاَّء، رحمه الله: كنت أمشي مع أستاذي، فرأيت حدثاً جميلاً. فقلت:

يا أستاذي، تُرى يعذِّب الله هذه الصورة؟

فقال: أوَ نظرت إليه!! سترى غبَّه[4].

قال: فنسيت القرآن بعده بعشرين سنة.

---

(١) انظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ٨٧.

(٢) الرملة: مدينة عظيمة بفلسطين. معجم البلدان ٣/ ٦٩.

(٣) جسَّ يد المريض: مسَّها ليتعرف حاله.

(٤) الغِبّ: العاقبة.

ومنهم:

أبو مُحمَّد رُوَيْم بن أحمد(١)

بغداديٌ، من أجلَّة المشايخ، مات: سنة ثلاث وثلاثمائة(٢).
وكان مقرئاً، وفقيهاً على مذهب داود(٣).

قال رُويم: من حِكم الحكيم، أنْ يوسِّع على إخوانه في الأحكام، ويضيِّق على نفسه فيها، فإنَّ للتوسعة عليهم اتباع العلم، والتضييق على نفسه من حكم الورع.

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السلميّ، رحمه الله، يقول: سمعت عبد الواحد بن بكر يقول: سمعت أبا عبد الله بن خفيف يقول: سألت رُويماً، فقلت: أوصني.

فقال: ما هذا الأمر، إلا ببذل الروح، فإنْ أمكنك الدخول فيه مع هذا، وإلا فلا تشتغل بترَّهات(٤) الصوفية.

وقال رُويم: قعودك مع كل طبقة من الناس أسلم من قعودك مع الصوفية، فإنَّ كل الخَلق قعدوا على الرسوم، وقعدت هذه الطائفة على الحقائق وطالب الخلق كلهم أنفسهم بظواهر الشرع، وطالب هؤلاء أنفسَهم بحقيقة الورع، ومداومة الصدق، فمن قعد معهم وخالفهم في شيء مما يتحققون به نزع الله نورَ الإيمان من قلبه.

وقال رُويم:

اجتزت ببغداد وقت الهاجرة ببعض السكك، وأنا عَطشان، فاستقيت من دار، ففتحت صبيَّة بابها، ومعها كوز، فلما رأتني قالت:

صوفيٌّ يشرب بالنهار!!

فما أفطرتُ بعد ذلك اليوم قط.

وقال رُويم:

إذا رزقك الله المقال، والفعال، فأخذ منك المقال وأبقى عليك الفعال فإنها نعمة، وإذا أخذ منك الفعال، وأبقى عليك المقال، فإنها مُصيبة، وإذا أخذ منك كليهما فهي نقمة وعقوبة.

---

(١) انظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ٨٨، وفي الأعلام ٣/ ٣٧.

(٢) في الأعلام ٣/ ٣٧: توفي سنة (٣٣٠ هـ).

(٣) أبو سليمان داود بن علي بن خلف الأصبهاني الإمام المشهور المعروف بالظاهري، كان زاهداً متقللاً كثير الورع، أخذ العلم عن إسحاق بن راهوية وعن غيره، وكان متعصباً للإمام الشافعي، وكان صاحب مذهب مستقل. ولد بالكوفة سنة اثنتين ومائتين، وقيل: سنة مائتين، وقيل: إحدى ومائتين، ونشأ ببغداد وتوفي بها سنة سبعين ومائتين في ذي القعدة. وفيات الأعيان ٢/ ٢٥٥.

(٤) الترهة: الباطل.

ومنهم:

أبو عبد الله مُحمَّد بن الفَضْل البَلْخي[1]

ساكن سَمَرقَنْد: بلخيّ الأصل، أخرج منها، فدخل سَمَرقَنْد، ومات بها.

وصحب أحمد بن خَضْرويه، وغيره، وكان أبو عُثمان الخيريّ يميل إليه جداً. مات سنة: تسع عشرة وثلاثمائة.

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السلميّ، رحمه الله، يقول: سمعت أحمد بن مُحمَّد الفراء، يقول: سمعت أبا بكر بن عُثمان يقول: كتب أبو عُثمان الحيريّ إلى مُحمَّد بن الفَضْل يسأله: ما علامة الشقاوة؟ فقال: ثلاثة أشياء: يُرزق العلم ويحرم العمل، ويرزق العمل ويحرم الإخلاص، ويرزق صحبة الصالحين ولا يحترمُ لهم.

وكان أبو عُثمان الحيريّ يقول: مُحمَّد بن الفَضْل سمسار[2] الرجال.

سمعت مُحمَّد الحُسين يقول: سمعت عبد الله الرازيّ يقول: سمعت مُحمَّد بن الفَضْل يقول: الراحة في السِّجن من أماني النفوس.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين يقول: سمعت أبا بكر الرازيّ يقول: سمعت مُحمَّد بن الفَضْل يقول:

ذهاب الإسلام من أربعة: لا يعملون بما يعلمون، ويعملون بما لا يعلمون، ولا يتعلمون ما لا يعلمون، ويمنعون الناس من التعلم.

وبهذا الإسناد، قال:

العجب ممن يقطع المفاوز ليصل إلى بيته، فيرى آثار النبوة، كيف لا يقطع نفسه وهواه، ليصل إلى قلبه فيرى آثار ربِّه عزَّ وجلّ!؟.

وقال: إذا رأيت المُريد يستزيد من الدنيا، فلك من علامات إدباره.

وسُئل عن الزُّهد، فقال:

النظر إلى الدنيا بعين النقص والإعراض عنها تعزُّزاً، وتطرفاً وتشرفاً.

ومنهم:

أبو بكر أحمد بن نَصر الزَّقَّاق الكبير[3]

كان من أقران الجُنَيد. من أكابر مِصر.

---

(١) انظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ٨٨، وفي الأعلام ٦/ ٣٣٠.

(٢) السمسار: (مع) المتوسط بين البائع والشاري بِجُعْلٍ لتسهيل الصفقة.

(٣) انظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ٨٩.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين، رحمه الله يقول: سمعت الحُسين بن أحمد يقول: سمعت الكتانيّ يقول:

لما مات الزَّقاق انقطعت حُجَّة الفقراء في دخولهم مصر.

وقال الزقاق: من لم يصحبه التقي في فقره أكل الحرام المحض.

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السّلمي، رحمه الله، يقول: سمعت مُحمَّد بن عبد الله بن عبد العزيز يقول: سمعت الزقَّاق يقول:

تهت في تيه بني إسرائيل مقدار خمسة عشر يوماً، فلما وقعتُ على الطريق استقبلني إنسان جندي، فسقاني شربة من ماء، فعادت قسوتها على قلبي ثلاثين سنة.

ومنهم:

أبو عبد الله عَمرو بن عُثمان المكّيّ[1]

لقى أبا عبد الله النباجيّ، وصحب أبا سعيد الخرَّاز وغيره.

شيخ القوم، وإمام الطائفة في الأصول والطريقة.

مات ببغداد سنة: إحدى وتسعين ومائتين[2].

سمعت مُحمَّد بن الحُسين، رحمه الله، يقول: سمعت مُحمَّد بن عبد الله بن شاذان، يقول: سمعت أبا بكر مُحمَّد بن أحمد يقول: سمعت ابن عُثمان المكّيّ يقول:

كل ما توهمه قلبك، أو رسخ في مجاري فكرتك، أو خطر معارضات قلبك من حسن، أو بهاء، أو أنس، أو جمال، أو ضياء، أو شبح، أو نور، أو شخص، أو خيال، فالله تعالى بعيد من ذلك، ألا تسمع إلى قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١] وقال: ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص: ٣ ـ ٤].

وبهذا الإسناد قال:

العلم قائد، والخوف سائق، والنفس حرون بين ذلك، جَموح، خدَّاعة، روَّاغة، فاحذرها بسياسة العلم، وسقها بتهديد الخوف يتم ذلك ما تريد.

وقال: لا تقع على الواجد عبارة، لأنه سرّ الله عند المؤمنين.

---

(١) انظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ١/٨٩، وفي الأعلام ٥/٨١.

(٢) في الأعلام ٥/٨١: توفي سنة سبع وتسعين ومائتين.

ومنهم:

سَمْنُون بن حَمْزَة[1]

وكنيته؛ أبو الحسن، ويُقال: أبو القاسم[2].

صحب السرِّيّ، وأبا أحمد القلانسيّ، ومُحمَّد بن عليّ القصَّار؛ وغيرهم.

قيل إنه أنشد:

وليس لي في سواك حظّ ... فكيفما شئت فاختبرني

فأخذه الأُسْر[3] من ساعته فكان يدور على المكاتب، ويقول: ادعوا لعمِّكم الكذَّاب.

وقيل: إنه أنشد هذه الأبيات، فقال بعض أصحابه لبعض: سمعت البارحة، وكنت في الرُّستاق[4] صوت أستاذنا «سَمْنُون» يدعو الله، ويتضرَّع إليه، ويسأله الشفاء.

فقال آخر: وأنا أيضاً، كنت سمعت هذا البارحة، وكنت بالموضع الفلاني.

فقال ثالث، ورابع، مثل هذا، فأخبر سَمْنُون، وكان قد امتُحن بعلّة الأسر، وكان يصبر ولا يجزع، فلما سمعهم يقولون هذا؛ ولم يكن هو دعا؛ ولا نطق بشيء من ذلك، علم أنَّ المقصود منه إظهار الجزع تأدُّباً بالعبودية، وستراً لحاله، فأخذ يطوف على المكاتب ويقول: ادعو لعمِّكم الكذَّاب.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين، رحمه الله، يقول: سمعت أبا العبَّاس مُحمَّد بن الحسن البغداديّ يقول: سمعت جعفراً الخلديّ يقول: قال لي أبو أحمد المنازليّ:

كان ببغداد رجل فرّق على الفقراء أربعين ألف درهم، فقال لي سمنون:

يا أبا أحمد، ألا ترى ما قد أنفق هذا، وما قد عمله؟ ونحن ما نجد شيئاً!! فامض بنا إلى موضع نصلِّي فيه بكل درهم أنفقه ركعة.

فمضينا إلى المدائن، فصلّينا أربعين ألف صلاة.

وكان سمنون ظريف الخلُق، أكثر كلامه في المحبَّة، وكان كبير الشأن مات قبل الجنيد، كما قيل.

---

(١) انظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ٨٩، وفي الأعلام ٣/ ١٤٠.

(٢) في الأعلام ٣/ ١٤٠: ويقال: أبو بكر.

(٣) الأُسْرُ: احتباس البول.

(٤) الرستاق: الريف والقرىٰ وهو لغة في الرزداق (ج) رساتيق (مع).

ومنهم:

أبو عُبيد البُسريّ[1]

من قدماء المشايخ صحب أبا تُراب النَّخْشَبيّ.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين، رحمه الله، يقول: سمعت عبد الله بن عليٍّ يقول: سمعت الدُّقي يقول: سمعت ابن الجلاَّء يقول:

لقيت ستمائة شيخ فما رأيت مثل أربعة:

ذي النون المصريّ، وأُبي، وأبي تُراب، وأبي عُبيد البُسريّ.

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السّلميّ، رحمه الله، يقول: سمعت أحمد بن مُحمَّد البَغَويّ يقول: سمعت مُحمَّد بن مَعْمَر يقول: سمعت أبا زُرعة الحسنيّ يقول:

كان أبو عُبيد البُسريّ يوماً على «جرجر»[2] يدرس قمحاً له. وبينه وبين الحج ثلاثة أيام؛ إذ أتاه رجلان، فقالا:

يا أبا عُبيد، تنشط للحج؟

فقال: لا.

ثم إلتفت إليّ وقال:

شيخك على هذا أقدر منهما. يعني نفسه.

ومنهم:

أبو الفَوارس شاه بن شُجاع الكرمانيّ[3]

كان من أولاد الملوك.

صحب أبا تُراب النَخْشَبيِّ، وأبا عُبيد البُسْريّ، وأولئك الطبقة.

وكان أحد الفتيان، كبير الشأن، مات قبل الثلاثمائة.

وقال شاه: علامة التقوى الورع، وعلامة الورع الوقوف عند الشبهات.

وكان يقول لأصحابه:

اجتنبوا الكذب، والخيانة، والغيبة، ثم اصنعوا ما بدا لكم.

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السّلميّ يقول: سمعت جدِّي ابن نجيد يقول:

قال شاه الكرمانيّ: من غَضَّ بصره عن المحارم، وأمسك نفسه عن الشبهات وعمر باطنه بدوام المراقبة، وظاهره باتِّباع السنة، وعوّد نفسه أكل الحلال لم تخطيء له فراسة.

---

(١) انظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ٩٠.

(٢) جرجر: النورج.

(٣) انظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ٩٠.

ومنهم:

يُوسف بن الحُسين(١)

شيخ الرَيِّ والجبال في وقته.
وكان نسيج وحَده في إسقاط التصنُّع.
وكان عالماً أديباً، صحب ذا النُون المصريّ، وأبا تُراب النخشبيّ، ورافق أبا سعيد الخرَّاز. مات سنة: أربع وثلاثمائة.

قال يُوسف بن الحُسين: لأنْ ألقى تعالى بجميع المعاصي أحبُّ إليّ من أنْ ألقاه بذرَّة من التصنّع.

وقال يُوسف بن الحُسين: إذا رأيت المُريد يشتغل بالرخص، فاعلم أنه لا يجيء منه شيء.

وكتب إلى الجنيد: لا أذاقك الله طعم نفسك! فإنك إنْ ذقتها لم تذق بعدها خيراً أبداً.

وقال يُوسف بن الحُسين: رأيت آفات الصوفية في صحبة الأحداث، ومعاشرة الأضداد، ورِفق النسوان.

ومنهم:

أبو عبد الله مُحمَّد بن عليّ التِّرْمِذيّ(٢)

من كِبار الشيوخ، وله تصانيف في علم القوم.
صحب أبا تُراب النَّخشبيّ، وأحمد بن خضرويه؛ وابن الجلّاء، وغيرهم.
سُئل مُحمَّد بن عليّ: عن صفة الخَلْق، فقال:
ضعف ظاهر، ودعوى عريضة.
وقال مُحمَّد بن عليٍّ: ما صنَّفت حرفاً عن تدبر، ولا لينسب إليَّ شيء منه ولكن كان إذا اشتَد عليَّ وقتي أتسلىٰ به.

---

(١) انظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ٩٠، وفي الأعلام ٨/ ٢٢٧.

(٢) محمد بن علي بن الحسن بن بشر أبو عبد الله الحكيم الترمذي. باحث صوفي، عالم بالحديث وأصول الدين من أهل ترمذ، لكن نُفي منها بسبب تصنيفه كتاباً خالف فيه ما عليه أهلها. له عدة كتب منها «الفروق» و «المناهي» وغيرهما. توفي سنة عشرين وثلاثمائة. الأعلام ٦/ ٢٧٢، والطبقات الكبرى للشعراني ١/ ٩١.

ومنهم:

أبو بَكر مُحمَّد بن عُمر الورَّاق الترمذيّ[1]

أقام ببَلْخ.

وصحب أحمد بن خُضرويه، وغيره. وله تصانيف في الرياضيات.

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن يقول: سمعت مُحمَّد بن الحُسين، رحمه الله، يقول: سمعت مُحمَّد بن مُحمَّد البلخيّ يقول: سمعت أبا بكر الورَّاق يقول:

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السلميّ، يقول: سمعت أبا بكر البَلْخيّ يقول: سمعت أبا بكر الورّاق يقول:

لو قيل للطمع: من أبوك؟ قال: الشك في المقدور.

ولو قيل: ما حرفتك؟

قال: اكتساب الذلّ.

ولو قيل: ما غايتك؟

قال: الحرمان.

وكان أبو بكر الورَّاق يمنع أصحابه عن الأسفار والسياحات ويقول:

مفتاح كل بركة الصبر في موضع إرادتك إلى أنْ تصحَّ لك الإرادة، فإنْ صحَّت لك الإرادة فقد ظهرت عليك أوائل البركة.

ومنهم:

أبو سَعيد أحمد بن عيسى الخرَّاز[2]

من أهل بغداد.

صاحب ذا النُّون المصريّ، والنباجيّ، وأبا عُبيد البسريَّ، والسريّ، وبِشْراً، وغيرهم. مات سنة سبع وسبعين ومائتين[3].

قال أبو سعيد الخرَّاز: كل باطن يخالفه ظاهر فهو باطل.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين يقول: سمعت أبا عبد الله الرازيّ يقول: سمعت أبا العبَّاس الصيَّاد يقول: سمعت أبا سَعيد الخرّاز يقول:

رأيت إبليس في النوم، وهو يمرّ عني ناحية، فقلت له: تعال، مالك؟

---

(١) انظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ٩١.

(٢) انظر ترجمته في الطبقات الكبرى ١/ ٩٢، وفي الأعلام ١/ ١٩١، والخراز نسبة إلى خرز الجلود.

(٣) في الأعلام ١/ ١٩١: توفي سنة ست وثمانين ومائتين.

فقال: إيش أعمل بكم، وأنتم طرحتم عن نفوسكم ما أخادع به الناس.

فقلت: وما هو؟ قال: الدنيا.

فلما ولى عني، التفت إليّ، وقال: غير أن لي فيكم لطيفة.

فقلت: وما هي؟ قال: صحبة الأحداث.

وقال أبو سعيد الخرَّاز:

صحبت الصوفية ما صحبت، فما وقع بيني وبينهم خلاف.

قالوا: لِمَ؟ قال: لأني كنت معهم على نفسي.

ومنهم:

أبو عبد الله مُحمَّد بن إسماعيل المغربيّ[1]

أستاذ إبراهيم بن شَيْبان، وتلميذ عليّ بن رزين.

عاش مائة وعشرين سنة. ومات سنة: تسع وتسعين ومائتين.

كان عجيب الشأن، لم يأكل مما وصلت إليه يد بني آدم سنين كثيرة، وكان يتناول من أصول الحشيش أشياء تعوَّد أكلها.

وقال أبو عبد الله المغربيّ:

أفضل الأعمال عمارة الأوقاتِ بالموافقات.

وقال: أعظم الناس ذلاً فقير داهن غنياً، أو تواضع له. وأعظم الخلق عزا غنيّ تذلل للفقراء، وحفظ حرمتهم.

ومنهم:

أبو العبَّاس أحْمد بن مُحمَّد بن مَسْرُوق[2]

من أهل طوس[3]. سكن بغداد، وصحب الحارس المحاسبيّ، والسري السقطيّ توفي ببغداد سنة تسع، وقيل: سنة ثمان وتسعين ومائتين.

قال ابن مَسْرُوق: من راقب الله تعالى في خطرات قلبه عصمه الله في حركات جوارحه.

وقال: تعظيم حرمات المؤمنين من تعظيم حُرمات الله تعالى، وبه يصل العبد إلى محل حقيقة التقوى.

---

(١) انظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ٩٣.

(٢) انظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ٩٣.

(٣) طوس: مدينة بخراسان بينها وبين نيسابور نحو عشرة فراسخ، تشتمل على بلدتين يقال لإحدهما الطابران وللأخرى نوقان. معجم البلدان ٤/ ٤٩.

وقال: شجرة المعرفة تُسقى بماء الفكرة، وشجرة الغفلة تُسقى بماء الجهل، وشجَرة التوبة تُسقى بماء الندامة، وشجرة المحبة تُسقى بماء الإنفاق والموافقة.

وقال: متى طمعت في المعرفة، ولم تحكم قبلها مدارج الإرادة، فأنت في جهل، ومتى طلبت الإرادة قبل تصحيح مقام التوبة، فأنت في غفلة عمَّا تطلب.

ومنهم:

أبو الحسن عليّ بن سَهْل الأصبهانيّ[١]

من أقران الجنيد.

قصده عَمرو بن عُثمان المكيِّ في ديْن ركبه، فقضاه عنه، وهو ثلاثون ألف درهم.

لقي أبا تُراب النخشبيّ والطبقة.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين، رحمه الله، يقول: سمعت أبا بكر مُحمَّد بن عبد الله الطبري يقول: سمعت عليَّ بن سَهْل يقول:

المبادرة إلى الطاعة من علامة التوفيق.

والتقاعد عن المخالفات من علامات حسن الرعاية.

ومراعاة الأسرار من علامات التيقظ.

وإظهار الدعاوي من رعونات[٢] البشرية. ومن لم تصح مباديء إرادته لا يسلم في منتهى عواقبه.

ومنهم:

أبو مُحمَّد بن مُحمَّد بن الحُسين الجريريّ[٣]

من كبار أصحاب الجنيد. وصحب سَهل بن عبد الله. أُقعد بعد الجنيد في مكانه وكان عالماً بعلوم هذه الطائفة. كبير الحال. مات سنة: إحدى عشرة وثلاثمائة.

سمعت أبا عبد الله الشيرازي يقول: سمعت أحمد بن عَطاء الروذباريّ يقول:

مات الجريريّ سنة الهبير، فجزت به بعد سنة، فإذا هو مستند جالس وركبته إلى صدره، وهو مُشير إلى الله بأصبعه.

---

(١) انظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ٩٤.

(٢) الأرعن: الأهوج في منطقه، والرعونة: الحُمْق.

(٣) انظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ٩٤. والجريري نسبة إلى جرير بن عباد من بني بكر بن وائل.

من استولت عليه النفس صار أسيراً في حكم الشهوات، محصوراً في سجن الهوى، وحرّم الله على قلبه الفوائد، فلا يستلذُّ بكلام الحق تعالى؛ ولا يستحليه وإنْ كثر ترداده على لسانه؛ لقوله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٤٦].

وقال الجريريّ:

رؤية الأصول باستعمال الفروع، وتصحيح الفروع بمعارضة الأصول، ولا سبيل إلى مقام مشاهدة الأصول إلا بتعظيم ما عظَّم الله من الوسائط والفروع.

ومنهم:

أبو العبَّاس أحْمَد بن مُحمَّد بن سَهْل بن عَطاء الآدميّ[١]

من كبار مشايخ الصوفية وعلمائهم، كان الخرّاز يعظِّم شأنه.

وهو من أقران الجنيد، وصحب إبراهيم المارستانيّ. مات سنة: تسع وثلاثمائة.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين يقول: سمعت أبا سَعيد القرشيّ يقول: سمعت ابن عَطاء يقول: من ألزم نفسه آداب الشريعة نوَّر الله قلبه بنور المعرفة، ولا مقام أشرف من مقام متابعة الحبيب ﷺ، في أوامره؛ وأفعاله، وأخلاقه.

وقال ابن عَطاء: أعظم الغفلة غفلة العبد عن ربِّه عزَّو جل، وغفلته عن أوامره ونواهيه، وغفلته عن آداب معاملته.

سمعت أبا عبد الله الشيرازيّ، رحمه الله، يقول: سمعت عبد الرَّحمن بن أحمد الصُّوفي يقول: سمعت أحمد بن عَطاء يقول:

كل ما سألتَ عنه فاطلبه في مفازة[٢] العِلم، فإنْ لم تجده، ففي ميدان الحكمة، فإنْ لم تجده فزِنه بالتوحيد، فإنْ لم تجده في هذه المواضع الثلاث فاضرب به وجه الشيطان.

ومنهم:

أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد الخوَّاص[٣]

من أقران الجنيد والنُّوري. وله في التوكل والرياضات حظٌّ كبير.

مات بالريّ سنة: إحدى وتسعين ومائتين.

---

(١) انظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ٩٥، وفي شذرات الذهب ٢/ ٢٥٧.

(٢) المفازة: لغوياً: الصحراء الواسعة التي لا ماء فيها.

(٣) انظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ٩٧.

كان «مبطوناً»[١]؛ فكان كلما قام توضأ، وعاد إلى المسجد، وصلّى ركعتين، فدخل مرّة الماء فمات. رحمه الله.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين يقول: سمعت أبا بكر الرازيّ يقول: سمعت الخوّاص يقول: ليس العلم بكثرة الرواية، إنما العالم من اتَّبع العلم واستعمله؛ واقتدى بالسّنن وإنْ كان قليل العلم.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين، رحمه الله، يقول: سمعت أحمد بن عليّ بن جعفر يقول: سمعت الأزديّ يقول: سمعت الخوَّاص يقول:

دواء القلب خمسة أشياء:

قراءة القرآن بالتدبر، وخلاء البطن، وقيام الليل؛ والتضرع عند السَحر، ومجالسة الصالحين.

ومنهم:

أبو مُحمَّد عبد الله بن مُحمَّد الخرَّاز[٢]

من أهل الريِّ. جاور بمكة.

صحب أبا حَفْص، وأبا عِمْران الكبير.

وكان من المتورعين. مات قبل العشرة والثلاثمائة.

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السّلميّ، يقول: سمعت أبا نَصر الطوسيّ يقول: سمعت الدقي يقول: دخلت على عبد الله الخرَّاز، ولي أربعة أيام لم آكل، فقال:

يجوع أحدكم أربعة أيام فيصبح ينادي عليه الجوع.

ثم قال:

إيش يكون لو أنَّ كلَّ نفس منفوسة[٣] تلفت فيم تؤمِّله عند الله ترى يكون ذلك كثيراً.

وقال أبو مُحمَّد عَبد الله الخرَّاز:

الجوع طعام الزاهدين، والذّكر طعام العارفين.

ومنهم:

أبو الحسن بُنَان بن مُحمَّد الحمال[٤]

واسطيّ الأصل.

---

(١) المبطون: العليل البطن.

(٢) انظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ١/٩٨.

(٣) منفوسة: مولودة.

(٤) انظر ترجمته في الطبقات الكبرى ١/٩٨، وفي شذرات الذهب ٢/ ٢٧١

أقام بمصر، ومات بها سنة: ست عشرة وثلاثمائة.
كبير الشأن، صاحب الكرامات.
سُئل بُنان عن أجلِّ أحوال الصوفية، فقال:
الثقة بالمضمون؛ والقيام بالأوامر، ومراعاة السرّ، والتخلي من الكوفيين.
سمعت مُحمَّد بن الحُسين يقول: سمعت الحسن بن أحمد الرازي، يقول: سمعت أبا عليّ الروذباريّ يقول:
ألقى بُنان الحمال بين يدي السبع[٢]، فجعل السبع يشمه ولا يضره.
فلما أخرج، قيل: ما الذي كان في قلبك حيث شمَّك السبع؟
قال: كنت أفكر في اختلاف العلماء في سؤر[٣] السبع.
ومنهم:

أبو حمزة البغداديّ البَّزاز[٤]

مات قبل الجُنيد، وكان من أقرانه. صحب السريَّ، والحسن المسوحيّ.
وكان عالماً بالقراءات، فقيهاً.
وكان من أولاد عيسى بن أبان[٢]، وكان أحمد بن حَنْبَل يقول له في المسائل:
ما تقول فيها يا صوفيّ؟
قيل: كان يتكلم في مجلسه يوم جمعة فتغير عليه الحال، فسقط عن كرسيه: ومات في الجمعة التالية.
وقيل: مات سنة تسع وثمانين ومائتين.
قال أبو حمزة:
من علم طريق الحق تعالى سهل سلوكه، ولا دليل على الطريق إلى الله تعالى إلا متابعة الرسول ﷺ في أحواله، وأفعاله وأقواله.
وقال أبو حمزة:
من رُزق ثلاثة أشياء، فقد نجا من الآفات:

---

(١) السبع: كل ما له ناب ويغدو على الناس والدواب فيفترسها كالأسد والذئب والنمر.
(٢) السؤر: بقية الشيء، وأكثر ما يستعمل في الطعام والشراب (ج) أسآر.
(٣) انظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ٩٩.
(٤) عيسى بن أبان بن صدقة، أبو موسى. قاض من كبار فقهاء الحنفية، كان سريعاً بإنفاذ الحكم عفيفاً. خدم المنصور العباسي مدة، وولي القضاء بالبصرة عشر سنين وتوفي بها سنة (٢٢١ هـ)، له كتب منها «إثبات القياس» و «اجتهاد الرأي» وغيرهما. تاريخ بغداد ١١/ ١٥٧، والأعلام ٥/ ١٠٠.

بطن خال مع قلب قانع، وفقر دائم معه زهد حاضر، وصبر كامل معه ذكر دائم.

ومنهم:

أبو بكر مُحمَّد بن مُوسى الواسطيّ[1]

خُراسانيّ الأصل. من «فَرْغَانة»[2]. صحب الجنيد والنوريّ.

عالم كبير الشأن. أقام بمرو، مات بها بعد العشرين والثلاثمائة[3].

قال الواسطيّ: الخوف والرجاء زمامان يمنعان العبد من سوء الأدب.

وقال: مطالعة الأعواض على الطاعات من نسيان الفضل.

وقال الواسطيّ: إذا أراد الله هوان عبد ألقاه إلى هؤلاء الأنتان والجيف، يريد به صحبة الأحداث.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين، رحمه الله، يقول: سمعت أبا بكر مُحمَّد بن عبد العزيز المروزيّ، يقول: سمعت الواسطيّ يقول:

جعلوا سوء أدبهم إخلاصاً، وشره نفوسهم انبساطاً؛ ودناءة الهمم جلادةً، فعموا عن الطريق، وسلكوا فيه المضيق، فلا حياة تنموا في شواهدهم، ولا عبادة تزكوا في محاضرتهم، إنْ نطقوا فبالغضب وإنْ خاطبوا فبالكبر، توثّب أنفسهم ينبيء عن خبث ضمائرهم، وشرههم في المأكول يظهر ما في سويداء أسرارهم ﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠].

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقَّاق، رحمه الله، يقول:

سمع بعض المراوزة إنساناً صيدلانياً، يقول:

اجتاز الواسطيُّ يوم جمعة بباب حانوتي، قاصداً إلى الجامع. فانقطع شسع[4] نعله، فقلت:

أيها الشيخ، أتأذن لي أنْ أصلح نعلك؟

فقال: أصلح.

فأصلحت شسعه، فقال: آتدري لِمَ انقطع شسع نعلي؟

---

(١) انظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ٩٩، وفي الأعلام ٧/ ١١٧.

(٢) فرغانة: مدينة وكورة واسعة بما وراء النهر متاخمة لبلاد تركستان في زاوية من ناحية هيطل من جهة مطلع الشمس على يمين القاصد لبلاد الترك. معجم البلدان ٤/ ٢٥٣.

(٣) في الأعلام ٧/ ١١٧: توفي سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة.

(٤) الشسع من النعل: سير يدخل بين الإصبعين من جهة، ويتصل بصدر النعل من جهة أخرى (ج) شسوع.

فقلت: حتى تقول..

قال: لأني ما اغتسلت للجمعة!!

فقلت له: يا سيدي، ها هنا حمّام تدخله؟ فقال: نعم. فأدخلته الحمّام فاغتسل.

ومنهم:

أبو الحسن بن الصَّائغ[1]

واسمه: عليّ بن مُحمَّد بن سَهْل الدَّينوريّ.

أقام بمصر، ومات بها، وكان من كبار المشايخ.

قال أبو عُثمان المغربيّ:

ما رأيت من المشايخ أنور من أبي يعقوب النهرجوريّ، ولا أكثر هيبة من أبي الحسن بن الصَّائغ.

مات سنة: ثلاثين وثلاثمائة[2].

سُئل ابن الصَّائغ عن الإستدلال بالشاهد على الغائب، فقال:

كيف يستدل بصفات من له مثل ونظير على من لا مثل له ولا نظير؟!

وسُئل عن صفة المريد، فقال:

ما قال الله عزَّ وجل: ﴿ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ﴾ [التوبة: ١١٨] الآية.

وقال: الأحوال كالبروق، فإذا ثبتت فهو حديث النفس وملازمة الطبع.

ومنهم:

أبو إسحاق إبراهيم بن داود الرقيّ[3]

من كبار مشايخ الشّام.

من أقران الجنيد، وابن الجلاَّء.

وقد عُمّر، وعاش إلى سنة: ست وعشرين وثلاثمائة.

وقال إبراهيم الرقي:

المعرفة: إثبات الحق على ما هو، خارجاً عن كل ما هو موهوم.

وقال: القدرة ظاهرة، والأعين مفتوحة. ولكن أنوار البصائرُ قد ضعفت.

---

(١) انظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ١٠٢، وفي شذرات الذهب ٢/ ٣٣٠.

(٢) في شذرات الذهب ٢/ ٣٣٠: توفي سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة.

(٣) انظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ١٠٢.

وقال: أضعفَ الخلق: من ضعف عن ردّ شهواته، وأقوى الخلق: من قوى على ردِّها.

وقال: علامة محبة الله: إيثار طاعته، ومتابعة نبيه ﷺ.

ومنهم:

ممشاد الدينوريّ[1]

من كبار مشايخهم. مات سنة؛ تسع وتسعين ومائتين.

قال ممشاد:

أدب المريد في التزام حُرمات المشايخ، وخدمة الإخوان، والخروج عن الأسباب، وحفظ آداب الشرع على نفسه.

وقال ممشاد:

ما دخلت قط على أحد من شيوخي، إلا وأنا خال من جميع مالي أنتظر بركات ما يَرد عليّ من رؤيته وكلامه، فإنَّ من دخل على شيخ بحظه انقطع عن بركات رؤيته ومجالسته، وكلامه.

ومنهم:

خير النَّسَّاج[2]

صحب أبا حمزة البغداديَّ، ولقي السريّ، وكان من أقران أبي الحسن النوري إلا أنه عُمرَّ عمراً طويلاً. وعاش، كما قيل، مائة وعشرين سنة.

وتاب في مجلسه: الشبليّ، والخوَّاص. وكان أستاذ الجماعة.

وقيل: كان اسمه مُحمَّد بن إسماعيل، من «سامرة»[3]، وإنما سُمي «خير النسَّاج»، لأنه خرج إلى الحج، فأخذه رجل على باب الكوفة وقال:

أنت عبدي، واسمك خير.

ـ وكان أسود ـ فلم يخالفه. واستعمله الرجل في نسج الخزّ. فكان يقول له:

يا خير فيقول: لبيَّك.

ثم قال له الرجل بعد سنين:

غلطت، لا أنت عبدي. ولا اسمك خير.

---

(١) انظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ١٠٢.

(٢) انظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ١٠٢.

(٣) سامرة: وهي قرية بين مكة والمدينة. معجم البلدان ٣/ ١٧٨.

فمضى وتركه، وقال:
لا أغيِّر اسماً سماني به رجل مُسلم.
وقال: الخوف سوط الله يقوّم به أنفساً قد تعودت سوء الأدب.

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السّلميّ، رحمه الله، يقول: سمعت أبا الحسن القزوينيّ يقول: سمعت أبا الحُسين المالكي، يقول:

سألت من حَضَر موت خير النسَّاج عن أمره؟ فقال:

لما حضرت صلاةُ المغرب غشي عليه، ثم فتح عينيه، وأومأ في ناحية البيت وقال: قف، عافاك الله، فإنما أنت عبد مأمور وأنا عبدٌ مأمور.

وما أُمرت به لا يفوتك وما أمرت به يفوتني.

ودعا بماء فتوضأ للصلاة، ثم تمدّد. وغمض عينيه، وتشهَّد، ومات فرؤي في المنام فقيل له:

ما فعل الله بك؟
فقال لسائله: لا تسألني عن هذا، ولكن استرحت من دنياكم الوضرة[1].

ومنهم:

أبو حَمْزة الخُرَاسانيّ[2]

بنيسابور، أصله من محلَّة «ملقاباذ»[3]، من أقران الجُنيد، والخرَّاز وأبي تُراب النَّخْشَبيّ. وكان ورعاً، ديِّناً.

قال أبو حَمزة:
من استشعر ذكر الموت حَبب الله إليه كل باق، وبغّض إليه كل فانٍ.

وقال: العارف بالله يدافع عيشَه يوماً بيوم، ويأخذ عيشه يوماً ليوم.

وقال له رجل: أوصني.
فقال: هي زادك للسفر الذي بين يديك.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين، رحمه الله يقول: سمعت أبا الطيّب العكي يقول: سمعت أبا الحسن المصريّ يقول: سمعت أبا حمزة الخُراساني، يقول:

كنت قد بقيت محرماً في عباء، أسافر كل سنة ألف فرسخ تطلع الشمس عليّ وتغرب، كلما حللت أحرمت.

(١) الوضر: الوسخ من الدسم أو غيره.
(٢) انظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ١٠٣.
(٣) ملقاباذ: محلة بنيسابور وقيل بأصبهان. معجم البلدان ٥/ ١٩٣.

توفي سنة: تسعين ومائتين.

ومنهم:

أبو بكر بن جُحْدر الشَّبليّ(١)

بغداديٌّ المولد والمنشأ. وأصله من «أُسرٌ وشْنة»(٢).

صحب الجنيد ومن في عصره، وكان شيخ وقته: حالاً، وظرفاً، وعلماً.

مالكيّ المذهب. عاش سبعاً وثمانين سنة، ومات سنة: أربع وثلاثين وثلاثمائة. وقبره ببغداد.

ولما تاب الشبلي في مجلس «خير النسَّاج» أتى «دماوند»(٣)، وقال:

كنت وإلى بلدكم، فاجعلوني في حلّ.

وكانت مجاهداته في بدايته فوق الحدّ.

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقَّاق؛ رحمه الله، يقول:

بلغني أنه اكتحل بكذا وكذا.. من الملح؛ ليعتاد السهر، ولا يأخذه النوم ولو لم يكن من تعظيمه للشرع إلا ما حكاه «بكران الدينوريّ» في آخر عمره لكان كثيراً.

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السّلميّ، رحمه الله يقول: سمعت أبا العبَّاس البغدادي يقول: كان الشبلي، رحمه الله، يقول في آخر أيامه:

وكم من موضع لو متّ فيه ... لكنت به نكالاً في العشيرة

وكان الشبلي إذا دخل شهر رمضان جد فوق جدّ من عاصره، ويقول: هذا شهر عظمه ربي، فأنا أوَّل من يعظِّمه.

سمعت الأستاذ أبا عليٍّ يحكي ذلك عنه.

ومنهم:

أبو مُحمَّد عبد الله بن مُحمَّد المُرتعش(٤)

نيسابوريّ، من محلَّة «الحيرة». وقيل: من «ملقاباذ».

---

(١) أبو بكر دلف بن جحدر وقيل: جعفر بن يونس، الزاهد المشهور صاحب الأحوال والتصوف، قرأ في أول أمره الفقه وبرع في مذهب مالك، ثم سلك وصحب الجنيد، ولد بسر من رأى، وقد كان عالماً كتب الحديث. توفي في ذي الحجة سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة، ودفن بالخيزرانة ببغداد. الطبقات الكبرى للشعراني ١/١٠٣. وشذرات الذهب ٢/٣٣٨.

(٢) أسرٌ وشنة: وهي مدينة بما وراء النهر. معجم البلدان ١/١٧٧.

(٣) دماوند: جبل قرب الري وكورة. معجم البلدان ٢/٤٦٢.

(٤) انظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ١/١٠٥، وفي شذرات الذهب ٢/٣١٧.

صحب أبا حَفْص، وأبا عُثمان، ولقي الجنيد، وكان كبير الشأن.

وكان يُقيم في مسجد الشُّونزية. مات ببغداد سنة: ثمان وعشرين وثلاثمائة.

قال المرتعش:

الإرادة: حبس النفس عن مراداتها، والإقبال على أوامر الله تعالى، والرضا بموارد القضاء عليه.

وقيل له: إنَّ فلاناً يمشي على الماء.

فقال: عندي أنَّ من مكَّنه الله تعالى من مُخالفة هواه فهو أعظم من المضي في الهواء.

ومنهم:

أبو علي أحمد بن مُحمَّد الروذباريّ(١)

بغداديّ، أقام بمصر. ومات بها سنة: اثنتين وعشرين وثلاثمائة.

صحب الجنيد، والنوري، وابن الجلاَّء، والطبقة.

أظرف المشايخ وأعلمهم بالطريقة.

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السّلميّ، رحمه الله يقول: سمعت أبا القاسم الدمشقي يقول: سُئل أبو عليّ الروذباريّ عمن يسمع الملاهي ويقول:

هي لي حلال، لأني وصلت إلى درجة لا تؤثِّر في اختلاف الأحوال.

فقال: نعم، قد وصل، ولكن إلى سقر!!

وسُئل عن التصوف، فقال: هذا مذهب كله جدٌّ، فلا تخلطوه بشيء من الهزل.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين، رحمه الله يقول: سمعت مَنْصور بن عَبد الله يقول: سمعت أبا عليّ الروذباريّ يقول: من علامة الاغترار أنْ تسيء فيحسن الله إليك، فتترك الإنابة والتوبة، توهماً أنك تسامَح في الهفوات، وترى أن ذلك من بسط الحق لك..

وقال: كان أستاذي في التصوُّف: الجنيد. وفي الفقه: أبو العَبَّاس بن شُريح، وفي الأدب: ثعلب، وفي الحديث: إبراهيم الحربي.

---

(١) في شذرات الذهب ٢/٢٩٦ ـ ٢٩٧: أبو علي محمد بن أحمد. وقد اختلف في اسمه فقيل: اسمه محمد، وقيل: أحمد، وقيل: الحسن.
وقد ذكره الشعراني في الطبقات الكبرى ١/١٠٦.

ومنهم:

أبو مُحمَّد عبد الله بن مَنازل[1]

شيخ الملامتية، وأوحد وقته. صحب حَمْدُون القَصَّار.

وكان عالماً، وكتب الحديث الكثير.

مات بنيسابور سنة: تسع وعشرين، أو ثلاثين وثلاثمائة[2].

سمعت مُحمَّد بن الحُسين، رحمه الله، يقول: سمعت عبد الله المعلّم يقول: سمعت عبد الله بن مَنَازل يقول:

لم يضيّع أحد فريضة من الفرائض إلا ابتلاه الله تعالى بتضييع السنن، ولم يبْلَ أحد بتضييع السنن إلا أوشك أنْ يُبتلى بالبدع.

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السّلميّ، يقول: سمعت أبا أحمد بن عيسى يقول: سمعت عبد الله بن منازل يقول:

أفضل أوقاتك: وقت تسلم فيه من هواجس نفسك، ووقت تسلم فيه من سوء ظنّك.

ومنهم:

أبو عليّ مُحمَّد بن عبد الوهَّاب الثقفيّ[3]

إمام الوقت. صحب أبا حَفْص، وحمدون القصَّار.

وبه ظهر التصوُّف بنيسابور: مات سنة: ثمان وعشرين وثلاثمائة.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين يقول: سمعت مَنْصُور بن عبد الله يقول: سمعت أبا عليّ الثقفي يقول: لو أنَّ رجلاً جمع العلوم كلها، وصحب طوائف الناس لا يبلغ مبلغ الرجال إلا بالرياضة: من شيخ، أو إمام، أو مؤدِّب ناصح. ومن لم يأخذ أدبه من أستاذ يريه عيوب أعماله، ورعونات نفسه، لا يجوز الاقتداء به في تصحيح المعاملات.

وقال أبو عليّ رحمه الله:

يأتي على هذه الأمة زمان لا تطيب المعيشة فيه لمؤمن إلا بعد استناده إلى منافق.

وقال: أفّ من أشغال الدنيا إذا أقبلت، وأفّ من حسراتها إذا أدبرت، والعاقل من لا

---

(١) انظر ترجمته في الأعلام ٤/ ١٢٠، وفي طبقات الصوفية ٣٦٦ ـ ٣٦٩، وفي شذرات الذهب ٢/ ٣٣٠ ففي الشذرات: أبو محمود.

(٢) في شذرات الذهب ٢/ ٣٣٠: توفي سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة.

(٣) انظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ١٠٧، وفي شذرات الذهب ٢/ ٣١٥.

يركن إلى شيء إذا أقبل كان شغلاً، وإذا أدبر كان حسرة.

ومنهم:

أبو الخير الأقطع[1]

مغربيُّ الأصل، سكن «تينَات»[2].

وله كرامات، وفراسة حادَّة.

كان كبير الشأن، مات سنة: نيف وأربعين وثلاثمائة.

قال أبو الخير:

ما بَلغ أحد إلى حالة شريفة إلاَّ بملازمة الموافقة ومعانقة الأدب، وأداء الفرائض، وصُحبة الصالحين.

ومنهم:

أبو بكر مُحمَّد بن عليّ الكتانيّ[3]

بغداديّ الأصل.

صحب الجُنَيد، والخرَّاز، والنوري.

وجاور بمكة إلى أنْ مات سنة: اثنتين وعشرين وثلاثمائة.

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السلميّ، رحمه الله، يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: نظر الكتَّاني إلى شيخ أبيض الرأس واللحية يسأل الناس، فقال:

هذا رجل أضاع حق الله في صِغره، فضيعَّه الله في كبره.

وقال الكتَّاني: الشهوة زمام الشيطان، فمن أخذ بزمامه كان عبده.

ومنهم:

أبو يعقوب إسحاق بن مُحمَّد النهرجوري[4]

صحب أبا عَمرو المكيَّ، وأبا يعقوب السوسيّ، والجُنيد، وغيرهم.

---

(١) انظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ١/١٠٩، وفي معجم البلدان ٢/٦٨.

(٢) تينات: فرضة على بحر الشام قرب المصيصة، تجهز منها المراكب بالخشب إلى الديار المصرية. معجم البلدان ٢/٦٨.

(٣) انظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ١/١١٠، وفي شذرات الذهب ٢/٢٩٦: وفيه قال المرتعس: «الكتاني سراج الحرم».

(٤) في شذرات الذهب ٢/٣٢٥ ـ ٣٢٦: قال النهرجوري في الفناء: الفناء هو فناء رؤية قيام العبد لله، وقال في البقاء: البقاء رؤية قيام الله في الأحكام، وقال: الصدق موافقة الحق في السر والعلانية، وقال: العابد يعبد الله تحذيراً والعارف يعبد الله تشويقاً.

مات بمكة مجاوراً بها، سنة ثلاثمائة[1].

سمعت مُحمَّد بن الحُسين يقول: سمعت أبا الحُسين أحمد بن عليّ يقول: سمعت النهرجوريّ يقول:

الدنيا بحر، والآخرة ساحل، والمركب التقوى، والناس سفْرَ.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين يقول: سمعت أبا بكر الرازيِّ يقول: سمعت النهرجوري يقول: رأيت رجلاً في الطواف بفرد عين، يقول: أعوذ بك منك.

فقلت: ما هذا الدعاء؟

فقال: نظرت يوماً إلى شخص فاستحسنته، وإذا لطمة وقعت على بصري، فألست عيني، فسمعت هاتفاً يقول:

لطمة بنظرة.. ولو زدت لزدناك.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين يقول: سمعت أحمد بن عليٍّ يقول: سمعت النهرجوري يقول:

أفضل الأحوال ما قارن العلم.

ومنهم:

أبو الحسن عليّ بن مُحمَّد المزين[2]

من أهل بغداد، من أصحاب سَهْل بن عبد الله، والجُنيد، والطبقة.

مات بمكة مجاوراً سنة: ثمان وعشرين وثلاثمائة.

وكان ورعاً كبيراً.

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السّلميّ يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت المزيِّن يقول:

الذنب بعد الذنب عقوبة الذنب الأوَّل، والحسنة بعد الحسنة ثواب الحسنة الأولى.

وسُئِل المزين عن التوحيد، فقال:

أنْ تعلم أنَّ أوصافه تعالى بائنة لأوصاف خلقه، بَايَنهم بصفاته قدْماً كما باينوه بصفاتهم حدثاً.

وقال: من لم يستغن بالله أحوجه الله إلى الخلق، ومن استغنى بالله أحوج الله الخلق إليه.

---

(١) في شذرات الذهب ٢/ ٣٢٥: توفي سنة ثلاثين وثلاثمائة.

(٢) انظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ١١١، وفي شذرات الذهب ٢/ ٣١٦.

ومنهم:

أبو علي بن الكاتب[1]

واسمه الحسن بن أحمد. صحب أبا عليّ الروذباري، وأبا بكر المصري وغيرهما.

كان كبيراً في حاله.

مات سنة: نيف وأربعين وثلاثمائة.

قال ابن الكاتب:

إذا سكن الخوف في القلب لم ينطق اللسان إلا ما يعنيه.

وقال ابن الكاتب:

المعتزلة نزهوا الله تعالى من حيث العقل فأخطأوا، والصوفية نزَّهوا من حيث العلم فأصابوا.

ومنهم:

مُظَفر القرمسينيّ[2]

من أشياخ الجبل. صحب عبد الله الخرَّاز، وغيره.

قال مظفر القرمسيني:

الصوم على ثلاثة أوجه:

صوم الروح بقِصر الأمل، وصوم العقل بخلاف الهوى، وصوم النفس بالإمساك عن الطعام والمحارِم.

وقال مُظفر: أخَسُّ الأرفاق: أرفاق النسوان، على أيٍّ وجه كان.

وقال: الجوع إذا ساعدته القَناعة فهو مزرعة الفِكرة، وينبوع الحكمة، وحياة الفطنة، ومصباحُ القلب.

وقال: أفضل أعمال العبيد: حفظُ أوقاتها الحاضرة، وهو أنْ لا يقصّروا في أمر، ولا يتجاوزوا عن حدٍّ.

وقال: من لم يأخذ الأدب عن حكيم لم يتأدَّب به مريد.

---

(١) انظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ١١٢.

(٢) انظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ١١٣ وفيه: فصغر القرمسيني. والقرمسيني نسبة إلى قرمسين: بلد معروف بينه وبين همذان ثلاثون فرسخاً قرب الدينور وهي بين همذان وحلوان على جادة الحاج. معجم البلدان ٤/ ٣٣٠.

ومنهم:

أبو بكر عبد الله بن طاهر الأبهريّ(١)

من أقران الشبليّ. من مشايخ الجبل.
عالم وَرِع، صحب يُوسف بن الحُسين، وغيره.
مات بقرب من الثلاثين والثلاثمائة.

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السلمي يقول: سمعت مَنْصُور بن عبد الله يقول: سمعت أبا بكر بن طاهر يقول:

«من حُكم الفقير أنْ لا يكون له رغبة، فإنْ كان ولا بد، فلا تجاوز رغبته كفايتُه، يعني المحتاج إليه.

وبهذا الإسناد قال:
إذا أحببت أخاً في الله، فاقلل مخالطته في الدنيا.

ومنهم:

أبو الحُسين بن بُنَان(١)

ينتمي إلى أبي سعيد الخرَّاز. من كبار مشايخ مصر.
قال ابن بُنان:
كل صوفيّ كان همُّ الرزق قائماً في قلبه فلزومُ العمل أقرب إليه.
وعلامة سكون القلب إلى الله: أنْ يكون بما في يد الله أوثقُ منه بما في يده.
وقال: اجتنبوا دناءة الأخلاق كما تجتنبون الحرام.

ومنهم:

أبو إسحاق إبراهيم بن شَيْبَان القرمسينيّ (٢)

شيخ وقته. صحب أبا عبد الله المغربيّ، والخوَّاص، وغيرهما.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين، يقول: سمعت أبا يزيد المروزي الفقيه يقول: سمعت إبراهيم بن شَيْبان يقول: من أراد أنْ يتعطَّل أو يتبطَّل فليلزم الرُّخص.

---

(١) انظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ١١٢.

(٢) أبو إسحق إبراهيم بن شيبان القرمسيني، شيخ الصوفية ببلاد الجبل، صحب إبراهيم الخواص وساح بالشام، له مقامات في الورع والتقوى، وكان متمسكاً بالكتاب والسنة لازماً لطريقة المشايخ والأئمة المتقدمين. توفي سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة. شذرات الذهب ٢/ ٣٤٤. وقد ذكره الشعراني في طبقاته ١/ ١١٣.

وبهذا الإسناد قال:
عِلم الفناء والبقاء يدور على إخلاص الوحدانية، وصحةِ العبودية وما كان غير هذا، فهو المغاليط والزندقة.

وقال إبراهيم: السِّفلة[1] من يعصي الله عزّ وجلّ.

ومنهم:

أبو بكر الحُسين بن عليّ بن يزدانيار[2]

من أرمينية. له طريقة يختص بها في التصوف.

وكان عالماً ورعاً، وكان ينكر على بعض العارفين في إطلاقات وألفاظ لهم.

قال ابن يزدانيار:
إيَّاك أنْ تطمع في الأنس بالله وأنت تحب الأنس بالناس.

وإيَّاك أنْ تطمع في حبِّ الله وأنت تحبّ الفضول.

وإيَّاك أنْ تطمع في المنزلة عند الله وأنت تحبّ المنزلة عند الناس.

ومنهم:

أبو سعيد بن الأعرابي[3]

واسمه: أحمد بن مُحمَّد بن زياد البصريِّ.
جاور الحرم، ومات به سنة: إحدى وأربعين وثلاثمائة[4].
صحب الجُنَيْد، وعَمرو بن عُثمان المكِّي، والنوري، وغيرهم.
قال ابن الأعرابيّ:
أخسَر الأخسرين من أبدى للناس صالح أعماله، وبارز بالقبيح من هو أقرب إليه من حبل الوريد.

---

(١) السِّفلة: من الناس أسافلهم وغوغاؤهم وسقاطهم.
(٢) انظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ١١٤.
(٣) أحمد بن محمد بن زياد بن بشر بن درهم، أبو سعيد بن الأعرابي، مؤرخ من علماء الحديث، من أهل البصرة، تصوف وصحب الجنيد، وانتقل إلى الحجاز فكان شيخ الحرم المكي، ولد سنة (٢٤٦ هـ) له «المعجم» في أسماء شيوخه، و «تاريخ البصرة» وغيرهما. الأعلام ١/ ٢٠٨، وتذكرة الحفاظ ٣/ ٦٦، وطبقات الشعراني ١/ ١١٧.
(٤) في الأعلام ١/ ٢٠٨: توفي سنة أربعين وثلاثمائة.

ومنهم:

أبو عَمرو مُحمَّد بن إبراهيم الزجاجيّ النيسابوريّ[1]

جاور بمكة سنين كثيرة ومات بها.
صحب الجُنَيْد، وأبا عُثمان، والنوريَّ، والخوَّاص، ورُوَيْماً.
مات سنة: ثمان وأربعين وثلاثمائة.
سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السّلميّ، رحمه الله، يقول: سمعت جدِّي أبا عَمرو بن نُجيد يقول:

سُئل أبو عَمرو الزجاجيّ: ما بالك تتغير عند التكبيرة الأولى في الفرائض؟
فقال: لأني أخشى أنْ أفتتح فريضتي بخلاف الصدق، فمن يقول: الله أكبر، وفي قلبه شيء أكبر منه، أو قد كبرَّ شيئاً سواه على مرور الأوقات، فقد كذَّب نفسه على لسانه.

وقال: من تكلم عن حال لم يصل إليها كان كلامه فتنة لمن يسمعه، ودعوى تتولد في قلبه، وحرَمة الله الوصول إلى تلك الحال.

وقد جاور بمكة سنين كثيرة لم يتطهَّر في الحرم، بل كان يخرج إلى الحلِّ ويتطهرَّ فيه.

ومنهم:

أبو مُحمَّد بن مُحمَّد بن نُصير[2]

بغداديّ المنشأ والمولد.
صحب الجُنَيْد، وانتمى إليه، وصحب النوري، ورويماً، وسَمْنُون، والطبقة. مات ببغداد سنة: ثمان وأربعين وثلاثمائة.
قال جَعْفَر:
لا يجد العبد لذَّة المعاملة مع الله مع لذة النفس، لأنَّ أهل الحقائق قطعوا العلائق التي تقطعهم عن الحق، قبل أنْ تقطعهم العلائق.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين يقول: سمعت مُحمَّد بن عبد الله بن شَاذان يقول: سمعت جعفراً يقول:

إن ما بين العبد وبين الوجود أنْ تسكن التقوى قلبه، فإذا سكنت التقوى قلبه نزلت عليه بركات العلم، وزالت عنه رغبة الدنيا.

---

(١) انظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ١١٧.
(٢) انظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ١١٨، وفي شذرات الذهب ٢/ ٣٧٨، وفي الأعلام ١٢٨/٢.

ومنهم:

أبو العبَّاس السياريّ[1]

واسمه: القاسم بن القاسم.

من «مَرو» صحب الواسطيّ، وانتمى إليه في علوم هذه الطائفة.

وكان عالماً.

مات سنة: اثنتين وأربعين وثلاثمائة.

سُئل أبو العبَّاس السَّياري: بماذا يروض المريد نفسه؟

فقال: بالصبر على فعل الأوامر، واجتناب النواهي، وصحبة الصالحين، وخدمة الفقراء.

وقال: ما التذَّ عاقل بمشاهدة الحق قط، لأنَّ مشاهدة الحق فناء، ليس فيها لذة.

ومنهم:

أبو بكر مُحمَّد بن داود الدينوريّ[2]

المعروف بالدقيّ.

أقام بالشام وعاش أكثر من مائة سنة.

مات بدمشق بعد الخمسين والثلاثمائة.

صحب ابن الجلاَّء، والزقَّاق.

قال أبو بكر الدقيّ:

المعدة موضع يجمعُ الأطعمة، فإذا طرحتَ فيها الحلال صدرت الأعضاء بالأعمال الصالحة، وإذا طرحت فيها الشبهة اشتبه عليك الطريق إلى الله تعالى ـ وإذا طرحت فيها التبعات كان بينك وبين أمر الله حجاب.

ومنهم:

أبو مُحمَّد عبد الله بن مُحمَّد الرازيّ[3]

مولده ومنشؤه بنيسابور.

صحب أبا عُثمان الحيريّ، والجُنيد، ويُوسف بن الحسين، ورُوَيْماً، وسمنوناً، وغيرهم.

---

(١) انظر ترجمته في الطبقات الكبرى ١/١١٩، وفي شذرات الذهب ١/ ٣٦٤.

(٢) انظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ١/١١٩.

(٣) انظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ١/١١٩، وفيه أبو حامد.

مات سنة: ثلاث وخمسين وثلاثمائة.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين، رحمه الله، يقول: سمعت عبد الله الرازي يقول وقد سُئل: ما بال الناس يعرفون عيوبهم ولا يرجعون إلى الصواب؟

فقال:

لأنهم اشتغلوا بالمباهاة بالعلم، ولم يشتغلوا باستعماله، وأشتغلوا بالظواهر ولم يشتغلوا بآداب البواطن، فأعمى الله قلوبهم، وقيّد جوارحهم عن العبادات.

ومنهم:

أبو عَمرو إسماعيل بن نُجَيْد[1]

صحب أبا عُثمان، ولقي الجُنيد.

وكان كبير الشأن.

آخر من مات من أصحاب أبي عُثمان. توفي بمكة سنة: ست وستين وثلاثمائة[2].

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السّلميّ، رحمه الله، يقول: سمعت جدِّي أبا عَمرو بن نجيد يقول:

كل حال لا يكون عن نتيجة علم؛ فإنَّ ضررَه على صاحبه أكثر من نفعه.

قال: وسمعته يقول: من ضيَّع في وقت من أوقاته فريضة افترضها الله عليه حرِمَ لذَّة تلك الفريضة، ولو بعد حين.

قال: وسُئل عن التصوف، فقال:

الصبر تحت الأمر والنهي.

قال: وقال: آفة العبد رضاه من نفسه بما هو فيه.

ومنهم:

أبو الحَسن عليّ بن أحمد بن سَهْل البوشنجيّ[3]

أحد فتيان خُراسان.

لقي أبا عُثمان، وابن عَطاء، والجريري، وأبا عَمرو الدِّمشقيّ.

---

(١) إسماعيل بن نجيد بن أحمد بن يوسف السلمي النيسابوري، أبو عمرو، زاهد عابد له «جزء» في الحديث. قال ابن الجوزي: كان ثقة، وكان شيخ الصوفية في نيسابور. توفي بمكة، من كلامه: «من أظهر محاسنه لمن لا يملك ضره ولا نفعه فقد أظهر جهله» وكان يقول: «من لم تهذبك رؤيته فاعلم أنه غير مهذب». شذرات الذهب ٣/ ٥٠، والأعلام ١/ ٣٢٨. وقد ذكره الشعراني في طبقاته ١/ ١٢٠.

(٢) في شذرات الذهب ٣/ ٥٠: توفي سنة خمس وستين وثلاثمائة.

(٣) نظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ١٢٠. والبوشنجي نسبة إلى بوشنج.

مات سنة: ثمان وأربعين وثلاثمائة.

وسُئل البوشنجيّ عن المروءة، فقال:

هي ترك استعمال ما هو محرَّم عليك مع الكرام الكاتبين.

وقال له إنسان: ادع الله لي.

فقال: أعاذك الله من فتنتك.

وقال: أوَّل الإيمان منوط[1] بآخره.

ومنهم:

أبو عبد الله مُحمَّد بن خَفيف الشيرازيّ[2]

صحب رُوَيْماً، والجريريّ، وابن عَطاء، وغيرهم.

مات سنة: إحدى وسبعين وثلاثمائة.

وهو شيخ الشيوخ وواحد وقته.

قال ابن خَفيف: الإدارة استدامةُ الكدِّ؛ وترك الراحة.

وقال: ليس شيء أضر على المُريد من مُسامحة النفس في ركوب الرخص وقبول التأويلات.

وسُئل عن القرب، فقال:

قُربك منه بملازمة الموافقات، وقُربه منك بدوام التوفيق.

سمعت أبا عبد الله الصوفيَّ، يقول: سمعت أبا عبد الله بن خَفيف يقول:

ربَّما كنت أقرأ في ابتداء أمري في ركعة واحدة عشرة آلاف مرَّة ﴿قل هو الله أحد﴾ وربما كنت أقرأ في ركعة واحدة القرآن كله، وربما كنت أصلي من الغداة إلى العصر ألف ركعة.

سمعت أبا عبد الله بن باكويه الشيرازيّ، رحمه الله، يقول: سمعت أبا أحمد الصغير يقول: دخل يوماً من الأيام فقير، فقال للشيخ أبي عبد الله بن خَفيف.

بي وسوسة!!

فقال الشيخ:

عهدي بالصوفيَّة يسخرون من الشيطان، والآن الشيطان يسخر منهم.

---

(١) النياط: ما يعلق به الشيء.

(٢) محمد بن خفيف، أبو عبد الله الشيرازي، صوفي، شافعي كان شيخ إقليم فارس، وهو من أولاد الأمراء. تزهد وسافر في سياحات كثيرة، وصنف كتباً. ولد سنة (٢٧٦ هـ) وتوفي سنة (٣٧١ هـ) ولما أدركته الوفاة قيل له: قل لا إله إلا الله، فحول وجهه إلى الجدار وقال: أفنيتُ كلي بكلك. شذرات الذهب ٣/ ٧٦، والأعلام ٦/ ١١٤.

وسمعته يقول: سمعت أبا العبَّاس الكرخيّ يقول: سمعت أبا عبد الله بن خَفيف يقول: ضعفت عن القيام في النوافل، فجعلت بدل كل ركعة من أورادي[1] ركعتين قاعداً، للخبر: «**صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم**»[2].

ومنهم:

أبو الحُسين بندار بن الحُسين الشيرازيّ[3]

كان عالماً بالأصول، كبيراً في الحال.

صحب الشبليّ.

مات «بأرَّجان»[4] سنة: ثلاث وخمسين وثلاثمائة.

قال بُندار بن الحُسين:

لا تخاصم لنفسك، فإنها ليست لك، دعها لمالكها يفعل بها ما يريد.

وقال بُندار:

صحبة أهل البدع تورث الإعراض عن الحق.

وقال بُندار:

اترك ما تهوى لما تأمل.

ومنهم:

أبو بكر الطمستانيّ[5]

صحب إبراهيم الدَّباغ، وغيره.

وكان أوحد وقته علماً، وحالاً. مات بنيسابور بعد سنة: أربعين وثلاثمائة.

قال أبو بكر الطمّستانيّ:

النعمة العظمى الخروج من النفس، والنفس أعظم حجاب بينك وبين الله.

سمعت أبا عبد الله الشيرازيّ، رحمه الله، يقول: سمعت مَنْصور بن عبد الله

---

(١) الورِد: النصيب من القرآن أو الذِّكر.

(٢) أخرجه الترمذي (صلاة ١٥٧)، وابن ماجة (إقامة ١٤١)، والنسائي (ليل ٢٠)، والدارمي (صلاة ١٠٨) والموطأ (جماعة ٢٠)، وأحمد بن حنبل ٢، ١٦٢، ١٩٣، ٢٠٣، ٣، ١٣٦، ٢١٤، ٤٢٥، ٦، ٦١، ٧١، ٢٢٠، ٢٢١.

(٣) انظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ١٢١.

(٤) أرّجان: مدينة كبيرة بينها وبين شيراز ستون فرسخاً وبينها وبين سوق الأهوان ستون فرسخاً. معجم البلدان ١/ ١٤٣.

(٥) انظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ١٢١.

الأصبهانيّ، يقول: سمعت أبا بكر الطمِّستانيّ يقول:

إذا همّ القلب عوقب في الوقت.

وقال: «الطريق واضح، والكتاب والسنَّة قائم بين أظهرنا وفضل الصحابة معلوم؛ لسبقهم إلى الهجرة، ولصحبتهم؛ فمن صحب منا الكتاب والسنة وتغرَّب عن نفسه والخلق، وهاجر بقلبه إلى الله، فهو الصادق المُصيب».

ومنهم:

أبو العبَّاس أحمد بن مُحمَّد الدينوريّ[1]

صحب يُوسف بن الحُسين، وابن عَطاء، والجريريّ.

وكان عالماً فاضلاً؛ ورد «نيسابور» وأقام بها مدَّة، وكان يعظ الناس، ويتكلم على لسان المعرفة، ثم ذهب إلى «سَمَرْقَنْد»، ومات بها بعد الأربعين وثلاثمائة.

قال أبو العبَّاس الدِّينوريّ:

أدنى الذكر أنْ تنسى ما دونه، ونهاية الذكر أنْ يغيب الذاكر في الذكر عن الذكر.

وقال أبو العبَّاس: لسان الظاهر لا يغيِّر حكم الباطن.

وقال أبو العبَّاس الدينوريّ:

نقضوا أركان التصوف، وهدموا سبيلها، وغيروا معانيها بأسامي أحدثوها:

سمُّو الطمع «زيادة» وسوء الأدب «إخلاصاً» والخروج عن الحق.

«شطحا»[2] والتلذذ بالمذموم «طيبةً»، واتباع الهوى «ابتلاءً» والرجوع إلى الدنيا «وصلاً»، وسوء الخلق «صولةً»، والبخل «جلادةً» والسؤال «عملاً» وبذاءة اللسان «ملامةً». وما هذا كان طريق القوم.

ومنهم:

أبو عُثْمان سَعيد بن سلاَّم المغربيّ[3]

واحد عصره، لم يوصف مثله قبله.

صحب ابن الكاتب، وحبيباً المغربيَّ، وأبا عَمرو الزجاجيَّ، ولقي النهرجوري وابن الصَّائغ وغيرهم.

---

(١) انظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ١٢٢.

(٢) الشطح: التباعد والاسترسال.

(٣) انظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ١٢٢، وفي شذرات الذهب ٣/ ٨١ وفيه سعيد بن سالم وقيل: سعيد بن سلمان.

مات بنيسابور سنة: ثلاث وسبعين وثلاثمائة.
وأوصى بأنْ يُصلي عليه الإمام أبو بكر بن فُورك رحمه الله تعالى.

سمعت الأستاذ أبو بكر بن فُورك يقول:

كنت عند أبي عُثمان المغربي حين قرب أجله، وعليّ القوال الصغير يقول شيئاً، فلما تغير عليه الحال أشرنا على عليّ بالسكوت، ففتح الشيخ أبو عُثمان عينيه، وقال: لم لا يقول عليّ شيئاً؟

فقلت لبعض الحاضرين: سلوه، علام يسمع المستمع، فإني أحتشمه في تلك الحالة فسألوه، فقال:

إنما يسمع من حيث يسمع.

وكان في الرياضة كبير الشأن.

وقال أبو عُثمان:

التقوى، هي: الوقوف مع الحدود، لا يُقصر فيها ولا يتعدَّاها.

وقال:

من آثر صحبة الأغنياء على مجالسة الفقراء ابتلاه الله بموت القلب.

ومنهم:

أبو القاسم إبراهيم بن مُحمَّد النصراباذيّ(١)

شيخ «خُراسان» في وقته.

صحب الشبليَّ، وأبا عليّ الروذباريَّ، والمرتعش.

جاور بمكة سنة: ست وستين وثلاثمائة. ومات بها سنة تسع وستين وثلاثمائة(٢).

وكان عالماً بالحديث، كثير الرواية.

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السّلمي، رحمه الله، يقول: سمعت النصراباذي يقول:

إذا بدا لك شيء من بوادي الحق، فلا تلتفت معها إلى جنَّة، ولا إلى نار، فإذا رجعت عن تلك الحال فعظِّم ما عظمه الله.

وسمعت مُحمَّد بن الحُسين يقول: قيل للنصراباذي:

إنَّ بعض الناس يُجالس النسوان، ويقول: أنا معصوم في رؤيتهن.

---

(١) انظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ١/١٢٢، وفي شذرات الذهب ٣/٥٨، والنصراباذي نسبة إلى نصراباذ محلة بنيسابور.

(٢) في شذرات الذهب ٣/٥٨: توفي سنة سبع وستين وثلاثمائة.

فقال:

ما دامت الأشباح[١] باقية فإنَّ الأمر والنهي باق، والتحليل والتحريم مخاطب به؛ ولن يجتريء على الشُّبهات إلا من تعرض للمحرمات.

وسمعت مُحمَّد بن الحُسين، رحمة الله، يقول: قال النصراباذي:

أصل التصوف: ملازمة الكتاب والسنَّة، وترك الأهواء والبدع وتعظيم حرمات المشايخ، ورؤية أعذار الخلق، والمداومة على الأوراد، وترك ارتكاب الرخص والتأويلات.

ومنهم:

أبو الحسن عليّ بن إبراهيم الحصري البقريّ[٢]

سكن بغداد.

عجيب الحال واللسان، شيخ وقته.

ينتمي إلى الشبلي.

مات ببغداد سنة: إحدى وسبعين وثلاثمائة.

قال الحصريّ:

الناس يقولون: الحصريّ لا يقول بالنوافل[٣]، وعلى أوراد من حال الشباب لو تركت ركعة لعوقبت.

وقال:

من ادَّعى في شيء من الحقيقةُ كذَّبته شواهد كشف البراهين.

ومنهم:

أبو عبد الله بن أحمد بن عَطَاء الروذباريّ[٤]

ابن أخت الشيخ أبي عليّ الروذباريّ.

شيخ الشام في وقته مات «بُصور»[٥] سنة: تسع وستين وثلاثمائة.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين يقول: سمعت عليّ بن سَعيد المصّيصيّ، يقول سمعت

---

(١) الشّبح: ما بدا لك شخصه من الناس وغيرهم غير جليّ من بُعد.

(٢) انظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ١٢٣.

(٣) النافلة: ما زاد على النصيب أو الحق أو الغرض (ج) نوافل.

(٤) انظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ١٢٣.

(٥) صور: مدينة مشهورة مشرفة على بحر الشام (البحر الأبيض المتوسط) داخلة في البحر مثل الكف على الساعد، يحيط بها البحر من جميع جوانبها إلا الرابع الذي منه شروع بابها. افتتحها المسلمون أيام عمر بن الخطاب. معجم البلدان ٣/ ٤٣٣.

أحمد بن عَطَاء الروذباريّ يقول:

كنت راكباً جملاً، فغاصت رجلا الجمل في الرمل، فقلت: جلّ الله، فقال الجمل: جلّ الله. وكان أبو عبد الله الروذباريّ إذا دعا أصحابه معه إلى دعوة في دور السوقة، ومن ليس من أهل التصوف لا يُخبر الفقراء بذلك، وكان يطعمهم شيئاً، فإذا فرغوا أخبرهم، ومضى بهم فكانوا قد أكلوا في الوقت فلا يمكنهم أنْ يمدوا أيديهم إلى طعام الدعوة إلا بالتعزز.

وإنما كان يفعل ذلك، لئلا تسوء ظُنون الناس بهذه الطائفة فيأثموا بسببهم.

وقيل: كان أبو عبد الله الروذباريّ يمشي على أثر الفقراء يوماً، وكذا كانت عادته أنْ يمشي على أثرهم، وكانوا يمضون إلى دعوة فقال إنسان بقَّال:

هؤلاء المستحلون وبسط لسانه فيهم، وقال في أثناء كلامه:

إنَّ واحداً منهم قد استقرض منيِّ مائة درهم. ولم يردها عليَّ ولست أدري أين أطلبه؟

فلما دخلوا دار الدعوة، قال أبو عبد الله الروذباريّ لصاحب الدار وكان من محبِّي هذه الطائفة.

ائتني بمائة درهم إنْ أردت سكون قلبي.

فأتاه بها في الوقت فقال لبعض أصحابه:

احمل هذه المائة إلى البقَّال الفلانيِّ، وقل له: هذه المائة التي استقرضها منك بعض أصحابنا، وقد وقع له في التأخير بها عذر، وقد بعثها الآن. فاقبل عذره!! فمضى الرجل، وفعل، فلما رجعوا من الدعوة اجتازوا بحانوت البقَّال، فأخذ البقال في مدحهم يقول:

هؤلاء هم الثقاةُ الأمناء الصُّلحاء، وما أشبه ذلك.

وقال أبو عبد الله الروذباريّ:

أقبح من كل قبيح صوفي شحيح.

* * *

قال أبو القاسم الأستاذ الإمام جمال الإسلام، رضي الله عنه:

هذا هو ذكر جماعة من شيوخ هذه الطائفة.

وكان الغرض من ذكرهم في هذا الموضع التنبيه على أنهم مجمعون على تعظيم الشريعة؛ متصفون بسلوك طرق الرياضة، مقيمون على متابعة السنة، غير مخلين بشيء من آداب الديانة، متفقون على أنَّ من خلا من المعاملات والمجاهدات ولم يبن أمره على أساس الورع والتقوى كان مفترياً على الله سُبحانه وتعالى، فيما يدعيه، متفوناً، هلك في نفسه، وأهلك من اغتر به ممن ركن إلى أباطيله.

ولو تقصينا، وتتبعنا ما ورد عنهم: من ألفاظهم، وحكاياتهم، ووصف سيرهم مما يدل على أحوالهم، لطال به الكتاب، وحصل منه الملال:

وفي هذا القدر الذي لوحنا به في تحصيل المقصود غنية، وبالله التوفيق.

* * *

فأما المشايخ الذين أدركناهم، وعاصرناهم، وإنْ لم يتفق لنا لقياهم، مثل: الأستاذ الشهيد، لسان وقته، وأوحد عصره، أبي عليٍّ الحسن بن عليّ الدّقاق[1]، والشيخ، نسيج وحده في وقته، أبي عبد الرَّحمن السلميّ، وأبي الحسن عليّ بن جَهضم مجاور الحرم، والشيخ أبي العَبَّاس القصَّار بطبرستان. وأحمد الأسود بالدينور؛ وأبي القاسم الصيرفي بنيسابور، وأبي سَهْل الخشَّاب الكبير بها. ومَنْصور بن خَلَفْ المغربي، وأبي سعيد المالينيّ، وأبي طاهر الخوزنديّ، قدَّس الله أرواحهم، وغيرهم، فلو اشتغلنا بذكرهم، وتفصيل أحوالهم، لخرجنا عن المقصود في الإيجاز وغير ملْتَبَس من أحوالهم حسن سيرتهم في معاملاتهم.

وسنورد من حكاياتهم طرفاً في مواضع من هذه الرسالة إنْ شاء الله تعالى.

---

(١) الحسن بن علي الأستاذ أبو علي الدقاق النيسابوري الشافعي لسان وقته، وإمام عصره. كان فارهاً في العلم، متوسطاً في الحلم، محمود السيرة، مجهود السريرة، جنيدي الطريقة، سري الحقيقة. برع في الأصول والفقه والعربية والتصوف. مات سنة ست وأربعمائة. شذرات الذهب ٣/ ١٨٠.

باب
في تفسير ألفاظ تدور بين هذه الطائفة
وبيان ما يشكل منها

اعلم أنَّ من المعلوم أنَّ كلَّ طائفة من العلماء لهم ألفاظ يستعملونها فيما بينهم - انفردوا بها عمن سواهم، تواطؤوا[1] عليها؛ لأغراض لهم فيها: من تقريب الفهم على المخاطبين بها، أو تسهيل على أهل تلك الصنعة في الوقوف على معانيهم، بإطلاقها. وهذه الطائفة يستعملون ألفاظاً فيما بينهم، قصدوا بها الكشف عن معانيهم لأنفسهم، والإجمال والستر على من باينهم[2] في طريقهم؛ لتكون معاني ألفاظهم مستبهمة[3] على الأجانب، غيرة منهم على أسرارهم أنْ تشيع في غير أهلها، إذ ليست حقائقهم مجموعة بنوع تكلف، أو مجلوبة بضرب تصرُّف، بل هي معان أودعها الله تعالى قلوب قوم، واستخلص لحقائقها أسرار قوم.

ونحن نريد بشرح هذه الألفاظ: تسهيل الفهم على من يُريد الوقوف على معانيهم من سالكي طرقهم، ومتبعي سنَّتهم.

فمن ذلك:

الوقــت[4]

حقيقة الوقت عند أهل التحقيق: حادث متوهم علق حصوله على حادث متحقق، فالحادث المتحقق، وقت للحادث المتوهم، تقول: آتيك رأس الشهر، فالإتيان متوهم،

---

(١) تواطأ القوم على الأمر: توافقوا.

(٢) البين: الفرقة.

(٣) الغامضة التي لا يتحدد المقصود منها.

(٤) الوقت لغوياً: مقدار من الزمان قدر لأمر ما.

ورأس الشهر حادث متحقق. فرأس الشهر وقت الإتيان.

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدَّقاق، رحمه الله، يقول:

الوقت: ما أنت فيه، إنْ كنت بالدنيا فوقتك الدنيا، وإنْ كنت بالعقبى فوقتك العقبى، وإنْ كنت بالسُّرور فوقتك السرور، وإنْ كنت بالحزن فوقتك الحزن.

يريد بهذا: أنَّ الوقت ما كان هو الغالب على الإنسان.

وقد يعنون بالوقت: ما هو فيه من الزمان، فإنَّ قوماً قالوا: الوقت ما بين الزمانين، يعني الماضي والمستقبل.

ويقولون: الصوفي ابن وقته، يريدون بذلك: أنه مشتغل بما هو أولى به من العبادات في الحال، قائم بما هو مطلوب به في الحين.

وقيل: الفقير لا يهمه ماضي وقته وآتيه، بل يهمه وقته الذي هو فيه.

ولهذا قيل: الاشتغال بفوات وقت ماض. تضييع وقت ثان.

وقد يريدون بالوقت: ما يصادفهم من تصريف الحقِّ لهم، دون ما يختارونه لأنفسهم.

ويقولون: فلان بحكم الوقت. أي: أنه مُستسلم لما يبدو له من الغيب من غير اختيار له.

وهذا فيما ليس لله تعالى عليهم فيه أمر أو اقتضاء بحق شرع، إذ التضييع لما أمرت به: وإحالة الأمر فيه على التقدير وتركُ المبالاة بما يحصل منك من التقصير: خروج عن الدين.

ومن كلامهم: الوقت سيف. أي: كما أنَّ السيف قاطع فالوقت بما يمضيه الحق ويجريه غالب.

وقيل: السيف لين مسّه، قاطع حدّه، فمن لاينه سلم، ومن خاشنه اصطلم[1]. كذلك الوقت: من استسلم لحكمه نجا، ومن عارضه انتكس[2] وتردى.

وأنشدوا في ذلك:

وكالسيف إنْ لاينته لان مسّه ... وحدَّاه إنْ خاشنته خشنان

ومن ساعده الوقت: فالوقت له وقت.

ومن ناكده الوقت: فالوقت عليه مقت.

وسمعت الأستاذ أبا عليّ الدَّقاق يقول:

الوقت مبرد[3] يسحقك ولا يمحقك.

---

(١) اصطلم: استؤصل.

(٢) انتكس: جعل أعلاه أسفله، أو مقدمه مؤخره.

(٣) المبرد: أداة بها سطوح خشنة تُستعمل لتسوية الأشياء أو تشكيلها بالتأكُّل أو السَّحل.

يعني: لو محاك وأفناك لتخلصت حين فنيت. لكنه يأخذ منك ولا يمحوك بالكلية وكان ينشد في هذا المعنى:

كل يوم يمر يأخذ بعضي يورث القلب حسرة ثم يمضي

وكان ينشد أيضاً:

كأهل النار إنْ نضجت جلود أعيدت للشقاء لهم جلود

وفي معناه:

ليس من مات فاستراح بميت إنما الميِّت ميت الأحياء

والكيِّس[1]: من كان بحكم وقته؛ إنْ كان وقته الصحو فقيامه بالشريعة، وإنْ كان وقته المحو، فالغالب عليه أحكام الحقيقة.

ومن ذلك:

المقـام[2]

والمقام: ما يتحقق به العبد بمنازلته من الأداب؛ مما يتوصَّل إليه بنوع تصرُّف، ويتحقق به بضرب تطلُّب، ومقاساة تكلف.

فمقام كل أحد: موضع إقامته عند ذلك، وما هو مشتغل بالرياضة له.

وشرطه: أنْ لا يرتقي من مقام إلى مقام آخر، ما لم يستوف أحكام ذلك المقام، فإنَّ من لا قناعة له لا تصح له التوكل، ومَنْ لا توكل له لا يصح له التسليم، وكذلك مَنْ لا توبة له لا تصح له الإنابة، ومن لا ورع له لا يصح له الزهد.

والمقام: هو الإقامة، كالمُدخل بمعنى الإدخال، والمخرج بمعنى الإخراج.

ولا يصحُّ لأحد منازلة مقام إلا بشهود إقامة الله تعالى إياه بذلك المقام، ليصحَّ بناء أمره على قاعدة صحيحة.

سمعت الأستاذ أبا عليٍّ الدَّقاق، رحمه الله تعالى، يقول:

لما دخل الواسطيّ نيسابور، سأل أصحاب أبي عُثْمان:

بما كان يأمركم شيخكم؟

فقالوا: كان يأمرنا بالتزام الطاعات، ورؤية التقصير فيها.

---

(١) الكيِّس: الظريف الفطن، الحسن الفهم والأدب.

(٢) المقام: لغوياً الإقامة وموضعها وزمانها.

فقال: أمركم بالمجوسيَّة[١] المحضة، هلا أمركم بالغيبة عنها، برؤية منشئها ومجريها؟

وإنما أراد الواسطيّ بهذا: صيانتهم عن محل الإعجاب.

لا تعريجاً في أوطان التقصير، أو تجويزاً للإخلال بأدب من الآداب.

ومن ذلك:

الحـــال[٢]

والحال عند القوم: معنى يَرِد على القلب، من غير تعمد منهم، ولا اجتلاب، ولا اكتساب لهم، من: طرب، أو حزن، أو بسط، أو قبض، أو شوق، أو انزعاج أو هبة، أو اهتياج.

فالأحوال: مواهب، والمقامات، مكاسب.

والأحوال تأتي من عين الجواد، والمقامات تحصل ببذل المجهود.

وصاحب المَقام ممكن في مقامه، وصاحب الحال مُترقّ عن حاله.

وسُئل ذو النون المصريّ، عن العارف، فقال: كان ها هنا، فذهب.

وقال بعض المشايخ: الأحوال كالبروق: فإنْ بقي فحديث نفس.

وقالوا: الأحوال كاسمها، يعني أنها: كما تحلُّ بالقلب تزول في الوقت.

وأنشدوا:

لـــو لـــم تَحُـــلْ مـــا سميـــت حـــالاً ... وكـــــل مـــــا حـــــال فقـــــد زالا
انظـــر إلـــى الفـــيء[٣] إذا مـــا انتهـــى ... يـــأخـــذ فـــي النقـــص إذا طـــالا

وأشار قوم إلى بقاء الأحوال، ودوامها. وقالوا: إنها إذا لم تدم ولم تتوَال فهي لوائح وبوادَه[٤]، ولم يصل صاحبها بعد إلى الأحوال فإذا دامت تلك الصفة فعند ذلك تسمَّى: «حالاً».

وهذا أبو عُثمان الحيريّ، يقول:

منذ أربعين سنة ما أقامني الله في حال فكرهْتُه.

أشار إلى دوام الرِّضا، والرضا من جملة الأحوال.

---

(١) المجوسية: كلمة فارسية معربة عن (منج كوش). وهم جماعة من الناس يعبدون النار أو الشمس.

(٢) الحال لغوياً: الوقت الذي أنت فيه. حال الشيء: صفته، وحال الدهر: صرفه، وحال الإنسان: ما يختص به من أموره المتغيرة الحسية والمعنوية (ج) أحوال.

(٣) فاء الظل فيئاً: تحوّل من جانب المغرب إلى جانب المشرق.

(٤) البداهة: ما يَفجأ من الأمر.

فالواجب في هذا: أنْ يُقال: إنَّ من أشار إلى بقاء الأحوال فصحيح ما قال، فقد يصير المعنى شِرْباً لأحد فيربّي فيه.

ولكن لصاحب هذه الحال أحوال: هي طوارق لا تدوم فوق أحواله التي صارت شرباً له؛ فإذا دامت هذه الطوارق له، كما دامت الأحوال المتقدمة، ارتقى إلى أحوال أخر، فوق هذه وألطف من هذه، فأبداً يكون في الترقي.

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدَّقاق، رحمه الله، يقول في معنى قوله ﷺ: «**إنه ليغَان على قلبي حتى أستغفر الله تعالى في اليوم سبعين مرة**»[١]: أنه كان ﷺ أبداً في الترقي من أحواله فإذا ارتقى من حالة إلى حالة أعلى مما كان فيها، فربما حصل له ملاحظة إلى ما ارتقى عنها، فكان يعدُّها «غيْنا» بالإضافة إلى ما حصل فيها، فأبداً كانت أحواله في التزايد.

ومقدورات الحق سُبحانه، من الألطاف: لا نهاية لها؛ فإذا كان حقّ الحق تعالى، العزّ، وكان الوصول إليه بالتحقيق محالاً، فالعبد أبداً في ارتقاء أحواله.

فلا معنى يُوصل إليه، إلا وفي مقدوره سُبحانه ما هو فوقه، يقدر أن يوصله إليه. وعلى هذا يحمل قولهم: «حسنات الأبرار سيئات المقرّبين».

وسُئل الجنيد عن هذا، فأنشد:

طوارق أنوار تلوح إذا بدت ... فتظهر كتماناً وتخبر عن جمع

ومن ذلك:

القَبْض والبسط

وهما: حالتان، بعد ترقيِّ العبد عن حالة الخوف والرجاء.

فالقبض للعارف: بمنزلة الخوف للمستأنف[٢].

والبسْط للعارف: بمنزلة الرجاء للمستأنف.

ومن الفصل بين القبض والخوف، والبسط والرجاء: أنَّ الخوف إنما يكون من شيء في المستقبل، إما أنْ يخاف فوت محبوب أو هجوم محذور.

وكذلك الرجاء: إنما يكون بتأميل محبوب في المستقبل، أو بتطلع زوال محذور وَكفاية مكروه في المستأنف.

وأما القبض: فلمعنى حاصل في الوقت، وكذلك البسط، فصاحب الخوف والرجاء: تعلق قلبه في حالتيه بآجله. وَصاحب القبض والبسط أخذ وقته بوارد غلب عليه في عاجله.

---

(١) أخرجه أحمد بن حنبل ٤، ٢١١، ٢٦٠.

(٢) استأنف الشيء: أخذ أوله، ابتدأه استقبله.

ثم تتفاوت نعوتهم في القبض والبسط على حسب تفاوتهم في أحوالهم:

فمن واردٍ يوجب قبضاً، ولكن يبقى مساغ للأشياء الأخر، لأنه غير مستوف، ومن مقبوض لا مساغ لغير وارده فيه، لأنه مأخوذ عنه بالكلية بوارده.

كما قال بعضهم: أنا ردّم، أي: لا مساغ فيّ.

وكذلك المبسوط: قد يكون فيه بسط يسع الخلق، فلا يستوحش من أكثر الأشياء، ويكون مبسوطاً لا يؤثر فيه شيء بحال من الأحوال.

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقاق، رحمه الله، يقول:

دخل بعضهم على أبي بكر القحطيّ؛ وكان له ابن يتعاطى ما يتعاطاه الشباب، وكان ممر هذا الداخل على هذا الإبن، فإذا هو مع أقرانه في اشتغاله ببطالته.

فرق قلبه، وتألم للقحطيّ، وقال:

مسكين هذا الشيخ، كيف ابتلى بمقاساة هذا الإبن؟

فلما دخل على القحطيّ، وجده كأنه لا خبر له بما يجري عليه من الملاهي، فتعجَّب منه، وقال فديت، من لا تؤثر فيه الجبال الرواسي.

فقال القحطيّ:

إنا قد حررنا عن رق الأشياء في الأزل.

ومن أدنى موجبات القبض: أنْ يرد على قلبه وارد موجبه إشارة إلى عتاب ورمز باستحقاق تأديب، فيحصل في القلب لا محالة، قبض.

وقد يكون موجب بعض الواردات إشارة إلى تقريب، أو إقبال بنوع لطف وترحيب، فيحصل للقلب بسط.

وفي الجملة: قبض كل أحد حسب بسطه، وبسطه على حسب قبضه.

وقد يكون قبض يشكل على صاحبه سببه: يجد في قلبه قبضاً لا يدري موجبه ولا سببه، فسبيل صاحب هذا القبض التسليم، حتى يمضي ذلك الوقت، لأنه لو تكلف نفيه، أو استقبل الوقت قبل هجومه عليه باختياره زاد في قبضه.

ولعله يعد ذلك منه: سوء أدب.

وإذا استسلم لحكم الوقت، فعن قريب يزول القبض، فإنَّ الحق سُبحانه قال: ﴿وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ﴾ [البقرة: ٢٤٥].

وقد يكون بسط يرد بغتة، ويُصادَف صاحبه فلتة لا يعرف له سبباً، يهز صاحبه ويستنفزُّه. فسبيل صاحبه السكونُ، ومراعاة الأدب، فإنَّ في هذا الوقت له خطراً عظيماً فليحذر صاحبه مكراً خفياً.

كذا قال بعضهم: فتح عليَّ بابٌ من البسط، فزللت زلة فحجبت عن مقامي.

ولهذا قالوا: قف على البساط، وإيَّاك والإنبساط.

وقد عدّ أهل التحقيق حالتي القبض والبسط من جملة ما استعاذوا منه، لأنهما بالإضافة إلى ما فوقهما من استهلاك العبد واندراجه في الحقيقة: فقر وضر.

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السّلميّ يقول: سمعت الحُسين بن يَحيى يقول: سمعت جعفر بن مُحمَّد يقول: سمعت لجُنَيْد يقول: الخوف من الله يقبضني، والرجاء منه: يبسطني. والحقيقة: تجمعني، والحق: يفرقني، إذا قبضني بالخوف أفناني عني، وإذا بسطني بالرجاء ردني علي، وإذا جمعني بالحقيقة أحضرني، وإذا فرقني بالحق أشهدني غيري، فغطاني عنه، فهو تعالى في ذلك كله محركي غير ممسكي، وموحشي غير مؤنسي، فأنا بحضوري أذوق طعم وجودي، فليته أفناني عني فمتعني، أو غيبني عني فروحني.

ومن ذلك:

الهيبة[1] والأنس

وهما: فوق القبض والبسط.

فكما أنَّ القبض: فوق رتبة الخوف.

والبسط: فوق منزلة الرجاء.

فالهيبة: أعلى من القبض والأنس أتم من البسط، وحق الهيبة الغيبة، فكل هائب غائب.

ثم الهائبون: يتفاوتون في الهيبة على حسب تباينهم في الغيبة فمنهم... ومنهم وحق الأنس: صحو بحق، فكل مستأنس: صاح ثم يتباينون حسب تباينهم في الشرب.

ولهذا قالوا: أدنى محل الأنس: أنه لو طرح في لظى لم يتكدر عليه أنسه.

قال الجُنَيد: رحمه الله: كنت أسمع السريَّ يقول:

يبلغ العبد إلى حدٍّ لو ضرب وجهه بالسيف لم يشعر.

وكان في قلبي منه شيء، حتى بان لي أنَّ الأمرَ كذلك.

وحكى أبي عن مُقاتل العكي أنه قال:

دخلت على الشبليّ؛ وهو ينتف الشَّعر من حاجبه بمنقاش، فقلت:

يا سيدي، أنت تفعل هذا بنفسك! ويعود ألمه إلى قلبي!!!

فقال: ويلك، الحقيقة ظاهرة لي ولست أطيقها: فهوذا، فأنا أدخل الألم على نفسي؛

---

(١) الهيبة لغوياً: المخافة، والأنس: ذهاب الوحشة.

لعلي أحس به، فيستتر عني، فلست أجد الألم، وليس يستتر عني، وليس لي به طاقة:

وحال الهيبة والأنس، وإنْ جلتا، فأهل الحقيقة يعدونهما: نقصاً لتضمنهما تغير العبد فإنَّ أهل التمكين سمت أحوالهم عن التغير. وهم محو في وجود العين، فلا هيبة لهم ولا أنس، ولا علم ولا حسّ.

والحكاية معروفة عن أبي سعيد الخرَّاز، أنه قال:

تهت في البادية مرة، فكنت أقول:

أتيه فلا أدري من التيه من أنا ... سوى ما يقول الناس في وفي جنسي
أتيه على جن[1] البلاد وإنسها[2] ... فإنْ لم أجد شخصاً أتيه على نفسي

قال فسمعت هاتفاً يهتف بي، ويقول:

أيا من يرى الأسباب أعلى وجوده ... ويفرح بالتيه الدنى وبالأنس
فلو كنت من أهل الوجود حقيقة ... لغبت عن الأكوان والعرش والكرسي
وكنت بلا حال مع الله واقفاً ... تصان عن التذكار للجن والإنس

وإنما يرتقي العبد عن هذه الحالة بالوجود.

ومن ذلك:

التواجد، والوجد[3]، والوجود[4]

فالتواجد: استدعاء الوجد بضرب اختيار، وليس لصاحبه كمال الوجد؛ إذ لو كان لكان واجداً، وباب التفاعل أكثره على إظهار الصفة، وليست كذلك.

قال الشاعر:

إذا تخازرت، وما بي من خزر[5] ... ثم كسرت العين من غير ما عور

فقوم قالوا: التواجد غير مسلم لصاحبه، لما يتضمن من التكلف ويبعد عن التحقيق.

وقوم قالوا: إنه مسلَّم للفقراء المجرَّدين، الذين ترصَّدوا لوجدان هذه المعاني،

---

(١) الجن: خلاف الأنس، سموا بذلك لاستتارم عن الناس.

(٢) الإنس: البشر أو غير الجن.

(٣) الوجد: لغوياً الحب الشديد.

(٤) الوجود لغوياً: ضد العدم وهو ذهني وخارجي، ومذهب وحدة الوجود (في الفلسفة) مذهب من يجعلون الله والعالم شيئاً واحداً، وله صورة مختلفة باختلاف الفلاسفة.

(٥) خزر خزراً: كان ضيق العين صغيرها خلقة.

وأصلهم. خبرُ الرسول ﷺ: «**ابكوا، فإنْ لم تبكوا، فتباكوا**»[1]، والحكاية المعروفة لأبي مُحمَّد الجريريّ، رحمه الله، أنه قال:

كنت عند الجُنَيْد، وهناك ابن مَسْرُوق وغيره، وثمّ قوال، فقام ابن مسروق وغيره.. والجُنَيْد ساكن، فقلت:

يا سيدي، مالك في السَّماع شيء؟!

قال الجُنَيْد:

﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٨٨] ثم قال: وأنت يا أبا مُحمَّد، مالك في السِّماع شيء؟

فقلت: يا سيدي، أنا إذا حضرت موضعاً فيه سماع وهناك محتُشم[2] أمسكت على نفسي وجدي، فإذا خلوت أرسلت وجدي، فتواجدْت.

فأطلق في هذه الحكاية «التواجد»، ولم ينكر عليه الجُنَيد.

سمعت الأستاذ أبا عليِّ الدقَّاق، رحمه الله يقول:

لما راعى أبو مُحمَّد، أدب الأكابر في حال السماع، حفظ الله عليه وقته، ببركات الأدب، حتى يقول: أمسكت على نفسي وجدي فإذا خلوت أرسلت وجدي فتواجد؛ لأنه لا يمكن إرسال الوجد، إذا شئت، بعد ذهاب الوقت وغلباته.

ولكنه لما كان صادقاً في مراعاة حرمة الشيوخ، حفظ الله تعالى عليه وقته، حتى أرسل وجده عند الخلوة.

فالتواجد: ابتداء الوجد على الوصف الذي جرى ذكره، وبعد هذا الوجد.

والوجد: ما يُصادف قلبك، ويرد عليك بلا تعمد وتكلُّف.

ولهذا قال المشايخ:

الوجد: المصادفة، والمواجيد: ثمرات الأوراد.

فكل من ازدادت وظائفه ازدادت من الله لطائفه.

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقَّاق، رحمه الله، يقول:

الواردات: من حيث الأوراد: فمن لا ورد له بظاهره لا ورد له في سرائره، وكل وجد فيه من صاحبه شيء، فليس بوجد.

وكما أنَّ ما يتكلفه العبد من معاملات ظاهرة يوجب له حلاوة الطاعات، فما ينازله العبد من أحكام باطنه يوجب له المواجيد.

---

(١) اخرجه ابن ماجة (إقامة ١٧٦)، (زهد ١٩).

(٢) احتشم: استحيا وانقبض.

فالحلاوات ثمرات المعاملات والمواجيد: نتائج المنازلات.

أما **الوجود**: فهو بعد الإرتقاء عن الوجد.

ولا يكون وجود الحق، إلا بعد خمود البشرية، لأنه لا يكون للبشرية بقاء عند ظهور سلطان الحقيقة.

وهذا معنى قول أبي الحُسين النوريّ:

أنا منذ عشرين سنة بين الوجد والفقد: أي: إذا وجدت ربي فقدت قلبي، وإذا وجدت قلبي فقدت ربي.

وهذا معنى قول الجُنَيْد:

علم التوحيد: مباين لوجوده، ووجوده مباين لعلمه.

وفي هذا المعنى أنشدوا:

وجــودي أنْ أغيــب عــن الــوجــود بمــا يبــدو علــيَّ مــن الشهــودِ

فالتواجد: بداية. والوجود: نهاية والوجد واسطة بين البداية والنهاية.

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقّاق يقول:

التواجد يوجب استيعاب العبد.

والوجد: يوجب استغراق العبد.

والوجود يوجب استهلاك العبد.

فهو كمن شهد البحر، ثم ركب البحر، ثم غرق في البحر.

وترتيب هذا الأمر: قصود، ثم ورود، ثم شهود، ثم جمود، ثم خمود.

وبمقدار الوجود يحصل الخمود، وصاحب الوجود له: صحو، ومحو.

فحال صحوه: بقاؤه بالحق، وحال محوه: فناؤه بالحق.

وهاتان الحالتان أبداً متعاقبتان عليه:

فإذا غلب عليه الصَّحو بالحق، فبه يصول، وبه يقول.

قال عليه السَّلام، فيما أخبر عن الحق: «فبي يسمع، وبي يبصر».

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السّلميّ يقول: سمعت مَنْصُور بن عبد الله يقول:

وقف رجل على حلقة الشبليّ، فسأله:

هل تظهر آثار صحة الوجود على الواجدين؟؟

فقال: نعم: نور يزهر مقارناً لنيران الإشتياق، فتلوح على الهياكل آثارها كما قال ابن المعتز[1]:

وأمطــر الكــأس مــاء مــن أبــارقهــا فــأنبــت الــدرّ فــي أرض مــن الــذهــبِ

(١) عبد الله بن محمد المعتز بالله ابن المتوكل ابن المعتصم ابن الرشيد العباسي، أبو العباس الشاعر المبدع، =

وسبـــح القـــوم لمـــا أنْ رأوا عجبـــاً نـوراً مـن المـاء فـي نـارٍ مـن العنـبِ
سـلافـة[1] ورثتهـا عـاد عـن إرم[2] كـانـت ذخيـرة كسـرى[3] عـن أبٍ فـأب

وقيل لأبي بكر الدقيّ: إنَّ جهماً الدقيَّ أخذ شجرة بيده في حال السماع في ثوراته، فقلعها من أصلها: فاجتمعا في دعوة، وكان الدقي كفَّ بصرُه، فقام الدقي يدور في حال هيجانه فقال الدقّي: إذا قرب منيّ أرونيه.

وكان الدّقي ضعيفاً، فمر به، فلما قرب منه، قالوا له: هذا هو.

فأخذ الدقّي ساق جهم فوقفه، فلم يمكنه أن يتحرك.

فقال جَهْم: أيها، الشيخ، التوبة.. التوبة!! فخلاه:

قال الأستاذ الإمام، أدام الله جماله:

فكان ثوران جهم في حق، وإمساك الدقّي بساقه بحق، ولما علم جَهم أنَّ حال الدقّي فوق حاله رجع إلى الإنصاف واستسلم، وكذا من كان بحق لا يستعصي عليه شيء. فأما إذا كان الغالب عليه المحو فلا علم، ولا عقل، ولا فهم؛ ولا حسّ.

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السلميّ، رحمه الله، يذكر بإسناده أنَّ أبا عقال المغربيّ: أقام بمكة أربع سنين لم يأكل، ولم يشرب، إلى أنْ مات.

ودخل بعض الفقراء على أبي عقال، فقال له: سلام عليكم.

فقال له أبو عقال: وعليكم السلام فقال الرجل: أنا فلان فقال أبو عقال:

أنت فلان، كيف أنت؟ وكيف حالك؟ وغاب عن حالته.

قال هذا الرجل، فقلت له: سلام عليكم.

فقال: وعليكم السلام وكأنه لم يرني قط.

ففعلت مثل هذا غير مرة، فعلمت أنَّ الرجل غائب، فتركته، وخرجت من عنده.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين يقول: سمعت عُمر بن مُحمَّد بن أحمد يقول: سمعت امرأة أبي عبد الله النروغنديّ تقول:

لما كانت أيام المجاعة، والناس يموتون من الجوع، دخل أبو عبد الله النروغندي

= ولد في بغداد سنة (٢٤٧ هـ)، وأولع بالأدب فكان يقصد فصحاء الأعراب ويأخذ عنهم. آلت إليه الخلافة فأقام يوماً وليلة، فوثب عليه غلمان المقتدر فخلعوه، وعاد المقتدر فقبض عليه وسلمه إلى خادم له فخنقه سنة (٢٩٦ هـ). صنف كتباً منها «البديع» و «الجوارح والصيد» وغيرهما. وفيات الأعيان ١/٢٥٨، والأعلام ٤/١١٨.

(١) السُّلافة: الخمر أول ما تُعصر، وما سال وتحلَّب من عصير العنب قبل العصر وأخلص الخمر وأفضلها.

(٢) إرم ذات العماد: مدينة بائدة اندرست.

(٣) كسرى: لقب ملوك الفُرس (مع).

بيته، فرأى في بيته مقدار منوين[1] حنطة، فقال: الناس يموتون من الجوع، وفي بيتي حنطة!!

فخولط في عقله، فما كان يفيق إلا في أوقات الصلاة يصلي الفريضة ثم يعود إلى حالته، فلم يزلَ كذلك إلى أنْ مات.

دلَّت هذه الحكاية على أنَّ هذا الرجل كان محفوظاً عليه آداب الشريعة عند غلبات أحكام الحقيقة، وهذا هو صفة أهل الحقيقة، ثم كان سبب غيبته عن تمييزه: شفقته على المسلمين، وهذا أقوى سمة لتحققه في حاله.

ومن ذلك:

الجمع والفرق

لفظ «الجمع والتفرقة» يجري في كلامهم كثيراً.

وكان الأستاذ أبو علي الدقَّاق يقول:

الفرق: ما نسب إليك.

والجمع: ما سُلب عنك.

ومعناه: أنْ ما يكون كسباً للعبد، من إقامة العبودية، وما يليق بأحوال البشرية، فهو: فرق.

وما يكون من قبل الحق، من إبداء معان، وإسداء لطف وإحسان فهو: جمع هذا أدنى أحوالهم في الجمع والفرق، لأنه من شهود الأفعال. فمن أشهده الحق ـ سُبحانه ـ أفعاله عن طاعاته ومخالفاته فهو: عبد بوصف التفرقة، ومن أشهده الحق ـ سُبحانه ـ ما يوليه: من أفعال نفسه سُبحانه، فهو: عبد بشاهد الجمع.

فإثبات الخلق من باب التفرقة، وإثبات الحق من نعت الجمع.

ولا بد للعبد من الجمع والفرق، فإنَّ من لا تفرقة له لا عبودية له، ومن لا جمع له لا معرفة له، فقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] إشارة إلى الفرق. وقوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] إشارة إلى الجمع.

وإذا ما خاطب العبد الحق سُبحانه، بلسان نجواه: إما سائلاً، أو داعياً، أو مثنياً، أو شاكراً، أو متنصلاً[2]، أو مبتهلاً؛ قام في محل التفرقة.

وإذا أصغى بسره إلى ما يناجيه به مولاه، واستمع بقلبه ما يخاطبه به، فيما ناداه، أو ناجاه، أو عرفه، أو لوح لقلبه وأراده، فهو بشاهد الجمع.

---

(١) منوين: مثنى، مفرده (منا) وجمعه أمناء، والمنا: كيل يُكال به السمن وغيره، أو ميزان يوزن به.
(٢) تنصل فلان من ذنبه: تبرأ.

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقّاق، رحمه الله يقول:

أنشد قوال بين يديّ الأستاذ أبي سَهْل الصعلوكيّ، رحمه الله:

جعلت تنزهي نظري إليك.

وكان أبو القاسم النصراباذي، رحمه الله، حاضراً، فقال الأستاذ أبو سهل:

جعلتَ، بنصب التاء. وقال النصراباذي: بل جعلت بضم التاء:

فقال الأستاذ أبو سَهل: أليس عين الجمع أتم؟ فسكت النصراباذيّ.

وسمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السّلميّ أيضاً يحكي هذه الحكاية على هذا الوجه.

ومعنى: هذا أنَّ من قال «جعلتُ» بضم التاء يكون إخباراً عن حال نفسه، فكأن العبد يقول: هذا من عنده. وإذا قال «جعلتَ» بالفتح فكأنه يتبرأ من أنْ يكون ذلك بتكلفه، بل يخاطب مولاه فيقول:

أنت الذي خصصتني بهذا، لا أنا بتكلفي.

فالأول: على خطر الدعوى، والثاني: بوصف التبري من الحول، والإقرار بالفضل والطول: والفرق بين من يقول بجهدي أَعبدك. وبين من يقول: بفضلك ولطفك أشهدك.

ومن ذلك:

جمع الجمع

وجمع الجمع: فوق هذا.

يختلف الناس في هذه الجملة على حسب تباين أحوالهم، وتفاوت درجاتهم: فمن أثبت نفسه، وأثبت الخلق، ولكن شاهد الكل قائماً بالحق، فهذا هو: جمع.

وإذا كان مختطفاً عن شهود الخلق، مصطلماً عن نفسه، مأخوذاً بالكلية عن الإحساس بكلِّ غير، بما ظهر، واستولى من سلطان الحقيقة، فذاك جمع الجمع.

فالتفرقة: شهود الأغيار لله عزَّ وجلَّ.

والجمع: شهود الأغيار بالله.

وجمع الجمع: الإستهلاك بالكلية، وفناء الإحساس بما سوى الله عزَّ وجلّ عند غلبات الحقيقة.

وبعد هذا حالة عزيزة يسميها القوم:

الفرق الثاني

وهو أنْ يرد للعبد إلى الصحو عند أوقات أداء الفرائض، ليجري عليه القيام بالفرائض في أوقاتها، فيكون رجوعاً لله بالله تعالى لا للعبد بالعبد.

فالعبد يطالع نفسه، في هذه الحالة، في تصريف الحق سُبحانه، يشهد مبديء ذاته وعينه بقدرته، ومجري أفعاله وأحواله عليه، بعلمه ومشيئته.

وأشار بعضهم بلفظ «الجمع والفرق» إلى تصريف الحق جميع الخلق.

فجمع الكل في التقليب والتصريف: من حيث إنه منشيء ذواتهم ومجري صفاتهم، ثم فرقهم في التنويع: ففريقاً أسعدهم، وفريقاً أبعدهم وأشقاهم، وفريقاً هداهم، وفريقاً أضلهم وأعماهم، وفريقاً حجبهم عنه، وفريقاً جذبهم إليه، وفريقاً آنسهم بوصله، وفريقاً آيسهم[1] من رحمته، وفريقاً أكرمهم بتوفيقه، وفريقاً اصطلمهم[2] عند رومهم[3] لتحقيقه، وفريقاً أصحاهم، وفريقاً محاهم وفريقاً قربهم. وفريقاً غيبهم، وفريقاً أدناهم وأحضرهم، ثم أسقاهم فأسكرهم. وفريقاً أشقاهم وأخرهم ثم أقصاهم وهجرهم.

وأنواع أفعاله لا يحيط بها حصر، ولا يأتي على تفصيلها شرح ولا ذكر. وأنشدوا للجُنَيْد، رحمه الله؛ في معنى الجمع والتفرقة:

وتحققتك في سري فناجاك لساني
فاجتمعنا لمعاني وافترقنا لمعاني
إنْ يكن غيبك التعظيم عن لحظ عياني
فقد صيرك الوجد من الأحشاء داني

وأنشدوا:

إذا ما بدا لي تعاظمته فأصدر في حال من لم يرد
جمعت وفرقت عني به ففرد التواصل مثنى العدد

ومن ذلك:

الفناء[4] والبقاء[5]

أشار القوم بالفناء: إلى سقوط الأوصاف المذمومة.

وأشاروا بالبقاء: إلى قيام الأوصاف المحمودة به.

وإذا كان العبد لا يخلو عن أحد هذين القسمين، فمن المعلوم: أنه إذا لم يكن أحدُ القسمين كان القسمَ الآخر لا محالة، فمن فني عن أوصافه المذمومة ظهرت عليه الصفات المحمودة، ومن غلبت عليه الخصال المذمومة استترت عنه الصفات المحمودة.

---

(١) الأيس: القنوط وانقطاع الرجاء.

(٢) اصطلم: أباد.

(٣) رام الشيء روماً: أراده وطلبه.

(٤) الفناء: لغوياً انتهاء الوجود وهو ضد البقاء.

(٥) البقاء: ضد الفناء. بقي الشيء: ثبت ودام على ما كان.

واعلم أنَّ الذي يتصف به العبد: أفعال، وأخلاق، وأحوال.
فالأفعال: تصرفاته باختياره.
والأخلاق: جبلة فيه، ولكن تتغيَّر بمعالجته على مستمرِّ العادة.

والأحوال: ترد على العبد على وجه الابتداء، لكن صفاؤها بعد زكاء[1] الأعمال.

فهي كالأخلاق من هذا الوجه، لأنَّ العبد إذا نازلَ الأخلاق بقلبه فينفي بجهده سفسافها[2]، مَنّ الله عليه بتحسين أخلاقه، فكذلك إذا واظب على تزكية أعماله، ببذل وُسعه من الله عليه بتصفية أحواله بل بتوفية أحواله.

فمن ترك مذمومَ أفعاله بلسان الشريعة يُقال: أنه فني عن شهواته.
فإذا فني عن شهواته بقي بنيَّته وإخلاصه في عبوديته.
ومن زَهد في دنياه بقلبه، يُقال: فني عن رغبته:
فإذا فني عن رغبته فيها بقي بصدق إنابته.
ومن عالج أخلاقه، فنفى عن قلبه الحسد والحقد، والبخل، والشحّ والغضب، والكبر، وأمثال هذا من رعونات النفس، يُقال: فني عن سوء الخلق.

فإذا فني عن سوء الخلق بقي بالفتوة والصدق.
ومن شاهد جريان القدرة في تصاريف الأحكام، يُقال: فني عن حِسبان الحدثان[3] من الخلق. فإذا فني عن توهم الآثار من الأغيار بقي بصفات الحقِّ.

ومن استولى عليه سلطان الحقيقة حتى لم يشهد من الأغيار لا عيناً ولا أثراً، ولا رسماً، ولا طللاً؛ يُقال: إنه فني عن الخلق وبقي بالحقِّ.

ففناء العبد عن أفعاله الذميمة، وأحواله الخسيسة: بعدم هذه الأفعال.

وفناؤه عن نفسه، وعن الخلق: بزوال إحساسه بنفسه وبهم.
فإذا فني عن الأفعال، والأخلاق، والأحوال، فلا يجوز أن يكون ما فني عنه من ذلك موجوداً.

وإذا قيل: فني عن نفسه؛ وعن الخلق، فنفسه موجودة، والخلق موجودون. ولكنه لا علم له بهم ولا به، ولا إحساس، ولا خبر، فتكون نفسه موجودة، والخلق موجودين ولكنه غافل عن نفسه وعن الخلق أجمعين، غير محس بنفسه وبالخلق.

وقد ترى الرجل يدخل على ذي سلطان؛ أو محتشم، فيُذهل عن نفسه، وعن أهل

(١) الزكاء: النمو والزيادة.
(٢) السفساف: الرديء من كل شيء، والأمر الحقير.
(٣) الحِدْثان: حدثان الأمر والشباب: أوله وابتداؤه، وحدثان الدهر: حوادثه ونوبه وأحداثه.

مجلسه هيبة، وربما يذهل عن ذلك المحتشم، حتى إذا سُئل بعد خروجه من عنده، عن أهل مجلسه وهيآت ذلك الصدر، وهيآت نفسه، لم يمكنه الإخبار عن شيء.

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ [يوسف: ٣١].

لم يجدن عند لقاء يُوسف عليه السلام، على الوهلة ألم قطع الأيدي، وهن أضعف الناس، وقلن: «ما هذا بشراً» ـ ولقد كان بشراً ـ.

وقلن: ﴿بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ﴾ [يوسف: ٣١] ـ ولم يكن ملكاً ـ.

فهذا تغافل مخلوق عن أحواله عند لقاء مخلوق، فما ظنك بمن تكاشف بشهود الحق سُبحانه؟!

فلو تغافل عن إحساسه بنفسه وأبناء جنسه، فأي أعجوبة فيه؟!

فمن فني عن جهلة بقي بعلمه.. ومن فني عن شهوته بقي بإنابته.. ومن فني عن رغبته بقي بزهادته.. ومن فني عن منيته بقي بإرادته تعالى.

وكذلك القول في جميع صفاته:

فإذا فني العبد عن صفته بما جرى ذكره، يرتقي عن ذلك بفنائه عن رؤية فنائه وإلى هذا أشار قائلهم:

فقوم تاه في أرض بفقر ... وقوم تاه في ميدان حبّه
فأفنَوا ثم أفنوا ثم أفنوا ... وأبقوا بالبقاء من قرب ربّه

فالأول أفناه عن نفسه وصفاته ببقائه بصفات الحق.

ثم فناؤه عن صفات الحقّ بشهودة الحقّ.

ثم فناؤه عن شهود فنائه باستهلاكه في وجود الحق.

ومن ذلك:

الغَيْبة والحُضُور(١)

فالغيبة: غيبة القلب عن علم ما يجري من أحوال الخلق، لاشتغال الحس بما ورد عليه، ثم قد يغيب عن إحساسه بنفسه وغيره، بوارد من تذكر ثواب، أو تفكر عقاب.

كما روى أنَّ: الربيع بن خيثم كان يهذب إلى ابن مَسْعُود، رضي الله عنه، فمر بحانوت حدَّاد، فرأى الحديدة المحماة في الكير(٢)، فغشي عليه.. ولم يفق إلى الغد.

---

(١) غاب: ضد حضر. وحضر: ضد غاب.

(٢) الكير: جهاز من جلد أو نحوه يستخدمه الحداد وغيره للنفخ في النار لإشعالها (ج) أكيار، وكيرة.

فلما أفاق، سُئل عن ذلك، فقال:

تذكرت كون أهل النار في النار:

فهذه غيبة زادت على حدّها، حتى صارت غشية.

وروى عن عليّ بن الحسين: أنه كان في سجوده، فوقع حريق في داره، فلم ينصرف عن صلاته، فسُئل عن حاله، فقال:

ألهتني النار الكبرى عن هذه النار.

وربما تكون الغيبة عن إحساسه بمعنى يكاشف به من الحق سُبحانه وتعالى:

ثم إنهم مختلفون في ذلك على حسب أحوالهم. ومن المشهور:

أنَّ ابتداء حال أبي حَفْص النيسابوري الحدَّاد في ترك الحرفة أنه كان على حانوته، فقرأ قاريء آية من القرآن، فورد على قلب أبي حَفْص وارد تغافل عن إحساسه، فأدخل يده في النار، وأخرج الحديدة المحماة بيده، فرأى تلميذ له ذلك، فقال: يا أستاذ، ما هذا؟

فنظر أبو حَفْص إلى ما ظهر عليه، فترك الحرفة؛ وقام من حانوته.

وكان الجُنَيد قاعداً؛ وعنده امرأته؛ فدخل عليه الشبليّ؛ فأرادت امرأته أن تستتر؛ فقال لها الجُنَيد: لا خبر للشبليِّ عنك؛ فاقعدي.

فلم يزل يكلمه الجنيد؛ حتى بكى الشبليّ؛ فلما أخذ الشبليّ في البكاء قال الجُنَيد لامرأته: استتري، فقد أفاق الشبليّ من غيبته.

سمعت أبا نصر المؤذن بنيسابور؛ وكان رجلاً صالحاً، قال:

كنت أقرأ القرآن في مجلس الأستاذ أبي عليٍّ الدقَّاق بنيسابور؛ وقت كونه هناك وكان يتكلم في الحج كثيراً، فأثرَّ في قلبي كلامه، فخرجت إلى الحج تلك السنة؛ وتركت الحانوت والحرفة؛ وكان الأستاذ أبو عليّ رحمه الله؛ خرج إلى الحج أيضاً في تلك السنة. وكنت مدَّة كونه بنيسابور أخدمه، وأواظب على القراءة في مجلسه، فرأيته يوماً في البادية: تطهر.. ونسي قمقمة[1] كانت بيده.. فحملتها. فلما عاد إلى رحله[2] وضعتها عنده فقال: جزاك الله خيراً. حيث حملت هذا.

ثم نظر إلي طويلاً كأنه لم يرَني قط: وقال:

رأيتك مرة. فمن أنت؟

فقلت: المستغاث بالله!! صحبتك مدة.. وخرجت عن مسكني ومالي بسببك، وتقطعت في المفازة بك والساعة تقول رأيتك مرة!!

---

(١) القمقم: إناء من نحاس أو فضة أو خزف صيني يُجعل فيه ماء الزهر أو الورد (مع).

(٢) الرَّحل: ما يوضع على ظهر البعير أو الناقة لركوب الرجال، و: ما يستصحبه الراكب من متاع.

وأما الحضور:

فقد يكون حاضراً بالحقّ؛ لأنه إذا غاب عن الخلق حضر بالحق، على معنى أنه يكون كأنه حاضر، وذلك لاستيلاء ذكر الحق على قلبه، فهو حاضر بقلبه بين يدي ربه تعالى؛ فعلى حسب غيبته عن الحق يكون حضوره بالحق؛ فإنْ غاب بالكلية كان الحضور على حسب الغيبة.

فإذا قيل: فلان. حاضر، فمعناه أنه حاضر بقلبه لربه، غير غافل عنه، ولا ساه، مستديم لذكره. ثم يكون مكاشفاً في حضوره على حسب رتبته بمعان يخصه الحقّ سُبحانه وتعالى بها.

وقد يُقال لرجوع العبد إلى إحساسه بأحوال نفسه، وأحوال الخلق: إنه حضر أي رجع عن غيبته، فهذا يكون حضوراً بخلق، والأول حضوراً بحق.

وقد تختلف أحوالهم في الغيبة. فمنهم من لا تمتد غيبته، ومنه من تدوم غيبته.

وقد حكى أنَّ ذا النون المصريّ بعث إنساناً من أصحابه إلى أبي يزيد، لينقل إليه صفة أبي يزيد. . فلما جاء الرجل إلى بسطام. سأل عن دار أبي يزيد فدخل عليه فقال له أبو يزيد: ما تريد؟

فقال: أريد أبا يزيد.

فقال: من أبو يزيد؟ وأين أبو يزيد؟ أنا في طلب أبي يزيد.

فخرج الرجل، وقال: هذا مجنون.

ورجع الرجل إلى ذي النون. فأخبره بما شهده. فبكى ذو النون وقال: أخي أبو يزيد ذهب في الذاهبين إلى الله.

ومن ذلك:

الصَّحو والسّكر(١)

فالصّحو: رجوع إلى الإحساس بعد الغيبة.

والسّكر: غيبة بوارد قوى.

والسّكر زيادة على الغيبة من وجه، وذلك أنَّ صاحب السّكر قد يكون مبسوطاً إذا لم يكن مستوفي في حال سكره، وقد يسقط إخطار الأشياء عن قلبه في حال سكره، وتلك حال المتساكر، الذي لم يستوفه الوارد، فيكون للإحساس فيه مساغ، وقد يقوى سكره حتى يزيد على الغيبة، فربما يكون صاحب السكر أشد غيبة من صاحب الغيبة إذا قوي سكره، وربما

(١) الصحو: لغوياً ذهاب الغيم أو السُّكر. والسُّكر: لغوياً حالة تعترض بين المرء وعقله بفعل الخمرة.

يكون صاحب الغيبة أتمَّ في الغيبة من صاحب السّكر، إذا كان متساكراً غير مستوف.

والغيبة قد تكون للعباد، بما يغلب على قلوبهم من موجب الرغبة والرهبة ومقتضيات الخوف والرجاء.

والسّكر لا يكون إلا لأصحاب المواجيد.

فإذا كوشف العبد بنعت الجمال حصل السكر، وطاب الروح، وهام القلب، وفي معناه أنشدوا:

فصحوك من لفظي هو الوصل كله ... وسكرك من لحظي يبيح لك الشربا
فما ملَّ ساقيها وما مل شارب ... عقار لحاظ كأسه يسكر اللبا

وأنشدوا:

فأسكر القوم دور كأس ... وكان سكري من المدير

وأنشدوا:

لي سكرتان، وللندمان واحدة ... شيء خصصت به من بينهم وحدي

وأنشدوا:

سكران: سكر هوى وسكر مدامة[1] ... فمتى يفيق فتى به سكران

وأعلم أنَّ الصّحو على حسب السّكر، فمن كان سكره بحق، كان صحوه بحق.

ومن كان سكره بحظ مشوباً؛ كان صحوه بحظ مصحوباً.

ومن كان محقاً في حاله كان محفوظاً في سكره.

والسّكر والصّحو يشيران إلى طرف من التفرقة.

وإذا ظهر من سلطان الحقيقة علم فصفة العبد الثبور[2]، والقهر.

وفي معناه أنشدوا:

إذا طلع الصباح لنجم راح ... تساوى فيه سكران وصاح

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف: ١٤٣].

هذا مع رسالته وجلالة قدره خرّ صعقاً، وهذا مع صلابته، وقوته، صار دكاً[3] متكسراً.

والعبد في حال سكره بشاهد الحال.

وفي صحوه بشاهد العلم.

---

(١) المدامة: الخمر.

(٢) الثبور: الهلاك والويل والخسران.

(٣) دك الحائط دكاً: هدمه وسواه بالأرض.

إلا أنه في حال سكره محفوظ لا بتكلفه:
وفي حال صحوه متحفظ بتصرفه.
والصَّحو والسّكر بعد الذوق والشرب.

ومن ذلك:

الذَّوق والشّرب[١]

ومن جملة ما يجري في كلامهم: الذَّوق، والشّرب.
ويعبّرون بذلك عما يجدونه من ثمرات التجلي، ونتائج الكَشوفات، وبواده الواردات.

وأول ذلك: الذوق، ثم الشرب، ثم الريُّ.
فصفاء معاملاتهم يوجب لهم ذوق المعاني.
ووفاء منازلاتهم يوجب لهم الشرب.

ودوام مواصلاتهم يقتضي لهم الريَّ.
فصاحب الذَّوق متساكر، وصاحب الشرب سكران، وصاحب الريِّ صاح.

ومن قوي حبه تسرمد[٢] شربه، فإذا دامت به تلك الصفة لم يورثه الشرب سكراً، فكان صاحياً بالحق، فانياً عن كل حظ: لم يتأثر بما يرد عليه، ولا يتغير عما هو به.

ومن صفا سره، لم يتكدر عليه الشرب. ومن صار الشراب له غذاء لم يصبر عنه، ولم يبق بدونه.

وأنشدوا:

وإنمـــا الكـــأس رضـــاع بيننـــا ... فـــإذا لـــم نـــذقهـــا لـــم نعـــش

وأنشدوا:

عجبـــت لمـــن يقـــول ذكـــرت ربـــي ... فهـــل أنســـى فـــأذكـــر مـــا نسيـــت؟
شـــربـــت الحـــبَّ كـــأســـاً بعـــد كـــأس ... فمـــا نفِـــد الشـــراب ولا رويـــتُ

ويُقال: كتب يَحيى بن مُعاذ إلى أبي يزيد البسطاميّ:
«ها هنا من شرب من كأس المحبة لم يظمأ بعده».
فكتب إليه أبو يزيد:
عجبت من ضعف حالك!! ها هنا من يحتسي بحار الكون وهو فاغرفاه يستزيد.

---

(١) الذوق: لغوياً: الحاسة التي تميز بها الطعوم وتكون بوساطة الجهاز الحسي في الفم، ومركزه اللسان.
و(في الأدب والفن): ملكة يُدرك بها جمال الفن أو الأدب.
والشرب: تناول ما لا يمضغ.

(٢) السرمد: الدائم الذي لا ينقطع.

وأعلم أنَّ كاسات القرب تبدو من الغيب، ولا تدار إلا على أسرار معتقة وأرواح عن رفق الأشياء محررة.

ومن ذلك:

المحو والإثبات[1]

المحو: رفع أوصاف العادة:

والإثبات: إقامة أحكام العبادة.

فمن نفى عن أحواله الخصال الذميمة، وأتى بدلها بالأفعال والأحوال الحميدة، فهو صاحب محو وإثبات.

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقَّاق، رحمه الله، يقول: قال بعض المشايخ لواحد:

إيش نمحو؟ وإيش نثبت؟

فسكت الرجل!!

فقال: أما علمت أنَّ الوقت محو وإثبات، إذ من لا محو له، ولا إثبات، فهو مُعطّل، مُهمل.

وينقسم إلى محو الزلة عن الظواهر، ومحو الغفلة عن الضمائر، ومحو العلة عن السرائر، ففي محو الزلة: إثبات المعاملات؛ وفي محو الغفلة: إثبات المنازلات.

وفي محو العلة إثبات المواصلات.

هذا محو وإثبات بشرط العبودية.

وأما حقيقة المحو والإثبات، فصادران عن القدرة. فالمحو: ما ستره الحق ونفاه والإثبات ما أظهره الحق وأبداه.

والمحو والإثبات مقصوران على المشيئة. قال الله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾ [الرعد: ٣٩].

قيل: يمحو عن قلوب العارفين ذكر غير الله تعالى، ويثبت على ألسنة المريدين ذكر الله، ومحو الحق لكل أحد وإثباته على ما يليق بحاله.

ومن محاه الحقّ سُبحانه عن مشاهدة، أثبته بحق حقه.

ومن محاه الحق عن إثباته به ردَّه شهود الأغيار؛ وأثبته في أودية التفرقة.

وقال رجل للشبليّ رحمه الله:

مالي أراك قلقاً، أليس هو معك، وأنت معه؟

فقال الشبليّ:

لو كنت أنا معه كنت أنا، ولكني محو فيما هو.

والمحق فوق المحو؛ لأن المحو يبقي أثراً، والمحقُ لا يبقي أثراً.

وغاية همة القوم أنْ يمحقهم الحق عن شاهدهم، ثم لا يردَّهم إليهم بعدما محقهم عنهم.

ومن ذلك:

السّتر والتجلّي[1]

العوام في غطاء الستر، والخواص في دوام التجلي.

وفي الخبر: «إن الله إذا تجلى لشيء خشع له».

فصاحب الستر، يوصف شهوده، وصاحب التجلي أبداً، بنعت خشوعه.

والستر للعوام عقوبة، وللخواص رحمة، إذ لولا أنه يستر عليهم ما يكاشفهم به، لتلاشوا عند سلطان الحقيقة: ولكنه كما يظهر لهم، يستر عليهم.

سمعت مَنْصُور المغربيّ يقول:

وافى بعض الفقراء حياً من أحياء العرب، فأضافه شاب، فبينا الشاب في خدمة هذا الفقير إذ غشي عليه، فسأل الفقير عن حاله، فقالوا:

له بنت عم، وقد علقها، فمشت في خيمتها، فرأى الشاب غبار ذيلها، فغشي عليه.

فمضى الفقير إلى باب الخيمة، وقال:

إنَّ للغريب فيكم حرمة وذماماً، وقد جئتُ مستشفعاً إليك في أمر هذا الشاب، فتعطفي عليه فيما هو به من هواك.

فقالت: سُبحان الله، أنت سليم القلب، إنه لا يطيق شهود غبارَ ذيلي، فكيف يطيق صحبتي؟

وعوامٌ هذه الطائفة عيشهم في التجليّ، وبلاؤهم في الستر.

وأما الخواص، فهم بين طيش وعيش، لأنهم إذا تجلى لهم طاشوا، وإذا ستر عليهم ردوا إلى الحظ فعاشوا.

وقيل: إنما قاالحق تعالى لموسى عليه السلام: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾ [طه: ١٧]، ليستر عليه ببعض ما يعلله، به بعض ما أثر فيه من المكاشفة بفجأة السماع.

وقال ﷺ: «إنه ليغان على قلبي حتى أستغفر الله في اليوم سبعين مرة».

والاستغفار: طلب الستر، لأنَّ الغفر: هو الستر، ومنه غفر الثوب والمغفر، وغيره:

فكأنه أخبر أنه يطلب الستر على قلبه عند سطوات الحقيقة، إذ الخلق لا بقاء لهم مع وجود الحق. وفي الخبر: «**لو كشف عن وجهه لأحرقت سبحات وجهه ما أدرك بصره**».

ومن ذلك:

المحاضرة، والمُكَاشَفة، والمشاهدة

المحاضرة ابتداءاً، ثم المكاشفة، ثم المشاهدة.

فالمحاضرة: حضور القلب. وقد يكون بتواتر البرهان، وهو بعدُ وراء الستر، وإنْ كان حاضراً باستيلاء سلطان الذكر.

ثم بعده **المكاشفة**: وهو حضوره بنعت البيان غير مفتقر في هذه الحالة إلى تأمُّل الدليل، وتطلب السبيل، ولا مستجير من دواعي الريب. ولا محجوب من نعت الغيب.

ثم **المشاهدة**: وهي حضور الحق من غير بقاء تهمة.

فإذا أصحت سماء السِّر عن غيوم الستر، فشمس الشهود مشرقة عن برج الشرف. وحق المشاهدة ما قاله الجنَيد، رحمه الله.

وجود الحق مع فقدانك:

فصاحب المحاضرة مربوط بآياته، وصاحب المكاشفة مبسوط بصفاته: وصاحب المشاهدة ملقى بذاته، وصاحبُ المحاضرة يهديه عقله، وصاحب المكاشفة يدنيه علمه، وصاحب المشاهدة تمحوه معرفته.

ولم يزد في بيان تحقيق المشاهدة أحد على ما قاله عَمرو بن عُثْمان المكي[1] رحمه الله.

ومعنى ما قاله: أنه تتوالى أنوار التجليِّ على قلبه من غير أنْ يتخللها ستر وانقطاع كما لو قُدر اتصال البروق، فكما أنَّ الليلة الظلماء بتوالي البروق فيها، واتصالها، إذا قدرت تصير في ضوء النهار، فكذلك القلب إذا دام به دوام التجلي متع نهاره فلا ليل.

وأنشدوا:

ليلي بوجهك مشرق وظلامه في الناس ساري

---

(١) عمرو بن عثمان أبو عبد الله المكي الزاهد شيخ الصوفية وصاحب التصانيف في الطريق، صحب أبا سعيد الخراز والجنيد، وروى عن يونس بن عبد الأعلى وجماعة. وقال: المروءة التغافل عن زلل الإخوان، وقال: لا يقع عن كيفية الوجد عبارة لأنه سر الله عند المؤمين الموقنين. مات سنة سبع وتسعين ومائتين. شذرات الذهب ٢/ ٢٢٥.

والنـــاس فـــي ســـدف[1] الظـــلام   ونحـــن فـــي ضـــوء النهـــارِ

وقال النوريّ: لا يصح للعبد المشاهدة وقد بقي له عِرق قائم.

وقال: إذا طلع الصباح استغنى عن المصباح:

وتوهمَّ قوم أنَّ المشاهدة تشير إلى طرف من التفرقة، لأنَّ باب المفاعلة في العربية بين اثنين. وهذا وهم من صاحبه. فإنَّ في ظهور الحق سُبحانه، ثبور الخلق وباب المفاعلة جملتها لا تقضي مشاركة الإثنين نحو: سافر، وطارق النعل، وأمثاله.

وأنشدوا:

فلمـــا استبـــان الصّبـــح أدرك ضـــوؤه   بـــأنـــواره أنـــوار ضـــوء الكـــواكـــب
بجـرعهـم كـأسـاً لـو ابتلـى بـه اللَّظـى[2]   بتجـريعـة طـارت كـأسـرع ذاهـب

كأس، أيّ كأس!! تصطلمهم عنهم، وتفنيهم، وتختطفهم منهم، ولا تبقيهم.

كأس.. لا تبقي ولا تذر، تمحوهم بالكلية، ولا تبقي شظية[3] من آثار البشرية.

كما قال قائلهم:

ســـاروا فلـــم يبـــق لا رســـم ولا أثـــر

ومن ذلك:

اللّوائح، والطوالع، واللّوامع

قال الأستاذ رضي الله عنه:

هذه الألفاظ متقاربة المعنى، لا يكاد يحصل بينها كبير فرق. وهي من صفات أصحاب البدايات الصاعدين في الترقي بالقلب، فلم يدم لهم بعد ضياء شموس المعارف.

لكن الحق سُبحانه وتعالى، يؤتي رزق قلوبهم في كل حين، كما قال: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ٦٢]، فكلمَّا أظلم عليهم سماءُ القلوب بسحاب الحظوظ سنح[4] لهم فيها لوائح الكشف وتلألأ لوامع القرب وهم في زمان سترهم يرقبون فجأة اللوائح.

فهم كما قال القائل:

يـــا أيهـــا البـــرق الـــذي يلمـــع   مـــن أيّ أكنـــاف[5] السمـــا تسطـــع

(١) السُّدفة: الظلمة (ج) سدف.

(٢) اللظى: (مؤ) لهب النار الشديد الخالص الذي لا دُخان فيه.

(٣) الشظية: كل فلقة تتناثر من جسم صُلب، وأكثر ما يُستعمل اليوم في فلق المتفجرات (ج) شظايا.

(٤) سنح: عرض وظهر.

(٥) الكنف: الناحية.

فتكون أولاً: لوائح، ثم لوامع، ثم طوالع:

فاللوائح كالبروق، ما ظهرت حتى استترت، كما قال القائل:

افتــرقنــا حــولاً فلمــا التقينــا كـــان تسليمـــه علـــيّ وداعـــاً

وأنشدوا:

يـــا ذا الـــذي زار ومـــا زارا كـــأنـــه مقتبـــس نـــارا
مـــر ببـــاب الـــدار مستعجـــلاً مـــا ضـــره لـــو دخـــل الـــدارا؟

واللوامع: أظهر من اللوائح: ليس زوالها بتلك السرعة، فقد تبقى اللوامع وقتين، وثلاثة.

ولكن كما قالوا:

والعيـــن بـــاكيـــة لـــم تَشْبـــع النظـــرا

وكما قالوا:

لـــم تَـــرد مـــاء وجهـــه العيـــنُ إلا شـــرقـــت[1] قبـــل ريهـــا بـــرقيـــب

فإذا لمعَ قطعك عنك، وجمعك به، لكن لم يسفر نور نهاره حتى كرّ عليه عساكر الليل، فهؤلاء بين روح ونوح؛ لأنهم بين كشف وستر.

كما قالوا:

فـــالليـــل يشملنـــا بفـــاضـــل بـــرده والصبـــح يلحفنـــا رداء مـــذهبـــا

والطوالع: أبقى وقتاً، وأقوى سلطاناً، وأدوم مكثاً، وأذهب للظلمة وأنفى للتهمة. لكنها موقوفة على خطر الأفول، ليست برفيعة الأوج، ولا بدائمة المكث، ثم أوقات حصولها وشيكة الإرتحال، وأحوال أفولها طويلة الأذيال.

وهذه المعاني، التي هي: اللوائح واللوامع والطوالع، تختلف في القضايا، فمنها ما إذا مات لم يبق عنها أثر، كالشوارق إذا أفلت، فكأنَّ الليل كان دائماً.

ومنها ما يبقى عنه أثر، فإنْ زال رقمه بقي ألمه، وإنْ غربت بقيت آثاره فصاحبه بعد سكون علبانه يعيش في ضياء بركاته، فإلى أنْ يلوح ثانياً يرجي وقته على انتظار عوده، ويعيش بما وجد في كونه.

---

(١) الشَّرَق: الشجا والغُصة، والشرق بالماء والريق ونحوهما كالغصص بالطعام.

ومن ذلك:

البواده والهجوم[1]

البواده:

ما يفجأ قلبك من الغيب على سبيل الوهلة[2]، إما موجب فرح، وإما موجب ترح.

والهجوم:

ما يرد على القلب بقوةً الوقت، من غير تصنع منك.

ويختلف في الأنواع على حسب قوَّة الوارد وضعفه.

فمنهم من تغيره البواده، وتصرفه الهواجم.

ومنهم من يكون فوق ما يفجؤه حالاً وقوةً. أولئك سادات الوقت كما قيل:

لا تهتدي نوب الزمان إليهم ... ولهم على الخطب الجليل لجام

ومن ذلك:

التلوين والتمكين

التلوين: صفة أرباب الأحوال.

المتكين: صفة أهل الحقائق.

فما دام العبد في الطريق فهو صاحب تلوين، لأنه يرتقي من حال إلى حال، وينتقل من وصف إلى وصف ويخرج من مرحل ويحصل في مربع، فإذا وصل تمكن.

وأنشدوا:

ما زلت أنزل في ودادك منزلاً ... تتحير الألباب دون نزوله

وصاحب التلوين أبداً في الزيادة وصاحب، التمكين وَصل ثم اتَّصل. وأمارة أنه اتَّصل: أنه بالكلية عن كليته بطل.

وقال بعض المشايخ:

انتهى سفر الطالبين إلى الظفر بنفوسهم، فإذا ظفروا بنفوسهم فقد وصلوا.

قال الأستاذ رحمه الله:

يريد انخناس[3] أحكام البشرية، واستيلاء سلطان الحقيقة، فإذا دام للعبد هذه الحالة فهو صاحب تمكين.

---

(١) البداهة لغوياً: ما يفجأ من الأمر، والهجوم: هجم لى القوم دخل عليهم بغتة أو بغير إذن.

(٢) الوهلة: الفزعة.

(٣) الإنخناس: عدم التقدم.

كان الشيخ أبو عليٍّ الدقَّاق، رحمه الله، يقول:

كان موسى عليه السَّلام صاحب تلوين، فرجع من سماع الكلام واحتاج إلى ستر وجهه، لأنه أثر فيه الحال. ونبينا ﷺ، كان صاحب تمكين، فرجع كما ذهب، لأنه لم يؤثر فيه ما شاهده تلك الليلة.

وكان يستشهد على هذا بقصَّة يُوسف عليه السلام: أنَّ النسوة اللاتي رأين يُوسف عليه السلام قطَّعن أيديهن لما ورد عليهن من شهود يُوسف عليه السَّلام على وجه الفجأة، وامرأة العزيز كانت أتمَّ في بلاء يُوسف منهن، ثم لم تتغير عليها شعرة ذلك اليوم، لأنها كانت صاحبة تمكين في حديث يُوسف عليه السَّلام.

قال الأستاذ:

واعلم أنَّ التغير بما يرد على العبد يكون لأحد أمرين:

إمَّا لقوة الوارد، أو لضعف صاحبه.

والسكون من صاحبه لأحد أمرين:

إمَّا لقوته، أو لضعف الوارد عليه.

سمعت الأستاذ أبا عليٍّ الدَّقاق، رحمه الله، يقول:

أصول القوم في جوار دوام التمكين فتخرج على وجهين:

أحدهما: ما لا سبيل إليه، لأنه قال ﷺ: «**لو بقيتم على ما كنتم عليه عندي لصافحتكم الملائكة**»(١) ولأنه ﷺ قال: «**لي وقت لا يسعني فيه غير ربي عزَّ وجل**» أخبر عن وقت مخصوص.

والوجه الثاني: أنه يصح دوام الأحوال، لأنَّ أهل الحقائق ارتقوا عن وصف التأثر بالطوارق، والذي في الخبر أنه قال: «**لصافحتكم الملائكة**» فلم يعلق الأمر فيه على أمر مستحيل، ومصافحة الملائكة دون ما أثبت لأهل البداية من قوله ﷺ: «**إنَّ الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع**»(٢).

وما قال: «لي وقت..» فإنما قال على حسب فهم السامع. وفي جميع أحواله كان قائماً بالحقيقة.

والأولى أن يقال: إنَّ العبد ما دام في الترقيِّ فصاحب تلوين يصحُّ في نعته الزيادة في

---

(١) أخرجه ابن ماجة (زهد ٢٨)، ومسلم (توبة ١٢، ١٣)، والترمذي (قيامة ٥٩)، وأحمد بن حنبل، ٢، ٣٠٥، ٣، ١٧٥، ٤، ١٧٨، ٣٤٦.

(٢) أخرجه أبو داود (علم ١)، والترمذي (علم ١٩)، والنسائي (طهارة ١١٢)، وابن ماجة (مقدمة ١٧)، وأحمد بن حنبل ٤، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٥، ١٩٦.

الأحوال، والنقصانُ منها. فإذا وصل إلى الحق بانخناس أحكام البشرية مكنَّه الحق سُبحانه، بأنْ لا يرده إلى معلولات النفس، فهو متمكن في حاله، على حسب محله واستحقاقه.

ثم يُتحفُه ـ الحقُ سُبحانه، في كل نفس، فلا حدَّ لمقدوراته، فهو في الزيادات متلون، بل ملوَّن. وفي أصل حاله متمكن؛ فأبداً يتمكن في حالة أعلى مما كان فيها قبله، ثم يرتقي عنها إلى ما فوق ذلك إذ لا غاية لمقدورات الحق سُبحانه في كل جنس.

فأما المصطلم عن شاهده، المستوفي إحساسه بالكلية، فللبشرية لا محالةَ حد وإذا بطل عن جملته ونفسه وحسه، وكذلك عن المكونات بأسرها، ثم دامت به هذه الغيبة، فهو محو، فلا تمكين له إذاً، ولا تلوين، ولا مقام، ولا حال.

وما دام بهذا الوصف: فلا تشريف، ولا تكليف: اللهمَّ إلا أنْ يردّ بما يجري عليه من غير شيء منه، فذلك متصرف في ظنون الخلق، مصرَّف في التحقيق.

قال الله تعالى: ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ ﴾ [الكهف: ١٨] وبالله التوفيق.

ومن ذلك:

القُرب والبُعد[١]

أوَّل رتبة في القُرب: القربُ من طاعته، والإنصاف في دوام الأوقات بعبادته.

وأمَّا البُعد، فهو التدنيس بمخالفته، والتجافي عن طاعته.

فأوَّل البُعد بعد عن التوفيق، ثم بعد عن التحقيق، بل البعد عن التوفيق هو البُعد عن التحقيق، قال ﷺ، مخبراً عن الحق سُبحانه: «**ما تقرب إليّ المتقربون بمثل أداء ما افترضته عليهم، ولا يزال العبد يتقرب إليَّ بالنوافل. حتى يحبني وأحبه فإذا أحببته، كنت له سمعاً وبصراً، فبي يبصر، وبي يسمع.. الخبر..**»[٢].

فقُرْب العبد أو لا قرب بإيمانه وتصديقه، ثم قرب بإحسانه وتحقيقه.

وقرب الحق سُبحانه، ما يخصه اليوم به من العرفان، وفي الآخرة ما يكرِّمه به من الشهود والعيان، وفيما بين ذلك من وجوه اللطف والإمتنان.

ولا يكونُ تقرُب العبد من الحق إلا ببعده عن الخلق. وهذه من صفات القلوب دون أحكام الظواهر والسكون.

وقرب الحق سُبحانه بالعلم، والقدرة عام للكافة. وباللطف والنصرة خاص

(١) القرب لغوياً: الدنو، والبعد: لغوياً ضد القرب وهو اتساع المدى.

(٢) أخرجه البخاري (رقاق ٣٨)، وأحمد بن حنبل ٦، ٢٥٦.

بالمؤمنين، ثم بخصائص التأنيس مختص بالأولياء. قال الله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]، وقال تعالى تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ﴾ [الواقعة: ٨٥]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤] وقال: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧].

ومن تحقق بقرب الحق، سُبحانه وتعالى، فأدونه دوام مراقبته إيَّاه، لأنَّ عليه رقيبَ التقوى، ثم رقيب الحفظ والوفاء ثم رقيب الحياء.

وأنشدوا:

كأنَّ رقيباً منك يرعى خواطري ... وآخرَ يرعى ناظري ولساني
فما رمقت عيناي بعدك منظراً ... يسوؤك إلا قلت قد رفعاني
ولا بدرت من في دونك لفظة ... لغيرك إلا قلت قد سمعاني
ولا خطرت في السر بعدك خطرة ... لغيرك إلا عرَّجا بعناني
وإخوان صدق قد سئمت حديثهم ... وأمسكت عنهم ناظري ولساني
وما الزهد أسلى عنهم غير أنني ... وجدتك مشهوداً بكل مكانِ

وكان بعض المشايخ يخصّ واحداً من تلامذته بإقباله عليه، فقال أصحابه له في ذلك، فدفع إلى كل واحد منهم طيراً، وقال: اذبحوه بحيث لا يراه أحد.

فمضى كل واحد وذبح الطير بمكان خال.. وجاء هذا الإنسان والطير معه غير مذبوح؛ فسأله الشيخ، فقال: أمرتني أنْ أذبحه بحيث لا يراه أحد، ولم يكن موضع إلا والحق سُبحانه يراه. فقال الشيخ، لهذا أقدِّم هذا عليكم؛ إذ الغالب عليكم حديثُ الخلق، وهذا غير غافل عن الحق.

ورؤية القرب حجاب عن القرب، فمن شاهد لنفسه محلاً، أو نَفساً، فهو ممكور[1] به.

ولهذا قالوا: أوحشك الله من قربه: أي من شهودك لقربه، فإنَّ الاستئناس بقربه من سمات العزة به، إذا الحقّ سُبحانه وراء كل أنس.

وإنَّ مواضع الحقيقة توجب الدهش والمحو.

وفي قريب من هذا قالوا:

محنتي فيك أنني ... ما أبالي بمحنتي
قربكم مثلُ بعدكم ... فمتى وقت راحتي

---

(١) المكر: الاحتيال والخداع وأن تصرف غيرك عن مقصده بحيلة.

وكان الأستاذ أبو عليٍّ الدقَّاق، رحمه الله، كثيراً ما ينشد:

ودادكـــم هجـــر، وحبكـــم قلـــى[1]   وقـــربكـــم بعـــد وسلمكـــم حـــرب

ورأى أبو الحُسين النوريّ بعض أصحاب أبي حمزة، فقال:

أنت من أصحاب أبي حمزة الذي يشير إلى القرب؟ إذا لقيته، فقل له: إنَّ أبا الحُسين النوري يقرئك السَّلام، ويقول لك: قرب القرب فيما نحن فيه بعد البعد.

فأما القرب بالذات، فتعالى الله الملك الحق عنه، فإنه متقدس عن الحدود؛ والأقطار، والنهاية، والمقدار، وما اتصل به مخلوق، ولا انفصل عنه حادث مسبوق به، جلت صمديته عن قبول الوصل والفصل.

فقرب هو في نعته محال: وهو تداني الذوات.

وقرب هو واجب في نعته: وهو قرب بالعلم والرؤية.

وقرب هو جائز في وصفه، يخص به من يشاء من عباده، هو قرب الفضل باللطف.

ومن ذلك:

الشَّريعة والحقيقة[2]

الشريعة: أمر بالتزام العبودية.

والحقيقة: مشاهدة الربوبية.

فكل شريعة غير مؤيدة بالحقيقة فغير مقبول.

وكل حقيقة غير مقيدة بالشريعة فغير مقبول.

فالشريعة جاءت بتكليف الخلق، والحقيقة إنباء عن تصريف الحق.

فالشريعة أنْ تعبده، والحقيقة أنْ تشهده.

والشَّريعة قيام بما أمر، والحقيقة شهود لما قضى وقدر، وأخفى وأظهر.

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقَّاق، رحمه الله، يقول:

قوله: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ [الفاتحة: ٥] حفظ للشريعة ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: ٥] إقرار بالحقيقة.

واعلم أنَّ الشريعة حقيقة من حيث إنها وجبت بأمره.

---

(١) القِلَىٰ: البُغض.

(٢) الشريعة: لغوياً ما شرع الله لعباده من العقائد والأحكام الملزمة.

والحقيقة: الشيء الثابت يقيناً، وحقيقة الشيء: خالصه وكنهه و (في اللغة) استعمال اللفظة في معناها الأصلي لا المجازي.

والحقيقة ـ أيضاً ـ شريعة، من حيث إن المعارف به، سُبحانه، أيضاً، وجبت بأمره.

ومن ذلك:

النفَس[1]

النَفَس: ترويح القلوب بلطائف الغيوب. وصاحب الأنفاس أرق وأصفى من صاحب الأحوال. فكان الوقت مبتدئاً، وصاحب الأنفاس منتهياً، وصاحب الأحوال بينهما.

فالأحوال وسائط، والأنفاس نهاية الترقيِّ.

فالأوقات لأصحاب القلوب، والأحوال لأرباب الأرواح، والأنفاس لأهل السَّرائر:

وقالوا: أفضل العبادات عدّ الأنفاس مع الله سُبحانه وتعالى.

وقالوا: خلق الله القلوب وجعلها معادن المعرفة، وخلق الأسرار وراءها وجعلها محلاً للتوحيد. فكل نَفس حصل من غير دلالة المعرفة وإشارة التوحيد على بساط الإضطرار فهو ميت، وصاحبه مسؤول عنه.

سمعت الأستاذ أبا عليٍّ الدقَّاق، رحمه الله، يقول:

العارف لا يسلم له النفس، لأنه لا مسامحة تجري معه، والمحبّ لا بد له من نفس، إذ لولا أنْ يكون له نفس لتلاشى، لعدم طاقته.

ومن ذلك:

الخواطر[2]

والخواطر خطاب يرد على الضمائر، وهو قد يكون بإلقاء ملك، وقد يكون بإلقاء شيطان، ويكون أحاديث النفس، ويكون من قِبَل الحق سُبحانه.

فإذا كان من الملك فهو الإلهام.

وإذا كان من قَبَل النفس، قيل له: الهواجس[3].

وإذا كان من قِبَل الشيطان فهو: الوسواس[4].

وإذا كان من قِبَل الله سُبحانه، وإلقائه في القلب، فهو: خاطر حق.

وجملة ذلك من قبيل الكلام.

---

(١) النفس: لغوياً الريح تدخل وتخرج من أنف الحي ذي الرئة وفمه حال التنفس.

(٢) الخواطر: ما يخطر بالذهن من رأي أو أمر أو معنى.

(٣) الهاجس: الخاطر.

(٤) الوسواس: الشيطان. و: ما يخطر بالقلب من شر أو لما لا خير فيه. ومرض يحدث من غلبة السوداء ويختلط معه.

فإذا كان من قبَل الملك، فإنما يعلم صدقهُ بموافقة العلم، ولهذا قالوا: كل خاطر لا يشهد له ظاهر فهو باطل.

وإذا كان من قِبَل الشيطان فأكثره يدعو إلى المعاصي.

وإذا كان من قِبَل النفس فأكثره، يدعو إلى اتباع شهوة أو استشعار كبر، أو ما هو من خصائص أوصاف النفس.

واتفق المشايخ على أنَّ من كان أكله من الحرام لم يفرق بين الإلهام والوسواس.

وسمعت الشيخ أبا عليّ الدقّاق، رحمه الله، يقول:

من كان قوته معلوماً لم يفرق بين الإلهام والوسواس، وأنَّ من سكنت عنه هواجس نفسه بصدق مجاهدته نطق بيان قلبه بحكم مكابدته.

وأجمع الشيوخ على أنَّ النفس لا تصدق، وأنَّ القلب لا يكذب.

وقال بعض المشايخ: إنَّ نفسك لا تصدق وقلبك لا يكذب، ولو اجتهدت كل الجهد أنْ تخاطبك روحك لم تخاطبك.

وفرق الجُنَيْد بين هواجس النفس ووساوس الشيطان بأنَّ النفس إذا طالبتك بشيء ألحت.. فلا تزال تعاودك، ولو بعد حين، حتى تصل إلى مرادها، ويحصل مقصودها، اللهم إلا أنْ يدوم صدق المجاهدة، ثم إنها تعاودك وتعاودك.

وأما الشَّيطان إذا دعاك إلى زلة، فخالفته بترك ذلك، يوسوس بزلة أخرى، لأنَّ جميع المخالفات له سواء، وإنما يريد أنْ يكون داعياً أبداً إلى زلة ما، ولا غرض له في تخصيص واحد دون واحد.

وقد قيل: كل خاطر يكون من المسلك فربما يوافقه صاحبه، وربما يخالفه.

فأما خاطر يكون من الحق سُبحانه، فلا يحصل خلاف من العبد له.

وتكلم الشيوخ في الخاطر الثاني، إذا كان الخاطران من الحق سُبحانه، هل هو أقوى من الأول؟

فقال الجُنَيد: الخاطر الأول أقوى، لأنه إذا بقي رجع صاحبه إلى التأمل. وهذا بشرط العلم، فترك الأول يضعف الثاني.

وقال ابن عَطاء الله: الثاني أقوى، الأول يضعف الثاني.

وقال ابن عطاء الله: الثاني أقوى، لأنه ازداد قوة بالأول.

وقال أبو عبد الله بن خَفيف، من المتأخرين:

هما سواء، لأنَّ كليهما من الحق، فلا مزية لأحدهما على الآخر.

والأول لا يبقى في حال وجود الثاني، لأنَّ الآثار لا يجوز عليها البقاء.

ومن ذلك:

علم اليقين، وعين اليقين وحقّ اليقين[1]

هذه عبارات عن علوم جلية.

فاليقين[1]: هو العلم الذي لا يتداخل صاحبه ريب على مطلق العرف.

ولا يطلق في وصف الحق سُبحانه؛ لعدم التوقيف.

فعلم اليقين: هو اليقين، وكذلك عين اليقين: نفس اليقين، وحق اليقين: نفس اليقين.

فعلم اليقين، على موجب اصطلاحهم، ما كان بشرط البرهان.

وعين اليقين ما كان بحكم البيان.

وحق اليقين ما كان بنعت العيان.

فعلم اليقين لأرباب العقول وعين اليقين لأصحاب العلوم وحق اليقين لأصحاب المعارف.

والكلام في الإفصاح عن هذا بحال تحقيقه يعود إلى ما ذكرناه.

فاقتصرنا على هذا القدر، على جهة التنبيه.

ومن ذلك:

الوارد

ويجري في كلامهم ذكر الواردات كثيراً.

والوارد:

ما يرد على القلوب من الخواطر المحمودة، مما لا يكون بتعمد العبد، كذلك ما لا يكون من قبيل الخواطر، فهو أيضاً: وارد.

ثم قد يكون وارد من الحق، ووارد من العلم.

فالواردات أهمّ من الخواطر؛ لأنَّ الخواطر تختص بنوع الخطاب، أو يتضمن معناه.

والواردات تكون: وارد سرور، ووارد حزن، ووارد قبض، ووارد بسط، إلى غير ذلك من المعاني.

---

(١) اليقين: العلم الحاصل عن نظر واستدلال، وعلم يقين، وعلم اليقين: ليس فيه شك.

ومن ذلك لفظ:

الشَّاهد[١]

كثيراً ما يجري في كلامهم لفظ: الشاهد:
فلان بشاهد العلم، وفلان بشاهد الوجد، وفلان بشاهد الحال.

ويريدون بلفظ الشاهد: ما يكون حاضر قلب الإنسان، وهو ما كان الغالب عليه ذكره، حتى كأنه يراه ويبصره، وإنْ كان غائباً عنه. فكل ما يستولي على قلب صاحبه ذكره فهو شاهده فإنْ كان الغالب عليه العلم، فهو بشاهد العلم.

وإنْ كان الغالب عليه الوجد، فهو بشاهد الوجد.

ومعنى الشاهد: الحاضر، فكل ما هو حاضر قلبك فهو شاهدك. وسُئل الشبليّ عن المشاهدة، فقال:

من أين لنا مشاهدة الحقّ؟ الحقّ لنا شاهد.

أشار بشاهد الحقّ إلى المستولي على قلبه؛ والغالب عليه من ذكر الحق والحاضر في قلبه دائماً من ذكر الحق.

ومن حصل له من مخلوق تعلق بالقلب، يقال: إنه شاهده، يعني: أنه حاضر قلبه، فإنَّ المحبة توجب دوام ذكر المحبوب، واستيلائه عليه.

وبعضهم تكلف في مُراعاة هذا الإشتقاق فقال:

إنما سمي الشاهد من الشهادة، فكأنه إذا طالع شخصاً بوصف الجمال: فإنْ كانت بشريته ساقطة عنه، ولم يشغله شهود ذلك الشخص عما هو به من الحال، ولا أثرت فيه صحبته بوجه، فهو شاهد له على فناء نفسه.

ومن أثر فيه ذلك، فهو شاهد عليه في بقاء نفسه.
وقيامه بأحكام بشريته إما شاهد له، أو شاهد عليه.

وعلى هذا حمل قوله ﷺ: **«رأيت ربي ليلة المعراج في أحسن صورة، أي أحسن صورة رأيتها تلك الليلة، لم تشغلني عن رؤيته تعالى، بل رأيت المصور في الصورة، والمنشيء في الإنشاء»**[٢]، ويريد بذلك رؤية العلم، لا إدراك البصر.

---

(١) الشاهد: لغوياً الحاضر.

(٢) الحديث رواه الطبراني عن عبيد الله بن رافع عن أبيه وعن ابن عباس في السنة وكذلك عن أم الطفيل وعن معاذ بن عفراء.

ومن ذلك:

النَّفْس[1]

نفس الشيء في اللغة: وجودُه.

وعند القوم: ليس المُراد من إطلاق لفظ النفس الوجودَ، ولا القالب الموضوع. إنما أرادوا بالنفس: ما كان معلولاً من أوصاف العبد ومذموماً من أخلاقه وأفعاله.

ثم إنَّ المعلولات من أوصاف العبد على ضربين:

أحدهما: ما يكون كسباً له؛ كمعاصية ومخالفاته.

والثاني: أخلاقه الدنيئة، فهي في أنفسها مذمومة، فإذا عالجها العبد ونازلها، تنتفي عنه بالمجاهدة تلك الأخلاق على مستمر المادة.

والقسم الأوَّل من أحكام النفس: ما نهى عنه نهي تحريم، أو نهي تنزيه.

وأما القسم الثاني، من قسميّ النفس: فسفساف الأخلاق، والدنيء منها.

هذا حدُّه على الجملة. ثم تفصيلها: فالكبر، والغضب، والحقد، والحسد، وسوء الخلق، وقلَّة الاحتمال، وغير ذلك من الأخلاق المذمومة.

وأشد أحكام النفس وأصعبها: توهمها أنَّ شيئاً منها حسن، أو أنَّ لها استحقاق قدر، ولهذا عُدَّ ذلك من الشرك الخفيّ.

ومعالجة الأخلاق في ترك النفس، وكسرها، أتم من مُقاساة الجوع والعطش والسهر، وغير ذلك من المجاهدات التي تتضمن سقوط القوة، وإنْ كان ذلك أيضاً من جملة ترك النفس، ويحتمل أنْ تكون النفس: لطيفة مودعة في هذا القالب، هي محل الأخلاق المعلومة.

كما أنَّ الروح: لطيفة، مودعة في هذا القالب هي محلّ الأخلاق المحمودة.

وتكون الجملة مسخراً بعضها لبعض، والجميع إنسان واحد.

وكون الروح، والنفس، من الأجسام اللطيفة في الصورة، ككون الملائكة والشياطين بصفة اللطافة. وكما يصح أنْ يكون البصر محلَّ الرؤية، والأذن محلّ السمع، والأنف محلّ الشم، والفهم محلَّ الذوق، والسميع، والبصير والشامُّ، والذائق إنما هي الجملة التي هي الإنسان فكذلك محلّ الأوصاف الحميدة: القلب والروح ومحلّ الأوصاف المذمومة: النَّفْس.

والنَّفْس جزء من هذه الجملة، والقلب جزء من هذه الجملة، والحكم الاسم راجع إلى الجملة.

---

(١) النفس: الروح.

ومن ذلك:

الرُّوح[1]

الأرواح مختلف فيها عند أهل التحقيق من أهل السنة:

فمنهم من يقول: إنها الحياة.

ومنهم من يقول: إنها أعيان مودعة في هذه القوالب.

لطيفة:

أجرى الله العادة بخلق الحياة في القالب، ما دامت الأرواح في الأبدان، فالإنسان حيّ بالحياة، ولكن الأرواح مودعة في القوالب؛ ولها ترق[2] في حال النوم، ومفارقة للبدن، ثم رجوع إليه.

وأنَّ الإنسان: هو الروح، والجسد؛ لأن الله سُبحانه وتعالى؛ سخر هذه الجملة بعضها لبعض. والحشر[3] يكون للجملة. والمثاب والمعاقب الجملة.

والأرواح مخلوقة، ومن قال بقدمها فهو مخطيء خطأ عظيماً.

والأخبار تدل على أنها أعيان لطيفة.

ومن ذلك:

السّرُّ[4]

يحتمل أنها لطيفة مودعة في القالب، كالأرواح.

وأصولهم تقتضي أنها محلّ المشاهدة، كما أنَّ الأرواح محلّ للمحبة، والقلوبَ محل للمعارف.

وقالوا: السّر: ما لك عليه إشراف، وسرّ السرِّ: ما لا إطلاع عليه لغير الحق.

وعند القوم: على موجب مواضعاتهم ومقتضى أصولهم: السر ألطف من الروح، والروح أشرف من القلب.

ويقولون: الأسرارُ معتقة عن رقّ الأغيار من الآثار والأطلال.

ويطلق لفظ «السرِّ» على ما يكون مصوناً مكتوماً بين العبد والحق سُبحانه، في الأحوال. وعليه يحمل قول من قال:

---

(١) الروح: لغوياً ما به حياة الأجسام. والنَّفس.

(٢) ارتقى: ارتفع وصعد.

(٣) الحشر: المجمع والسَّوق، ويوم الحشر: يوم القيامة.

(٤) السِّرُّ: ما يكتمه المرء في نفسه من الأمور.

أسرارنا بكر لم يفتضَّها وهم واهم.

ويقولون:

صدور الأحرار قبورُ الأسرار.

وقالوا:

لو عرف زِرّي سِرّي لطرحته.

فهذا طرف من تفسير إطلاقاتهم، وبيان عباراتهم فيما انفردوا به من ألفاظ ذكرناها على شروط الإيجاز.

* * *

ونذكر الآن أبواباً في شرح المقامات التي هي مدارج[1] أرباب للسلوك.

ثم بعدها أبواباً في تفصيل الأحوال على الجدّ الذي يسهله الله تعالى بفضله إنْ شاء الله تعالى.

(١) المدرج: المذهب، والمسلك، والطريق.

باب التَّوبة

قال الله تعالى: ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور: ٣١].

أخبرنا أبو بكر مُحمَّد بن الحُسين بن فُورك، رحمه الله، قال: أخبرنا أحمد بن محمود بن خرَّاز قال: حدّثنا مُحمَّد بن فَضْل بن جابر، قال: حدّثنا سعيد بن عبد الله قال: حدّثنا أحمد بن زكريا، قال: سمعت أنس بن مالك[1] يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، يقول:

«**التائب من الذنب كمن لا ذنب له، وإذا أحبَّ الله عبداً لم يضرّه ذنب**»[2]، ثم تلا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، قيل: يا رسول الله، ما علامة التَّوبة؟ قال: «**الندامة**».

أخبرنا عليُّ بن أحمد بن عبدان الأهوازي، قال: أخبرنا أبو الحسين أحمد بن عُبيد الصفَّار، قال: أخبرنا مُحمَّد بن الفَضْل بن جابر قال: أخبرنا الحكم بن موسى، قال: حدثنا غسَّان بن عُبيد، عن أبي عاتكة طريف بن سليمان، عن أنس بن مالك. أنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال: «**ما من شيء أحبّ إلى الله من شاب تائب**»[3].

فالتوبة أوَّل منزل من منازل السالكين.

وأوَّلُ مقام من مقامات الطالبين.

وحقيقة التَّوبة في لغة العرب: الرجوع، يقال: تاب أي رجع.

---

(١) أنس بن مالك أبو حمزة من سادات الصحابة خادم رسول الله ﷺ ولد سنة (١٠ ق هـ) وتوفي سنة ثلاث وتسعين وقيل: تسعين أو إحدى وتسعين. روى عن النبي ﷺ. شذرات الذهب ١/ ١٠٠.

(٢) أخرجه ابن ماجة (زهد ٣٠).

(٣) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/ ٨٠٥٠ رواه أبو المظفر السمعاني في أماليه عن سلمان وضعفه.

فالتَّوبة الرجوع عما كان مذموماً في الشرع إلى ما هو محمود فيه.

وقال النبي ﷺ: «**الندم توبة**»[1].

فأرباب الأصول من أهل السنَّة قالوا:

شرط التَّوبة، حتى تصح، ثلاثة أشياء:

النَّدم على ما عمِل من المخالفات.

وترك الزَّلة في الحال.

والعزمُ على أنْ لا يعود إلى مثل ما عمل من المعاصي.

فهذه الأركان لا بد منها، حتى تصحَّ توبته.

قال هؤلاء: وما في الخبر أنَّ «**الندم توبة**» إنما نصَّ على معظمه كما قال ﷺ: «**الحج عرفة**»[2]، أي معظم أركانه عرفة، أي الوقوف بها، لا أنه لا ركن في الحج سوى الوقوف بعرفات، ولكن معظم أركانه الوقوف بها.

كذلك قوله: «**الندم توبة**» أي معظم أركانها النَّدم.

ومن أهل التحقيق من قال: يكفي النَّدم في تحقيق ذلك؛ لأنَّ النَّدم يستتبع الركنين الآخرين فإنه يستحيل تقدير أنْ يكون نادماً على ما هو مصر على مثله؛ أو عازم على الإتيان بمثله.

وهذا معنى التَّوبة على جهة التحديد والإجمال.

فأمَّا على جهة الشرح والإبانة، فإنَّ للتوبة أسباباً وترتيباً وأقساماً.

فأول ذلك انتباه القلب عن رقدة الغفلة، ورؤية العبد ما هو عليه من سوء الحالة.

ويصل إلى هذه الجملة بالتوفيق للإصغاء إلى ما يخطر بباله من زواجر الحق، سُبحانه، يسمع قلبه، فإنه جاء في الخبر «**واعظُ الله في قلب كل امرىء مُسلم**».

وفي الخبر: «**إنَّ في البدن لمضغة إذا صلحَت صلح جميع البدن، وإذا فسدت فسد جميع البدن، ألا وهي: القلب**»[3].

فإذا فكر بقلبه في سوء ما يصنعه، وأبصر ما هو عليه من قبيح الأفعال، سنح[1] في قلبه إرادة التوبة، والإقلاعُ عن قبيح المعاملات فيمدُّه الحق، سُبحانه بتصحيح العزيمة، والأخذ في جميل الرجعة، والتأهب لأسباب التوبة:

---

(١) أخرجه ابن ماجة (زهد ٣٠)، وأحمد بن حنبل ١، ٣٧٦، ٤٢٣، ٤٣٣.

(٢) أخرجه الترمذي (تفسير سورة ٢، ٢٢)، وأبو داود (مناسك ٦٨)، وابن ماجة (مناسك ٥٧)، والدارمي (مناسك ٥٤).

(٣) أخرجه البخاري (إيمان ٣٩)، ومسلم (مساقاة ١٠٧)، وابن ماجة (فتن ١٤)، والدارمي (بيوع ١).

فأوَّل ذلك:

هجران إخوان السوء؛ فإنهم هم الذين يحملونه على ردّ هذا القصد ويشوشون عليه صحة هذا العزم.

ولا يتم ذلك: إلا بالمواظبة[1] على المشاهدة التي تزيد رغبته في التوبة وتوفّر دواعيه على إتمام ما عزم عليه. مما يقوِّي خوفه ورجاءه: فعند ذلك تنحل من قلبه عقدة الإصرار على ما هو عليه من قبيح الأفعال، فيقف عن تعاطي المحظورات، ويكبح لجام نفسه عن متابعة الشهوات فيفارق الزلة في الحال، ويبرم[2] العزيمة على أنْ لا يعود إلى مثلها في الإستقبال.

فإنْ مضى على موجب قصده، ونفذ بمقتضى عزمه فهو الموفق صدقاً.

وإنْ نقض التوبة مرَّة أو مرات، وتحمله إرادته على تجديدها فقد يكون مثل هذا أيضاً كثيراً، فلا ينبغي قطع الرجاء عن توبة أمثال هؤلاء فإنَّ لكل أجل كتاباً.

حكي عن أبي سُليمان الدارانيّ، أنه قال:

اختلفت إلى مجلس قاض، فأثر كلامه في قلبي، فلما قمت، لم يبق في قلبي منه شيء.. فعدت ثانياً؛ فبقي أثر كلامه في قلبي، حتى رجعت إلى منزلي. فكسرب آلات المخالفات ولزمت الطريق.

فحكى هذه الحكاية ليحيى بن مُعاذ فقال:

اصطاد عصفور كركياً عصفوراً اصطاد كركيًا!![3].

أراد بالعصفور. ذلك القاصَّ، وبالكركيّ، أبا سُليمان الدارانيّ.

ويحكى عن أبي حَفْص الحدَّاد أنه قال:

تركت العمل كذا، وكذا مرة، فعدت إليه، ثم تركني العمل، فلم أعد بعد إليه.

وقيل: إنَّ أبا عَمرو بن نُجَيد، في ابتداء أمره، اختلفت إلى مجلس أبي عثمان، فأثرت في قلبه كلامه، فتاب.

ثم إنه وقعت له فترة، فكان يهرب من أبي عُثمان إذا رآه، ويتأخر عن مجلسه فاستقبله أبو عُثمان يوماً فحاد أبو عَمرو عن طريقه، وسلك طريقاً أخرى، فتبعه أبو عُثمان فما زال به يقفو أثره، حتى لحقه، فقال له:

يا بُني، لا تصحب من لا يحبك إلا مَعْصُوماً، إنما ينفعك أبو عُثمان في مثل هذه

---

(١) المواظبة: المثابرة.

(٢) أبرم: أحكم.

(٣) الكركي: طائر كبير من الفصيلة الكركية ورتبة طوال الساق، أغبر اللون، طويل العنق والساقين، أبتر الذنب، قليل اللحم، يأوي إلى الماء أحياناً (ج) كراكي.

الحالة. قال: فتاب أبو عَمرو بن نُجيد، وعاد إلى الإرادة، ونفذ فيها.

سمعت الشيخ أبا عليٍّ الدقَّاق، رحمه الله، يقول:

تاب بعض المريدين، ثم وقعت له فترة[1]. فكان يفكر وقتاً: لو عاد إلى توبته كيف حكمه؟ فهتف به هاتف: يا فلان، أطعتنا فشكرناك، ثم تركتنا فأمهلناك، وإنْ عدت إلينا قبلناك.

فعاد الفتى إلى الإرادة، ونفذ فيها.

فإذا ترك المعاصي، وحلّ عن قلبه عقدة الإصرار، وعزم أنْ لا يعود إلى مثله، فعند ذلك يخلص إلى قلبه صادق الندم. فيتأسف على ما عمله، ويأخذ في التحسر على ما صنعه من أحواله، وارتكبه من قبيح أعماله، فتتم توبته، وتصدق مجاهدته، واستبدل بمخالطته العزلة، وبصحبته مع إخوان السوء التوحش عنهم، والخلوة دونهم ويصل ليله بنهاره في التلهف، ويعتنق في عموم أحواله بصدق التأسف، يمحو بصوب عبرته آثار عثرته، ويأسو بحسن توبته كلوم[2] حوبته[3] ويعرف من بين أمثاله بذبوله، ويستدل صحة حاله بنحوله.

ولن يتم له شيء من ذلك إلا بعد فراغه من إرضاء خصومه، والخروج عما لزمه من مظالمه، فإنَّ أول منزلة من التوبة إرضاء الخصوم بما أمكنه، فإنْ اتسع ذات يده لإيصال حقوقهم إليهم، أو سمعت أنفسهم بإحلاله والبراءة عنه، وإلا فالعزم بقلبه على أنْ يخرج عن حقوقهم عند الإمكان والرجوعُ إلى الله سبحانه بصدق الإبتهال والدُّعاء لهم.

وللتائبين صفات وأحوال:

هي من خصالهم، يعدُّ ذلك من جملة التوبة، لكونها من صفاتهم، لا لأنها من شرط صحتها، وإلى ذلك تشير أقاويل الشيوخ في معنى التوبة: سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقَّاق، رحمه الله تعالى، يقول:

التوبة على ثلاثة أقسام:

أوّلها التوبة، وأوسطها الإنابة، وآخرها الأوبة.
فجعل التوبة بداية، والأوبة نهاية، والإنابة واسطتهما.
فكلُّ من تاب لخوف العقوبة فهو صاحب توبة.
ومن تاب طمعاً في الثواب، فهو صاحب إنابة.
ومن تاب مراعاة للأمر، لا للرغبة في الثواب أو رهبة من العقاب فهو صاحب أوبة.

---

(١) الفترة: فترة الحُمَّى: زمن سكونها بين نوبتين، أو الانكسار والضعف.
(٢) الكَلْمُ: الجرح (ج) كلوم.
(٣) الحَوْب: الإثم والهلاك.

ويُقال أيضاً: التوبة صفة المؤمنين، قال الله تعالى: ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [النور: ٣١].

والإنابة: صفة الأولياء والمقرَّبين، قال الله تعالى: ﴿وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾ [ق: ٣٣].

والأوبة: صفة الأنبياء والمرسلين، قال الله تعالى: ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٣٠].

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السّلمي، يقول: سمعت مَنْصور بن عبد الله يقول: سمعت جعفر بن نُصير يقول: سمعت الجُنيد يقول:

التوبة على ثلاثة معان:

أولها: الندم، والثاني العزم على ترك المعاوده إلى ما نهى الله عنه.

والثالث: السعي في أداء المظالم.

وقال سهل بن عبد الله: التوبة: ترك التسويف[1].

سمعت مُحمَّد بن الحُسين، رحمه الله، يقول: سمعت أبا بكر الرازي، يقول: سمعت أبا عبد الله القرشي يقول: سمعت الجُنيد يقول: سمعت الحارث يقول:

ما قلت قط، اللهم إني أسألك التوبة، ولكني أقول: أسألك شهوة التوبة.

أخبرنا أبو عبد الله الشيرازيّ، رحمه الله قال: سمعت أبا عبد الله بن مصلح، بالأهواز يقول: سمعت ابن زيري يقول: سمعت الجُنيد يقول:

دخلت على السرّي يوماً فرأيته متغيراً، فقلت له: ما لك؟

فقال: دخل عليّ شاب فسألني عن التوبة، فقلت له: أنْ لا تنسى ذنبك!! فعارضني، وقال: بل التوبة أنْ تنسى ذنبك.

فقلت: إنَّ الأمر عندي ما قاله الشاب.

فقال: لِمَ؟ قلت: لأني إذا كنت في حال الجفاء فنقلني إلى حال الوفاء؛ فذكر الجفاء في حال الصفاء جفاء فسكت.

سمعت أبا حاتم السجستانيّ، رحمه الله، يقول: سمعت أبا نَصر السرَّاج الصوفي يقولُ سئل سهل بن عبد الله عن التوبة، فقال أنْ لا تنسى ذنبك.

وسُئل الجُنيد عن التوبة فقال: أنْ لا تنسى ذنبك:

قال أبو نَصر السراج: أشار سَهل إلى أحوال المريدين والمتعرضين، تارة لهم، وتارة عليهم، فأما الجُنيد فإنه أشار إلى توبة المحققين فإنهم لا يذكرون ذنوبهم بما غلب على

(١) التسويف: المطل والتأخير.

قلوبهم من عظمة الله تعالى، ودوام ذكره.

قال: وهو مثل ما سُئلَ رُويم عن التوبة، فقال:

هي التوبة من التوبة.

وسُئل ذو النُّون المصريّ عن التوبة: فقال:

توبة العوام من الذنوب وتوبة الخواص من الغفلة.

وقال أبو الحُسين النوري: التوبة أنْ تتوب من كل شيء سوى الله عزَّ وجلّ.

سمعت مُحمَّد بن أحمد بن مُحمَّد الصوفيّ يقول: سمعت عبد الله بن عليّ بن مُحمَّد التميميّ يقول: شتان ما بين تائب يتوب من الزلات، وتائب يتوب من الغفلات، وتائب يتوب من رؤية الحسنات.

وقال الواسطيّ:

التوبة النصوح لا تبقي على صاحبها أثراً من المعصية سراً ولا جهراً ومن كانت توبته نصوحاً لا يبالي كيف أمسى أو أصبح.

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السّلميّ يقول: سمعت مُحمَّد بن إبراهيم بن الفَضْل الهاشميّ يقول: سمعت مُحمَّد بن الروميّ، يقول: سمعت يحيى بن مُعاذ يقول:

إلهي، لا أقول تبت، ولا أعود لما أعرف من خلقي، ولا أضمن ترك الذنوب لما أعرف من ضعفي، ثم إني أقول: لا أعود لعلي أنْ أموت قبل أن أعود.

وقال ذو النُّون: الاستغفار من غير إقلاع توبة الكاذبين.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين يقول: سمعت النصراباذي يقول: سمعت ابن بزدانيار يقول، وقد سُئل عن العبد إذا خرج إلى الله على أي أصل يخرج؟

فقال: على أنْ لا يعود إلى ما منه خرج، ولا يراعي غير من إليه خرج، ويحفظ سرَّه عن ملاحظة ما تبرأ منه.

فقيل له: هذا حكم من خرج عن وجود فكيف حكم من خرج عن عدم؟

فقال: وجودُ الحلاوة في المستأنف عوضاً عن المرارة في السالف.

وسُئل البوشنجي عن التوبة فقال:

إذا ذكرتَ الذنب ثم لا تجد حلاوته عند ذكره، فهو التوبة.

وقال ذو النُّون: حقيقة التوبة أنْ تضيق عليك الأرض بما رحبت، حتى لا يكون لك قرار.. ثم تضيق عليك نفسك، كما أخبر الله تعالى في كتابه بقوله: ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ﴾ [التوبة: ١١٨].

وقال ابن عطاء:

التوبة: توبتان: توبة الإقامة، وتوبة الاستجابة.

فتوبة الإنابة: أنْ يتوب العبد خوفاً من عقوبته.
وتوبة الاستجابة: أنْ يتوب حياء من كرمه.
وقيل لأبي حَفْص: لم يبغض التائب الدنيا؟
قال: لأنها دار باشر فيها الذنوب.
فقيل له: فهي أيضاً دار أكرمه الله فيها بالتوبة؟
فقال: إنه من الذنب على يقين، ومن قبول توبته على خطر.

وقال الواسطيّ: طرب داوود عليه السلام، وما هو فيه من حلاوة الطاعة أوقعة في أنفاس متصاعدة، وهو في الحالة الثانية أتم منه في وقت ما ستر عليه من أمره.

وقال بعضهم: توبة الكذابين على أطراف ألسنتهم يعني قول «أستغفر الله».

وسُئل أبو حَفْص عن التوبة، فقال:
ليس للعبد في التوبة شيء!! لأنَّ التوبة إليه، لا منه.

وقيل: أوحى الله سُبحانه، إلى آدم: يا آدم ورثت ذريتك التعب والنصب، وورثتهم التوبة، من دعاني منهم بدعوتك لبيَّته كتابيتك، يا آدم أحشر التائبين، من القبور مستبشرين ضاحكين، ودعاؤهم مُستجاب.

وقال رجل لرابعة: إني أكثرت من الذنوب والمعاصي، فلو ثبت هل يتوب علي؟ فقالت: لا بل لو تاب عليك لتبت.

واعلم أنَّ الله تعالى قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

ومن قارف الزلة فهو من خطئه على يقين، فإذا تاب، فإنه من القبول على شك، لا سيما إذا كان من شرطه وحقه أنْ يكون مستحقاً لمحبة الحق وإلى أن يبلغ العاصي محلاً يجد في أوصافه أمارة محبة الله إياه مسافة بعيدة، فالواجب إذن على العبد إذا علم أنه ارتكب ما تجب منه التوبة دوام الإنكسار، وملازمة التنصل والاستغفار، كما قالوا: «استشعار الوجل إلى الأجل»، وقال عزَّ وجل: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

وكان من سنته ﷺ: دوام الإستغفار، وقال ﷺ: «**إنه ليغان على قلبي فأستغفر الله في اليوم سبعين مرة**».

سمعت أبا عبد الله الصوفي يقول: سمعت الحُسين بن عليّ يقول: سمعت مُحمَّد بن أحمد يقول: سمعت عبد الله بن سهل يقول: سمعت يحيى بن مُعاذ يقول:
زلة واحدة بعد التوبة أقبح من سبعين قبلها.
سمعت مُحمَّد بن الحُسين يقول: سمعت أبا عبد الله الرازي يقول: سمعت أبا عُثمان

يقول في قوله عزَّ وجل: ﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴾ [الغاشية: ٢٥] قال: رجوعهم، الذي تمادى بهم الجولان في المخالفات.

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السّلمي يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول سمعت أبا عَمرو الأنماطيّ يقول: ركب عليّ بن عيسى الوزير في موكب عظيم فجعل الغرباء يقولون: من هذا؟ من هذا؟ فقالت امرأة قائمة على الطريق.

إلى متى تقولون من هذا؟ من هذا؟! هذا عبد سقط من عين الله فابتلاه الله بما ترون. فسمع علي بن عيسى ذلك، فرجع إلى منزله واستغنى عن الوزارة، وذهب إلى مكة وجاور بها.

باب المجاهدة[1]

قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

أخبرنا أبو الحُسين عليّ بن أحمد الأهوازيّ قال: أخبرنا أحمد بن عُبيد الصفَّار[2]، قال: أخبرنا العبَّاس بن الفَضْل الإسقاطيّ، قال: أخبرنا ابن كاسب قال أخبرنا ابن عُيينة، عن عليّ بن زيد، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد الخدري[3] قال: «سُئل رسول الله ﷺ عن أفضل الجهاد، فقال: «**كلمة عدل عند سلطان جائر**»[4] فدمعت عينا أبي سعيد.

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقَّاق، رحمه الله، يقول:

من زين ظاهره بالمجاهدة حسن الله سرائره بالمشاهدة، قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

واعلم أنَّ من لم يكن في بدايته صاحب مجاهدة لم يجد من هذه الطريقة شمة.

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السّلميّ يقول: سمعت أبا عُثمان المغربي يقول: من

---

(١) المجاهدة: القتال في سبيل الله، وجهاد النفس: محاربة شهواتها.

(٢) أحمد بن عبيد بن إسماعيل الحافظ أبو الحسن البصري الصفار. روى عن الكريمي، وروى عنه الدارقطني وغيره، وهو ثقة. مات سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة. شذرات الذهب ٣/ ١١.

(٣) سعد بن مالك بن سنان الخدري الأنصاري الخزرجي، أبو سعيد صحابي، كان من ملازمي النبي ﷺ. ولد سنة (١٠ ق.هـ). روى عن النبي ﷺ أحاديث كثيرة. غزا اثنتي عشرة غزوة. وله ١١٧٠ حديثاً. توفي في المدينة سنة (٧٤ هـ). الأعلام ٨٧، وتهذيب التهذيب ٣/ ٤٧٩، وحلية الأولياء ١/ ٣٦٩.

(٤) أخرجه أبو داود (ملاحم ١٧)، والترمذي (فتن ١٣)، والنسائي (بيعة ٣٧)، وابن ماجة (فتن ٢٠)، وأحمد بن حنبل ٣، ١٩، ٦١، ٤، ٣١٤، ٣١٥، ٥، ٢٥١، ٢٥٦.

ظنَّ أنْ يفتح له شيء من هذه الطريقة، أو يكشف له عن شيء منها إلا بلزوم المجاهدة فهو في غلط.

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقَّاق، رحمه الله، يقول:

من لم يكن له في بدايته قومة، لم يكن له في نهايته جلسة.

وسمعته أيضاً يقول:

قولهم الحركة بركة: حركات الظواهر توجب بركات السرائر.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين يقول: سمعت أحمد بن عليّ بن جعفر يقول: سمعت الحُسين بن علوية يقول: قال أبو يزيد البسطاميّ:

كنت ثنتي عشرة سنة حدَّاد نفسي وخمس سنين كنت مرآة قلبي، وسنة أنظر فيما بينهما، فإذا في وسطي زنَّار ظاهر، فعملت في قطعه ثنتي عشرة سنة.

ثم نظرت، فإذا في باطني زُنار فعملت في قطعه خمس سنين أنظر كيف أقطعه فكشف لي، فنظرت إلى الخلق فرأيتهم موتي فكبرت عليهم أربع تكبيرات.

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السّلمي يقول: سمعت أبا العبَّاس البغداديّ يقول: سمعت جعفراً يقول: سمعت الجُنَيد يقول: سمعت السريّ يقول:

يا معشر الشباب، جدوا قبل أن تبلغوا مبلغي فتضعفوا وتقصروا كما ضعفت وقصرتُ: وكان في ذلك الوقت لا يلحقه الشباب العبادة.

وسمعته يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت عبد العزيز النجراني يقول: سمعت الحسن القزَّاز يقول:

بني هذا الأمر على ثلاثة أشياء:

أن لا تأكل إلا عند الفاقة[1]، ولا تنام إلا عند الغلبة، ولا تتكلم إلا عند الضرورة.

وسمعته يقول: سمعت مَنْصور بن عبد الله يقول سمعت مُحمَّد بن حامد يقول: سمعت أحمد بن خضرويه يقول: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول:

لن ينال الرجل درجة الصالحين، حتى يجوز ست عقبات:

أولها: أنْ يغلق باب النعمة، ويفتح باب الشدة.

والثاني: أنْ يغلق باب العز، ويفتح باب الذلّ.

والثالث: أنْ يغلق باب الراحة؛ ويفتح باب الجهد.

والرابع: أنْ يغلق باب النوم، ويفتح باب السهر.

والخامس: أنْ يغلق باب الغنى، ويفتح باب الفقر.

---

(١) الفاقة: الفقر والحاجة.

والسادس: أنْ يُغلق باب الأمل، ويُفتح باب الإستعداد للموت.

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السّلمي، رحمه الله، يقول: سمعت جدي أبا عَمرو بن نُجيد يقول: من كرمت عليه نفسه هان عليه دينه!!

وسمعته يقول: سمعت مَنْصور بن عبد الله يقول: سمعت أبا علي الروذباري يقول: إذا قال الصوفي بعد خمسة أيام: أنا جائع، فالزموه السوق، وأمروه بالكسب.

واعلم أنَّ أصل المجاهدة وملاكها: فطم النفس عن المألوفات، وحملها على خلاف هواها في عموم الأوقات.

وللنفس صفتان مانعتان لها من الخير: أنهماك في الشهوات، وامتناع عن الطاعات فإذا جمحت عند ركوب الهوى وجب كبحها بلجام التقوى، وإذا حرنت عند القيام بالموافقات يجب سوقها على خلاف الهوى، وإذا ثارت عند غضبها، فمن الواجب مراعاة حالها، فما من منازلة أحسن عاقبة من غضب يكسر سلطانه بخلق حسن، وتخمد نيرانه برفق، فإذا استحلت شراب الرعونة فضاقت، إلا عن إظهار مناقبها والتزين لمن ينظر إليها ويلاحظها، فمن الواجب كسر ذلك عليها، وإحلالها بعقوبة الذل بما يذكرها من حقارة قدرها، وخساسة أصلها، وقذارة فعلها.

وجهد العوام في توفية الأعمال وقصد الخواص إلى تصفية الأحوال فإنَّ مقاساة الجوع والسهر سهل يسير، ومعالجة الأخلاق والتنقي من سفسافها صعب شديد.

ومن غوامض آفات النفس: ركونها إلى استحلاء المدح، فإنَّ من تحسى منه جرعة حمل السموات والأرضين على شفرة من أشفاره[1].

وأمارة ذلك: أنه إذا انقطع عنه ذلك الشرب آل حاله إلى الكسل والفشل.

وكان بعض المشايخ يصلي في مسجد في الصف الأول سنين كثيرة، فعاقه يوماً عن الإبتكار إلى المسجد عائق، فصلى في الصف الأخير، فلم ير بعد ذلك مدة، فسُئل عن السبب، فقال: كنت أقضي صلاة كذا، وكذا سنة صليتها وعندي أني مخلص فيها لله، فداخلني يوم تأخري عن المسجد من شهود الناس إياي في الصف الأخير نوع خجل، فعلمت أنَّ نشاطي طول عمري إنما كان رؤيتهم فقضيت صلواتي.

ويحكى عن أبي مُحمَّد المرتعش، أنه قال:

حججت كذا، وكذا حجة على التجريد، فبان لي أنَّ جميع ذلك كان مشوباً بحظي؛ وذلك: أنَّ والدتي سألتني يوماً أنْ أستقي لها جرَّة ماء فثقل ذلك على نفسي، فعلمت أنَّ

(١) الشُّفْر: واحد أشفار العين، وهي حروف الأجفان التي ينبت عليها الشعر وهو الهدب وحرف كل شيء: شُفره.

مطاوعة نفسي في الحجات كانت لحظ، وشوب لنفسي، إذ لو كانت نفسي فانية لم يصعب عليها ما هو حق في الشرع.

وكانت امرأة قد طعنت في السن، فسُئلت عن حالها، فقالت:

كنت في حال الشباب أجد من نفسي نشاطاً وأحوالاً؛ أظنها قوة الحال، فلما كبرت زالت عني، فعلمت أنَّ ذلك كان قوة الشباب، فتوهمتها أحوالاً.

سمعت الشيخ أبا عليٍّ الدقَّاق يقول:

ما سمع هذه الحكاية أحد من الشيوخ إلا رقَّ لهذه العجوز، وقال: إنها كانت منصفة.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين يقول: سمعت مُحمَّد بن عبد الله بن شاذان يقول: سمعت يُوسف بن الحُسين يقول: سمعت ذا النون المصري يقول:

ما أعز الله عبداً بعز هو أعز له من أنْ يدله على ذل نفسه، وما أذل الله عبداً بذل هو أذل له من أنْ يحجبه عن ذل نفسه.

وسمعته يقول: سمعت مُحمَّد بن عبد الله الرازي يقول: سمعت إبراهيم الخوَّاص يقول: ما هالني شيء إلا ركبته.

وسمعته يقول: سمعت عبد الله الرازي يقول: سمعت مُحمَّد بن الفضل يقول: الراحة: هو الخلاص من أماني النفس.

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن يقول: سمعت مَنْصُور بن عبد الله يقول: سمعت أبا علي الروذباري يقول: دخلت الآفة على الخلق من ثلاثة:

سقم الطبيعة، وملازمة العادة، وفساد الصحبة.

فسألته: ما سقم الطبيعة؟

فقال: أكل الحرام.

فقلت، ما ملازمة العادة؟

فقال: النظر، والإستمتاع بالحرام، والغيبة.

قلت: فما فساد الصحبة؟

قال: كلما هاجت في النفس الشهوة تبعتها.

وسمعته يقول: سمعت النَّصراباذي يقول:

سجنك نفسك. فإذا خرجت منها وقعت في راحة أبدية.

وسمعته يقول: سمعت مُحمَّد الفراء يقول: سمعت أبا الحُسين الورّاق يقول:

كان أجل أحكامنا في ميادىء أمرنا في مسجد أبي عُثمان الحيريّ الإيثارُ بما يفتح علينا، وأنْ لا نبيت على معلوم، ومن استقبلنا بمكروه لا ننتقم لأنفسنا، بل نعتذر إلِيه، ونتواضع له، وإذا وقع في قلوبنا حقارة لأحد قمنا بخدمته والإحسان إليه حتى يزول.

وقال أبو حَفْص: النفس ظُلْمة كلها، وسراجها سرها، ونور سراجها التوفيقُ، فمن لم يصحبه في سرِّه توفيق من ربه كان ظلمة كلَّه.

قال الأستاذ الإمام القشيريّ:

معنى قوله: «سراجها سرها» يريد: سرَّ العبد الذي بينه وبين الله تعالى، وهو محلّ إخلاصه، وبه يعترف العبد أنَّ الحادثات بالله لا بنفسه ولا من نفسه؛ ليكون متبرئاً من حوْله وقوته على استدامة أوقاته، ثم بالتوفيق يعتصم من شرور نفسه، فإنَّ من لم يدركه التوفيق لم ينفعه علمه بنفسه، ولا بربه، ولهذا قال الشيوخ: من لم يكن له سرّ فهو مُصر.

وقال أبو عُثمان: لا يرى أحد عيب نفسه وهو مستحسن من نفسه شيئاً، وإنما يرى عيوب نفسه من يتهمها في جميع الأحوال.

وقال أبو حَفْص: ما أسرع هلاك من لا يعرف عيبه، فإنَّ المعاصي بريد الكفر.

وقال أبو سُليمان: ما استحسنت من نفسي عملاً فاحتسبت به.

وقال السريّ: إياكم وجيران الأغنياء، وقرّاء الأسواق، وعلماء الأمراء.

وقال ذو النُّون المصريّ: إنما دخل الفساد على الخلق من ستة أشياء:

الأول: ضعف النية بعمل الآخرة.

والثاني: صارت أبدانهم رهينة لشهواتهم.

والثالث: غلبهم طول الأمل مع قرب الأجل.

والرابع: آثروا رضا المخلوقين على رضا الخالق.

والخامس: اتبعوا أهواءهم ونبذوا سنة نبيهم ﷺ، وراء ظهورهم.

والسادس: جعلوا قليل زلاّت السلف حجة لأنفسهم، ودفنوا كثير مناقبهم.

باب الخلوة والعزلة(١)

أخبرنا أبو الحَسن عليّ بن أحمد بن عبدان، قال: أخبرنا أحمد بن عُبيد البصريّ، قال: حدَّثنا عبد العزيز بن مُعاوية قال: حدّثنا القعنبيّ قال: حدّثنا عبد العزيز بن أبي حازم عن أبيه، عن بعجة بن عبد الله بن بدر الجهنيّ، عن أبي هريرة(٢) قال: قال رسول الله ﷺ:

(١) الخلوة: لغوياً الإنفراد ومكانه، والعزلة: الإنعزال.

(٢) عبد الرحمن بن صخر الدوسي الملقب بأبي هريرة، صحابي كان أكثر الصحابة حفظاً للحديث ورواية له. نشأ يتيماً ضعيفاً في الجاهلية، وقدم المدينة والرسول ﷺ بخيبر فأسلم سنة ٧ هـ ولزم صحبة النبي ﷺ، فروى عنه ٥٣٧٤ حديثاً. وولي إمرة المدينة مدة، ولما صارت الخلافة إلى عمر استعمله على البحرين ثم عزله. ولد سنة (٢١ ق.هـ)، وتوفي سنة (٥٩ هـ). الأعلام ٣/٣٠٨، وحلية الأولياء ١/٣٧٦.

«إنَّ من خير معايش الناس كلِّهم رجلاً آخذاً بعنان فرسه في سبيل الله، إنْ سمع فزعة أو هيعة كان على متن فرسه يبتغي الموت أو القتل في مظانه[1]، أو رجلاً في غنيمة له في رأس شعفة[2] من هذه الشعاف، أو في بطن واد من هذه الأودية، يقيم الصلاة، ويؤتي الزكاة، ويعبُد ربَّه حتى يأتيه اليقين، ليس من الناس إلا في خير»[3].

قال الأستاذ:

الخلوة: صفة أهل الصفوة. والعزلة: من أمارات الوصلة.

ولا بد للمريد ـ في ابتداء حاله ـ من العزلة عن أبناء جنسه، ثم في نهايته ـ من الخلوة؛ لحققه بأنسه.

ومن حَقِّ العبد ـ إذا آثر العزلة ـ أنْ يعتقد باعتزاله عن الخلق سلامة الناس من شره ولا يقصد سلامته من شر الخلق، فإنَّ الأول من القسمين: نتيجة استصغار نفسه، والثاني: شهود مزيته على الخلق. ومن استصغر نفسه فهو متواضع، ومن رأى لنفسه مزية على أحد، فهو متكبر.

ورؤي بعض الرهبان، فقيل له: إنك راهب.

فقال: لا، بل أنا حارس كلب؛ إنَّ نفسي كلب يعقر الخلق أخرجتها من بينهم، ليسلموا منها.

ومرَّ إنسان ببعض الصالحين، فجمع ذلك الشيخ ثيابه منه، فقال له الرجلّ:

لم تجمع عني ثيابك، ليست ثيابي نجسة؟

فقال الشيخ: وهمتَ في ظنك، ثيابي هي النجسة. جمعتها عنك؛ لئلا تنجس ثيابك، لا لكي لا تنجس ثيابي.

ومن آداب العزلة:

أنْ يحصل من العلوم ما يصحح به عقد توحيده، لكي لا يستهويه الشيطان بوساوسه، ثم يحصل من علوم الشرع ما يؤدي به فرضه، ليكون بناء أمره على أساس محكم والعزلة في الحقيقة: اعتزال الخصال المذمومة، فالتأثير لتبديل الصفات، لا للتنائي عن الأوطان، ولهذا قيل: من العارف؟ قالوا: كائن بائن، يعني: كائن مع الخلق، بائن عنهم بالسر.

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقّاق، رحمه الله، يقول:

---

(١) المظان: مظنة الشيء: موضعه ومألفه الذي يُظن وجوده فيه.

(٢) الشعفة من كل شيء: أعلاه (ج) شعف، وشعاف، وشعوف.

(٣) أخرجه البخاري (جهاد ٧٠)، ومسلم (إمارة ١٢٥) والترمذي (فضائل الجهاد ١٨)، والنسائي (زكاة ٧٤)، والدارمي (جهاد ٦)، والموطأ (جهاد ٤)، وأحمد بن حنبل ١، ٢٢٦، ٣١١، ٢، ٤٤٣، ٥٢٣، ٦، ٤١٩.

إلبس مع الناس ما يلبسون، وتناول مما يأكلون، وانفرد عنهم بالسر.

وسمعته يقول: جاءني إنسان، وقال: جئتك من مسافة بعيدة فقلت: ليس هذا الحديث من حيث قطع المسافة ومقاساة الأسفار فارق نفسك ولو بخطوة، فقد حصل مقصودك.

ويحكى عن أبي يزيد قال: رأيت ربي عزَّ وجلّ في المنام، فقلت: كيف أجدك؟ فقال: فارقْ نفسك وتعال.

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السّلميّ، رحمه الله، يقول: سمعت أبا عُثمان المغربي يقول: من اختار الخلوة على الصحبة ينبغي أنْ يكون خالياً من جميع الأذكار إلا ذكر ربه، وخالياً من جميع الإرادات إلا رضا ربِّه، وخالياً من مطالبة النفس من جميع الأسباب، فإنْ لم يكن بهذه الصفة فإن خلوته توقعه في فتنة أو بلية.

وقيل: الانفراد في الخلوة أجمع لدواعي السلوة.

وقال يَحيى بن مُعاذ: أنظر: أنسك بالخلوة، أو أنسك معه في الخلوة، فإنْ كان أنسك بالخلوة ذهب أنسك إذا خرجت منها، وإنْ كان أنسك به في الخلوة استوت لك الأماكن في الصحاري والبراري.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين يقول: سمعت مَنْصُور بن عبد الله يقول: سمعت مُحمَّد بن حامد يقول: جاء رجل إلى زيارة أبي بكر الورَّاق، فلما أراد أنْ يرجع، قال له: أوصني. فقال: وجدت خير الدنيا والآخرة في الخلوة والقلة، وشرَّهما في الكثرة والإختلاط.

وسمعته يقول: سمعت مَنْصور بن عبد الله يقول: سمعت الجريري وقد سُئل عن العزلة، فقال: هي الدخول بين الزحام وتمنع سرك أنْ لا يزاحموك، وتعزل نفسك عن الآثام، ويكون شرك مربوطاً بالحق.

وقيل: من آثر العزلة حصل العزلة.

وقال سهل: لا تصح الخلوة إلا بأكل الحلال، ولا يصح أكل الحلال إلا بأداء حق الله.

وقال ذو النُّون المصريّ: لم أر شيئاً أبعث على الإخلاص من الخلوة: وقال أبو عبد الله الرملي:

ليكن خدنك[1] الخلوة، وطعامك الجوع، وحديثك المناجاة فإما أنْ تموت؛ وإما أنْ تصل الله سُبحانه.

---

(١) الخِدن: الصديق الذي يكون معك ظاهراً وباطناً في كل أمر (للذكر والأنثى) (ج) أخدان.

وقال ذو النُّون: ليس من احتجب عن الخلق بالخلوة، كمن احتجب عنهم بالله.

سمعت أبا عبد الرَّحمن السّلمي يقول، سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت جَعفر بن نُصير يقول: سمعت الجُنَيد يقول:

مكابدة العزلة أيسرُ من مداراة الخلطة.

وقال مَكْحُول: إنْ كان في مخالطة الناس خير فإنَّ في العزلة السلامة.

وقال يحيى بن مُعاذ: الوحدة جليس الصديقين.

سمعت الشيخ أبا عليّ الدقَّاق يقول: سمعت الشبلي يقول:

الإفلاس.. الإفلاس يا ناس.

فقيل له: يا أبا بكر، ما علامة الإفلاس؟

قال: من علامة الإفلاس الإستئناس بالناس.

وقال يَحيى بن أبي كثير[1]: من خالط الناس داراهم، ومن داراهم راياهم[2].

وقال شُعيب بن حَرب: دخلت على مالك بن مَسعود بالكوفة، وهو في داره وحده، فقلت له: أما تستوحش وحدك؟

فقال: ما كنت أرى أنَّ أحداً يستوحش مع الله.

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السّلميّ يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت أبا عَمرو الأنماطيّ يقول: سمعت الجُنيد يقول:

من أراد أنْ يسلم له دينه، ويستريح بدنه وقلبه، فليعتزل الناس، فإنَّ هذا زمان وحشة، والعاقل من اختار فيه الوحدة.

وسمعته يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: قال أبو يَعقوب السوسي:

الإنفراد لا يقوى عليه إلا الأقوياء، ولأمثالنا: الإجتماع أوفر وأنفع، بعمل بعضهم على رؤية بعض.

وسمعته يقول: سمعت أبا عُثمان سعيد بن أبي سعيد يقول: سمعت أبا العبَّاس الدامغاني يقول: أوصاني الشبلي، فقال:

الزم الوحدة، وامح اسمك عن القوم، واستقبل الجدار حتى تموت.

وجاء رجل إلى شُعيب بن حَرب، فقال له: ما جاء بك؟

---

(١) يحيى بن صالح الطائي بالولاء، اليمامي، أبو نصر ابن أبي كثير، عالم أهل اليمامة في عصره. كان من موالي بني طيء من أهل البصرة. يقال: أقام عشر سنين في المدينة يأخذ عن أعيان التابعين، وسكن اليمامة، فاشتهر وعاب على بني أمية بعض أفاعيلهم، فضُرب وحبس، وكان من ثقات أهل الحديث. رجحه بعضهم على الزهري. توفي سنة (١٢٩ هـ). الأعلام ٨/ ١٥٠.

(٢) راءاك مراءاة: أراك نفسه على خلاف ما هو عليه.

فقال أكون معك.

قال: يا أخي، إنَّ العبادة لا تكون بالشركة، ومن لم يستأنس بالله لم يستأنس بشيء.

حكى أنَّ بعضهم قيل له: ما أعجب ما لقيت في سياحتك؟

فقال لهم: لقيني الخضر، فطلب مني الصحبة: فخشيت أنْ يفسد عليّ توكلي.

وقيل لبعضهم: ها هنا أحد تستأنس به؟

فقال: نعم. ومد يده إلى مصحفه ووضعه في حجره، وقال: هذا.

وفي معناه أنشدوا:

وكنت حولي لا تفارق مضجعي وفيها شفاء للذي أنا كاتم

وقال رجل لذي النُّون المصريّ.

متى تصح له العزلة؟

فقال: إذا قويت على عزلة نفسك.

وقيل لابن المبارك: ما دواء القلب؟

فقال: قلة الملاقاة للناس.

وقيل: إذا أراد الله أنْ يَنقل العبد من ذل المعصية إلى عزّ الطاعة آنسه بالوحدة وأغناه بالقناعة وبصره بعيوب نفسه، فمن أعطى ذلك فقد أعطى خير الدنيا والآخرة.

باب التَّقوى[1]

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾ [الحجرات: ١٣].

وأخبرنا أبو الحُسين علي بن أحمد بن عبدان، قال: أخبرنا أحمد بن عُبيد الصفَّار، قال: أخبرنا مُحمَّد بن الفَضْل بن جَابر قال: حدَّثنا ابن عبد الأعلى القرشيّ، قال: حدّثنا يعقوب العمي، عن ليث، عن مُجاهد، عن أبي سعيد الخدريّ قال:

جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال:

يا نبيَّ الله، أوصني.

فقال: «**عليك بتقوى الله؛ فإنه جِماعُ كلِّ خير، وعليك بالجهاد، فإنه رهبانية[2] المسلم، وعليك بذكر الله، فإنه نور لك**»[3].

(١) التقوى: لغوياً تقوى الله: خشيته وامتثال أوامره واجتناب نواهيه.

(٢) الرهبة: الخوف، والترهب: التعبد. والرهبانية: التعبد في الصوامع، والانقطاع عن ملاذ الدنيا، والزهد فيها والعزلة عن أهلها وترك الزواج طلباً للعبادة.

(٣) أخرجه أحمد بن حنبل ٣، ٨٢، ٢٦٦.

وأخبرنا عليّ بن أحمد بن عبدان، قال: أخبرنا أحمد بن عُبيد، قال: أخبرنا عبَّاس بن المفضَّل الإسقاطيّ، قال: حدّثنا أحمد بن يُونس قال:

حدّثنا أبو هُرمز نافع بن هُرمز، قال: سمعت أنساً رضي الله عنه؛ يقول: «قيل يا نبيّ الله من آل مُحمَّد؟ قال: كل تقي».

فالتقوى جماع الخيرات.

وحقيقة الإتقاء التحرز بطاعة الله عن عقوبته؛ يقال: اتقى فلان بترسه.

وأصل التقوى: إتقاء الشرك؛ ثم بعده: إتقاء المعاصي والسيئات، ثم بعده إتقاء الشّبهات؛ ثم يدع بعده الفضلات.

كذلك سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقَّاق، رحمه الله؛ يقول: سمعته يقول:

ولكلٍّ قسم من ذلك باب. وجاء في تفسير قوله عزَّ وجل: ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، إنَّ معناه: أنْ يُطاع فلا يعصى؛ ويُذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر.

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السّلمي يقول: سمعت أحمد بن علي بن جعفر يقول: سمعت أحمد بن عاصم يقول: سمعت سَهْل بن عبد الله يقول:

لا معين إلا الله، ولا دليل إلا رسول الله، ولا زاد إلا التقوى، ولا عمل إلا الصبر عليه.

وسمعته يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت الكتانيّ يقول:

قسمت الدنيا على البلوى، وقسمت الآخرة على التقوى:

وسمعته يقول: سمعت أبا بكر الرازيَّ يقول: سمعت الجريري يقول:

من لم يُحْكم بينه وبين الله التقوى والمراقبة لم يصل إلى الكشف والمشاهدة.

وقال النصراباذي:

التقوى: أنْ يتقي العبد ما سوى الله عزَّ وجلَّ.

وقال سَهْل:

من أراد أنْ تصحَّ له التقوى فليترك الذنوب كلّها.

وقاالنصراباذي:

من لزم التقوى اشتقاق إلى مفارقة الدنيا، لأنَّ الله سُبحانه يقول: ﴿ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٢].

وقال بعضهم: من تحقق في التقوى هوَّن الله على قلبه الإعراض عن الدنيا.

وقال أبو عبد الله الروذباري:

التقوى: مجانبة ما يبعدك عن الله.

وقال ذو النُّون المصريّ:

التقي: من لا يُدنس ظاهره بالمعارضات، ولا باطنه بالعلالات ويكون واقفاً مع الله موقف الإتفاق.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين، رحمه الله، يقول: سمعت أبا الحسن الفارسي يقول: سمعت ابن عطاء يقول:

للتقوى ظاهر وباطن، فظاهره: محافظة الحدود، وباطنه: النية والإخلاص.

وقال ذو النُّون:

لا عيش إلا مع رجال قلوبهم تحنّ إلى التقوى وترتاح للذكر
سكون إلى روح اليقين وطيبه كما سكن الطفل الرضيع إلى الحِجر

وقيل: يُستدل على تقوى الرجل بثلاث:

حسن التوكل فيما لم ينل، وحسن الرّضا فيما قد نال، وحسن الصبر على ما قد فات.

وقال طُلْق بن حَبيب:

التقوى: عمل بطاعة الله على نور من الله، مخافة عقاب الله.

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السّلميّ يقول: سمعت مُحمَّداً الفراء يحكي عن أبي حَفْص: أنه قال: التقوى بالحلال المحض، لا غير.

وسمعته يقول: سمعت أبا بكر الرازيّ يقول: سمعت أبا الحُسين الزنجانيّ يقول: من كان رأس ماله التقوى كلَّت الألسنُ عن وصف ربحه.

وقال الواسطيّ:

التقوى: أنْ يتقي من تقواه، يعني: من رؤية تقواه. والمتقي مثل ابن سيرين؛ اشترى أربعين حبّا[١] سمناً، فأخرج غلامه فأرة من حبّ فسأله: من أي حب أخرجتها؟ فقال لا أدري!! فصبها كلها على الأرض.

ومثل ابن يزيد:

اشترى بهمذان حبّ القرطم[٢]، ففضل منه شيء، فلما رجع إلى «بسطام» رأى فيه نملتين، فرجع إلى همذان فوضع النملتين.

ويحكى أنَّ أبا حنيفة كان لا يجلس في ظل شجرة غريمه[٣]. ويقول: قد جاء في الخبر: «كلُّ قرض جر نفعاً فهو ربا».

---

(١) الحبّ: وعاء الماء كالجرة ونحوها (ج) أحْباب وحِببة وحِباب.

(٢) القرطم: هو العصفر نبات صيفي يُستعمل زهره تابلاً، ويُستخرج منه صبغ أحمر يُصْنع به (مع).

(٣) الغريم: الدائن والمديون والخصم.

وقيل: إنَّ أبا يزيد غسل ثوبه في الصحراء مع صاحب له.
فقال له صاحبه: تعلق الثوب في جدار الكرم.
فقال لا، لا تغرز الوتد[1] في جدار الناس.
فقال: نعلقه في الشجر.
فقال: لا، إنه يكسر الأغصان.
فقال: نبسطه على الإذْخِر[2].
فقال: لا، إنه علف الدواب، لا نستره عنها.
فولى ظهره إلى الشمس والقميص على ظهره، حتى جف جانب، ثم قلبه حتى جف الجانب الآخر.

وقيل: إنَّ أبا يزيد دخل يوماً الجامع، فغرز عصاه في الأرض فسقطت ووقعت على عصا شيخ بجنبه ركز عصاه في الأرض، فألقتا. فانحنى الشيخ وأخذ عصاه، فمضى أبو يزيد إلى بيت الشيخ واستحله، وقال:

كان السبب في انحنائك تفريطي في غرز عصاي، حيث احتجت إلى أنْ تنحني.

ورؤي عتبة الغلام بمكان يتصبب عرقاً في الشتاء، فقيل له في ذلك.
فقال: إنه مكان عصيت فيه ربي!!
فسُئل عنه فقال:
كشطت من هذا الجدار قطعة طين، غسل بها ضيف لي يده، ولم أستحل من صاحبه.

وقال إبراهيم بن أدهم:
بت ليلة تحت الصخرة ببيت المقدس؛ فلما كان بعض الليل نزل ملكان، فقال أحدهما لصاحبه: من ها هنا؟

فقال الآخر: إبراهيم بن أدهم.
فقال: ذاك الذي حط الله سُبحانه درجة من درجاته.
فقال: لم؟
قال: لأنه اشترى بالبصرة تمراً، فوقعت تمرة على تمرة من تمر البقال، فلم يردها على صاحبها.

قال إبراهيم: فمضيت إلى البصرة، واشتريت التمر من ذلك الرجل، وأوقعت تمرة على تمرة، ورجعت إلى بيت المقدس، وبت في الصخرة.

فلما كان بعض الليل، إذ أنا بملكين نزلا من السماء.

---

(١) الوتد: قطعة من خشب أو حديد تثبت في الأرض أو الجدار يُشد بها حبل ونحوه.
(٢) الإذخر: نبات تأكله الحيوانات.

فقال أحدهما لصاحبه: من ها هنا؟

فقال الآخر: إبراهيم بن أدهم. فقال: ذلك الذي رد الله مكانه، ورُفعت درجته.

وقيل: التقوىٰ على وجوه:

للعامة: تقوىٰ الشرك، وللخاصة: تقوىٰ المعاصي، وللأولياء: تقوىٰ التوسل بالأفعال، وللأنبياء تقوىٰ نسبة الأفعال؛ إذ تقواهم منه إليه.

وعن أمير المؤمنين عليّ[1]، رضي الله عنه، قال:

سادة الناس في الدنيا الأسخياء، وسادة الناس في الآخرة الأتقياء.

أخبرنا عليّ بن أحمد الأهوازي، قال: أخبرنا أبو الحُسين البصريّ قال: أخبرنا بِشْر بن مُوسى، قال: حدّثنا مُحمَّد بن عبد الله بن المبارك[2]، عن يَحيى بـن أيوب، عن عُبيد الله بن رحو، عن عليّ بن يزيد، عن القاسم، عن أبي أُمامة؛ عن النبي ﷺ أنه قال:

«من نظر إلى محاسن امرأة فغض بصره في أول مرة، أحدث الله له عبادة يجد حلاوتها في قلبه»[3].

سمعت مُحمَّد بن الحُسين يقول: سمعت أبا العبَّاس مُحمَّد بن الحُسين يقول: سمعت مُحمَّد بن عبد الله الفرغانيّ يقول: كان الجُنيد جالساً مع رُوَيم والجريري، وابن عطاء، فقال الجُنيد:

ما نجا من نجا إلا بصدق اللجا، قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ [التوبة: ١١٨]. . الآية»:

وقال رُويم، رحمه الله: ما نجا من نجا إلا بصدق التقى، قال تعالى: ﴿وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ بِمَفَازَتِهِمْ. . .﴾ [الزمر: ٦١].

وقال الجريري: ما نجا من نجا إلا بمراعاة الوفاء، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ﴾ [الرعد: ٢٠].

وقال ابن عطاء: ما نجا من نجا إلا بتحقيق الحياء من الله قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ [العلق: ١٤].

---

(١) علي بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي، أبو الحسن أمير المؤمنين. رابع الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين، وابن عم الرسول ﷺ وصهره، وأحد الشجعان الأبطال، ومن أكابر الخطباء والعلماء بالقضاء، وأول الناس إسلاماً بعد خديجة. ولد بمكة سنة (٢٣ ق هـ)، وربي في حجر النبي ﷺ. وولي الخلافة بعد عثمان. توفي سنة (٤٠ هـ). الأعلام ٤/ ٢٩٥، وحلية الأولياء ١/ ٦١.

(٢) محمد بن عبد الله بن المبارك القرشي بالولاء، أبو جعفر المخرمي، قاضي حلوان (في العراق) من حفاظ الحديث الثقات. روى عنه البخاري وأبو داود والنسائي. توفي سنة (٢٥٤ هـ). الأعلام ٦/ ٢٢٢، وتهذيب التهذيب ٩/ ٢٧٢.

(٣) أخرجه أحمد بن حنبل ٥، ٢٦٤.

وقال الأستاذ الإمام: ما نجا من نجا إلا بالحكم والقضاء، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ﴾ [الأنبياء: ١٠١] الآية.

وقال أيضاً: ما نجا من نجا إلا بما سبق له من الاجتباء[١]، قال الله تعالى: ﴿وَٱجۡتَبَيۡنَٰهُمۡ وَهَدَيۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الأنعام: ٨٧].

باب الوَرَع[٢]

أخبرنا أبو الحُسين عبد الرَّحمن بن إبراهيم بن مُحمَّد بن يَحيى المزكي، قال: حدّثنا مُحمَّد بن داود بن سُليمان الزاهد[٣] قال: أخبرنا مُحمَّد بن الحُسين بن قتيبة، قال: حدّثنا أحمد بن أبي طاهر الخراساني. قال: حدّثنا يَحيى بن العيزار قال: حدّثنا مُحمَّد بن يُوسف الفريابيّ، عن سُفيان، عن الأجلح، عن عبد الله بن بريدة، عن أبي الأسود الدؤلي، عن أبي ذرّ[٤] قال: قال رسول الله ﷺ: **«من حُسْن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»**[٥].

قال الأستاذ الإمام رضي الله عنه: أما الوَرَع، فإنه: ترك الشبهات.

كذلك قال إبراهيم بن أدهم: الورع ترك كل شبهة، وترك ما لا يعنيك هو ترك الفضلات.

وقال أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه: «كنا ندع سبعين باباً من الحلال مخافة أنْ نقع في باب من الحرام». وقال ﷺ لأبي هُريرة: **«كُن ورعاً تكن أعبد الناس»**[٦].

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السّلمي، يقول سمعت أبا العبَّاس البغدادي يقول: سمعت جعفر بن مُحمَّد يقول: سمعت الجُنيد يقول: سمعت السري يقول:

كان أهل الورع في أوقاتهم أربعة:
حذيفة المرتعش، ويُوسف بن أَسْباط، وإبراهيم بن أدهم، وسُليمان الخواص، فنظروا

---

(١) اجتبىء الشيء أو الشخص: استخلصه واصطفاه واختاره.

(٢) الورع: لغوياً التقوى واجتناب المعاصي والشبهات.

(٣) محمد بن داود بن سليمان بن جعفر الصوفي، أبو بكر شيخ الصوفية في نيسابور، كان من حفاظ الحفاظ. له كتاب «الأبواب» و «كتاب الشيوخ»، توفي سنة (٣٤٢ هـ). الأعلام ٦/ ١٢٠.

(٤) جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد، من بني غفار، من كنانة بن خزيمة، أبو ذر صحابي من كبارهم، قديم الإسلام، يُضرب به المثل في الصدق، وهو أول من حيّا رسول الله ﷺ بتحية الإسلام. هاجر بعد وفاة الرسول ﷺ إلى بادية الشام، ثم سكن دمشق. توفي سنة (٣٢ هـ). الأعلام ٢/ ١٤٠، والإصابة ٧/ ٦٠.

(٥) أخرجه الترمذي (زهد ١١)، وابن ماجة (فتن ١٢)، والموطأ (حسن الخلق ٣)، (كلام ١٧).

(٦) أخرجه ابن ماجة (زهد ٢٤).

في الورع فلما ضاقت عليهم الأمور فزعوا إلى التقلل.

وسمعته يقول: سمعت أبا القاسم الدمشقي يقول: سمعت الشبلي يقول: الوَرَع أن تتورَّع عن كلِّ ما سوى الله تعالى.

وسمعته يقول: أخبرنا أبو جعفر الرازيُّ قال: حدّثنا العبَّاس بن حمزة قال: حدّثنا أحمد بن أبي الحواريّ قال: حدّثنا إسحاق بن خَلَف؛ قال:

الوَرَع، المنطق: أشد منه في الذهب والفضة، والزهد في الرياسة: أشد منه في الذهب والفضة، لأنك تبذلهما في طلب الرئاسة.

وقال أبو سُليمان الداراني: الوَرَع: أول الزهد، كما أنَّ القناعة: طرف من الرضا.

وقال أبو عُثمان: ثواب الورعَ خفَّة الحساب.

وقال يَحيى بن مُعاذ: الورع: الوقوف على حدِّ العلم من غير تأويل.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين يقول: سمعت الحُسين بن أحمد بن جعفر يقول: سمعت مُحمَّد بن داود الدينوريّ يقول: سمعت عبد الله بن الجلاَّء يقول:

أعرف من أقام بمكة ثلاثين سنة لم يشرب من ماء زمزم إلا ما استقاه برَكوته[1]، ورشائه[2]، ولم يتناول من طعام جلب من مصر.

وسمعته يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت عليّ بن مُوسى التاهرتي يقول: وقع من عبد الله بن مَروان فلس في بئر قذرة، فاكترى عليه بثلاثة عشر ديناراً حتى أخرجه، فقيل له في ذلك، فقال: كان عليه اسم الله تعالى.

وسمعته يقول: سمعت أبا الحسن الفارسي يقول: سمعت ابن علوية يقول: سمعت يَحيى بن مُعاذ يقول: الوَرَع على وجهين:

ورع في الظاهر؛ وهو: أنْ لا يتحرك إلا لله تعالى.

وورع في الباطن، وهو: أنْ لا يدخل قلبك سوى الله تعالى.

وقال يَحيى بن مُعاذ:

من لم ينظر في الدقيق من الورع لم يصل إلى الجليل من العطاء.

وقيل: من دقَّ في الدين نظره جلّ في القيامة خطره.

وقال ابن الجلاء: من لم يصحبه التقى في فقره أكل الحرام النص.

وقال يُونس بن عُبيد: الورع: الخروج عن كل شبهة، ومحاسبة النفس في كل طرفة.

---

(١) الركوة: إناء صغير من جلد يُشرب به الماء (ج) ركاء، وركوات.

(٢) الرشاء: حبل الدلو (ج) أرشية.

وقال سُفيان الثوريّ: ما رأيت أسهل من الورع: ما حاك في نفسك تركته، وقال مَعْروف الكرخيّ: احفظ لسانك من المدح كما تحفظه من الذمِّ.

وقال بِشْر بن الحارث: أشد الأعمال ثلاثة:

الجود في القلَّة، والوَرَع في الخلوة، وكلمة الحقِّ عند من يخاف منه ويرجى.

وقيل: جاءت أخت بِشْر الحافي إلى أحمد بن حَنْبل وقالت:

إنا نغزل على سطوحنا، فتمر بنا مشاعل الظاهرية، ويقع الشعاع علينا، أفيجوز لنا الغزل في شعاعها؟

فقال أحمد: من أنت؟ عافاك الله تعالى.

فقالت: أخت بِشْر الحافي.

فبكى أحمد وقال: من بيتكم يخرج الورع الصادق، لا تغزلي في شعاعها.

وقال عليّ العطَّار: مررت بالبصرة في بعض الشوارع، فإذا مشايخ قعود وصبيان يلعبون، فقلت: أما تستحون من هؤلاء المشايخ؟!

فقال صبي من بينهم: هؤلاء المشايخ قل ورعهم فقلت هيبتهم.

وقيل: إنَّ مالك بن دينار مكث بالبصرة أربعين سنة، فلم يصح له أن يأكل شيئاً من تمر البصرة، ولا من رطبها، حتى مات ولم يذقه. وكان إذا انقضى وقت الرطب قال:

يا أهل البصرة، هذا بطني ما نقص منه شيء ولا زاد فيكم.

وقيل لإبراهيم بن أدهم: ألا تشرب من ماء زمزم؟

فقال لو كان لي دلو لشربت منه.

سمعت الأستاذ أبا الدقَّاق يقول:

كان الحارث المحاسبيّ إذا مدَّ يده إلى طعام فيه شبهة ضرب على رأس إصبعه عرق فيعلم أنه غير حلال.

وقال: إنَّ بِشْراً الحافيِّ دعي إلى دعوة، فوضع بين يديه طعام، فجهد أنْ يمد يده إليه، فلم تمتد ففعل ذلك ثلاث مرات. فقال رجل يعرف ذلك منه:

إنَّ يده لا تمتد إلى طعام فيه شبهة، ما كان أغنى صاحب هذه الدعوة أنْ يدعو هذا الشيخ؟!

أخبرنا أحمد بن مُحمَّد بن يَحيى الصوفيّ، قال: سمعت عبد الله بن عليّ بن يحيى التميميّ قال: سمعت أحمد بن مُحمَّد بن سالم بالبصرة يقول: سُئل سهل بن عبد الله عن الحلال الصافي، فقال: هو الذي لا يعصى الله تعالى فيه.

وقال سَهل: الحلال الصافي: الذي لا ينسى الله تعالى فيه.

ودخل الحسن البصريّ مكة، فرأى غلاماً من أولاد عليّ بن أبي طالب، رضي الله عنه، قد أسند ظهره إلى الكعبة يعظ الناس، فوثب عليه الحسن وقال له:

ما ملاك الدين؟ فقال: الورع. فقال له: فما آفة الدين؟ فقال: الطمع! فتعجب الحسن منه.

وقال الحسن: مثقال ذرة من الورع السالم خير من ألف مثقال من الصوم والصلاة.

وأوحى الله سُبحانه، إلى موسى، عليه الصلاة والسلام: لم يتقرب إليَّ المتقربون بمثل الورع والزهد.

وقال أبو هُريرة: جلساء الله تعالى غداً: أهل الورع والزهد.

وقال سَهل بن عبد الله: من لم يصحبه الورع أكل رأس الفيل ولم يشبع!!

وقيل: حُمل إلى عُمر بن عبد العزيز مِسْك[1] من الغنائم، فقبض على مشامه.

وقال: إنما ينتفع من هذا بريحه، وأنا أكره أنْ أجد ريحه دون المسلمين.

وسئل أبو عُثمان الحيريّ عن الورع، فقال:

كان أبو صالح حَمدون عند صديق له، وهو في النزع[2]، فمات الرجل فنفث أبو صالح في السّراج، فقيل له في ذلك، فقال:

إلى الآن كان الدهن له في المسرجة[3]، ومن الآن صار للورثة. اطلبوا دهناً غيره.

وقال كهمس:

أذنبتُ ذنباً أبكي عليه منذ أربعين سنة؛ وذلك: أنه زارني أخ لي؛ فاشتريت لأجله بدانق سمكة مشوية، فلما فرغ أخذت قطعة طين من جدار جار لي حتى غسل بها يده ولم أستحله.

وقيل: كان رجل يكتب رقعة، وهو في بيت بكراء[4]، فأراد أنْ يُترب الكتاب من جدار البيت، فخطر بباله أنَّ البيت بالكراء.. ثم إنه خطر بباله أنه لا خطر لهذا، فترب الكتاب، فسمع هاتفاً يقول: سيعلم المستخف بالتراب ما يلقاه غداً من طول الحساب!!

ورهن أحمد بن حَنْبل، رحمه الله تعالى، سِطلا له عند بقال بمكة، حرسها الله تعالى، فلما أراد فكاكه أخرج البقال إليه سطلين، وقال: خذ أيهما هو لك.

---

(١) المسك: (مع) ضرب من الطيب، وهو مادة دهنية عطرة سمراء اللون يفرزها أيّل المسك.

(٢) نزع المريض نزعاً: أشرف على الموت.

(٣) المسرجة: الإناء الذي تُجعل فيه الفتيلة والدهن (ج) مسارج.

(٤) اكترى: استأجر.

فقال أحمد أشكل عليَّ سطلي، فهو لك، والدراهم لك.

فقال البقَّال: سطلك هذا، وأنا أردت أنْ أجربك.

فقال: لا آخذه. ومضى. وترك السطل عنده.

وقيل: سَيَّب ابن المبارك دابة قيمتها كثيرة، وصلى صلاة الظهر، فرتعت الدابة في زرع قرية سلطانية، فترك ابن المبارك الدابة ولم يركبها.

وقيل: رجع ابن المبارك من «مَرو» إلى «الشام» في قلم استعاره فلم يرده على صاحبه.

واستأجر النخعيّ دابة، فسقط سوطه من يده، فنزل، وربط الدابة، ورجع فأخذ السوط، فقيل له: لو حولت الدابة إلى الموضع الذي سقط فيه السوط فأخذته كان أسهل لك فقال: إنما استأجرتها لأمضي هكذا. . لا هكذا!

وقال أبو بكر الدقَّاق:

تهت في تيه بني إسرائيل خمسة عشر يوماً. . فلما وافيت الطريق، استقبلني جندي فسقاني شربة من ماء، فعادت قسوتها على قلبي وتألمت ثلاثين سنة.

وقيل: خاطت رابعة العدوية شقاً في قميصها في ضوء مشعلة سلطان، ففقدت قلبها زماناً، حتى تذكرت، فشقت قميصها، فوجدت قلبها.

ورؤي سُفيان الثوري في المنام، وله جناحان يطير بهما في الجنة من شجرة إلى شجرة.

فقيل له: بم نلت هذا؟ فقال: بالورع.

ووقف حسَّان بن أبي سِنان على أصحاب الحسن، فقال: أي شيء أشد عليكم؟

فقالوا: الورع.

فقال: ولا شيء أخف علي منه.

فقالوا: فكيف؟

فقال: لم أرو من نهركم منذ أربعين سنة.

وكان حسَّان بن أبي سِنان لا ينام مضطجعاً، ولا يأكل سميناً، ولا يشرب ماء بارداً ستين سنة، فرؤي في المنام بعد موته، فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: خيراً، إلا أني محبوس عن الجنة بإبرة استعرتها فلم أردها.

وكان لِعبد الواحد بن زيد غلام خدمه سنين، وتعبَّد أربعين سنة: وكان في ابتداء أمره كيالاً، فلما مات رؤي في المنام، فقيل له: ما فعل الله بك؟

فقال: خيراً، غير أني محبوس عن الجنة، وقد أخرج على من غبار القفيز الذي اكتلته أربعين قفيزاً[1].

ومر عيسى ابن مريم، عليهما السلام بمقبرة، فنادى رجلاً منها، فأحياه الله تعالى:

فقال: من أنت؟

فقال كنت حمالاً أنقل للناس، فنقلت لإنسان يوماً حطباً، فكسرت منه خلالاً تخللت به فأنا مطالب به منذ متُّ.

وتكلم أبو سَعيد الخرَّاز في الورع.. فمر به عبَّاس بن المهتدي، فقال:

يا أبا سعيد، أما تستحي، تجلس تحت سقف أبي الدوانيق، وتشرب من بركة زُبيدة، وتتعامل بالدراهم المزيفة، وتتكلم في الورع؟!

باب الزُّهد[2]

أخبرنا حَمزة بن يُوسف السّهميّ الجرجانيّ[3]، قال: أخبرنا أبو الحسن عُبيد الله بن أحمد بن يَعقوب المقري ببغداد، قال: حدّثنا جَعفر بن مُجاشع قال: حدّثنا زيد بن إسماعيل قال: حدّثنا كثير بن هِشَام قال: حدّثنا الحكم بن هشام، عن يَحيى بن سَعيد، عن أفروة، عن أبي خلاد ـ وكانت له صحبة ـ قال: قال النبي ﷺ:

«إذا رأيتم الرجل قد أوتي زهداً في الدنيا، ومنطقاً، فاقتربوا منه، فإنه يلقن الحكمة»[4].

قال الأستاذ الإمام أبو القاسم، رحمه الله:

اختلف الناس في الزهد، فمنهم من قال:

الزهد في الحرام، لأنَّ الحلال مُباح من قبل الله تعالى، فإذا أنعم الله على عبده بمال من حلال، وتعبده بالشكر عليه، فتركه له باختياره، لا يقدم على إمساكه له بحق إذنه.

ومنهم من قال: الزّهد في الحرام واجب، وفي الحلال فضيلة، فإنَّ إقلال المال ـ والعبد صابر في حاله، راضٍ بما قسم الله تعالى له، قانع بما يعطيه ـ أتم من توسعه وتبسطه

---

(١) القفيز: مكيال كان يُكال به قديماً. ومن الأرض: قدر مائة وأربع وأربعين ذراعاً (ج) أقفزة.

(٢) الزهد: لغوياً: الإعراض عن الشيء وتركه.

(٣) حمزة بن يوسف بن إبراهيم السهمي القرشي الجرجاني، أبو القاسم، مؤرخ من الحفاظ من أهل جرجان، تولى بها الخطابة والوعظ، ورحل إلى أصبهان والري ونيسابور وغزنة وغيرها من بلاد خراسان والأهواز، ودخل العراق والشام ومصر والحجاز، وتوفي بنيسابور سنة (٤٢٧ هـ)، من كتبه: «تاريخ جرجان» و «سؤالات» وغيرهما. الأعلام ٢/ ٢٨٠.

(٤) أخرجه ابن ماجة (زهدا).

في الدنيا فإنَّ الله تعالى زهد الخلق في الدنيا بقوله: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ [النساء: ٧٧]: وغير ذلك من الأيات الواردة في ذم الدنيا والتزهيد فيها.

ومنهم من قال: إذا أنفق العبد ماله في الطاعة وعلم من حاله الصبر، وترك التعرض لما نهاه الشرع عنه في حال العسر، فحينئذ يكون زهده في المال الحلال أتم.

ومنهم من قال: ينبغي للعبد أنْ لا يختار ترك الحلال بتكلفه، ولا طلب الفضول مما لا يحتاج إليه ويراعي القسمة. فإنْ رزقه الله، سُبحانه وتعالى مالاً من حلال شكره، وإنْ وقفه الله تعالى على حد الكفاف لم يتكلف في طلب ما هو فضول المال، فالصبر أحسن بصاحب الفقر. والشكر أَلْيق بصاحب المال الحلال.

وتكلموا في معنى الزهد:

فكل نطق عن وقته، وأشار إلى حدِّه.

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السّلميّ، رحمه الله يقول: حدّثنا أحمد بن إسماعيل الأزدي قال: حدّثنا عمران بن مُوسى الإسفنجي قال: حدّثنا الدورقي قال: حدّثنا وكيع قال: قال سُفيان الثوريّ:

الزهد في الدنيا: قصر الأمل، ليس بأكل الغليظ، ولا بلبس العباء[1].

وسمعته يقول: سمعت سَعيد بن أحمد يقول: سمعت عبَّاس بن عِصَام يقول: سمعت الجُنيد يقول: سمعت السريّ السقطيّ يقول:

إنَّ الله سُبحانه، سلب الدنيا عن أوليائه، وحماها عن أصفيائه، وأخرجها من قلوب أهل وداده؛ لأنه لم يرضها لهم.

وقيل: الزهد من قوله سُبحانه وتعالى: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الحديد: ٢٣].

فالزاهد لا يفرح بموجود من الدنيا، ولا يتأسف على مفقود منها.

وقال أبو عُثمان: الزهد: أنْ تترك الدنيا ثم لا تبالي بمن أخذها.

سمعت الأستاذ أبا عليٍّ الدقاق يقول:

الزهد: أنْ تترك الدنيا كما هي، لا تقول أبني بها رباطاً[2] أو أعمر مسجداً.

وقال يحيى بن مُعاذ: الزهد: يورث السخاء بالملك، والحبّ يورث السخاء بالروح، وقال ابن الجلاَّء: الزهد: هو النظر إلى الدنيا بعين الزوال، لتصغر في عينك فيسهل عليك الإعراض عنها.

---

(١) العباءة: كساء واسع بلا كمين مشقوق من قدام يُلبس فوق الثياب (ج) عباءات.

(٢) الرباط: ملجأ الفقراء من المتصوفة (مو) (ج) رُبُط.

وقال ابن خفيف: علامة الزهد: وجود الراحة في الخروج عن الملك.
وقال أيضاً: الزهد: سلو القلب عن الأسباب، ونفض الأيدي من الأملاك.

وقيل الزهد: عزوف النفس عن الدنيا بلا تكلف.

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السّلمي، رحمه الله يقول: سمعت النصراباذي يقول:

الزاهد: غريب في الدنيا، والعارف غريب في الآخرة.

وقيل: من صدق في زهده أتته الدنيا راغمة.

ولهذا قيل: لو سقطت قلنسوة[1] من السماء لما وقعت إلا على رأس من لا يريدها.

وقال الجُنيد: الزهد خلو القلب عمَّا خلت منه اليد.

وقال أبو سُليمان الداراني: الصوف علم من أعلام الزهد؛ فلا ينبغي للزاهد أن يلبس صوفاً بثلاثة دراهم، وفي قلبه رغبة خمسة دراهم.

وقد اختلف السلف في الزهد:

فقال سُفيان الثوريّ، وأحمد بن حَنْبل، وعيسى بن يُونس، وغيرهم: الزهد في الدنيا: إنما هو قصر الأمل.

وهذا الذي قالوه يحمل على أنه من أمارات الزهد، والأسباب الباعثة عليه والمعاني الموجبة له.

وقال عبد الله بن المبارك: الزهد: هو الثقة بالله تعالى مع حب الفقر.

وبه قال شقيق البلخيّ، ويُوسف بن أَسْباط وهذا أيضاً من أمارات الزهد، فإنه لا يقوى العبد على الزهد، إلا بالثقة بالله تعالى.

وقال عبد الواحد بن زيد: الزهد: ترك الدينار والدرهم.

وقال أبو سُليمان الداراني: الزهد: ترك ما يشغل عن الله سُبحانه وتعالى.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين، رحمه الله، يقول: سمعت أحمد بن عليّ يقول: سمعت إبراهيم بن فاتك يقول: سمعت الجُنيد يقول، وقد سأله رُويم عن الزهد، فقال:

هو استصغار الدنيا، ومحو آثارها من القلب.

وقال سري: لا يطيب عيش الزاهد إذا اشتغل عن نفسه، ولا يطيب عيش العارف إذا اشتغل بنفسه.

وسُئل الجُنَيد عن الزهد، فقال: خلوُّ اليد من الملك، والقلب من التتبع.

وسُئل الشبلي عن الزهد فقال: أنْ تزهد فيما سوى الله تعالى.

---

(١) القلنسوة: لباس للرأس مختلف الأنواع والأشكال (ج) قلانس.

وقال يَحيى بن مُعاذ:

لا يبلغ أحد حقيقة الزهد حتى يكون فيه ثلاثُ خصال:

عمل بلا علاقة، وقول بلا طمع، وعز بلا رياسة.

وقال أبو حَفْص: الزهد لا يكون إلا في الحلال، ولا حلال في الدنيا، فلا زهد.

وقال أبو عُثمان: إنَّ الله تعالى يعطي الزاهد فوق ما يريد، ويعطي الراغب دون ما يريد، ويعطي المستقيم موافقة ما يريد.

وقال يَحيى بن مُعاذ: الزاهد يسعطك[١] الخل[٢] والخردل[٣]، والعارف يشمك المسك والعنبر[٤].

وقال الحسن البصري: الزهد في الدنيا أنْ تبغض أهلها وتبغض ما فيها.

وقيل لبعضهم: ما الزهد في الدنيا؟ قال: ترك ما فيها على من فيها.

وقال رجل لذي النُّون المصري: متى أزهد في الدنيا؟

فقال: إذا زهدتَ في نفسك.

وقال مُحمَّد بن الفَضْل: إيثار الزهاد عند الاستغناء، وإيثار الفتيان عند الحاجة، قال الله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩].

وقال الكتاني: الشيء الذي لم يخالف فيه كوفيّ ولا مدنيّ ولا عراقيّ، ولا شاميّ: الزهد في الدنيا، وسخاوة النفس، والنصيحة للخلق. يعني أن هذه الأشياء لا يقول أحد إنها غير محمودة.

وقال رجل ليحيى بن مُعاذ: متى أدخل حانوت التوكل، وألبس رداء الزاهدين؟

فقال: إذا صرت من رياضتك في السر إلى حد لو قطع الله عنك الرزق ثلاثة أيام لم تضعف في نفسك.

فأما ما لم تبلغ هذه الدرجة فجلوسك على بساط الزاهدين جهل، ثم لا آمن عليك أنْ تفتضح بينهم!!

وقال بِشْر الحافي: الزهد: ملك لا يسكن إلا في قلب مخلي.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين، رحمه الله، يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت ابن مُحمَّد بن الأشعث البيكنديّ يقول:

---

(١) يسعطك: أي يدخله في أنفك.

(٢) الخل: ما حَمُض من عصير العنب وغيره (ج) خلول.

(٣) الخردل: نبات عشبي من الفصيلة الصليبية له حب صغير جداً حرِّيف الطعم من المشهِّيات.

(٤) العنبر: من الطيب.

من تكلم في الزهد، ووعظ الناس، ثم رغب في مالهم، رفع الله تعالى حب الآخرة من قلبه.

وقيل: إذا زهد العبد في الدنيا وكل الله تعالى به ملكاً يغرس الحكمة في قلبه.

وقيل: لبعضهم: لم زهدت في الدنيا؟ فقال: لزهدها فيّ.

وقال أحمد بن حَنْبل: الزهد على ثلاثة أوجه:

ترك الحرام، وهو: زهد العوام.

والثاني: ترك الفضول من الحلال، وهو: زهد الخواص.

والثالث: ترك ما يشغل العبد عن الله تعالى، وهو: زهد العارفين.

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقَّاق، يقول:

قيل لبعضهم: لم زهدت في الدنيا؟

قال: لما زهدت في أكثرها أنفت من الرغبة في أقلها.

وقال يَحيى بن مُعاذ: الدنيا كالعروس المجلوة، ومن يطلبها ما شطتها والزاهد فيها يسخم[1] وجهها، وينتف شعرها، ويحرق ثوبها. والعارف مشتغل بالله تعالى، لا يلتفت إليها.

سمعت أبا عبد الله الصوفي يقول: سمعت أبا الطيب السَّامري يقول: سمعت الجُنيد يقول: سمعت السريّ يقول:

مارست كل شيء من أمر الزهد، فنلت منه ما أريد، إلا الزهد في الناس؛ فإني لم أبلغه، ولم أطقه.

وقيل: ما خرج الزاهدون إلا إلى أنفسهم، لأنهم تركوا النعيم الفاني للنعيم الباقي.

وقال النصراباذي: الزاهد حقن دماء الزاهدين، وسفك دماء العارفين.

وقال حاتم الأصم: الزاهد يذيب كيسه قبل نفسه، والمتزاهد يذيب نفسه قبل كيسه.

سمعت مُحمَّد بن عبد الله يقول: حدّثنا عليّ بن الحُسين الموصليّ قال: حدثنا أحمد بن الحُسين قال: حدّثنا مُحمَّد بن الحسن قال: حدّثنا مُحمَّد بن جعفر قال: سمعت الفُضَيل بن عيَّاش يقول:

جعل الله الشر كله في بيت، وجعل مفتاحه حبّ الدنيا، وجعل الخير كله في بيت، وجعل مفتاحه الزهد.

---

(١) السخم: السواد.

باب الصَّمت[1]

أخبرنا عبد الله بن يُوسف الأصبهاني قال: حدّثنا أبو بكر مُحمَّد بن الحُسين القطَّان قال: حدّثنا أحمد بن يُوسف السّلميّ قال: حدّثنا عبد الرزاق قال: أخبرنا مُعْمر، عن الزهريّ، عن أبي سلمة، عن أبي هُريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت**»[2].

أخبرنا عليّ بن أحمد بن عبدان، قال: أخبرنا أحمد بن عُبيد قال: حدّثنا بِشْر بن موسى الأسدي[3] قال: حدّثنا مُحمَّد بن سَعيد الأصبهاني، عن ابن المبارك، عن يحيى بن أيوب، عن عُبيد الله بن زحر، عن عليّ بن يزيد، عن القاسم، عن أبي أُمامة، عن عُقبة بن عامر قال: قلت:

«يا رسول الله، ما النجاة؟

قال: «**احفظ عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك**»[4].

قال الأستاذ، رحمه الله: الصمت سلامة، وهو الأصل، وعليه ندامة إذا ورد عنه الزجر فالواجب: أن يعتبر فيه الشرع، والأمر والنهي.

والسكوت في وقته: صفة الرجال، كما أنَّ النطق في موضعه من أشرف الخصال.

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقَّاق يقول: من سكت عن الحق فهو شيطان أخرس.

والصمت: من آداب الحضرة، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

وقال تعالى ـ خبراً عن الجن بحضرة الرسول ﷺ ـ: ﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ . .﴾ [الأحقاف: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: ١٠٨].

وكم بين عبد يسكت تصاوناً عن الكذب والغيبة. وبين عبد يسكت لاستيلاء سلطان

---

(١) صمت صمتاً وصموتاً وصماتاً: لم ينطق، أو أطال السكوت.

(٢) أخرجه البخاري (أدب ٣١، ٨٥)، (رقاق ٢٣)، ومسلم (إيمان ٧٤)، (لقطة ١٤)، وأبو داود (أدب ١٢٣)، والترمذي (قيامة ٥٠)، والموطأ (صفة النبي ٢٢)، وأحمد بن حنبل ٢، ١٧٤، ٢٦٧، ٤٣٣، ٤، ٣١، ٥، ٢٤٧، ٦، ٦٩، ٣٨٤، ٣٨٥.

(٣) بشر بن موسى الأسدي بن صالح بن شيخ بن عميرة البغدادي. روى عن هوذة بن خليفة والأصمعي، وسمع من روح بن عبادة حديثاً واحداً، وكان ثقة محتشماً كثير الرواية. عاش ثمانياً وتسعين سنة. مات في ربيع الأول سنة ثمان وثمانين ومائتين. شذرات الذهب ٢/١٩٦.

(٤) أخرجه الترمذي (زهد ٦١)، وأحمد بن حنبل ٤، ١٤٨، ١٥٨، ١٥٩، ٥، ٢٥٩.

الهيبة عليه. وفي معناه أنشدوا:

أفكـــر مـــا أقـــول إذا افتـــرقنـــا ... وأحكـــم دائبـــاً حجـــج المقـــال
فـــأنســـاهـــا إذا نحـــن التقينـــا ... فـــأنطـــق حيـــن أنطـــق، بـــالمحـــال

وأنشدوا:

فيـا ليـل كـم مـن حـاجـة لـي مهمـة ... إذا جئتكـم لـم أدر يـا ليـل مـا هيـا

وأنشدوا:

وكـــم حـــديـــث لـــك حتـــى إذا ... مكنـــت مـــن لقيـــاك أنسيتـــه

وأنشدوا:

رأيـــت الكـــلام يـــزيـــن الفتـــى ... والصمـــتُ خيـــر لمـــن قـــد صمـــت
حكـم مـن حـروف تجـر الحتـوف[1] ... ونـــاطـــق ودّ أن لـــو سكـــت

والسكوت على قسمين: سكوت بالظاهر، وسكوت بالقلب والضمائر.

فالمتوكل: يسكت قلبه عن تقاضي الأرزاق.

والعارف: يسكت قلبه مقابلة للحكم بنعت الوفاق.

فهذا بجميل صنعه واثق، وهذا بجميع حكمه قانع.

وفي معناه قالوا:

تجـــري عليـــك صـــروفـــه ... وهمـــوم ســـرك مطـــرقـــه

وربما يكون سبب السكوت حيرة البديهة؛ فإنه إذا ورد كشف عن وصف البغتة خرست العبارات عند ذلك، فلا بيان، ولا نطق. وطمست الشواهد هنالك، فلا علم، ولا حس.

قال الله تعالى: ﴿۞يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآ﴾ [المائدة: ١٠٩].

فأما إيثار[2] أرباب المجاهدة السكوت: فلما علموا ما في الكلام من الآفات؛ ثم ما فيه من حظ النفس، وإظهار صفات المدح، والميل إلى أن يتميز بين أشكاله بحسن النطق، وغير هذا من آفات في الخلق، وذلك نعت أرباب الرياضات، وهو أحد أركانهم في حكم المنازلة وتهذيب الخلق.

وقيل: إنَّ داود الطائيّ، لما أراد أنْ يعقد في بيته اعتقد أنْ يحضر مجالس أبي حنيفة،

---

(١) الحتف: الموت (ج) حتوف.

(٢) الإيثار: التفضيل.

رحمه الله، إذ كان تلميذاً له، ويقعد بين أقرانه من العلماء، ولا يتكلم في مسألة، فلما قوَّي نفسه على ممارسة هذه الخصلة سنة كاملة، قعد في بيته عند ذلك وآثر العزلة.

وكان عُمر بن عبد العزيز، رحمه الله، إذا كتب كتاباً واستحسن لفظه مزق الكتاب وغيره.

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السلميّ، رحمه الله، يقول: أخبرنا عبد الله بن محمد الرازيّ، قال: حدّثنا أبو العبَّاس مُحمَّد بن إسحاق السرَّاج قال: سمعت أحمد بن الفتح يقول: سمعت بِشْر بن الحارث يقول:

إذا أعجبك الكلام فاصمت، وإذا أعجبك الصمت فتكلم.

وقال سهل بن عبد الله: لا يصح لأحد الصمت حتى يلزم نفسه للخلوة، ولا تصح له التوبة حتى يلزم نفسه الصمت.

وقال أبو بكر الفارسي: من لم يكن الصمت وطنه فهو في الفضول وإنْ كان صامتاً. والصمت ليس بمخصوص على اللسان، لكنه على القلب والجوارح كلها.

وقال بعضهم: من لم يستغنم السكوت فإذا نطق نطق بلغو[1].

سمعت مُحمَّد بن الحُسين يقول: سمعت مُحمَّد بن عبد الله بن شاذان يقول: سمعت ممشاد الدينوريّ يقول: الحكماء ورثوا الحكمة بالصمت والتفكر.

وسُئل أبو بكر الفارسيّ عن صمت السر فقال: ترك الإشتغال بالماضي والمستقبل.

وقال أبو بكر الفارسيّ: إذا كان العبد ناطقاً فيما يعنيه، وفيما لا بد منه، فهو في حد الصمت.

روى عن مُعاذ بن جبل[2]، رضي الله عنه، أنه قال:
كلم الناس قليلاً، وكلم ربك كثيراً؛ لعل قلبك يرى الله تعالى.
وقيل لذي النون المصريّ: من أصون الناس لقلبه؟ قال: أملكهم للسانه.

وقال ابن مسعود: ما من شيء يطول السجن أحق من اللسان.

وقال عليّ بن بكَّار: جعل الله تعالى لكل شيء بابين، وجعل اللسان أربعة أبواب: فالشفتان مصراعان، والأسنان مصراعان.

---

(١) اللغو: ما لا يُعتد به من كلام وغيره ولا يحصل منه على فائدة ولا نفع.

(٢) معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي، أبو عبد الرحمن. صحابي جليل، كان أعلم الأمة بالحلال والحرام وهو أحد الستة الذين جمعوا القرآن على عهد النبي ﷺ. أسلم وهو فتى وآخى النبي ﷺ وشهد العقبة مع الأنصار السبعين، وشهد بدراً وأحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، ثم بعثه الرسول قاضياً ومرشداً لأهل اليمن. له ١٥٧ حديثاً. ولد سنة (٢٠ ق هـ)، وتوفي عقيماً بناحية الأردن سنة (١٨ هـ).

وقيل: إنَّ أبا بكر الصدِّيق، رضي الله عنه، كان يمسك في فيه حجراً كذا كذا سنة؛ ليقل كلامه.

وقيل: إنَّ أبا حمزة البغداديّ، رحمه الله، كان حسن الكلام، فهتف به هاتف، فقال له: تكلمت فأحسنت، بقي أنْ تسكت فتحسن؟ فما تكلمَّ بعد ذلك حتى مات قريباً من هذه الحالة على رأس أسبوع، أو أقلَّ، أو أكثر.

وربما يكون السكوت يقع على المتكلم تأديباً له، لأنه أساء أدبه في شيء.

كان الشبلي إذا قعد في حلقته، ولا يسألونه، يقول: «ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون».

وربَّما يقع السكوت على المتكلم، لأنَّ في القوم من هو أولى منه بالكلام.

سمعت ابن السِّماك يقول: كان بين شاه الكرماني، ويحيى بن مُعاذ صداقة، فجمعهما بلد، فكان شاه لا يحضر مجلسه، فقيل له في ذلك: فقال: الصواب هذا. فما زالوا به حتى حضر يوماً مجلسه، وقعد ناحية لا يشعر به يحيى بن مُعاذ، فلما أخذ يَحيى في الكلام سكت ثم قال: ها هنا من هو أولى بالكلام مني، وارتج[1] عليه. فقال شاه: قلت لكم الصواب أنْ لا أحضرُ مجلسه.

وربّما يقع السكوت على المتكلم لمعنى في الحاضرين، وهو أنه يكون هناك من ليس بأهل لسماع ذلك الكلام فيصون الله تعالى لسان المتكلم غيرة وصيانة لذلك الكلام عن غير أهله.

وربما كان سبب السكوت الذي يقع على المتكلم: أن بعض الحاضرين كان معلومُ الله تعالى من حاله أنه يسمع ذلك الكلام، فيكون فتنة له، إما لتوهمه أنه وقته ولا يكون، أو لأنه يحمِّل نفسه ما لا يطيق فيرحمه الله، عزَّ وجل، بأنْ يحفظ سمعه عن ذلك الكلام، إما صيانة له، أو عصمة عن غلطه.

وقال مشايخ هذه الطريقة.

ربما يكون السبب فيه حضور من ليس بأهل لسماعه من الجن، إذ لا تخلو مجالس القوم من حضور جماعة من الجن.

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقَّاق، رحمه الله يقول:

اعتللت مرة «بمرو» فاشتقت أنْ أرجع إلى «نيسابور».. فرأيت في المنام. كأن قائلاً يقول لي: لا يمكنك أنْ تخرج من هذا البلد، فإنَّ جماعة من الجنّ قد استحلوا كلامك، ويحضرون مجلسك، فلأجلهم تجلس ها هنا.

---

(١) أُرتج عليه: استغلق عليه الكلام.

وقال بعض الحكماء: إنما خلق للإنسان لسان واحد، وعينان، وأذنان ليسمع ويبصر أكثر مما يقول.

ودعي إبراهيم بن أدهم إلى دعوة؛ فلما جلس أخذوا في الغيبة، فقال: عندنا يؤكل اللحم بعد الخبز، وأنتم ابتدأتم بأكل اللحم؟ أشار إلى قوله تعالى: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات: ١٢].

وقال بعضهم: الصَّمت، لسان الحلم.

وقال بعضهم: تعلَّم الصمت، كما تتعلم الكلام؛ فإن كان الكلام يهديك فإنَّ الصمت يقيك.

وقيل: عفة اللسان صمته.

وقيل: مثل اللسان مثل السبع إنْ لم تُوثقه عدا عليك.

وسُئل أبو حَفْص: أيُّ الحالين للوليِّ أفضل؟ الصَّمت، أو النّطق؟

فقال: لو علم الناطق ما آفة النطق لصمت إنْ استطاع عمرَ نوح.

ولو علم الصامت ما آفة الصمت لسأل الله تعالى، ضعفي عُمر نوح حتى ينطق.

وقيل: صمت العوام بألسنتهم، وصمت العارفين بقلوبهم، وصمت المحبين بالتحفظ من خواطر أسرارهم.

وقيل لبعضهم: تكلَّم، فقال: ليس لي لسان فأتكلَّم.

فقيل له: اسمع، فقال: ليس فيَّ مكان فأسمع.

وقال بعضهم: مكثت ثلاثين سنة لا يسمع لساني إلا من قلبي، ثم مكثت ثلاثين سنة لا يسمع قلبي إلا من لساني.

وقال بعضهم: لو أسكت لسانك لم تنج من كلام قلبك، ولو صرت رميماً لم تتخلص من حديث نفسك، ولو جهدت كلَّ الجهد لم تكلمك روحك، لأنها كاتمة للسر.

وقيل: لسان الجاهل مفتاح حتفه.

وقيل: المحبّ: إذا سكت هلك، والعارف إذا سكت مَلك.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين، رحمه الله يقول سمعت عبد الله بن مُحمَّد الرازيّ يقول: سمعت مُحمَّد بن نَصر الصَّائغ يقول: سمعت مردوية الصَّائغ يقول: سمعت الفُضَيل بن عيَّاض يقول:

من عدَّ كلامه من عمله قلَّ كلامه إلا فيما يعنيه.

باب الخَوف[1]

قال الله تعالى: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [السجدة: ١٦].

أخبرنا أبو بكر مُحمَّد بن أحمد عَبدوس الحيريّ العدل، قال: أخبرنا أبو بكر مُحمَّد بن أحمد بن دلوية الدقَّاق قال: حدّثنا مُحمَّد بن يزيد قال: حدَّثنا عامر بن أبي الفُرات قال: حدّثنا المسعوديّ، عن مُحمَّد بن عبد الرحمن، عن عيسى بن طلحة، عن أبي هُريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

«لا يدخل النار من بكى من خشية الله تعالى، حتى يلج[2] اللبن في الضّرع. ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودُخان جهنم في منخري عبد أبداً»[3].

حدّثنا أبو نعيم أحمد بن مُحمَّد بن إبراهيم المهرجاني قال: حدّثنا أبو مُحمَّد عبد الله بن مُحمَّد بن الحسن بن الشرفي، قال: حدّثنا عبد الله بن هاشم قال: حدّثنا يَحيى بن سَعيد القطان[4] قال: حدّثنا شُعبة قال: حدّثنا قتادة، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ:

«لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيراً»[5].

قلت: الخوف معنى متعلقه في المستقبل، لأنه إنما يخاف أنْ يحلَّ به مكروه، أو يفوته محبوب. ولا يكون هذا إلا لشيء يحصل في المستقبل.

فأمَّا ما يكون في الحال موجوداً، فالخوف لا يتعلق به.

والخوف من الله تعالى هو: أنْ يخاف أنْ يعاقبه الله تعالى إمَّا في الدنيا، وإما في الآخرة.

وقد فرض الله، سُبحانه، على العباد أنْ يخافوه، فقال تعالى: ﴿وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

---

(١) الخوف: لغوياً الفزع لتوقع مكروه.

(٢) ولج: دخل.

(٣) أخرجه النسائي (جهاد ٨)، وأحمد بن حنبل، ٢، ٢٥٦، ٥٠٥.

(٤) يحيى بن سعيد بن فروخ القطان التميمي، أبو سعيد، من حفاظ الحديث، ثقة حجة، من أقران مالك وشعبة من أهل البصرة، كان يُفتي بقول أبي حنيفة. ولد سنة (١٢٠ هـ) وتوفي سنة (١٩٨ هـ). له كتاب «المغازي». الأعلام ٨/١٤٧، وتذكرة الحفاظ ١/ ٢٧٤.

(٥) أخرجه البخاري (كسوف ٢)، (تفسير سورة ٥، ١٢)، نكاح ١٠٧)، (رقاق ٢٧)، (أيمان ٣) ومسلم (صلاة ١١٢)، (كسوف ١)، (فضائل ١٣٤)، والنسائي (سهو ١٠٢)، (كسوف ١١، ٢٣)، والترمذي (زهد ٩)، وابن ماجة (زهد ١٩)، والدارمي (رقاق ٢٦)، والموطأ (كسوف ١)، وأحمد بن حنبل ٢، ٢٥٧، ٣١٣، ٤١٨، ٤٣٢، ٤٥٣، ٤٧٧، ٥٠٢، ٣، ١٠٢، ١٢٦، ١٥٤، ١٨٠، ١٩٣، ١٢٠، ٢١٧، ٢٤٠، ٢٤٥، ٢٥١، ٢٦٨، ٢٩٠، ١٧٣، ٦، ٨١، ١٦٤.

وقال: ﴿ ۞وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴾ [النحل: ٥١]، ومدح المؤمنين بالخوف، فقال: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ﴾ [النحل: ٥٠].

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقّاق، رحمه الله، يقول:

الخوف على مراتب: الخوف، والخشية، والهيبة.

فالخوف من شرط الإيمان وقضيته، قال الله تعالى: ﴿ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

والخشية من شرط العلم، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ [فاطر: ٢٨] والهيبة من شرط المعرفة، قال الله تعالى: ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ ﴾ [آل عمران: ٢٨].

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السّلمي، رحمه الله؛ يقول: سمعت مُحمَّد بن علي الحيري يقول: سمعت محفوظاً يقول: سمعت أبا حَفْص يقول: الخوف سوْط الله يقوّم به الشاردين عن بابه.

وقال أبو القاسم الحكيم: الخوف على ضربين: رهبة، وخشية.

فصاحب الرهبة يلتجيء إلى الهرب إذا خاف، وصاحب الخشية يلتجيء إلى الرب.

قال رحمه الله: ورهب، وهرب؛ يصح أنح يقال: أنهما واحد معنى، مثل: جذب، وجبد.

فإذا هرب انجذب في مقتضى هواه، كالرهبان الذين اتبعوا أهواءهم فإذا كبحهم لجام العلم وقاموا بحق الشرع، فهو الخشية.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين يقول: سمعت عبد الله بن مُحمَّد الرازي يقول: سمعت أبا عُثمان يقول: سمعت أبا حَفْص يقول:

الخوف، سراج القلب، به يبصر ما فيه من الخير والشر.

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقّاق، رحمه الله يقول:

الخوف ألاّ تعلل نفسك بعسى وسوف.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين: يقول: سمعت أبا القاسم الدمشقي يقول: سمعت أبا عُمر الدمشقي يقول:

الخائف، من يخاف من نفسه أكثر مما يخاف من الشيطان.

وقال ابن الجلاّء: الخائف، من تؤمنه المخوفات.

وقيل: ليس الخائف الذي يبكي ويمسح عينيه، إنما الخائف من يترك ما يخاف أنْ يعذب عليه.

وقيل للفُضَيل، ما لنا لا نرى خائفاً؟
فقال: لو كنتم خائفين لرأيتم الخائفين، إنَّ الخائف لا يراه إلا الخائفون، وإن الثكلى[1]، هي التي تحبّ أنْ ترى الثكلى.

وقال يحيى بن مُعاذ: مسكين ابن آدم، لو خاف من النار كما يخاف من الفقر لدخل الجنة.

وقال شاه الكرماني: علامة الخوف: الحزن الدائم.
وقال أبو القاسم الحكيم: من خاف من شيء هرب منه، ومن خاف من الله عزَّ وجل هرب إليه.

وسُئل ذو النُّون المصري، رحمه الله، متى يتيسر على العبد سبيل الخوف؟
فقال: إذا أنزل نفسه منزلة السقيم، يحتمي من كل شيء؛ مخافة طول المقام.

وقال مُعاذ بن جَبل، رضي الله عنه: إنَّ المؤمن لا يطمئن قلبه، ولا تسكن روعته حتى يخلِّف جسر جهنم وراءه.

وقال بِشْر الحافي: الخوف من الله ملك لا يسكن إلا في قلب متق.
وقال أبو عُثمان الحيريّ: عيب الخائف في خوفه السكون إلى خوفه لأنه أمر خفيّ.

وقال الواسطيّ: الخوف حجاب بين الله تعالى وبين العبد.
وهذا اللفظ فيه إشكال ومعناه: أنَّ الخائف متطلع لوقت ثان. وأبناء الوقت لا تطلع لهم في المستقبل، وحسنات الأبرار سيئات المقربين.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين، رحمه الله، يقول: سمعت مُحمَّد بن النهاوندي يقول: سمعت ابن فاتك يقول: سمعت النوري يقول: «الخائف يهرب من ربه إلى ربه».

وقال بعضهم: علامة الخوف التحير والوقوف على باب الغيب:
سمعت أبا عبد الله الصوفي يقول: سمعت عليّ بن إبراهيم العكبري يقول: سمعت الجُنيد وقد سُئل عن الخوف، فقال:

هو توقع العقوبة مع مجاري الأنفاس.
سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السّلمي، رحمه الله، يقول: سمعت الحُسين بن أحمد الصفَّار يقول: سمعت مُحمَّد بن المسيَّب يقول: سمعت هاشم بن خالد يقول: سمعت أبا سُليمان الداراني يقول:

ما فارق الخوف قلباً إلا خرب.

---

(١) الثكلى: الأم التي فقدت ولدها.

وسمعته يقول: سمعت عبد الله بن مُحمَّد بن عبد الرَّحمن يقول: سمعت أبا عُثمان يقول:

صدق الخوف، هو الورع عن الآثام ظاهراً وباطناً.

وقال ذو النُّون: الناس على الطريق ما لم يزل عنهم الخوف، فإذا زال عنهم الخوف ضلوا عن الطريق.

وقال حاتم الأصم: لكل شيء زينة، وزينة العبادة الخوف، وعلامة الخوف قِصَر الأمل.

وقال رجل لبِشْر الحافي: أراك تخاف الموت!!

فقال: القدوم على الله، عزَّ وجل شديد.

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقَّاق، يقول: دخلت على الإمام أبي بكر بن فُورك عائداً، فلما رآني دمعت عيناه، فقلت له: إنْ شاء الله تعالى يعافيك ويشفيك.

فقال لي: تراني أخاف من الموت؟ إنما أخاف مما وراء الموت!!

أخبرنا عليّ بن أحمد الأهوازي قال: أخبرنا أحمد بن عُبيد قال: حدّثنا مُحمَّد بن عُثمان قال: حدّثنا القاسم بن مُحمَّد قال: حدثنا يَحيى بن يمان[1]، عن مالك بن مغول، عن عبد الرَّحمن بن سَعيد بن مَوْهب، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قلت:

«يا رسول الله: الذين يؤتون ما آتوا: وقلوبهم وجلة، أهو الرجل يسرق ويزني ويشرب الخمر؟

قال: لا: ولكن الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف أنْ لا يقبل منه»[2].

وقال ابن المبارك: رحمه الله: الذي يهيج الخوف حتى يسكن في القلب دوامُ المراقبة في السِّر والعلانية.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين يقول: سمعت مُحمَّد بن الحسن يقول: سمعت أبا القاسم بن أبي موسى، يقول: سمعت مُحمَّد بن أحمد: قال: حدّثنا علي الرازي قال: سمعت ابن المبارك: رحمه الله يقول ذلك.

وسمعت مُحمَّد بن الحُسين يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت إبراهيم بن شَيبان يقول:

---

(١) يحيى بن اليمان العجلي الكوفي أبو زكريا، حافظ، مفسر، كان صدوقاً ثقة كثير الحفظ، سريعه إلا أنه فلج، وتغير حفظه وغلط فيما يرويه. له كتاب «التفسير» توفي سنة (١٨٩ هـ). الأعلام ٨/ ١٧٧، وشذرات الذهب ١/ ٣٢٥.

(٢) أخرجه الترمذي (تفسير سورة ٢٣، ٣).

إذا سكن الخوف القلب أحرق مواضع الشهوات منه، وطرد رغبة الدنيا عنه.

وقيل، الخوف، قوّة العلم بمجاري الأحكام.

وقيل، الخوف، حركة القلب من جلال الربِّ.

وقال أبو سُليمان الداراني، ينبغي للقلب أنْ لا يكون الغالب عليه إلا الخوف، فإنه إذا غلب الرجاء على القلب فسد القلب.

ثم قال: يا أحمد، بالخوف ارتفعوا، فإنْ ضيعوه نزلوا.

وقال الواسطيّ: الخوف؛ والرجاء، زمامان[1] على النفوس، لئلا، تخرج إلى رعوناتها.

وقال الواسطيّ: إذا ظهر الحق على السرائر، لا يبقي فيها فضلة لرجاء ولا لخوف.

قال الأستاذ أبو القاسم: وهذا فيه إشكال. ومعناه: إذا اصطلمت شواهد الحق، تعالى، الأسرار ملكتها، فلا يبقى فيها مساغ لذكر حدثان، والخوف والرجاء من آثار بقاء الإحساس بأحكام البشرية.

وقال الحُسين بن مَنْصور: من خاف من شيء سوى الله عزَّ وجل أو رجا سواه أغلق عليه أبواب كل شيء، وسلط عليه المخافة؛ وحجبه بسبعين حجاباً أيسرها الشك، وإن مما أوجب شدة خوفهم، فكرهم في العواقب، وخشية تغير أحوالهم، قال الله تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧]؟ وقال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَـٰلًا ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٣ ـ ١٠٤].

فكم من مغبوط[2] في أحواله أنعكست عليه الحال، ومني بمقارنة قبيح الأفعال، فبدل بالأنس وحشة، وبالحضور غيبة..

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقّاق، رحمه الله، ينشد كثيراً:

أحسنت ظنك بالأيام إذ حسنت ... ولم تخف سوء ما يأتي به القدر

وسالمتك الليالي فاغتررت بها ... وعند صفو الليالي يحدث الكدر

سمعت مَنْصور بن خَلَف المغربيّ يقول:

كان رجلان اصطحبا في الإرادة برهة[3] من الزمان.. ثم إن أحدهما سافر، وفارق صاحبه.. وأتى عليه مدة من الزمان ولم يسمع منه خبراً.. فبينا هذا الآخر كان في غزاة يُقاتل عسكر الروم إذ خرج على المسلمين رجل مقنع في السلاح، يطلب المبارزة.. فخرج

(١) الزمام: ما يُشد به، والمقود.

(٢) الغبطة: أن يتمنى المرء مثل ما للمغبوط من النعمة من غير أن يتمنى زوالها عنه.

(٣) البُرهة: المدة الطويلة من الزمان.

إلَيْه من أبطال المسلمين واحد، فقتله الرومي.. ثم خرج آخر فقتله.. ثم ثالث فقتله، فخرج إليه هذا الصوفي.. وتطاردا، فحسر الرومي عن وجهه، فإذا هو صاحبه الذي صحبه في الإرادة والعبادة سنين.

قال هذا له: إيش الخبر؟

فقال: إنه ارتد.. وخالط القوم.. وولد له أولاد.. واجتمع له مال، فقال له: كنت تقرأ القرآن بقراءات كثيرة؟!

فقال: لا أذكر منه حرفاً.

فقال له هذا الصوفي: لا تفعل، وارجع، فقال: لا أفعل، فلي فيهم جاه ومال، فانصرف أنت عني، وإلا لأفعلن بك ما فعلت بأولئك.

فقال له الصوفي: اعلم أنك قتلت ثلاثة من المسلمين، وليس عليك أنفه في الانصراف، فانصرف أنت وأنا أمهلك.

فرجع الرجل مولياً: فتبعه هذا الصوفي، وطعنه، فقتله.

فبعد تلك المجاهدات، ومقاساة تلك الرياضات، قتل على النصرانية.

وقيل: لما ظهر على إبليس ما ظهر، طفق جبريل وميكائيل، عليهما السلام يبكيان زماناً طويلاً، فأوحى الله، تعالى إليهما: ما لكما تبكيان كل هذا البكاء؟ فقالا: يا ربنا، لا نأمن من مكرك.

فقال الله تعالى: هكذا كونا، لا تأمنا مكري.

ويحكى عن السريّ السقطي أنه قال:

إني لأنظر إلى أنفي في اليوم كذا مرة؛ مخافة أنْ يكون قد اسود، لما أخافه من العقوبة!!

وقال أبو حَفْص: منذ أربعين سنة اعتقادي في نفسي، أنَّ الله؛ تعالى، ينظر إلي نظر السخط، وأعمالي تدل على ذلك.

وقال حاتم لأصم: لا تغتر بموضع صالح؛ فلا مكان أصلح من الجنة، فلقي آدم، عليه السلام فيها ما لقي!! ولا تغتر بكثرة العبادة؛ فإنَّ إبليس بعد طول تعبده لقي ما لقي!! ولا تغتر بكثرة العلم؛ فإنَّ «بلعام»[1] كان يحسن اسم الله الأعظم؛ فانظر ماذا لقي!! ولا تغتر برؤية الصالحين فلا شخص أكبر قدراً من المصطفى؛ ﷺ؛ ولم ينتفع بلقائه أقاربه وأعداؤه.

وخرج ابن المبارك يوماً على أصحابه فقال:

إني قد اجترأت البارحة على الله عزَّ وجل: سألته الجنة.

---

(١) من علماء بني إسرائيل.

وقيل: خرج عيسى عليه السلام، ومعه صالح من صالحي بني إسرائيل فتبعهما رجل خاطيء مشهور بالفسق فيهم، فقعد منتبذاً عنهما منكسراً، فدعا الله سُبحانه وقال اللهم اغفر لي.

ودعا هذا الصالح وقال: اللهم لا تجمع غداً بيني وبين ذلك العاصي..

فأوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام: أني قد استجبت دعاءهما جميعاً، رددت ذلك الصالح، وغفرت لذلك المجرم.

وقال ذو النُّون المصريّ: قلت لعليم: لم سميت مجنوناً؟

قال، لما طال حبسي عنه صرت مجنوناً لخوف فراقه في الآخرة.

وفي معناه أنشدوا:

لـو أنَّ مـا بـي علـى صخـر لأنحلـه ... فكيـف يحملـه خلـق مـن الطيـن؟

وقال بعضهم، ما رأيت رجلاً أعظم رجاء لهذه الأمة، ولا أشد خوفاً على نفسه، من «ابن سِيرين»[1].

وقيل: مرض سُفيان الثوري، فعُرض دليله على الطبيب؛ فقال: هذا رجل قطع الخوف كبده.

ثم جاء وجسَّ عِرقه، ثم قال: ما علمت أنَّ في الحنيفية مثله.

وسُئل الشبلي: لم تصفر الشمس عن الغروب؟

فقال: لأنها عُزلت من مكان التمام: فاصفرَّت لخوف المقام.

وكذا المؤمن إذا قارب خروجه من الدنيا اصفر لونه، لأنه يخاف المقام، فإذا طلعت الشمس طلعت مضيئة: كذلك المؤمن إذا بعث من قبره خرج ووجهه يشرق.

ويحكى عن أحمد بن حَنْبل، رحمه الله تعالى، أنه قال:

سألت ربي، عزَّ وجل، أنْ يفتح عليَّ باباً من الخوف، ففتح، فخفت على عقلي، فقلت: يا ربّ، أعطني على قدر ما أطيق، فسكنَ ذلك عني.

باب الرَّجاء[2]

قال الله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ ﴾ [العنكبوت: ٥].

---

(١) محمد بن سيرين المصري، الأنصاري بالولاء، أبو بكر إمام وقته في علوم الدين بالبصرة، تابعي من أشراف الكتّاب، ولد بالبصرة سنة (٣٣ هـ). نشأ بزازاً في أذنه صمم، وتفقه وروى الحديث، واشتهر بالورع وتعبير الرؤيا. توفي سنة (١١٠ هـ). الأعلام ٦/ ١٥٤، ووفيات الأعيان ١/ ٤٥٣.

(٢) الرجاء: لغوياً الأمل (نقيض اليأس).

أخبرنا أبو الحَسن عليّ بن أحمد الأهوازي، قال: أخبرنا أحمد بن عُبيد الصفَّار، قال: حدّثنا عَمرو بن مُسلم الثقفي قال: حدّثنا الحسن بن خالد قال: حدّثنا العلاء بن زيد، قال:

دخلت على مالك بن دينار، فرأيت عنده شهر بن حَوشب[1] فلما خرجنا من عنده، قلت لشهر: يرحمك الله تعالى، زوِّدني، زودك الله تعالى.

فقال: نعم، حدّثتني عمتي أمّ الدَّرداء، عن أبي الدَّرداء، عن نبيّ الله، ﷺ، عن جبريل عليه السلام قال: «**قال ربكم عزَّ وجل: عبدي، ما عبدتني ورجوتني ولم تشرك بي شيئاً غفرت لك على ما كان منك، ولو استقبلتني بملء الأرض خطايا وذنوباً، استقبلتك بمثلها مغفرة، فاغفر لك ولا أبالي**»[2].

أخبرنا عليّ بن أحمد قال: أخبرنا أحمد بن عُبيد قال: حدّثنا بِشْر بن موسى، قال: حدّثنا خَلَف بن الوليد، قال: حدّثنا مَروان بن مُعاوية الفزاريّ قال: حدّثنا أبو سُفيان طَريف، عن عبد الله بن الحارث، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله تعالى يوم القيامة: أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال حبة شعير من إيمان ثم يقول: أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان، ثم يقول: وعزتي وجلالي لا أجعل من آمن بي ساعة من ليل أو نهار كمن لم يؤمن بي**»[3].

الرَّجاء: تعلق القلب بمحبوب سيحصل في المستقبل.

وكما أنَّ الخوف يقع في مستقبل الزمان، فكذلك الرجاء يحصل لما يؤمل في الإستقبال، وبالرجاء عيش القلوب، واستقلالها.

والفرق بين الرجاء، وبين التمني، أنَّ التمني: يورث صاحبه الكسل، ولا يسلك طريق الجهد والجد، وبعكسه صاحب الرجاء، فالرجاء محمود، والتمني معلول.

وتكلموا في الرجاء، فقال شاه الكرماني، علامة الرجاء: حسن الطاعة.

وقال ابن خبيق: الرجاء ثلاثة:

---

(١) شهر بن حوشب الأشعري، فقيه قارىء من رجال الحديث. شامي الأصل. سكن العراق، وكان يتزيّا بزي الجند، ويسمع الغناء بالآلات، وولي بيت المال مدة وهو متروك الحديث، كان ظريفاً. ولد سنة (٢٠ هـ)، وتوفي سنة (١٠٠ هـ). الأعلام ٣/١٧٨، وتهذيب التهذيب ٤/٣٦٩.

(٢) أخرجه أحمد بن حنبل ٥، ١٤٧، ١٤٨، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٦٧، ١٦٩، ١٧٢، ١٨٠، وأخرجه مسلم (ذكر ٢٢)، والترمذي (دعوات ٩٨)، وابن ماجة (أدب ٥٨)، والدارمي (رقاق ٧٢).

(٣) أخرجه البخاري (توحيد ٣٦، ١٩)، (إيمان ٣٣)، ومسلم (إيمان ٣١٦، ٣٢٥، ٣٢٦)، والترمذي (جهنم ٩)، وابن ماجة (زهد ٣٧)، وأحمد بن حنبل ١، ٢٩٦، ٣، ١١٦، ١٤٤، ٢٤٨، ٢٧٦، ٣٤٥، ٣٨٤، والدارمي (مقدمة ٨).

رجل عمل حسنة: فهو يرجو قبولها.
ورجل عمل سيئة: ثم تاب: فهو يرجو المغفرة.
والثالث: الرجل الكاذب: يتمادى في الذنوب: ويقول أرجو المغفرة.

ومن عرف نفسه بالإساءة ينبغي أنْ يكون خوفه غالباً على رجائه.

وقيل الرجاء: ثقة الجود من الكريم الودود.
وقيل: الرجاء رؤية الجلال بعين الجمال.
وقيل: هو قرب القلب من ملاطفة الرب.
وقيل: سرور الفؤاد بحسن المعاد.
وقيل: هو النظر إلى سعة رحمة الله تعالى.

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السلميّ: رحمه الله يقول: سمعت مَنْصور بن عبد الله يقول: سمعت أبا عليّ الروذباريّ يقول: الخوف، والرجاء، هما كجناحي الطائر، إذا استويا استوى الطير وتم طيرانه، وإذا نقص أحدهما وقع فيه النقض: وإذا ذهبا صار الطائر في حد الموت.

وسمعته يقول: سمعت النصرابذاي يقول: سمعت ابن أبي حاتم يقول: سمعت عليّ بن شهمرذان يقول: قال أحمد بن عاصم الأنطاكي، وسُئل ما علامة الرجاء في العبد؟ قال:

أنْ يكون إذا أحاط به الإحسان ألهم الشكر، راجياً لتمام النعمة من الله تعالى في الدنيا، وتمام عفوه في الآخرة.

وقال أبو عبد الله بن خفيف: الرجاء: استبشار بوجود فضله.
وقال: ارتياح القلوب لرؤية كرم المرجو المحبوب.

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السلميّ، رحمه الله، يقول: سمعت أبا عُثمان المغربي يقول: من حمل نفسه على الرجاء تعطل، ومن حمل نفسه على الخوف قنط، ولكن من هذه مرة، ومن هذه مرة.

وسمعته يقول: حدّثنا أبو العبَّاس البغدادي قال: حدّثنا الحسن بن صفوان قال: حدّثنا ابن أبي الدنيا، قال: حدثت عن بكر بن سليم الصوَّاف، قال: دخلنا على مالك بن أنس في العشية التي قبض فيها، فقلنا: يا أبا عبد الله، كيف تجدك؟

فقال: ما أدري ما أقول لكم؛ غير أنكم ستعاينون من عفو الله تعالى، ما لم يكن لكم في حساب، ثم ما برحنا حتى أغمضناه.

وقال يحيى بن مُعاذ: يكاد رجائي لك مع الذنوب، يغلب رجائي لك مع الأعمال؛ لأني أجدني أعتمد في الأعمال على الإخلاص، وكيف أحررها وأنا بالآفة معروف!!

وأجدني في الذنوب أعتمد على عفوك، وكيف لا تغفرها وأنت بالجود موصوف.

وكلموا ذا النُّون المصريّ، وهو في النزع، فقال: لا تشغلوني؟ فقد تعجبت من كثرة لطف الله تعالى معي.

وقال يحيى بن مُعاذ: إلهي، أحلى العطايا في قلبي رجاؤك، وأعذب الكلام على لساني ثناؤك، وأحبُّ الساعات إلي ساعة يكون فيها لقاؤك.

وفي بعض التفاسير «أنَّ رسول الله ﷺ دخل على أصحابه، من باب بني شيبة، فرآهم يضحكون فقال: أتضحكون؟ لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً»، ثم مرَّ، ثم رجع القهقرى، وقال: نزل عليَّ جبريل، عليه السلام، وأتى بقوله تعالى: ﴿۞ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩].

أخبرنا أبو الحسن عليّ بن أحمد الأهوازي قال: حدّثنا أبو الحسن الصفَّار قال: حدّثنا عبَّاس بن تميم قال: حدّثنا يحيى بن أيوب قال: حدّثنا مُسلم بن سالم قال: حدّثنا خارجة بن مُصعب، عن زيد بن أسلم، عن عَطاء بن يَسار، عن عائشة، قالت:

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله تعالى ليضحك من يأس العباد وقنوطهم وقرب الرحمة منهم، فقلت: بأبي وأمي يا رسول الله، أويضحك ربنا عز وجل**»؟.

فقال: «**والذي نفسي بيده، إنه ليضحك، فقالت: لا يعدمنا خيراً إذا ضحك**».

واعلم أنَّ الضحك في وصفه من صفات فعله، وهو إظهار فضله، كما يقال:

ضحكت الأرض بالنَّبات وضحكه من قنوطهم إظهار تحقيق فضله الذي هو ضعف انتظارهم له.

وقيل: إنَّ مجوسياً استضاف إبراهيم الخليل، عليه السلام، فقال له: إنْ أسلمت أضفتك فقال المجوسيّ: إذا أسلمت فأي منَّة تكون لك عليَّ؟ فمرَّ المجوسي، فأوحى الله تعالى إلى إبراهيم، عليه السلام: يا إبراهيم، لم تطعمه إلا بتغييره دينه؟! ونحن منذ سبعين سنة نطعمه على كفره، فلو أضفته ليلة ماذا عليك؟

فمرَّ إبراهيم، عليه السلام، خلف المجوسيِّ، وأضافه، فقال له المجوسيُّ: أي شيء كان السبب في الذي بدا لك؟ فذكر له ذلك، فقال له المجوسي: أهكذا يعاملني؟ ثم قال: أعْرض عليَّ الإسلام، فأسلم.

سمعت الشيخ أبا عليّ الدقَّاق، رحمه الله يقول: رأى الأستاذ أبو سهل الصعلوكي، رحمه الله، أبا سهل الزَّجاج في النوم، وكان يقول أبو عبد الأبد، فقال له: كيف حالك؟

فقال: وجدنا الأمر أسهل مما توهمنا.

سمعت أبا بكر بن أشكيب يقول: رأيت الأستاذ أبا سهل الصعلوكي في المنام على

هيئة حسنة لا توصف، فقلت له: يا أستاذ، بم نلت هذا؟ فقال: بحسن ظنيَّ بربِّي.

ورؤي مالك بن دينار في المنام، فقيل له: ما فعل الله بك؟

قال: قدمت على ربي، عزَّ وجلَّ، بذنوب كثيرة محاها عني حسن ظني به تعالى.

وروى عن النبيّ ﷺ، أنه قال: «**يقول الله عزَّ وجلَّ، أنا عند ظنِّ عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، إن ذكرني في نفسه، ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ[1]، ذكرته في ملأ هو خير منه، وإنْ اقترب إليَّ شبراً اقتربت إليه ذراعاً[2]، وإنْ اقترب إليَّ ذراعاً اقتربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة**»[3][4].

أخبرنا بذلك أبو نعيم عبد الملك بن الحسن الأسفرايني قال: أخبرنا يعقوب بن إسحاق قال: حدّثنا عليّ بن حَرب قال: حدّثنا أبو مُعاوية ومُحمَّد بن عُبيد، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هُريرة، رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، يقول ذلك.

وقيل: كان ابن المبارك يقاتل «علْجاً»[5] مرة فدخلَ وقت صلاة العلج، فاستمهله، فأمهله.

فلما سجد للشمس: أراد ابن المبارك أنْ يضربه بسيفه، فسمع من الهواء قائلاً يقول:

﴿وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا﴾ [الإسراء: ٣٤]، فأمسك، فلما سلم المجوسيّ، قال له: لِمَ أمسكت عما هممتَ به؟ فذكر له ما سمع، فقال له المجوسيّ:

نعم الربّ ربّ يعاتب وليه في عدوِّه. فأسلم. وحسن إسلامه.

وقيل: إنما أوقعهم في الذنب حين سمى نفسه عفواً.

وقيل: لو قال لا أغفر الذنوب، لم يُذنب مسلم قط، كما أنه لما قال: ﴿إن الله لا يغفر أنْ يشرك به﴾ «لم يُشرك مسلم قطّ، ولكن لما قال: ﴿وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨] طمعوا في مغفرته.

ويحكي عن إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه أنه قال: كنت أنتظر مدة من الزمن أنْ يخلو المطاف لي، فكانت ليلة ظلماء، فيها مطر شديد، فخلا المطاف؛ فدخلت الطواف، وكنت أقول فيه: اللهم أعصمني. اللهم أعصمني، فسمعت هاتفاً يقول لي:

---

(١) الملأ: الجماعة.

(٢) الذراع: مقياس للطول قدره (٦٤) سنتيمتراً (ج) أذرع.

(٣) الهرولة: ضرب من العَدْوِ وهو ما بين المشي والعَدْوِ.

(٤) أخرجه البخاري (توحيد ١٥، ٥٠)، ومسلم (توبة ١)، (ذكر، ١، ٢٠، ٢٢)، والترمذي (دعاء ١٣١)، وابن ماجة (أدب ٥٨)، وأحمد بن حنبل ٢، ٢٥١، ٤١٣، ٤٨٠، ٤٨١، ٥٠٠، ٥٠٩، ٥٢٤، ٥٣٥، ٣، ٤٠، ١٢٢، ١٢٧، ١٣٠، ١٣٨، ٢٧٢، ٢٨٣، ٥، ٥٣، ١٦٩.

(٥) العلج: رجل من كفار العجم.

يا ابن أدهم، أنت تسألني العصمة، وكل الناس يسألوني العصمة، فإذا عصمتكم فمن أرحم.

وقيل: رأى أبو العبَّاس بن شُريح، في منامه في مرض موته، كأن القيامة قد قامت، وإذا الجبار، سُبحانه، يقول: أين العلماء؟ قال: فجاؤوا. ثم قال: ماذا عملتم فيما علمتم؟ قال فقلنا: يا ربّ، قصرنا، وأسأنا.

قال: فأعاد السؤال، كأنه لم يرض به، وأراد جواباً آخر.

فقلت: أما أنا، فليس في صحيفتي الشرك، وقد وعدت أن تغفر ما دونه. فقال: إذهبوا فقد غفرت لكم، ومات بعد ذلك بثلاث ليال.

وقيل: كان رجل شرِّيب[1]، جمع قوماً من ندمائه[2]، ودفع إلى غلام أربعة دراهم، وأمره أنْ يشتري بها شيئاً من الفواكه للمجلس، فمر الغلام بباب مجلس مَنْصُور بن عمَّار وهو يسأل للفقير شيئاً، ويقول: من دفع أربعة دراهم دعوت له أربع دعوات.

قال: فدفع له الغلام الدراهم، فقال مَنْصور: ما الذي تريد أنْ أدعو لك به؟

فقال: لي سيد أريد أنْ أتخلص منه!

فدعا لي مَنْصور بذلك وقال: ما الأخرى، فقال: أنْ يخلف الله، تعالى عليَّ دراهمي.

فدعا لي بذلك. ثم قال: وما الأخرى؟ فقال: أنْ يتوب الله على سيدي فدعا قال: وما الأخرى؟ فقال: أنْ يغفر الله لي ولسيدي، ولك، وللقوم فدعاء مَنْصور بذلك.

فرجع الغلام إلى سيده، فقال له: لم أبطأت؟ فقصَّ عليه القصة فقال له: وبم دعا؟ فقال: سألت لنفسي العتق فقال: اذهب، فأنت حرّ. وما الثاني؟ فقال: أنْ يخلف الله عليَّ الدراهم، فقال: لك أربعة آلاف درهم. فقال: وما الثالث؟ فقال: أنْ يتوب الله عليك. فقال: تبت إلى الله تعالى، فقال: وما الرابع؟ فقال: أنْ يغفر الله تعالى لك ولي وللقوم وللمذكر، فقال: هذا الواحد ليس إلي، فلما بات، رأى في المنام كأن قائلاً يقول له: أنت فعلت ما كان إليك تراني لا أفعل ما إلى!! قد غفرت لك، وللغلام، ولمَنْصور بن عمَّار، وللقوم الحاضرين.

وقيل: حجَّ رباح القيسي حجات كثيرة، فقال يوماً ـ وقد وقف تحت الميزاب.

إلهي وهبت من حجاتي كذا وكذا للرسول ﷺ وعشرة منها لأصحابه العشرة، وثنتين لوالدي، والباقي للمسلمين.

---

(١) الشِّرِّيب: المولع بالشرب.

(٢) النديم: المنادم على الشراب، والرفيق والصاحب.

ولم يحبس منها شيئاً لنفسه: فسمع هاتفاً يقول:
هو ذا يتسخى[1] علينا؛ لأغفرنَّ لك ولأبويك، ولمن شهد شهاد الحق.

وروى عن عبد الوهَّاب بن عبد المجيد الثقفي أنه قال:
رأيت جنازة يحملها ثلاثة من الرجال وامرأة، قال فأخذت مكان المرأة. وذهبنا إلى المقبرة.. فصلينا عليها، ودفناها، فقلت للمرأة، من كان هذا منك؟ فقالت: ابني قلت: أولم يكن لك جيران؟ قالت: نعم، ولكنهم صغروا أمره.

فقلت: وإيش كان هذا؟ فقالت: مخنثاً..! قال: فرحمتها: وذهبت بها إلى منزلي، وأعطيتها دراهم، وحنطةً، وثياباً.

ونمت تلك الليلة، فرأيت كأنه أتاني آت كأنه القمر ليلة البدر، وعليه ثياب بيض فجعل يتشكر لي، فقلت: من أنت؟ فقال: المخنث[2]، الذي دفنتموني اليوم، رحمني ربي باحتقار الناس إياي.

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقَّاق، رحمه الله يقول:
مر أبو عُمر البيكنديّ يوماً بسكة، فرأى قوماً أرادوا إخراج شاب من المحلة، لفساده، وامرأة تبكي، قيل: إنها أمه، فرحمها أبو عَمرو فتشفع له إليهم وقال: هبوه مني هذه المرة، فإن عاد إلى فساده فشأنكم فوهبوه منه، فمضى أبو عَمرو، فلما كان بعد أيام، اجتاز بتلك السكة، فسمع بكاء العجوز من وراء ذلك الباب، فقال في نفسه: لعلّ الشاب عاد إلى فساده، فنفي من المحلة.

فدق عليها الباب، وسألها عن حال الشاب؛ فخرجت العجوز وقالت له: إنه مات.

فسألها عن حاله، فقالت، لما قرب أجله، قال: لا تخبري الجيران بموتي، فلقد آذيتهم، وإنهم يشتمون بي، ولا يحضرون جنازتي، وإذا دفنتيني، فهذا خاتم لي مكتوب عليه «بسم الله» فادفنيه معي، فإذا فرغت من دفني فتشفعي لي إلى ربي عزَّ وجلّ.

قالت: ففعلت وصيته. فلما انصرفت عن رأس قبره، سمعت صوته يقول:

انصرفي يا أماه؛ قدمت على ربّ كريم.
وقيل: أوحى الله، تعالى، إلى داود، عليه السلام:
قل لهم: إني لم أخلقهم لأربح عليهم، وإنما خلقتهم، ليربحوا علي.
سمعت مُحمَّد بن الحُسين يقول: سمعت مُحمَّد بن عبد الله بن شاذان يقول: سمعت أبا بكر الحربي يقول: سمعت إبراهيم الأطروش يقول:

---

(١) السخاء: الجود والكرم.
(٢) المخنث: رجل فيه تكسّر وتثني وهو من جمع في جسمه أعضاء التذكير والتأنيث.

كنا قعوداً ببغداد، مع معروف الكرخيّ؛ على الدجلة، إذ مر بنا قوم أحداث في زورق، يضربون بالدفّ ويشربون، ويلعبون، فقلنا لمعروف:

أما تراهم كيف يعصون الله تعالى مجاهرين؟ ادع الله عليهم.

فرفع يده وقال: إلهي كما فرحتهم في الدنيا ففرحهم في الآخرة.

فقالوا: إنما سألناك أنْ تدعو عليهم!!

فقال: إذا فرحهم في الآخرة فقد تاب عليهم.

سمعت أبا الحسن عبد الرَّحمن بن إبراهيم بن مُحمَّد المزكي؛ قال: حدّثنا أبو زكريا يحيى بن مُحمَّد الأديب، قال: حدّثنا الفَضْل بن صَدَقَة قال: حدّثنا أبو عبد الله الحُسين بن عبد الله بن سعيد، قال:

كان يحيى بن أكثم القاضي[1] صديقاً لي، وكان يودني وأوده، فمات يحيى، فكنت أشتهي أن أراه في المنام، فأقول له: ما فعل الله تعالى بك، فرأيته ليلة في المنام فقلت: ما فعل الله تعالى بك؟

قال: غفر لي، إلا أنه وبخني، ثم قال لي: يا يحيى، خلطت علي في دار الدنيا.

فقلت: أي ربي، إتكلت على حديث حدّثنيه أبو مُعاوية الضَّرير، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هُريرة قال: قال رسول الله ﷺ: إنك قلت: «**إني لأستحيي أنْ أعذّب ذا شيبة بالنار**» فقال: قد عفوت عنك يا يحيى وصدق نبيي، إلا أنك خلطت علي في دار الدنيا.

باب الحُزْن[2]

قال الله تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ [فاطر: ٣٤].

أخبرنا عليّ بن أحمد بن عبدان، قال: أخبرنا أحمد بن عُبيد، قال: أخبرنا عليّ بن حُبيش قال: حدّثنا أحمد بن عيسى قال: حدّثنا ابن وَهْب قال: حدّثنا أسامة بن زيد الليثي، عن مُحمَّد بن عَمرو بن عطاء قال: سمعت عَطاء بن يسار قال: سمعت أبا سعيد الخدريّ يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من شيء يُصيب العبد المؤمن، من وصب**[3]، **أو**

---

(١) يحيى بن أكثم بن محمد بن قطن التميمي الأسدي المروزي، أبو محمد، قاض، رفيع القدر عالي الشهرة، من نبلاء الفقهاء. ولد بمرو (سنة ١٥٩ هـ)، واتصل بالمأمون فولاه قضاء البصرة ثم قضاء بغداد، وأضاف إليه تدبير مملكته. وكان حسن العشرة، حلو الحديث. وله غزوات وغارات. ثم عزله المعتصم عن القضاء ثم رده ثم عزله. مات بالربذة سنة (٢٤٢ هـ). وفيات الأعيان ٢/٢١٧، والأعلام ٨/١٣٨.

(٢) الحزن: الهم والغم.

(٣) الوصب: الوجع والمرض.

نصب[1]، أو حزن، أو ألم يهمه إلا كفر الله تعالى عنه من سيئاته»[2].

الحُزن: حال يقبض القلب عن التفرق في أودية الغفلة.

والحزن من أوصاف أهل السلوك.

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقّاق، رحمه الله تعالى، يقول:

صاحب الحزن يقطع من طريق الله في شهر ما لا يقطعه من فقد حزنه سنين، وفي الخبر:

«إنَّ الله يُحبُّ كل قلب حزين».

وفي التوراة:

«إذا أحبَّ الله عبداً جعل في قلبه نائحة، وإذا بغض عبداً جعل في قلبه مزماراً».

وروي أنَّ رسول الله ﷺ كان متواصل الأحزان دائم الفكر.

وقال بِشْر بن الحارث.

الحُزن ملك، فإذا سكن في موضع لم يرض أنْ يساكنه أحد.

وقيل:

القلب إذا لم يكن فيه حُزن خرب، كما أنَّ الدار إذا لم يكن فيها ساكن تخرب.

وقال أبو سعيد القرشيّ:

بكاء الحزن يعمي، وبكاء الشوق يعشي البصر ولا يعمي، قال الله تعالى: ﴿وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [يوسف: ٨٤].

وقال ابن خفيف:

الحزن: حصر النفس عن النهوض في الطرب.

وسمعت رابعة العدوية[3] رجلاً يقول: واحزناه! فقالت: قل: واقلة حزناه، لو كنت محزوناً لم يتهيأ لك أنْ تتنفس.

وقال سُفيان بن عُيينة: لو أنَّ محزوناً بكى في أمَّة لرحم الله تعالى تلك الأمَّة ببكائه.

وكان داود الطائي الغالب عليه الحزن، وكان يقول بالليل: إلهي، همك عطل علي الهموم، وحال بيني وبين الرقاد.

---

(١) النصب: التعب والبلاء.

(٢) أخرجه الموطأ (عين ٨، ٥)، والبخاري (مرضى ٣)، ومسلم (برّ ٥٢)، والترمذي (جنائز ١)، وأحمد بن حنبل ٣، ٤.

(٣) رابعة بنت إسماعيل العدوية، أم الخير، مولاة آل عتيك، البصرية، صالحة مشهورة من أهل البصرة، ومولدها بها. لها أخبار في العبادة والنسك، ولها شعر. توفيت سنة (١٣٥ هـ). شذرات الذهب ١/١٩٣، والأعلام ٣/١٠، ووفيات الأعيان ١/١٨٢.

وكان يقول: «كيف يتسلى من الحزن من تتجدد عليه المصائب في كل وقت»؟

وقيل: الحزن: يمنع من الطعام، والخوف: يمنع من الذنوب.

وسُئل بعضهم: بم يستدل على حزن الرجل؟ فقال: بكثرة أنينه.

وقال سري السقطيّ: وددت أن حزن كل الناس ألقى علي.

وتكلم الناس في الحزن، فكلهم قالوا: إنما يحمد حزن الآخرة، وأما حزن الدنيا فغير محمود، إلا أبا عُثمان الحيري، فإنه قال:

الحزن بكل وجه فضيلة، وزيادة للمؤمن، ما لم يكن بسبب معصية، لأنه إنْ لم يوجب تخصيصاً فإنه يوجب تمحيصاً.

وعن بعض المشايخ أنه كان إذا سافر واحد من أصحابه يقول له:

إنْ رأيت محزوناً، فاقرئه مني السلام.

سمعت الأستاذ أبا عليٍّ الدقاق يقول: كان بعضهم يقول للشمس عند غروبها، هَل طلعت اليوم على محزون؟

وكان الحسن البصري لا يراه أحد إلا ظن أنه حديث عهد بمصيبة.

وقال وكيع لما مات الفضيل: ذهب الحزن اليوم من الأرض.

قال بعض السّلف، أكثر ما يجده المؤمن في صحيفته من الحسنات الهم والحزن.

سمعت أبا عبد الله الشيرازيّ يقول: سمعت عليّ بن بكران يقول: سمعت مُحمَّد بن عليّ المروزي يقول، سمعت أحمد بن أبي رَوْح يقول: سمعت أبي يقول: سمعت الفُضَيل بن عيَّاض يقول: كان السلف يقولون: إنَّ على كل شيء زكاة وزكاة العقل طول الحزن.

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السلمي، رحمه الله، يقول: سمعت مُحمَّد بن أحمد الفرَّاء يقول: سمعت أبا الحُسين الورَّاق يقول، سألت أبا عُثمان الحيريّ يوماً عن الحزن فقال:

الحزين لا يتفرغ إلى سؤال الحزن، فاجتهد في طلب الحزن، ثم سل.

باب الجوع(١) وترك الشّهوة(٢)

قال الله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ﴾ [البقرة: ١٥٥].

---

(١) الجوع: الحاجة إلى الطعام، ضد الشبع.

(٢) الشهوة: الرغبة الشديدة.

ثم قال في آخر الآية: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥] فبشرهم بجميل الثواب على الصبر على مقاساة الجوع.

وقال تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[١] [الحشر: ٩].

أخبرنا عليّ بن أحمد الأهوازي قال: أخبرنا أحمد بن عُبيد الصفّار قال: حدّثنا عبد الله بن أيوب قال: حدّثنا أبو الوليد الطيالسيّ قال: حدّثنا أبو هاشم صاحب الزعفراني قال: حدّثنا مُحمَّد بن عبد الله، عن أنس بن مالك أنه حدثه قال: **«جاءت فاطمة**[٢]**، رضي الله عنها، بكسرة خبز لرسول الله ﷺ فقال: ما هذه الكسرة يا فاطمة»؟**

قالت: قرص خبزته، ولم تطب نفسي حتى أتيتك بهذه الكسرة.

فقال: أما إنه أول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثة أيام».

وفي بعض الروايات: جاءت فاطمة، رضي الله عنها، بقرص شعير.

ولهذا كان الجوع من صفات القوم، وهو أحد أركان المجاهدة، فإنَّ أرباب السلوك تدرجوا إلى اعتياد الجوع والإمساك عن الأكل، ووجدوا ينابيع الحكمة في الجوع، وكثرت الحكايات عنهم في ذلك.

سمعت مُحمَّد بن أحمد بن مُحمَّد الصوفي يقول: سمعت عبد الله بن عليّ التميميّ يقول: سمعت ابن سالم يقول: أدب الجوع أن لا ينقص من عادته إلا مثل أذن السنور[٣].

وقيل: كان سهل بن عبد الله لا يأكل الطعام إلا في كل خمسة عشر يوماً؛ فإذا دخل شهر رمضان كان لا يأكل حتى يرى الهلال، وكان يفطر كل ليلة على الماء القراح[٤].

وقال يحيى بن مُعاذ: لو أنَّ الجوع يُباح في السوق لما كان ينبغي لطلاب الآخرة إذا دخلوا السوق أنْ يشتروا غيره.

أخبرنا مُحمَّد بن عبد الله بن عُبيد الله قال: حدّثنا عليّ بن الحُسين الأرجانيّ قال: حدّثنا أبو مُحمَّد عبد الله بن أحمد الأصطخريّ بمكة ـ حرسها الله تعالى ـ قال: قال سَهل بن عبد الله:

---

(١) الخصاصة: الفقر وسوء الحال والحاجة.

(٢) فاطمة بنت رسول الله ﷺ بن عبد الله بن عبد المطلب، الهاشمية القرشية. تزوجها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وولدت له الحسن والحسين وأم كلثوم وزينب. وهي أول من جُعل لها النعش في الإسلام. ولها (١٨ حديثاً). ولدت سنة (١٨ ق هـ)، وتوفيت سنة (١١ هـ). الأعلام ٥/ ١٣٢، وطبقات ابن سعد ٨/ ١١ ـ ٢٠.

(٣) السِّنَّور: الهرّ (ج) سنانير (مؤنثه) سنورة. والأشهر: الهرة.

(٤) القراح: الخالص من كل شيء.

لما خلق الله تعالى الدنيا جعل في الشبع: المعصية والجهل، وجعل في الجوع: العلم والحكمة.

وقال يَحيى بن مُعاذ:

الجوع للمريدين رياضة، وللتائبين تجربة، وللزهاد سياسة، وللعارفين مكرُمة.

سمعت الأستاذ أبا عليٍّ الدقَّاق، رحمه الله، يقول:

دخل بعضهم على بعض الشيوخ، فرآه يبكي، فقال له: ما لك تبكي؟ فقال: إني جائع.

فقال: ومثلك يبكي من الجوع؟!

فقال: أسكت، أما علمت أنَّ مُراده من جوعي أنْ أبكي.

سمعت أبا عبد الله الشيرازيّ، رحمه الله يقول: حدَّثنا مُحمَّد بن بِشْر قال: حدَّثنا الحُسين بن مَنْصور قال: حدَّثنا داود بن مُعاذ قال: سمعت مَخْلَداً يقول:

كان الحجاج بن فَرافصة معنا بالشام، فمكث خمسين ليلة لا يشرب الماء، ولا يشبع من شيء يأكله.

وسمعته يقول: سمعت أبا بكر الغزالي يقول: سمعت مُحمَّد بن علي يقول: سمعت أبا عبد الله أحمد بن يَحيى الجلاَّء يقول: دخل أبو تُراب النخشبيّ من بادية البصرة مكة - حرسها الله تعالى - فسألناه عن أكله، فقال: خرجت من البصرة.. وأكلت بنباج.. ثم بذات عرق[1].. ومن ذات عرق إليكم فقطع البادية بأكلتين.

وسمعته يقول: حدّثنا عليّ بن النحَّاس المصري قال: حدَّثنا هَارون بن مُحمَّد الدقَّاق قال: حدّثنا أبو عبد الرَّحمن بن الدّرقش قال: حدّثنا أحمد بن أبي الحواري قال: سمعت عبد العزيز بن عُمير يقول: تجوَّع صنف من الطير أربعين صباحاً، ثم طاروا في الهواء، فرجعوا بعد أيام، فكان يفوح منهم رائحة المسك.

وكان سَهل بن عبد الله إذا جاع قوى، وإذا أكل شيئاً ضعف.

وقال أبو عُثمان المغربيّ: الرَّباني لا يأكل في أربعين يوماً، والصمدانيّ في ثمانين يوماً.

وسمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السلميّ، رحمه الله يقول: سمعت مُحمَّد بن العلوي يقول: سمعت عليّ بن إبراهيم القاضي بدمشق، يقول: سمعت مُحمَّد بن علي بن خَلَف يقول: سمعت أحمد بن أبي الحواري يقول: سمعت أبا سُليمان الداراني يقول: مفتاح الدنيا الشبع، ومفتاح الآخرة الجوع.

---

(١) ذات عِرق: مُهلّ أهل العراق وهو الحد بين نجد وتهامة. معجم البلدان ٤/ ١٠٧.

سمعت مُحمَّد بن عبد الله بن عُبيد الله يقول: سمعت عليّ بن الحُسين الأرجاني يقول: سمعت أبا مُحمَّد الإصطخري يقول: سمعت سهل بن عبد الله، وقيل له: الرجل يأكل في اليوم أكلة، فقال أكل الصديقين. قال: فأكلتين. قال: أكل المؤمنين. قال: فثلاثة قال: قل لأهلك يبنون لك معلفاً.

وسمعته يقول: حدّثنا عبد العزيز بن الفَضْل قال: حدّثنا أبو بكر السَّائح قال: سمعت يَحيى بن مُعاذ يقول: الجوع نور، والشبع نار، والشهوة مثل الحطب يتولد منه الإحتراق، ولا تطفأ ناره حتى يحرق صاحبه.

سمعت أبا حاتم السجستاني يقول: سمعت أبا نَصر السرَّاج الطوسي يقول: دخل يوماً رجل من الصوفية على شيخ، فقدم إليه طعاماً. . ثم قال له: منذ كم يوم لم تأكل؟

فقال: منذ خمسة أيام. فقال جوعك جوع بخل!! عليك ثياب وأنت تجوع؟! ليس هذا جوع فقر!

سمعت مُحمَّد بن الحُسين يقول: سمعت مُحمَّد بن أحمد بن سَعيد الرازي يقول: سمعت العبَّاس بن حَمزة يقول: سمعت أحمد بن أبي الحواري يقول: قال أبو سُليمان الداراني:

لأن أترك من عشائي لقمة أحبّ إليّ من أن أقوم الليل إلى آخره.

وسمعته يقول: سمعت أبا القاسم جعفر بن أحمد الرازي يقول:

اشتهى أبو الخير العسقلاني السمك سنين، ثم ظهر له من موضع حلال، فلما مد يده إليه ليأكل أخذت شوكة من عظامه أصبعه، فذهبت في ذلك يده، فقال: يا رب، هذا لمن مد يده بشهوة إلى حلال، فكيف بمن مد يده بشهوة إلى حرام؟

سمعت الأستاذ أبا بكر بن فُورك يقول:

شغل العيال نتيجة متابعة الشهوة بالحلال. فما ظنك بقضية شهوة الحرام؟

سمعت رستم الشيرازي الصوفي يقول: كان أبو عبد الله بن خَفيف في دعوة فمدَّ واحد من أصحابه يده إلى الطعام قبل الشيخ، لما كان به من الفاقة فأراد بعض أصحاب الشيخ أنْ ينكروا عليه لسوء أدبه، حيث مدَّ يده إلى الطعام قبل الشيخ، فوضع شيئاً بين يدي هذا الفقير، فعلم الفقير أنه أنكر عليه لسوء أدبه، فاعتقد أن لا يأكل خمسة عشر يوماً، عقوبة لنفسه، وتأديباً لها، وإظهاراً لتوبته من سوء أدبه وكان قد أصابته فاقة قبل ذلك.

سمعت مُحمَّد بن عبد الله الصوفي يقول: حدّثنا أبو الفرج الورثاني قال: حدّثنا عبد الله بن مُحمَّد بن جَعفر، قال: حدّثنا إبراهيم بن مُحمَّد بن الحارث قال: حدّثنا سُليمان بن داود قال: حدّثنا جَعفر بن سُليمان قال: سمعت مالك بن دينار يقول:

من غلب شهوات الدنيا فذلك الذي فرق الشيطان من ظله.

وسمعته يقول: سمعت مَنْصُور بن عبد الله الأصبهاني يقول: سمعت أبا عليّ الروذباريّ يقول:

إذا قال الصوفي بعد خمسة أيام أنا جائع فألزموه السوق، وأمروه بالكسب.

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقَّاق، يقول، حاكياً عن بعض المشايخ أنه قال:

إنَّ أهل النار غلبت شهوتهم حميتهم، فلذلك افتضحوا.

وسمعته يقول: قيل لبعضهم: ألا تشتهي؟ فقال: أشتهي ولكن أحتمي.

قال: وقيل لبعضهم: ألا تشتهي؟ فقال: أشتهي أنْ لا أشتهي وهذا أتم.

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السلمي يقول: أخبرنا أحمد بن مَنْصور قال: أخبرنا ابن مَخْلد قال: حدّثنا أبو الحُسين الحسن بن عَمرو بن الجهم قال: سمعت أبا نصر التَّمار يقول:

أتاني بِشْر ليلة، فقلت: الحمد لله الذي جاء بك، جاءنا قطن من خُراسان فغزلته البنت، وباعته، واشترت لنا لحماً، فتفطر عندنا.

فقال: لو أكلت عند أحد أكلت عندكم ثم قال: إني لأشتهي الباذنجان منذ سنين، ولم يتفق لي أكله!! فقلت: إنَّ فيها الباذنجان من الحلال. فقال: حتى يصفو لي حبّ الباذنجان.

سمعت عبد الله بن باكويه الصوفي، رحمه الله، يقول: سمعت أبا أحمد الصغير يقول:

أمرني أبو عبد الله بن خفيف أنْ أقدم إليه كل ليلة عشر حبات زبيب، لإفطاره، فليلة أشفقت عليه، فحملت إليه خمس عشرة حبة، فنظر إلي وقال:

من أمرك بهذا؟ وأكل عشر حبات، وترك الباقي.

سمعت مُحمَّد بن عبد الله بن عُبيد الله يقول: سمعت أبا العبَّاس أحمد بن مُحمَّد بن عبد الله بن الفرغانيّ يقول: سمعت أبا الحُسين الرازي يقول: سمعت يُوسف بن الحُسين يقول: سمعت أبا تُراب النخشبيّ يقول:

ما تمنعت نفسي من الشهوات، إلا مرة واحدة، تمنت خبزاً وبيضاً وأنا في سفر، فعدلتُ إلى قرية، فقام واحد وتعلق بي وقال: هذا كان مع اللصوص، فضربوني سبعين درة[1]. ثم عرفني رجل منهم، فقال: هذا أبو تُراب النّخشبيّ!! فاعتذروا إلي، فحملني رجل إلى منزله، إكراماً لي، وشفقة عليّ.. وقدَّم لي خبزاً وبيضاً، فقلت لنفسي: كُلي بعد سبعين درة!

---

(١) الدِّرَّة: السَّوط يُضرب به (ج) دِرِرٌ.

باب الخُشُوع[1] والتَّواضع[2]

قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنين: ١ ـ ٢].

أخبرنا أبو الحسن عبد الرحيم بن إبراهيم بن مُحمَّد بن يَحيى المزكي، قال: أخبرنا أبو الفَضْل سُفيان بن مُحمَّد الجوهري، قال: حدّثنا عليّ بن الحُسين قال: حدّثنا يحيى بن حمَّاد قال: حدّثنا شُعبة، عن أبان بن ثعلب، عن فَضْل الفقيميّ، عن إبراهيم النخعيّ، عن عَلْقمة بن قيس[3]، عن عبد الله بن مَسْعُود، عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كِبَر، ولا يدخل النار من في قلبه مثقال ذرَّة من إيمان**»[4]، فقال رجل: يا رسول الله، إنَّ الرجل يحب أنْ يكون ثوبه حسناً، فقال: «**إن الله تعالى جميل يحب الجمال، الكبر من بطر الحق**[5]**، وغمص**[6] **الناس**»[7].

وأخبرنا عليّ بن أحمد الأهوازي قال: أخبرنا أحمد بن عُبيد البصريّ، قال: حدّثنا مُحمَّد بن الفَضْل بن جابر قال: حدّثنا أبو إبراهيم قال: حدّثنا علي بن مسهر، عن مُسلم الأعور، عن أنس بن مالك، قال: «**كان رسول الله ﷺ يعود المريض، ويشيع الجنائز، ويركب الحمار، ويجيب دعوة العبد، وكان يوم قريظة والنضير على حمار مخطوم**[8] **بحبل من ليف عليه إكاف**[9] **من ليف**»[10].

الخشوع: الإنقياد للحق.

والتواضع: هو الإستسلام للحق، وترك الإعتراض على الحكم.

---

(١) **الخشوع**: لغوياً الخضوع والسكون والتذلل.

(٢) **التواضع لغوياً**: عدم التكبر والتعاظم.

(٣) **علقمة بن قيس** بن عبد الله بن مالك النخعي الهمداني، أبو شبل. تابعي، كان فقيه العراق يشبه ابن مسعود في هديه وسمته وفضله. ولد في حياة النبي ﷺ، وروى الحديث عن الصحابة، ورواه عنه كثيرون، وشهد صفين، وغزا خراسان، وأقام بخوارزم سنين، وبمرو مدة، وسكن الكوفة، فتوفي فيها سنة (٦٢ هـ). الأعلام ٤/٢٤٨، وتهذيب التهذيب ٧/٢٧٦.

(٤) **أخرجه مسلم** (إيمان ١٤٧ ـ ١٤٩)، وأبو داود (لباس ٢٦)، وابن ماجة (مقدمة ٩)، (زهد ١٦)، وأحمد بن حنبل ٢، ١٦٤.

(٥) **بطر الحق**: أنكره، ولم يقبله وتكبّر عنه.

(٦) **غمص فلاناً غمصاً**: احتقره وتهاون بحقه.

(٧) **أخرجه مسلم** (إيمان ١٤٧)، وابن ماجة (دعاء ١٠)، وأحمد بن حنبل ٤، ١٣٣، ١٣٤، ١٥١.

(٨) **الحمار المخطوم**: الذي على أنفه زمام يُقاد به.

(٩) **إكاف الحمار**: برذعته.

(١٠) **أخرجه ابن ماجة** (زهد ١٦).

وقال حُذيفة: أول ما تفقدون من دينكم: الخُشُوع.
وسُئل بعضهم عن الخُشُوع، فقال:
الخُشُوع: قيام القلب بين يدي الحقّ، سُبحانه، بهم مجموع.
وقال: من علامات الخشوع للعبد: أنه إذا أغضب أو خولف، أو رد عليه أنْ يستقبل ذلك بالقبول.

وقال بعضهم: خُشُوع القلب: قيد العيون عن النظر.

وقال مُحمَّد بن علي الترمذيّ: الخاشع من خمدت نيران شهوته، وسكن دخان صدره، وأشرق نور التعظيم في قلبه، فماتت شهوته، وحبي قلبه؛ فخشعت جوارحه.

وقال الحسن البصري: الخشوع: الخوف الدائم اللازم للقلب.

وسُئل الجُنيد عن الخشوع، فقال: تذلل القلوب لعلام الغيوب.

قال الله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣]، سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقّاق، رحمه الله، يقول ما معناه: متواضعين، متخاشعين.

وسمعته يقول: هم الذين لا يستحسنون شِسع نعالهم إذا مشهوا.

واتفقوا على أنَّ الخشوع محله القلب.

ورأى بعضهم رجلاً منقبض الظاهر، منكسر الشاهد، قد زوى منكبيه، فقال له:

يا فلان، الخُشُوع ها هنا، وأشار إلى صدره، لا ها هنا وأشار إلى منكبيه.

وروي أنَّ رسول الله ﷺ رأى رجلاً يعبث في صلاته بلحيته، فقال: **«لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه»**.

وقيل، شرط الخشوع، في الصلاة أنْ لا يعرف من على يمينه ومن على شماله.
قال الأستاذ الإمام: ويُحتمل أنْ يقال:
الخُشُوع: إطراق السريرة بشرط الأدب بمشهد الحق سُبحانه وتعالى.

ويقال: الخُشوع، ذبول يرد على القلب عند اطلاع الربّ.
ويقال: الخُشُوع، ذوبان القلب وانخناسه عند سلطان الحقيقة.
ويُقال: الخُشُوع، مقدمات غلبات الهيبة.
ويُقال: الخشوع: قشعريرة[1] ترد على القلب بغتة عند مفاجأة كشف الحقيقة.

وقال الفُضَيل بن عيَّاض: كان يكره أنْ يرى على الرجل من الخشوع أكثر مما في قلبه.

---

(١) القشعريرة: الرعشة والرعدة.

وقال أبو سُليمان الداراني: لو اجتمع الناس على أنْ يضعوني كاتضاعي عند نفسي لما قدروا عليه.

وقيل: من لم يتضع عند نفسه لم يتضع عند غيره.

وكان عُمر بن عبد العزيز لا يسجد إلاَّ على التراب.

أخبرنا عليّ بن أحمد الأهوازي قال: حدَّثنا أحمد بن عُبيد البصري، قال: حدّثنا إبراهيم بن عبد الله، قال: حدّثنا أبو الحسن عليّ بن يزيد الفرائضيّ، قال: حدّثنا مُحمَّد بن كَثير، وهو المصّيصي، عن هَارون بن حيَّان، عن حصيف، عن سعيد بن جُبير[١]، عن ابن عبَّاس، رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر**»[٢].

وقال مُجاهد، رحمه الله: لما أغرق الله سُبحانه، قوم نوح شمخت الجبال، وتواضع الجودي[٣]. فجعله الله سُبحانه، قراراً لسفينة نوح عليه السلام.

وكان عُمر بن الخطَّاب، رضي الله عنه، يُسرع في المشي، ويقول: إنه أسرع للحاجة، وأبعد من الزهو.

وكان عُمر بن عبد العزيز، رضي الله عنه، يكتب ليلة شيئاً، وعنده ضيف، فكاد السّراج ينطفيء، فقال الضيف: أقوم إلى المصباح فأصلحه، فقال:

لا: ليس من الكرم استخدام الضيف.

قال: فأنبّه الغلام.

قال: لا، هي أول نومة نامها.

فقام إلى البطة[٤]، وجعل الدهن في المصباح، فقال الضيف:

قمت بنفسك يا أمير المؤمنين!!

فقال له عُمر: ذهبتُ وأنا عُمر، ورجعت وأنا عُمر.

وروى أبو سعيد الخدريّ رضي الله عنه، أنَّ رسول الله ﷺ كان يعلف البعير، ويقم

---

(١) سعيد بن جبير الأسدي، بالولاء، الكوفي، أبو عبد الله تابعي، أخذ العلم عن عبد الله بن عباس وابن عمر، قبض عليه خالد القسري فبعثه للحجاج بواسط فقتله. كان يلعب بالشطرنج استدباراً. ولد سنة (٤٥ هـ)، وتوفي سنة (٩٥ هـ). الأعلام ٣/ ٩٣، وفيات الأعيان ١/ ٢٠٤، وتهذيب التهذيب ٤/ ١١.

(٢) أخرجه مسلم (إيمان ١٤٧، ١٤٩)، وأبو داود (لباس ٢٦)، وابن ماجة (مقدمة ٩)، (زهد ١٦)، وأحمد بن حنبل ٢، ١٦٤.

(٣) الجودي: هو جبل مطل على جزيرة ابن عمر في الجانب الشرقي من دجلة من أعمال الموصل، عليه استوت سفينة نوح عليه السلام لما نضب الماء. معجم البلدان ٢/ ١٧٩.

(٤) البطة: إناء على شكل البطة يوضع فيه الدهن والزيت (ج) بط، وبطط.

البيت، ويخصف[1] النعل، ويرفع الثوب، ويحلب الشاة، ويأكل مع الخادم، ويطحن معه إذا أعيا، وكان لا يمنعه الحياء أنْ يحمل بضاعته من السوق إلى أهله، وكان يصافح الغني والفقير، ويسَّلم مبتدئاً، ولا يحتقر ما دعي إليه، ولو إلى حشف[2] التمر، وكان هين المؤنة، لين الخلق؛ كريم الطبيعة جميل المعاشرة، طلق الوجه، بساماً من غير ضحك، محزوناً من غير عبوسة؛ متواضعاً من غير مذلة؛ جواداً من غير سرف؛ رقيق القلب؛ رحيماً بكل مسلم، لم يتجشأ قط من شبع، ولم يمد يده إلى طمع».

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السّلمي؛ رحمه الله، يقول: سمعت عبد الله بن مُحمَّد الرازي يقول: سمعت مُحمَّد بن نَصر الصَّائغ يقول: سمعت مردويه الصَّائغ يقول: سمعت الفُضَيل بن عيَّاض يقول: قراء الرّحمن، عزَّ وجل، أصحاب خشوع وتواضع، وقراء القضاة أصحاب عجب وتكبر.

وقال الفُضَيل بن عيَّاض: من رأى لنفسه قيمة فليس له في التواضع نصيب.

وسُئل الفُضيل عن التواضع، فقال: تخضع للحق، وتنقاد له وتقبله ممن قاله.

وقال الفُضيل: أوحى الله؛ سُبحانه وتعالى؛ إلى الجبال: أني مكلم على واحد منكم نبياً. فتطاولت الجبال، وتواضع «طُور سينا»؛ فكلم الله سُبحانه عليه موسى، عليه السلام، لتواضعه.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين، رحمه الله، يقول: سمعت أحمد بن عليّ بن جعفر، يقول: سمعت إبراهيم بن فاتك، يقول: سُئل الجُنيد عن التواضع؛ فقال:

خفض الجناح للخلق؛ ولين الجانب لهم.

وقال وَهْب: مكتوب في بعض ما أنزل الله تعالى من الكتب: «إني أخرجت الذر من صلب آدم، فلم أجد قلباً أشدَّ تواضعاً من قلب موسى عليه السلام، فلذلك اصطفيته وكلَّمته».

وقال ابن المبارك: التكبر على الأغنياء، والتواضع للفقراء من التواضع.

وقيل لأبي يزيد: متى يكون الرجل متواضعاً؟

فقال: إذا لم ير لنفسه مقاماً ولا حالاً؛ ولا يرى أنّ في الخلق من هو شر منه.

وقيل: التواضع نعمة لا يحسد عليها، والكبر محنة لا يرْحم عليها. والعزُّ في التواضع فمن طلبه في الكبر لم يجده.

سمعت الشيخ أبا عبد الرّحمن السّلمي يقول: سمعت أبا بكر مُحمَّد بن عبد الله يقول:

---

(١) خصف النعل خصفاً: خرزها بالمخصف (المخرز).

(٢) الحشف: أردأ التمر، أو الضعيف لا نوى له، أو اليابس الفاسد.

سمعت إبراهيم بن شَيبان يقول: الشرف في التواضع، والعزُّ في التقوى، والحرية في القناعة.

وسمعته أيضاً يقول: سمعت الحسن السّاوي يقول: سمعت ابن الأعرابي يقول: بلغني أنَّ سُفيان الثوري[1] قال: أعز الخلق خمسة أنفس:

عالم زاهد، وفقيه صوفي، وغني متواضع، وفقير شاكر، وشريف سُني.

وقال يحيى بن مُعاذ: التواضع حسن في كلِّ أحد لكنه في الأغنياء أحسن، والتكبر سمج[2] في كل أحد لكنه في الفقراء أسمج!!

وقال ابن عطاء: التواضع: قبول الحقِّ ممن كان.

وقيل: ركب زيد بن ثابت، فدنا ابن عبَّاس ليأخذ بركابه، فقال له: مَه[3] يا ابن عمِّ رسول الله. فقال: هكذا أمرنا أنْ نفعل بعلمائنا.

فأخذ زيد بن ثابت يد ابن عباس فقبَّلها، وقال: هكذا أمرنا أنْ نفعل بأهل رسول الله ﷺ.

وقال عُروة بن الزُّبير: رأيت عُمر بن الخطَّاب، رضي الله عنه، وعلى عاتقه قربة ماء، فقلت:

يا أمير المؤمنين، لا ينبغي لك هذا!!

فقال: لما أتاني الوفود سامعين مطيعين، دخلتْ في نفسي نخوة[4] فأحببتُ أنْ أكسرها.. ومضى بالقربة إلى حجرة امرأة من الأنصار فأفرغها في إنائها.

سمعت أبا حاتم السِّجستاني يقول: سمعت أبا نصر السرَّاج الطوسي يقول:

رؤي أبو هريرة، وهو أمير المدينة، وعلى ظهره حزمة حطب، وهو يقول: طرقوا للأمير.

وقال عبد الله الرازي: التواضع ترك التمييز في الخدمة.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين، رحمه الله، يقول: سمعت مُحمَّد بن أحمد بن هارون

---

(١) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، أبو عبد الله أمير المؤمنين في الحديث، كان سيد أهل زمانه في علوم الدين والتقوى، ولد ونشأ في الكوفة سنة (٩٧ هـ)، ثم سكن مكة والمدينة، ثم انتقل إلى البصرة فمات فيها سنة (١٦١ هـ)، له من الكتب «الجامع الكبير» و«الجامع الصغير» وغيرهما. الأعلام / ١٠٤، وتهذيب التهذيب ٤/ ١١١ ـ ١١٥.

(٢) سمج: قبح.

(٣) مَهْ: اسم فعل أمر مبني على السكون بمعنى انكفف.

(٤) النخوة: هنا الكبر والعظمة والفخر.

يقول: سمعت مُحمَّد بن العبَّاس الدمشقي يقول: سَمعت أحمد بن أبي الحواري يقول: سمعت أبا سُليمان الداراني يقول:

من رأى لنفسه قيمة لم يذق حلاوة الخدمة.

وقال يَحيى بن مُعاذ: التكبر على من تكبر عليك بماله تواضع.

وقال الشبلي رحمه الله: ذلي عطَّل ذل اليهود.

وجاءه رجل، فقال له الشبلي: ما أنت؟

فقال: يا سيدي النقطة التي تحت الباء.

فقال له: أنت شاهدي، ما لم تجعل لنفسك مقاماً.

وقال ابن عبَّاس، رضي الله عنهما، من التواضع أنْ يشرب الرجل من سؤر[1] أخيه.

وقال بِشْر: سلموا على أبناء الدنيا بترك السلام عليهم.

وقال شُعيب بن حَرْب: بينا أنا في الطواف إذ لكزني[2] إنسان بمرفقه، فالتفت إليه، فإذا هو الفُضَيل بن عيَّاض، فقال: يا أبا صالح، إنْ كنت تظن أنه شهد الموسم شر مني ومنك فبئس ما ظننت!!

وقال بعضهم: رأيت في الطواف إنساناً بين يديه «شاكريه» يمنعون الناس لأجله عن الطواف.. ثم رأيته بعد ذلك بمدة على جسر بغداد يسأل الناس شيئاً..

فتعجبت منه، فقال لي:

أنا تكبرت في موضع يتواضع الناس هناك، فابتلاني الله، سُبحانه، بالتذلل في موضع يترفع فيه الناس.

وبلغ عُمر بن عبد العزيز أنَّ ابناً له اشترى فصاً بألف درهم فكتب إليه عُمر:

«بلغني أنك اشتريت فصاً بألف درهم، فإذا أتاك كتابي هذا فبع الخاتم؛ وأشبع ألف بطن واتخذ خاتماً من درهمين، واجعل فصّه[3] جديداً صينياً واكتب عليه «رحم الله امرءاً عرف قدر نفسه».

وقيل: عرض على بعضِ الأمراء مملوك بألف درهم، فلما أحضر الثمنَ استكثره فبدا له في شرائه فردَّ الثمن إلى الخزانة! فقال العبد:

يا مولاي، اشترني، فإن فيَّ بكل درهم من هذه الدراهم خصلة تساوي أكثر من ألف درهم، فقال: وما هي؟ فقال: أقلها وأدناها ما لو اشتريتني وقدمتني على جمع مماليكك لا أغلظ في نفسي، وأعلم أني أنا عبدك. فاشتراه.

---

(١) السؤر: بقية الشيء، وأكثر ما يستعمل في الطعام والشراب.

(٢) لكزه لكزاً: ضربه بجمع كفه في صدره.

(٣) الفصّ: ما يُركّب في الخاتم من الحجارة الكريمة وغيرها (ج) فصوص.

وحكي عن رجاء بن حيوة[١] حيوة أنه قال: قوّمت ثياب عُمر بن عبد العزيز وهو يخطب بإثني عشر درهماً؛ وكانت: قباء[٢]، وعمامةً، وقميصاً، وسراويل، وخفين، وقلنسوة.

وقيل: مشى عبد الله بن مُحمَّد بن واسع مشياً لا يحمد فقال له أبوه:
وتدري بكم اشتريتُ أمك بثلاثمائة درهم، وأبوك لا أكثر الله في المسلمين مثله أباً، وأنت تمشي هذه المشية!!

سمعت مُحمَّد بن الحُسين يقول: سمعت أحمد بن الفرَّاء يقول: سمعت عبد الله بن مُنازل يقول: سمعت حَمْدُون القِصَّار يقول:

التواضع: أنْ لا ترى لأحد إلى نفسك حاجة، لا في الدين، ولا في الدنيا.

وقال إبراهيم بن أدهم: ما سررت في إسلامي إلا ثلاث مرات:
مرة كنت في سفينة، وفيها رجل مضحاك كان يقول: كنا نأخذ العلج[٣] في بلاد الترك هكذا (وكان يأخذ بشعر رأسي، ويهزني)، فيسرني ذلك؛ لأنه لم يكن في السفينة أحدٌ أحقر في عينيه مني.

والأخرى: كنت عليلاً في مسجد، فدخل المؤذن، وقال: أخرج. فلم أطق، فأخذ برجلي وجرني إلى خارج المسجد.

والثالثة: كنت بالشام، وعليّ فرو، فنظرت فيه فلم أميز بين شعره وبين القمل، لكثرته، فسرني ذلك.

وفي حكاية أخرى عنه قال: ما سررت بشيء كسروري أني كنت يوماً جالساً فجاء إنسان وبال عليّ.

وقيل: تشاجر أبو ذرّ وبلال[٤]، رضي الله عنهما، فعير أبو ذرّ بلالاً بالسواد.. فشكاه إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا أبا ذرّ، إنه بقي في قلبك من كبر الجاهلية شيء.

---

(١) رجاء بن حيوة بن جرول الكندي، أبو المقدام شيخ أهل الشام في عصره، من الوعاظ الفصحاء العلماء. كان ملازماً لعمر بن عبد العزيز في عهدي الإمارة والخلافة، واستكتبه سليمان بن عبد الملك وهو الذي أشار على سليمان باستخلاف عمر. توفي سنة (١١٢ هـ). الأعلام ٣/ ١٧، وتهذيب التهذيب ٣/ ٢٦٥.
(٢) القباء: ثوب فضفاض سابغ، مشقوق المقدم، يضم طرفيه حزام، ويُتخذ من الحرير أو القطن، وتلبس فوقه الجبة (ج) أقبية.
(٣) العلج: كثير الضحك.

(٤) بلال بن رباح الحبشي، أبو عبد الله مؤذن رسول الله ﷺ، وخازنه على بيت ماله من مولدي السراة، وأحد السابقين للإسلام، وهو شديد السمرة، نحيفاً، طوالاً، خفيف العارضين، له شعر كثيف، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، ولما توفي الرسول أذن بلال، ولم يؤذن بعد ذلك، توفي بدمشق سنة (٢٠ هـ). روى له البخاري ومسلم ٤٤ حديثاً. الأعلام ٢/ ٧٣، وحلية الأولياء ١/ ١٤٧.

فألقى أبو ذرٍّ نفسه . . وحلف أنْ لا يرفع رأسه حتى يطأ بلال خده بقدمه . . فلم يرفع حتى فعل بلال ذلك .

ومرَّ الحسن بن عليّ، رضي الله عنهما، بصبيان معهم كسر خبز، فاستضافوه، فنزل، وأكل معهم، ثم حملهم إلى منزله، وأطعمهم، وكساهم، وقال :

اليد لهم، لأنهم لم يجدوا غير ما أطعموني، ونحن نجد أكثر منه .

وقيل : قسم عُمر بن الخطَّاب، رضي الله عنه، الحلل[1] بين الصحابة من غنيمة، فبعث إلى مُعاذ حلة يمانية، فباعها واشترى ستة أعبد، وأعتقهم فبلغ عُمر ذلك، فكان يقسم الحلل بعده؛ فبعث إليه حلة دون تلك، فعاتبه مُعاذ، فقال له عُمر :

لا معاتبة، لأنك بعت الأولى .

فقال مُعاذ : وما عليك . ادفع إلي نصيبي، وقد حلفت لأضربن بها رأسك .

فقال عُمر : هذا رأسي بين يديك، وقد يرفُق الشيخ بالشيخ .

باب مُخالفة النَّفْس وذكر عُيوبها

قال الله تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ [النازعات : ٤٠ ـ ٤١] .

أخبرنا عليّ بن أحمد بن عبدان قال : حدّثنا أحمد بن عُبيد قال : أخبرناعامر قال : حدّثنا مُحمَّد بن مُعاوية النيسابوزي قال : حدّثنا عليّ بن أبي عليّ بن عُتبة بن أبي لهب، عن مُحمَّد بن المُنْكَدِر[2]، عن جابر بن عبد الله[3] رضي الله عنه، عن النبيّ ﷺ قال : **«أخوف ما أخاف على أمتي : اتباع الهوى، وطول الأمل، فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق، وأما طول الأمل فينسى الآخرة»** .

ثم اعلم أنَّ مخالفة النفس رأس العبادة، وقد سُئل المشايخ عن الإسلام، قالوا : ذبح النفس بسيوف المخالفة .

---

(١) الحلة : الثوب الجيد الجديد .

(٢) محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير بن عبد العزى القرشي التيمي، المدني، زاهد من رجال الحديث من أهل المدينة، أدرك بعض الصحابة وروى عنهم، له نحو مئتي حديث . ولد سنة (٥٤ هـ)، وتوفي سنة (١٣٠ هـ) . الأعلام / ١١٢، وتهذيب التهذيب ٩/ ٤٧٣ .

(٣) جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الخزرجي الأنصاري السلمي، صحابي من المكثرين في الرواية عن النبي ﷺ، وروى عنه جماعة من الصحابة، غزا تسع عشرة غزوة، وكانت له في أواخر أيامه حلقة في المسجد النبوي يؤخذ عنه العلم . روى له البخاري ومسلم وغيرهما ١٥٤٠ حديثاً، ولد سنة (١٦ ق. هـ) وتوفي سنة (٧٨ هـ) . الأعلام ٢/ ١٠٤، والإصابة ١/ ٢١٣ .

واعلم أنَّ من نجمت طوارق نفسه أفلت شوارق أنسه.

وقال ذو النُّون المصري: مفتاح العبادة: الفكرة، وعلامة الإصابة: مخالفة النفس والهوى، ومخالفتهما ترك شهواتهما.

وقال ابن عطاء: النفس مجبولة على سوء الأدب، والعبد مأمور بملازمة الأدب، فالنفس تجري بطبعها في ميدان المخالفة، والعبد يردها بجهده عن سوء المطالبة، فمن أطلق عنانها فهو شريكها معها في فسادها.

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السلميّ، رحمه الله، يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت أبا عُمر الأنماطي يقول: سمعت الجُنيد يقول: النفس الأمارة بالسوء: هي الداعية إلى المهالك، المعينة للأعداء، المتبعة للهوى، المتهمة بأصناف الأسواء.

وقال أبو حَفْص: من لم يتهم نفسه على دوام الأوقات، ولم يخالفها في جميع الأحوال، ولم يجرها إلى مكروهها في سائر أيامه كان مغروراً ومن نظر إليها باستحسان شيء منها فقد أهلكها.

وكيف يصح لعاقل: الرِّضا عن نفسه، والكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يُوسف بن يَعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل، يقول: ﴿۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف: ٥٣].

سمعت مُحمَّد بن الحُسين يقول: سمعت إبراهيم بن مقسم ببغداد يقول: سمعت ابن عطاء يقول: قال الجُنيد: أرقت ليلة، فقمت إلى وردي، فلم أجد ما كنت أجده من الحلاوة والتلذذ بمناجاتي لربي، فتحيرت، فأردت أن أنام فلم أقدر عليه، فقعدت، فلم أطق القعود، ففتحت الباب، وخرجت، فإذا رجل ملتف في عباءة مطروح على الطريق، فلما أحس بي، رفع رأسه، وقال: يا أبا القاسم، إلى الساعة فقلت: يا سيدي من غير موعد؟ فقال: بلى قد سألت محرك القلوب أنْ يحرك إلى قلبك.

فقلت: فقد فعل فما حاجتك؟

فقال: متى يصير داء النفس دواءها؟

فقلت: إذا خالفت النفس هواها صار داؤها دواءها.

فأقبل على نفسه، وقال: اسمعي، قد أجبتك بهذا الجواب سبع مرات فأبيت أنْ تسمعيه إلا من الجُنيد، فقد سمعت، وانصرف عني ولم أعرفه. ولم أقف عليه بعد.

وقال أبو بكر الطمستاني: النعمة العُظمى: الخروج من النفس؛ لأنه أعظم حجاب بينك وبين الله عز وجل.

وقال سهل بن عبد الله: ما عبد الله بشيء مثل مخالفة النفس والهوى.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين، رحمه الله، يقول: سمعت مَنْصور بن عبد الله يقول

سمعت أبا عُمر الأنماطيّ يقول: سمعت ابن عطاء، وقد سُئل عن أقرب شيء إلى مقت الله تعالى، فقال:

رؤية النفس وأحوالها، وأشدُّ من ذلك مطالعة الأعواض على أفعالها.

وسمعته يقول: سمعت الحُسين بن يَحيى يقول: سمعت جعفر بن نُصير يقول: سمعت إبراهيم الخوَّاص يقول كنت في جبل «اللكام»[1] فرأيت رماناً فاشتهيته . فدنوت منه، فأخذت منه واحدة، فشققتها، فوجدتها حامضة، فمضيت، وتركت الرمان، فرأيت رجلاً مطروحاً. قد اجتمع عليه الزنانير، فقلت: السلام عليك. فقال: وعليك السلام يا إبراهيم، فقلت له: وكيف عرفتني؟ فقال: من عرف الله تعالى لا يخفى عليه شيء. فقلت: أرى لك حالاً مع الله تعالى، فلو سألته أنْ يحميك ويقيك الأذى من هذه الزنانير؟ فقال: وأنا أرى لك حالاً مع الله تعالى، فلو سألته أنْ يقيك شهوة الرمان!! فإنَّ لدغ الرمان يجد الإنسان ألمه في الآخرة، ولدغ الزنانير يجد ألمه في الدنيا. فتركته، ومضيت.

وحكي عن إبراهيم بن شَيْبان أنه قال: ما بت تحت سقف، ولا في موضع عليه غَلق أربعين سنة، وكنت أشتهي في أوقات أنْ أتناول شبعة عدس، فلم يتفق.. فكنت وقتاً بالشام، فحمل إلي غضارة[2] فيها عدس، فتناولت منه، وخرجت... فرأيت قوارير[3] معلقة فيها شيء شبه «نموذجات».. فظننته خلا.. فقال لي بعض الناس: إيش تنظر! هذه نموذجات الخمر؛ وهذه الدنان خمر.

فقلت في نفسي: لزمني فرض.. فدخلت حانوت الخمار، ولم أزل أصب تلك الدنان وهو يتوهم أني أصبها بأمر السلطان.. فلما علم، حملني إلى ابن طولون.. فأمر بضربي مائتي خشبة.. وطرحني في السجن.. فبقيت فيه مدَّة، حتى دخل أبو عبد الله المغربي أستاذي ذلك البلد؛ فشفع لي، فلما وقع بصره علي، قال:

إيش فعلت؟ فقلت: شبعة عدس ومائتي خشبة فقال لي: نجوت مجاناً.

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السلمي، رحمه الله، يقول سمعت أبا العباس البغدادي يقول: سمعت جعفر بن نُصير يقول: سمعت الجُنيد يقول: سمعت السري السقطي يقول:

إنَّ نفسي تطالبني، منذ ثلاثين سنة أو أربعين سنة، أنْ أغمس جزرة في دبس[4] فما أطعتها.

---

(١) جبل اللكام: هو الجبل المشرف على أنطاكية وبلاد ابن ليون والمصيصة وطرسوس وتلك الثغور. معجم البلدان ٥/ ٢٢.

(٢) الغضار: الطين اللزج الأخضر الحر، أو هو تراب طيني دقيق الذرات، كثير الإندماج والصلابة تتخذ منه الأواني الصينية.

(٣) القارورة: وعاء من الزجاج تُحفظ فيه السوائل.

(٤) الدبس: ربّ التمر والزبيب وعصارتهما، وما تحلّب منها.

وسمعته يقول: سمعت جدي يقول: آفة العبد: رضاه من نفسه بما هو فيه.

وسمعته يقول: سمعت مُحمَّد بن عبد الله الرازي يقول سمعت الحُسين بن عليّ القرمسينيّ يقول: وجه عصام بن يُوسف البلخي شيئاً إلى حاتم الأصم، فقبله منه.

فقيل له: لم قبلته؟

فقال: وجدت في أخذه ذليٍّ وعزّه، وفي رده عزّي وذله؛ فاخترت عزه على عزي وذلي على ذله.

وقيل لبعضهم: إني أريد أنْ أحج على التجريد.

فقال له: جرد أولاً قلبك عن السهو، ونفسك عن اللهو؛ ولسانك عن اللغو، ثم اسلك حيث شئت.

وقال أبو سُليمان الداراني:

من أحسن في ليلة كوفيء في نهاره، ومن أحسن في نهاره كوفيء في ليله، ومن صدق في ترك شهوة كفى مؤنتها، والله أكرم من أنْ يعذب قلباً ترك شهوة لأجله.

وأوحى الله سُبحانه إلى داود عليه السلام:

يا داود، حذر، وأنذر أصحابك أكل الشهوات؛ فإنَّ القلوب المعلقة بشهوات الدنيا عقولها عني محجوبة.

ورؤي رجل جالساً في الهواء، فقيل له: بم نلت هذا؟

فقال: تركت الهوى فسخر لي الهواء.

وقيل: لو عرض للمؤمن ألف شهوة لأخرجها بالخوف، ولو عرض للفاجر شهوة واحدة لأخرجته من الخوف.

وقيل: لا تضع زمانك في يد الهوى، فإنه يقودك إلى الظلمة.

وقال يُوسف بن أَسْبَاط: لا يمحو الشهوات من القلب إلا خوف مزعج أو شوق مقلق.

وقال الخوَّاص: من ترك شهوة، فلم يجد عوضها في قلبه، فهو كذاب في تركها.

وقال جَعفر بن نُصير: دفع إلي الجُنيد درهماً، وقال: اشتر لي به التين الوزيريّ، فاشتريته له، فلما أفطر أخذ واحدة ووضعها في فمه، ثم ألقاها، وبكى، وقال: إحمله.

فقلت له في ذلك، فقال: هتف في قلبي أما تستحي؟ شهوة تركتها من أجلي ثم تعود إليها.

وأنشدوا:

نون الهوان من الهوى مسروقه ... وصريع كل هوى صريع هوان

واعلم أنَّ للنفس أخلاقاً ذميمة، فمن ذلك: الحسد.

باب الحَسَد[1]

قال الله تعالى: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ [الفلق: ١، ٢].

ثم قال: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: ٥].

فختم السورة التي جعلها عوذة[2] بذكر الحسد.

أخبرنا أبو الحُسين الأهوازي، قال: أخبرنا أحمد بن عُبيد البصريّ قال: حدّثنا إسماعيل بن الفَضْل قال: حدّثنا يحيى بن مَخْلَد، قال: حدّثنا معاً في ابن عِمْران، عن الحارث بن شِهاب، عن مَعْبَد، عن أبي قِلابة، عن ابن مسعود قال: إنَّ النبي ﷺ قال: «**ثلاث هنَّ أصل كل خطيئة فاتقوهن واحذروهن:**

إياكم والكبر، فإنَّ إبليس حمله الكبر على أنْ لا يسجد لآدم.

وإياكم والحرص، فإن آدم حمله الحرص على أن أكل من الشجرة.

وإياكم والحسد، فإنَّ ابني آدم إنما قتل أحدهما صاحبه حسداً».

وقال بعضهم: الحاسد جاحد، لأنه لا يرضى بقضاء الواحد.

وقيل: الحسود لا يسود.

وقيل في قوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأعراف: ٣٣]، قيل ما بطن: الحسد. وفي بعض الكتب: الحاسد عدو نعمتي.

وقيل: أثر الحسد يتبين فيك قبل أنْ يتبين في عدوك.

وقال الأصمعي: رأيت أعرابياً أتى عليه مائة وعشرون سنة، فقلت له: ما أطول عمرك.

فقال: تركتُ الحسد فبقيت.

وقال ابن المبارك: الحمد لله الذي لم يجعل في قلب أميري ما جعله في قلب حاسدي.

وفي بعض الآثار إنَّ في السماء الخامسة ملكاً يمر به عمل عبد، له ضوء كضوء الشمس، فيقول له الملك: قف فأنا ملك الحسد. اضرب به وجه صاحبه، فإنه حاسد.

وقال مُعاوية: كل إنسان أقدر على أنْ أرضيه، إلا الحاسد، فإنه لا يرضيه إلا زوال النعمة.

---

(١) الحسد: أن تتمنى زوال نعمة المحسود إليك.

(٢) العوذة: الرقية يُرقى بها الإنسان من فزع أو جنون أو نحو ذلك.

ويقال: الحاسد ظالم غشوم، لا يبقى ولا يذر.

وقال عُمر بن عبد العزيز: ما رأيت ظالماً أشبه بمظلوم من الحاسد: غم دائم ونفس متتابع.

وقيل: من علامات الحاسد أنْ يتملق إذا شهد، ويغتاب إذا غاب، ويشمت بالمصيبة إذا نزلت.

وقال مُعاوية: ليس في خلال[1] الشر خلة أعدل من الحسد، تقتل الحاسد قبل المحسود.

وقيل: أوحى الله، سُبحانه، إلى سُليمان بن داود، عليهما السلام: أوصيك بسبعة أشياء: لا تغتابن صالح عبادي، ولا تحسدن أحداً من عبادي. فقال سُليمان:

يا رب، حسبي.

وقيل رأى موسى عليه السلام، رجلاً عند العرش فغبطه، فقال: ما صفته؟ فقيل:

كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله.

وقيل: الحاسد إذا رأى نعمة بهت، وإذا رأى عثرة شمت.

وقيل: إذا أردتَ أنْ تسلم من الحاسد، فلبس عليه أمرك.

وقيل: الحاسد مغتاظ على من لا ذنب له، بخيل بما لا يملكه.

وقيل: إياك أن تتعنى[2] في مودة من يحسدك، فإنه لا يقبل إحسانك، وقيل: إذا أراد الله تعالى أن يسلط على عبد عدواً لا يرحمه سلط عليه حاسده:

وأنشدوا:

وحسبك من حادث بامرىء ... ترى حاسديه له راحمينا

وأنشدوا:

كلُّ العداوة قد ترجى إماتتها ... إلا عداوة من عاداك من حسد

وقال ابن المعتز:

قل للحسود إذا تنفس: طعنة ... يا ظالماً وكأنه مظلوم

وأنشدوا:

وإذا أراد الله نشر فضيلةٍ ... طويت أتاح لها لسان حسود

ومن الأخلاق المذمومة للنفس: اعتياد الغيبة.

---

(١) الخَلَّة: الخصلة.

(٢) تعنَّى تعنياً: تعب تعباً شديداً.

باب الغَيبة(١)

قال الله سُبحانه: ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا ﴾ [الحجرات: ١٢] الآية.

أخبرنا أبو سعيد مُحمَّد بن إبراهيم الإسماعيلي، قال: أخبرنا أبو بكر مُحمَّد بن الحُسين بن الحَسن بن الخليل، قال: حدَّثنا عليّ بن الحسن قال: حدثنا إسحق بن عيسى ابن بنت داود بن أبي هند، قال: حدّثنا مُحمَّد بن أبي حُميد، عن موسى بن وردان، عن أبي هُريرة: أنَّ رجلاً قام، وهو مع رسول الله ﷺ قبل ذلك جالس، فقال بعض القوم: ما أعجز فلاناً، فقال ﷺ:

«أكلتم أخاكم واغتبتموه».

وأوحى الله، سُبحانه، إلى موسى عليه السلام:

«من مات تائباً من الغيبة فهو آخر من يدخل الجنة، ومن مات مصراً عليها فهو أول من يدخل النار».

وقال عوف: دخلت على ابن سِيرين، فتناولت الحجاج، فقال ابن سِيرين: إنَّ الله، تعالى، حكم عدل؛ فكما يأخذ من الحجاج يأخذ للحجاج، وإنك إذا لقيت الله عزَّ وجلَّ غداً كان أصغر ذنب أصبته أشدَّ عليك من أعظم ذنب أصابه الحجَّاج.

وقيل: دعي إبراهيم بن أدهم إلى دعوة، فحضر، فذكروا رجلاً لم يأتهم، فقالوا: إنه ثقيل؟؟ فقال إبراهيم: إنما فعل بي هذا نفسي، حيث حضرت موضعاً يغتاب فيه الناس، فخرج، ولم يأكل ثلاثة أيام.

وقيل: مثل الذي يغتاب الناس، كمثل من نصب «منجنيقاً»(٢)، يرمي به حسناتِه شرقاً وغرباً؛ يغتاب واحداً خراسانياً، وآخر تركياً، فيفرق حسناته، ويقوم لا شيء معه؟؟

وقيل: يؤتى العبد يوم القيامة كتابه، فلا يرى فيه حسنة، فيقول: أين صلاتي، وصيامي، وطاعتي؟؟؟ فيُقال:

ذهب عملك كله.

وقيل: من اغتيب بغيبة غفر الله له نصف ذنوبه.

وقال سُفيان بن الحُسين: كنت جالساً عند إياس بن مُعاوية، فنلت من إنسان.

فقال لي: هل غزوت في هذا العام الترك والروم؟ فقلت: لا.

---

(١) الغيبة: لغوياً أن تذكر أخاك في غيبته بما يكره ويسوءه ذكره.

(٢) المنجنيق: (مع) (مؤ) آلة قديمة من آلات الحرب وحصار المدن، كانت تُرمى بها الحجارة على الأسوار فتهدمها (ج: منجنيقات ومجانق ومجانيق.

فقال: سلم منك الترك والروم، وما سلم منك أخوك المسلم؟

وقيل: يعطى الرجل كتابه. فيرى فيه حسنات لم يعملها. فيقال له: هذا بما اغتابك الناس وأنت لم تشعر.

وسُئل سُفيان الثوري عن قوله ﷺ: «**إنَّ الله يبغض أهل البيت اللحميين**». فقال: هم الذين يغتابون الناس: يأكلون لحومهم.

وذكرت الغيبة عند عبد الله بن المبارك، فقال:

لو كنت مغتاباً أحداً لاغتبت والدي؛ لأنهما أحق بحسناتي:

وقال يَحيى بن مُعاذ: ليكن حظ المؤمن منك ثلاث خصال:

إنْ لم تنفعه فلا تضره، وإنْ لم تسره فلا تغمه، وإنْ لم تمدحه فلا تذمه.

وقيل للحسن البصريّ: إنَّ فلاناً اغتابك: فبعث إليه طبق حلواء وقال: بلغني أنك أهديت إلى حسناتك، فكافأتك:

أخبرنا عليّ بن أحمد الأهوازي قال: أخبرنا أحمد بن عُبيد البصري قال: أخبرنا أحمد بن عَمرو القطواني قال: حدّثنا سهل بن عُثمان العسكري قال: حدّثنا الرَّبيع بن بدر، عن أبان، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ:

«**من ألقى جلباب الحياء عن وجهه فلا غيبة له**».

سمعت حمزة بن يُوسف السّهمي يقول، سمعت أبا طاهر مُحمَّد بن أُسيد الرقي يقول، سمعت جَعفر بن مُحمَّد بن نُصير يقول، قال الجنيد:

كنت جالساً في مسجد «الشونزية» أنتظر جنازة أصلي عليها، وأهل بغداد، على طبقاتهم، جلوس ينتظرون الجنازة، فرأيت فقيراً عليه أثر النسك[1] يسأل الناس، فقلت في نفسي: لو عملَ هذا عملاً يصون به نفسه كان أجمل به.

فلما انصرفت إلى منزلي، وكان لي شيء من الورد بالليل، حتى البكاء والصلاة وغير ذلك، فثقل على جميع أورادي، فسهرت وأنا قاعد، فغلبتني عيناي. . فرأيت ذلك الفقير. . جاؤوا به على خوان ممدود. وقالوا لي: كل لحمه؛ فقد اغتبته! وكشف لي عن الحال، فقلت:

ما اغتبته! إنما قلت في نفسي شيئاً، فقيل لي:

ما أنت ممن يرضى منك بمثله، إذهب فاستحله.

فأصبحت ولم أزل أتردد حتى رأيته في موضع يلتقط من الماء، عند تزايد الماء، أوراقاً من البقل مما تساقط من غسل البقل، فسلمت عليه، فقال: يا أبا القاسم، تعود؟

---

(١) النسك: حق الله تعالى (العبادة).

فقلت: لا.

فقال: غفر الله لنا ولك.

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السّلمي، رحمه الله، يقول: سمعت أبا طاهر الإسفرايني يقول: سمعت أبا جعفر البلخيّ يقول: كان عندنا شاب من أهل بَلْخ، وكان يجتهد؛ ويتعبَّد، إلا أنه كان أبداً يغتاب الناس ويقول: فلان كذا، وفلان كذا، وفلان كذا... فرأيته يوماً عند المخنثين الغسالين، خرج من عندهم.

فقلت: يا فلان، ما حالك؟

فقال: تلك الوقيعة في الناس أوقعتني إلى هذا، ابتليتُ بمخنث من هؤلاء، وأنا هوذا أخدمهم من أجله، وتلك الأحوال كلها قد ذهبت، فادع الله أنْ يرحمني.

باب القَنَاعة[1]

قال الله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ [النحل: ٩٧].

أخبرنا الشيخ أبو عبد الرّحمن السلميّ، قال: حدَّثنا أبو عَمرو مُحمَّد بن جعفر بن مَطر قال: حدّثنا مُحمَّد بن موسى الحلواني، قال: حدّثنا عبد الله بن إبراهيم الغفاري، عن المُنْكدر بن مُحمَّد، عن أبيه، عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: **«القناعة كنز لا يفنى»**.

أخبرنا أبو الحسن الأهوازي، قال: حدّثنا أحمد بن عُبيد البصري، قال: حدّثنا عبد الله بن أيُّوب المقري قال: حدّثنا أبو الربيع الزهراني، قال: حدّثنا إسماعيل بن زكريا، عن أبي رجاء، عن بُرد بن سِنان، عن مكْحُول، عن واثلة بن الأسقع[2]؛ عن أبي هُريرة، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«كُنْ ورعاً تكن أعبد الناس، وكُنْ قنعاً تكن أشكر الناس؛ وأحبّ للناس ما تحب لنفس تكن مؤمناً وأحسن مجاورة من جاورك تكن مسلماً، وأقل الضحك، فإنَّ كثرة الضحك تميت القلب»**[3].

وقيل: الفقراء أموات، إلا من أحياه الله تعالى بعزِّ القناعة.

---

(١) القناعة: رضا الإنسان بما قُسِم له.

(٢) واثلة بن الأسقع بن عبد العزى بن عبد ياليل، الليثي الكناني، صحابي من أهل الصفة كان إسلامه ينزل ناحية المدينة، ودخل المسجد بالمدينة والنبي ﷺ يصلي الصبح فصلى معه. شهد مع الرسول ﷺ تبوك، خدم النبي ﷺ ثلاث سنين، ثم نزل البصرة، وكانت له بها دار، وشهد فتح دمشق وسكن قرية «البلاط» وتحول إلى بيت المقدس. وكف بصره. ولد سنة (٢٢ ق هـ)، وتوفي سنة (٨٣ هـ) بالقدس أو بدمشق. الأعلام ٨/١٠٧، وتهذيب التهذيب ١١/١٠١.

(٣) أخرجه ابن ماجة (زهد ٢٤).

وقال بِشْر الحافي: القناعة: ملك لا يسكن إلا في قلب مؤمن.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين يقول: سمعت عبد الله بن مُحمَّد الشعرانيّ يقول: سمعت إسحق بن إبراهيم بن أبي حسَّان الأنماطي يقول: سمعت أحمد بن أبي الحواريّ يقول: سمعت أبا سُليمان الداراني يقول: القناعة من الرّضا بمنزلة الورع من الزهد، هذا أول الرضا وهذا أول الزُّهد.

وقيل: القناعة السكون عند عدم المألوفات.

وقال أبو بكر المراغيّ: العاقل من دبَّر أمر الدنيا بالقناعة والتسويف وأمر الآخرة بالحرص والتعجيل، وأمر الدين بالعلم والإجتهاد.

وقال أبو عبد الله بن خفيف: القناعة ترك التشوف إلى المفقود، والإستغناء بالموجود.

وقيل في معنى قوله تعالى: ﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ [الحج: ٥٨] يعني: القناعة.

وقال مُحمَّد بن عليّ الترمذيّ: القنعةُ: رضا النفس بما قسم لها من الرزق.

ويقال: القناعة: الإكتفاء بالموجود، وزوال الطمع فيما ل يس بحاصل.

وقال وَهْب: إنَّ العزَّ والغنى خرجا يحولان، يطلبان رفيقاً؛ فلقيا القناعة، فاستقرَّا.

وقيل: من كانت قناعته سمينة طابت له كل مرقة ومن رجع إلى الله تعالى على كل حال رزقه الله القناعة.

وقيل: مر أبو حازم بقصاب معه لحم سمين، فقال: خذ يا أبا حازم فإنه سمين. فقال: ليس معي درهم.

فقال: أنا أنظرك. فقال: نفسي أحسن نظرة لي منك.

وقيل لبعضهم: من أقنع الناس؟

فقال: أكثرهم للناس معونة، وأقلهم عليهم مؤونة.

وفي الزبور(١): القانع غني وإنْ كان جائعاً.

وقيل: وضع الله تعالى خمسة أشياء في خمسة مواضع:

العز في الطاعة، والذل في المعصية، والهيبة في قيام الليل، والحكمة في البطن الخالي، والغنى في القناعة.

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السّلمي، رحمه الله؛ يقول: سمعت نَصر بن مُحمَّد

---

(١) الزبور: الكتاب (ج) زُبُر، وغلب على صُحف النبي داود عليه السلام.

يقول: سمعت سُليمان بن أبي سُليمان يقول: سمعت أبا القاسم بن أبي نزار يقول: سمعت إبراهيم المارستانيّ يقول:

انتقم من حرْصك بالقناعة، كما تنتقم من عدوِّك بالقصاص.

وقال ذو النُّون المصريّ: من قنع استراح من أهل زمانه، واستطال على أقرانه.

وقيل، من قنع استراح من الشغل، واستطال على الكل.

وقال الكتانيّ: من باع الحرص بالقناعة ظفر بالعزِّ والمروءة.

وقيل: من تبعت عيناه ما في أيدي الناس طال حزنه.

وأنشدوا:

وأحسنُ بالفتى من يوم عار ينال به الغني كرم وجوع

وقيل: رأى رجل حكيماً يأكل ما تساقط من البقل على رأس ماء فقال:

لو خدمت السلطان لم تحتج إلى أكل هذا.

فقال الحكيم: وأنت لو قنعت بهذا لم تحتج إلى خدمة السلطان.

وقيل: «العقاب[1] عزيز في مطاره، لا يسمو إليه طرف صياد، ولا طعمه، فإذا طمع في جيفة علقت على حبالة[2]، نزل من مطاره، فتعلق في حباله.

وقيل: لما نطق موسى عليه السلام، بذكر الطمع، فقال: ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الكهف: ٧٧].

قال الخضر له: «هذا فراق بيني وبينك».

وقيل: لما قال ذلك موسى عليه السلام وقف بين يدي موسى والخضر، عليهما السلام ظبي وكانا جائعين، الجانب الذي يلي موسى عليه السلام غير مشوي، والجانب الذي يلي الخضر مشوي.

وقيل في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ﴾ [الإنفطار: ١٣]: هو القناعة في الدنيا، ﴿وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ [الإنفطار: ١٤]، هو: الحرص في الدنيا.

وقيل في قوله تعالى: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ [البلد: ١٣]، أي: فكها من ذل الطمع.

وقيل في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ [الأحزاب: ٣٣] يعني: البخل، والطمع. «ويطهركم تطهيرا» يعني: بالسخاء والإيثار.

وقيل في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾ [ص: ٣٥]

---

(١) العُقاب: (مؤ) طائر من كواسر الطير قويّ المخالب، حادُّ البصر، له منقار قصير أعقف (ج) عقبان.

(٢) الحِبالة: المصيدة (ج) حبائل وحبالات.

أي: مقاماً في القناعة انفرد به من أشكالي، وأكون راضياً فيه بقضائك.

وقيل في قوله تعالى: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ [النمل: ٢١] يعني: لأسلبنه القناعة، ولأبتلينه بالطمع، يعني: أسأل الله تعالى، أنْ يفعل به ذلك.

وقيل لأبي يزيد: بم وصلت إلى ما وصلت؟

فقال: جمعت أسباب الدنيا، فربطتها بحبل القناعة، ووضعتها في «منجنيق» الصدق، ورميت بها في بحر اليأس فاسترحت.

سمعت مُحمَّد بن عبد الله الصوفي يقول: سمعت مُحمَّد بن فرحان «بسامرة» يقول: سمعت خالي عبد الوهَّاب يقول: كنت جالساً عند الجنيد، أيام الموسم، وحوله جماعة كثيرون من العجم والمولدين.

فجاءه إنسان بخمسمائة دينار، ووضعها بين يديه، وقال:

تفرِّقها على هؤلاء الفقراء.

فقال: ألك غيرها؟ فقال نعم، لي دنانير كثيرة. فقال: أتريد غير ما تملك؟ فقال: نعم، فقال له الجُنيد: خذها، فإنك أحوج إليها منَّا. ولم يقبلها.

باب التوكل(١)

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣].

وقال: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [إبراهيم: ١١].

وقال: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣].

أخبرنا الإمام أبو بكر مُحمَّد بن الحسن بن فُورك، قال: أخبرنا عبد الله بن جعفر بن أحمد الأصبهاني قال: حدّثنا يُونس بن حَبيب بن عبد القاهر قال: حدّثنا أبو داود الطيالسي، قال: حدّثنا حمَّاد بن سَلَمة، عن عاصم بن بَهدلة، عن زر بن حُبيش(٢)؛ عن عبد الله بن مَسْعود؛ رضي الله عنه، أنَّ رسول الله ﷺ قال:

«أريت الأمم بالموسم، فرأيت أمتي قد ملأوا السهل والجبل، فأعجبني كثرتهم وهيئتهم، فقيل لي: أرضيت؟ فقلت: نعم. قال: ومع هؤلاء سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير

---

(١) التوكل: لغوياً: توكل على الله: اعتمد عليه ووثق به واستسلم إليه.

(٢) زر بن حبيش بن حباشة بن أوس الأسدي، تابعي من جلتهم، أدرك الجاهلية والإسلام ولم ير النبي ﷺ، كان عالماً بالقرآن، فاضلاً، وكان ابن مسعود يسأله عن العربية، سكن الكوفة، وعاش مائة وعشرين سنة، ومات بوقعة بدير الجماجم سنة (٨٣ هـ). الأعلام ٣/٤٣، والإصابة ١/٥٧٧.

حساب، لا يكتوون، ولا يتطيرون، ولا يسترقون، وعلى ربهم يتوكلون»[1]. فقام عكاشة بن محصن الأسدي[2]، فقال:

يا رسول الله، ادع أن يجعلني منهم.

فقال رسول الله ﷺ: اللهمَّ اجعله منهم.

فقام آخر، فقال: أدع الله أنْ يجعلني منهم، فقال ﷺ: **«سبقك بها عكاشة»**[3].

سمعت عبد الله بن يُوسف الأصبهاني يقول: سمعت أبا نصر السرَّاج يقول: سمعت أبا بكر الوجيهيّ يقول: قال أبو عليّ الروذباري قلت لعمرو بن سِنان[4]: أحك لي عن سهل بن عبد الله حكاية، فقال إنه قال: علامة المتوكل ثلاث لا يسأل، ولا يرد، ولا يحبس.

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السلمي، رحمه الله يقول: سمعت مَنْصور بن عبد الله يقول: سمعت أبا عبد الله الشيرازي يقول: سمعت أبا موسى الديبلي يقول: قيل لأبي يزيد: ما التوكل؟

فقال لي: ما تقول أنت؟ فقلت: إنَّ أصحابنا يقولون:

لو أنَّ السباع والأفاعي عن يمينك ويسارك ما تحرك لذلك سرك.

فقال أبو يزيد: نعم؛ هذا قريب؛ ولكن لو أنَّ أهل الجنة في الجنة يتنعمون وأهل النار في النار يعذبون: ثم وقع لك تمييز عليهما خرجت من جملة التوكل.

وقال سهل بن عبد الله: أول مقام في التوكل: أنْ يكون العبد بين يدي الله عزَّ وجل كالميت بين يدي الغاسل، يقلبه كيف شاء؛ لا يكون له حركة ولا تدبير.

وقال حمدون: التوكل: هو الإعتصام بالله تعالى.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين يقول: سمعت أبا بكر مُحمَّد بن أحمد البلخي يقول: سمعت مُحمَّد بن حامد يقول: سمعت أحمد خضرويه يقول: قال رجل لحاتم الأصم: من أين تأكل؟

---

(١) أخرجه البخاري (طب ١٧، ٤٢)، ومسلم (إيمان ٣٧٢، ٣٧٤)، والترمذي (قيامة ١٦)، وأحمد بن حنبل ١، ٢٧١، ٣٢١، ٤٠١، ٤٠٣، ٤٥٤، ٤، ٤٣٦، ٤٤١، ٤٤٣.

(٢) عكاشة بن محصن بن حرثان الأسدي من بني غنم، صحابي من أمراء السرايا، يُعد من أهل المدينة، شهد المشاهد كلها مع النبي ﷺ وقتل في حرب الردة ببزاخة، قتله طليحة بن خويلد الأسدي سنة (١٢ هـ). الأعلام ٤/ ٢٤٤.

(٣) أخرجه البخاري (رقاق ٥٠)، (طب ١٧، ٤٢)، (لباس ١٨)، ومسلم (إيمان ٣٦٧، ٣٦٩، ٣٧١، ٣٧٤)، والترمذي (قيامة ١٦)، والدارمي (رقاق ٨٦، ١٠٢)، وأحمد بن حنبل ١، ٢٧١، ٤٠١، ٢، ٣٠٢، ٣٥١، ٤٠١، ٤٥٦، ٥٠٢، ٤، ٤٣٦.

(٤) عمرو بن سنان بن سمي التميمي المنقري، أبو ربعيّ أحد السادات الشعراء الخطباء في الجاهلية والإسلام، من أهل نجد، وفد على النبي ﷺ فأسلم ولقي إكراماً وحفاوة وأُعجب النبي ﷺ بكلامه فقال: إن من البيان لسحراً. مات سنة (٥٧ هـ). الأعلام ٦/ ٧٨، والشعر والشعراء ٢٤٠.

فقال: ﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ [المنافقون: ٧].

واعلم أنَّ التوكل محله القلب، والحركة بالظاهر لا تنافي التوكل بالقلب، بعد ما تحقق أنَّ التقدير من قبل الله تعالى؛ فإنْ تعسر شيء فبتقديره، وإنْ اتفق شيء فبتيسيره.

أخبرنا عليّ بن أحمد بن عبدان قال: حدّثنا أحمد بن عُبيد البصريّ قال: حدّثنا غيلان بن عبد الصَّمد قال: حدّثنا إسماعيل بن مَسْعود الجحدريّ قال: حدّثنا خالد بن يَحيى قال: حدّثني عمي المغيرة بن أبي قرة، عن أنس بن مالك قال: «جاء رجل على ناقة له، فقال: يا رسول الله، أدَعها وأتوكل؟ فقال: **اعقلها وتوكلّ**»[1].

وقال إبراهيم الخوَّاص: من صحَّ توكله في نفسه، صحَّ توكله في غيره.

وقال بِشْر الحافي: يقول أحدهم: توكلت على الله، ويكذب على الله تعالى، لو توكلَّ على الله لرضي بما يفعله الله به.

وسُئل يحيى بن مُعاذ: متى يكون الرجل متوكلاً؟

فقال: إذا رضي بالله تعالى وكيلاً.

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السّلمي، رحمه الله يقول: سمعت مُحمَّد بن عليّ بن الحُسين يقول: سمعت عبد الله بن مُحمَّد بن الصَّامت يقول: سمعت إبراهيم الخوَّاص يقول:

بينما أنا أسير في البادية، وإذا بهاتف يهتف، فالتفت إليه، فإذا أعرابي يسير فقال لي: يا إبراهيم: التوكل عندنا: أقم عندنا حتى يصح توكلك، ألم تعلم أنَّ رجاءك لدخول بلد فيه أطعمة يحملك؟ إقطع رجاءك عن البلدان، وتوكل.

وسمعته يقول: سمعت مُحمَّد بن أحمد الفلاسي يقول: سمعت ابن عطاء، وقد سُئل عن حقيقة التوكل، فقال: أنْ لا يظهر فيك انزعاج إلى الأسباب مع شدة فاقتك إليها، ولا نزول عن حقيقة السكون إلى الحق مع وقوفك عليها.

سمعت أبا حاتم السّجستاني يقول: سمعت أبا نَصر السرَّاج يقول: شرط التوكل ما قاله أبو تُراب النخشبيّ، وهو: طرح البدن في العبودية، وتعلّق القلب بالربوبية، والطمأنينة إلى الكفاية، فإنْ أعطى شكر وإنْ منع صبر.

وكما قال ذو النُّون: التوكل: ترك تدبير النفس، والإنخلاع من الحول والقوة، وإنما يقوى العبد على التوكل إذا علم أنَّ الله سُبحانه يعلم ويرى ما هو فيه.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين يقول: سمعت أبا الفرج الورثاني يقول: سمعت أحمد بن

---

(١) أخرجه الترمذي (قيامة ٦٠).

مُحمَّد القرمسيني يقول: سمعت الكتانيَّ يقول: سمعت أبا جعفر بن آبي الفرج يقول: رأيت رجلاً يُعرف بـ «جمل عائشة» مع الشطَّار[1] يضرب بالسياط، فقلت له:

أيّ وقت يكون ألم الضرب عليكم أسهل؟ فقال:

إذا كان من ضربنا لأجله يرانا.

وسمعته يقول: سمعت عبد الله بن مُحمَّد يقول: قال الحُسين بن مَنْصور لإبراهيم الخوَّاص: ماذا صنعت في هذه الأسفار، وقطع هذه المفاوز؟

قال: بقيت في التوكل أصحح نفسي عليه.

فقال الحُسين: أفنيت عُمرك في عمران باطنك، فأين الفناء في التوحيد.

سمعت أبا حاتم السّجستاني يقول: سمعت أبا نَصر السرَّاج يقول: التوكل: ما قاله أبو بكر الدقَّاق، وهو: رد العيش إلى يوم واحد، وإسقاط همّ غد.

قال: وهو، كما قال سهل بن عبد الله، التوكل: الإسترسال مع الله، تعالى على ما يريد.

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السلميّ، رحمه الله، يقول: سمعت مُحمَّد بن جعفر بن مُحمَّد يقول سمعت أبا بكر البرذعي يقول: سمعت أبا يعقوب النهرجوري يقول:

التوكل على الله تعالى بكمال الحقيقة، ما وقع لإبراهيم، عليهالسلام، في الوقت الذي قال لجبريل، عليه السلام: أما إليك فلا، لأنه غابت نفسه بالله تعالى، فلم ير مع الله غير الله عزَّ وجلَّ.

وسمعته يقول: سمعت سعيد بن أحمد بن مُحمَّد يقول: سمعت مُحمَّد بن أحمد بن سَهل يقول، سمعت سَعيد بن ثمان الخيَّاط يقول، سمعت ذا النون المصريّ، وسأل رجل فقال: ما التوكل. فقال: خلع الأرباب وقطع الأسباب.

فقال السائل: زدني.

فقال: إلقاء النفس في العبودية وإخراجها من الربوبية.

وسمعته يقول: سمعت عبد الله بن مُحمَّد المعلم يقول: سمعت عبد الله ابن المبارك يقول: سمعت حَمْدون القصَّار، وسُئل عن التوكل، فقال:

إنْ كان لك عشرة آلاف درهم، وعليك دانق ديْن، لم تأمن أن تموت ويبقى ذلك في عنقك، ولو كان عليك عشرة آلاف درهم دين، من غير أن تترك لها وفاء، لا تيأس من الله تعالى أنْ يقضيه عنك.

---

(١) الشاطر: الخبيث الفاجر، ويستعمله العامة بمعنى الفهم المتصرف في الأمور، والشاطر: الذي أعيا أهله ومؤدبه خبثاً ومكراً (ج) شطَّار.

وسُئل أبو عبد الله القرشي عن التوكل فقال: التعلق بالله تعالى في كل حال.
فقال السائل: زدني، فقال: ترك كل سبب يوصّل إلى سبب حتى يكون الحق هو المتوليِّ لذلك.

وقال سهل بن عبد الله: التوكل حال النبيّ ﷺ، الكسب سنته؛ فمن بقي على حاله، فلا يتركن سنتَّه:

وقال أبو سعيد الخرَّاز: التوكل: اضطراب بلا سكون، وسكون بلا اضطراب.
وقيل: التوكل: أنْ يستوي عندك الإكثار والتقلل.
وقال ابن مَسْروق: التوكُل: الإستسلام لجريان القضاء والأحكام.
سمعت مُحمَّد بن الحُسين يقول: سمعت عبد الله الرازيّ يقول: سمعت أبا عُثمان الحيريّ يقول: التوكل: الإكتفاء بالله تعالى، مع الإعتماد عليه.

وسمعته يقول: سمعت مُحمَّد بن غالب يحكي عن الحُسين بن مَنْصور قال:

المتوكل المحق لا يأكل شيئاً وفي البلد من هو أحق به منه.
وسمعته يقول: سمعت عبد الله بن عليّ يقول: سمعت مَنْصور بن أحمد الحربي يقول: حكى لنا ابن أبي شيخ قال: سمعت عُمر بن سِنان يقول:

اجتاز بنا إبراهيم الخوَّاص، فقلنا له: حدّثنا بأعجب ما رأيته في أسفارك، فقال: لقيني الخضر عليه السلام، فسألني الصحبة، فخشيت أنْ يُفسد عليّ توكلي بسكوني إليه. ففارقته.

وسُئل سهل بن عبد الله عن التوكل فقال: هو قلب عاش مع الله تعالى بلا علاقة.

سمعت الأستاذ أبا علي الدقَّاق، رحمه الله، يقول: للمتوكل ثلاث درجات:

التوكل، ثم التسليم، ثم التفويض.
فالمتوكل يسكن إلى وعده، وصاحب التسليم يكتفي بعلمه وصاحب التفويض يرضى بحكمه.
وسمعته يقول: التوكل: بداية، والتسليم: واسطة، والتفويض نهاية.
وسُئل الدقَّاق عن التوكل، فقال: الأكل بلا طمع.
وقال يَحيى بن مُعاذ:
لبس الصوف حانوت، والكلام في الزهد حرفة، وصحبة القوافل تعرض، وهذه كلها علاقات.

وجاء رجل إلى الشبلي يشكو إليه كثرة العيال، فقال:
إرجع إلى بيتك، فمن ليس رزقه على الله، تعالى، فاطرده عنك.
سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السلمي، رحمه الله يقول: سمعت عبد الله بن عليّ

يقول: سمعت أحمد بن عطاء يقول: قرأت على مُحمَّد بن الحُسين؛ قال سهل بن عبد الله:

من طعن في الحركة فقد طعن في السنة، ومن طعن في التوكل فقد طعن في الإيمان.

وسمعته يقول: سمعت أحمد بن عليّ بن جعفر يقول: سمعت جعفراً الخلديّ يقول: قال إبراهيم الخوَّاص: كنت في طريق مكة، فرأيت شخصاً وحشياً.. فقلت: جني أم إنسي؟ فقال: جني. فقلت إلى أين؟ فقال: إلى مكة. فقلت: بلا زاد؟ فقال: فينا أيضاً من يسافر على التوكل فقلت: إيش التوكل؟ فقال: الأخذ من الله تعالى.

وسمعته يقول: سمعت أبا العبَّاس البغدادي يقول: سمعت الفرغاني يقول: كان إبراهيم الخوَّاص مجرداً في التوكل، يدقق فيه، وكان لا يفارقه إبرة وخيوط وركوة ومقراض[1] فقيل له: يا أبا إسحاق، لم تحمل هذا وأنت تمتنع من كل شيء؟

فقال: مثل هذا لا ينقض التوكل، لأنَّ لله، سُبحانه، علينا فرائض، والفقير لا يكون عليه إلا ثوب واحد؛ فربّما يتَّخرق ثوبه، فإنْ لم يكن معه إبرة وخيوط تبدو عورته، فتفسد عليه صلاته، وإذا لم يكن معه ركوة تفسد عليه طهارته، فإذا رأيتَ الفقير بلا ركوة ولا إبرة، ولا خيوط، فاتهمه في صلاته.

وسمعت الأستاذ أبا علي الدقَّاق، رحمه الله يقول:

التوكل: صفة المؤمنين، والتسليم: صفة الأولياء، والتفويض: صفة الموحِّدين، فالتوكل: صفة العوامِّ، والتسليم: صفة الخواص، ولاتفويض: صفة خواص الخواص.

وسمعته يقول: التوكل صفة الأنبياء، والتسليم صفة إبراهيم عليه السلام، والتفويض: صفة نبينا محمد ﷺ.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين يقول: سمعت أبا العباس البغدادي يقول: سمعت مُحمَّد بن عبد الله الفرغاني يقول: سمعت أبا جعفر الحدَّاد يقول: مكثت بضع عشرة سنة أعتقد التوكل وأنا أعمل في السوق، وآخذ كل يوم أجرتي؛ ولا أنتفع منها بشربة ماء، لا بدخلة حمام ولكن كنت أجيء بأجرتي إلى الفقراء في «الشونزية» وأكون مستمراً على حالي.

وسمعته يقول: سمعت أبا بكر مُحمَّد بن عبد الله بن شاذان يقول: سمعت الخواص يقول: سمعت الحُسين أخا سِنان يقول:

حججت أربع عشرة حجة، حافياً، على التوكل، فكان يدخل في رجلي شوكة فأذكر أني قد اعتقدت على نفسي التوكل، فأحكها في الأرض وأمشي.

وسمعته يقول: سمعت مُحمَّد بن عبد الله الواعظ يقول: سمعت خيراً النسَّاج يقول: سمعت أبا حمزة يقول: إني لأستحي من الله تعالى أنْ أدخل البادية وأنا شبعان، وقد

(١) المقراض: المقص وهو ما يُقرض به الثوب أو غيره.

اعتقدت التوكل، لئلا يكون سعيي على الشبع زاداً أتزود به.. وسُئل حَمْدون عن التوكل، فقال:

تلك درجة لم أبلغها بعد، وكيف يتكلم في التوكل من لم يصح له حال الإيمان؟

وقيل: المتوكل كالطفل، لا يعرف شيئاً يأوي إليه إلا ثدي أمه، كذلك المتوكل لا يهتدي إلا إلى ربه تعالى.

وعن بعضهم قال: كنت في البادية فتقدمت القافلة فرأيت قدامي واحداً فتسارعت حتى أدركته، فإذا هي امرأة بيدها عكاز، تمشي على التؤدة.. فظننت أنها أعيت، فأدخلت يدي في جيبي، فأخرجت عشرين درهماً، فقلت: خذيها وامكثي حتى تلحقك القافلة فتكتري بها. ثم ائتيني الليلة حتى أصلح أمرك.

فقالت: بيدها هكذا في الهواء، فإذا في كفها دنانير، فقالت: أنت أخذت الدراهم من الجيب، وأنا أخذت الدنانير من الغيب.

ورأى أبو سليمان الداراني رجلاً بمكة، لا يتناول شيئاً إلا شربة من ماء زمزم. فمضى عليه أيام، فقال له سُليمان يوماً:

أرأيت لو غارت زمزم إيش كنت تشرب؟

فقام، وقبل رأسه، وقال: جزاك الله خيراً، حيث أرشدتني، فإني كنت أعبد زمزم منذ أيام. ومضى.

وقال إبراهيم الخوَّاص: رأيت في طريق الشام شاباً حدثاً، حسن المراعاة، فقال لي:

هل لك في الصحبة؟ فقلت: إني أجوع. فقال: إنْ جعتَ جعت معك.

فبقينا أربعة أيام، ففتح علينا بشيء، فقلت: هلم. فقال: اعتقدت أني لا آخذ بواسطة فقلت: يا غلام دققت. فقال: يا إبراهيم، لا تتبهرج[1]، فإن الناقد بصير، مالك والتوكل؟ ثم قال: أقل التوكل أنْ ترد عليك موارد الفاقات فلا تسمو نفسك إلا إلى من إليه الكفايات.

وقيل: التوكل: نفي الشكوك، والتفويض إلى ملك الملوك.

وقيل: دخل جماعة على الجنيد رحمه الله، فقالوا: أين نطلب الرزق؟

فقال: إنْ علمتم في أي موضع هو، فاطلبوه منه، قالوا: فنسأل الله تعالى ذلك.

فقال: إنْ علمتم أنه ينساكم فذكروه. فقالوا: ندخل البيت فنتوكل؟ فقال: التجربة شك.

قالوا: فما الحيلة؟ فقال: ترك الحيلة.

وقال أبو سُليمان الداراني لأحمد بن الحواري:

---

(١) البهرج: الباطل والزائف.

يا أحمد، إن طرق الآخرة كثيرة، وشيخك عارف بكثير منها إلا هذا التوكل المبارك، فإني ما شممت منه رائحة.

وقيل: التوكل: الثقة بما في يد الله تعالى، واليأس عما في أيدي الناس.

وقيل التوكل: فراغ السر عن التفكر في التقاضي في طلب الرزق.

وسُئل الحارث المحاسبي، رحمه الله، عن المتوكل: هل يلحقه طمع؟

فقال: يلحقه من طريق الطباع خطرات، ولا تضره شيئاً، ويقويه على اسقاط الطمع اليأس مما في أيدي الناس.

وقيل: جاع النوري في البادية، فهتف به هاتف: أيما أحبُّ إليك: سبب أو كفاية.

فقال: الكفاية ليس فوقها نهاية، فبقي سبعة عشر يوماً لم يأكل.

وقال أبو عليّ الروذباري: إذا قال الفقير بعد خمسة أيام: أنا جائع، فالزموه السوق، ومروه بالعمل والكسب.

وقيل: نظر أبو تُراب النخشبيّ إلى صوفي مد يده إلى قشر بطيخ ليأكله بعد ثلاثة أيام.

فقال له: لا يصلح لك التصوف إلزم السوق.

وقال أبو يَعقوب الأقطع البصري:

جعت مرة بالحرم عشرة أيام فوجدت ضعفاً. فحدّثتني نفسي. فخرجت إلى الوادي، لعلي أجد شيئاً يسكن ضعفي.. فرأيت «سلجمة»[1] مطروحة.. فأخذتها.. فوجدت في قلبي منها وحشة.. وكأن قائلاً يقول لي: جعت عشرة أيام وآخره يكون حظك سلجمة متغيرة. فرميت بها ودخلت المسجد فقعدت، فإذا أنا برجل أعجمي، جلس بين يدي ووضع «قمطرة»[2]، وقال: هذه لك.

فقلت: كيف خصصتني بها؟ فقال: اعلم أنا كنا في البحر منذ عشر أيام. وأشرفت السفينة على الغرق.. فنذر كل واحد منا: إن خلصنا الله، تعالى، أنْ يتصدق بشيء، ونذرت أنا: إنْ خلصني الله تعالى أنْ أتصدق بهذه على أول من يقع بصري عليه من المجاورين وأنت أولُ م لقيته.

فقلت: افتحها، ففتحها، فإذا فيها: كعك سميد[3] مصري، ولوز مقشور، وسكر كعاب فقبضت قبضته من ذا، وقبضة من ذا، وقبضة من ذا.

وقلت ردَّ الباقي إلى صبيانك، هو هدية مني لكم، وقد قبلتها.

---

(١) السَّلْجم: نبات يُعرف باللفت واحدته سلجمة (مع).

(٢) القمطر: ما تُصان فيه الكتب، وهو كالمحفظة التي يحملها الطالب وغيره (ج) قماطر.

(٣) السميد: لباب الدقيق أو ضرب من الطحين الأبيض الخشن.

ثم قلت في نفسي: رزقك يسير إليك من عشرة أيام وأنت تطلبه من الوادي..

سمعت الشيخ أبا عبد الرّحمن السلمي، رحمه الله، يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: كنت عند ممشاد الدينوري، فجرى حديث الديَّن، فقال:

كان علي دين، فاشتغل قلبي. فرأيت في النوم كأن قائلاً يقول:

يا بخيل، أخذت علينا هذا المقدار، خذ؛ عليك الأخذ، وعلينا العطاء.

فما حاسبت بعد ذلك بقالاً، ولا قصاباً، ولا غيرهم.

ويحكى عن بُنان الحمال، قال: كنت في طريق مكة حرسها الله أجيء من مصر، ومعي زاد، فجاءتني امرأة، وقالت لي: يا بُنان، أنت حمال تحمل على ظهرك الزاد، وتتوهم أنه لا يرزقك؟؟ قال فرميت بزادي. ثم أني على ثلاث «لم آكل» فوجدت خلخالاً[1] في الطريق.. فقلت في نفسي: أحمله حتى يجيء صاحبه، فربما يعطيني شيئاً فأرده عليه فإذا أنا بتلك المرأة، فقالت لي: أنت تاجر؟؟ تقول: حتى يجيء صاحبه فآخذ منه شيئاً؟ ثم رمت إليه شيئاً من الدراهم، وقالت: أنفقها فاكتفيت بها إلى قريب من مكة.

ويحكى عن بُنان أنه احتاج إلى جارية تخدمه، فانبسط إلى إخوانه فجمعوا له ثمنها، وقالوا: هوذا، يجيء النفر فتشتري ما يوافقك.

فلما ورد النفر، اجتمع رأيهم على واحدة، وقالوا: إنها تصلح له.

فقالوا لصاحبها: بكم هذه؟ فقال: إنها ليست للبيع، فألحوا عليه، فقال: إنها لبنان الحمال، أهدتها إليه امرأة من «سَمَرقَنْد» فحملت إلى بُنان، وذكرت له القصة.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين يقول: سمعت مُحمَّد بن الحُسين المخزومي يقول: حدثنا أحمد بن مُحمَّد بن صالح قال: حدّثنا مُحمَّد بن عبدون، قال: حدّثنا الحسن الخيَّاط قال:

كنت عند بِشْر الحافيِّ، فجاء نفر فسلموا عليه، فقال: من أين أنتم.

قالوا: نحن من الشام جئنا لنسلم عليك، ونريد الحج.

فقال: شكر الله تعالى لكم فقالوا: تخرج معنا. فقال: بثلاث شرائط لا نحمل معنا شيئاً، ولا نسأل أحد شيئاً، وإن أعطانا أحد شيئاً لا نقبله؟ قالوا: أما أنْ لا نحمل، فنعم. وأما أنْ لا نسأل، فنعم، وأما أنْ لا نقبل إن أعطينا، فهذا لا نستطيعه.

فقال: خرجتم متوكلين على زاد الحجيج، ثم قال: يا حسن، الفقراء ثلاثة:

فقير لا يسأل، وإنْ أعطى لا يأخذ، فذاك من جملة الروحانيين.

وفقير لا يسأل، وإن أعطى قبل، فذاك مما يوضع له موائد في حظائر القدس.

وفقير يسأل، وإنْ أعطى قبل قدر الكفاية، فكفارته صدقة.

---

(١) الخلخال: حلية كالسوار تلبسها المرأة في رجلها (ج) خلاخيل.

وقيل لحبيب العجميّ: لم تركت التجارة؟ فقال: وجدت الكفيل ثقة.

وقيل: كان في الزمن الأول رجل في سفر ومعه قرص، فقال: إن أكلت مت.

فوكل الله تعالى به ملكاً، وقال: إنْ أكله فارزقه، وإنْ لم يأكله فلا تعطه غيره. فلم يزل القرص معه حتى مات، ولم يأكل، وبقي عنده القرص.

وقيل: من وقع في ميدان التفويض يزف إليه المراد كما تزف العروس إلى أهلها، والفرق بين التضييع والتفويض: أنَّ التضييع في حق الله تعالى، وذلك مذموم، والتفويض في حقك، وهو محمود.

وقال عبد الله بن المبارك: من أخذ فلساً[1] حرام، فليس بمتوكل.

سمعت مُحمَّد بن عبد الله الصوفي، رحمه الله، يقول سمعت نَصر بن أبي نصر العطَّار يقول: سمعت عليا بن مُحمَّد المصري يقول: سمعت أبا سعيد الخرَّاز يقول: دخلت البادية مرة بغير زاد، فأصابتني فاقة، فرأيت المرحلة من بعيد، فسررت بأني وصلت. ثم فكرت في نفسي: أني سكنت واتكلت على غيره، فآليت أنْ لا أدخل المرحلة إلا أنْ أحمل إليها. فحفرت لنفسي في الرمل حفرة. وداريت جسدي فيها إلى صدري، فسمعوا صوتاً في نصف الليل عالياً، يقول:

يا أهل المرحلة، إنَّ لله تعالى ولياً، حبس نفسه في هذا الرمل؛ فألحقوه.

فجاءني جماعة فأخرجوني وحملوني إلى القرية.

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السلميّ، رحمه الله، يقول: سمعت مُحمَّد بن الحُسين المخزومي يقول: سمعت ابن المالكي يقول: قال أبو حمزة الخراساني:

حججت سنة من السنين، فبينما أنا أمشي في الطريق، إذ وقعت في بئر فنازعتني نفسي أنْ أستغيث، فقلت: لا والله، لا أستغيث. فما استتمت هذا الخاطر حتى مر برأس البئر رجلان: فقال أحدهما للآخر: تعالى حتى نسد رأس هذا البئر، لئلا يقع فيها أحد.. فأتوا بقصب وبارية[2]، وطموا[3] رأس البئر، فهممت أنْ أصيح ثم قلت في نفسي: أصيح إلى من هو أقرب منهما!! وسكنت. فبينما أنا بعد ساعة، إذ أنا بشيء جاء.. وكشف عن رأس البئر، وأدلى رجله، وكأنه يقول لي: تعلق بي، في همهمة[4] له كنت أعرف ذلك منه، فتعلقت به.. فأخرجني، فإذا هو سبع، فمر. وهتف بي هاتف: أنا أبا حمزة، أليس هذا

---

(١) الفلْس: عملة ـ كانت تقدر بسدس الدرهم، وهي تساوي اليوم جزءاً من ألف من الدينار في العراق وغيره ـ يتعامل بها مضروبة من غير الذهب والفضة.

(٢) البارية: حصير غليظ خشن.

(٣) طم فلان الحفرة بالتراب ونحوه طماً: ردمها وسواها بالأرض.

(٤) الهمهمة: الكلام الخفي.

أحسن!! نجيناك من التلف بالتلف فمشيت وأنا أقول:

أهابك أن أبدي إليك الذي أخفي ... وسري يبدي ما يقول له طرفي
نهاني حيائي منك أنْ أكتم الهوى ... وأغنيتني بالفهم منك عن الكشفِ
تلطفت في أمري فأبديت شاهدي ... إلى غائبي واللطف يدرك باللطفِ
تراءيت لي بالغيب، حتى كأنما ... تبشرني في الغيب أنك في الكفِ
أراك وبي من هيبتي لك وحشة ... فتؤنسني باللطف منك وبالعطفِ
وتحيي محباً أنت في الحبّ حتفه ... وذا عجب كون الحياة مع الحتفِ

سمعت مُحمَّد بن الحُسين، رحمه الله، يقول: سمعت مَنْصور بن عبد الله يقول: سمعت أبا سَعدان التاهرتيّ يقول: سمعت حُذيفة المرعشيّ يقول، وكان قد خدم إبراهيم بن أدهم، وصحبه، فقيل له: ما أعجب ما رأيت منه؟ فقال:

بقينا في طريق مكة أياماً لم نجد طعاماً، ثم دخلنا الكوفة، فأوينا إلى مسجد خراب، فنظر إلي إبراهيم بن أدهم، وقال: يا حُذيفة، أرى بك أثر الجوع!! فقلت: هو ما رأى الشيخ، فقال عليَّ بدواة[1]، وقرطاس[2].

فجئت به، فكتب: «بسم الله الرحمن الرحيم، أنت المقصود إليه بكل حال، والمشار إليه بكل معنى:

أنا حامد أنا شاكر أنا ذاكر ... أنا جائع أنا نائع[3] أنا عاري
هي ستة وأنا الضمين لنصفها ... فكن الضمين لنفسها يا باري
مدحي لغيرك لهب نار خضتها ... فأجر عبيدك من دخول النارِ
والنار عندي كالسؤال فهل ترى ... أنْ لا تكلفني دخول النار

ثم دفع إلي الرقعة وقال:

أخرج، ولا تعلق قلبك بغير الله تعالى، وادفع الرقعة إلى أول من يلقاك.

قال: فخرجت.. فأول من لقيني رجل كان على بغلة، فدفعتها إليه، فأخذها وبكى، وقال: ما فعل صاحب هذه الرقعة؟ فقلت: هو في المسجد الفلاني.

فدفع إلي صرة[4] فيها ستمائة دينار.

ثم لقيت رجلاً آخر، فقلت له: من صاحب هذه البغلة؟ فقال لي: هو نصراني فجئت إلى إبراهيم بن أدهم، وأخبرته بالقصة، فقال:

(١) الدواة: المحبرة (ج) دوىً ودويّ.
(٢) القرطاس: الصحيفة التي يُكتب فيها.
(٣) النائع: الظمآن أو الجائع.
(٤) الصرة: ما يجمع فيه الشيء ويشد.

لا تمسها، فإنه يجيء الساعة.

فلما كان بعد ساعة، وافى النصراني؛ وأكب على رأس إبراهيم بن أدهم وأسلم:

باب الشّكر[1]

قال الله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

وحدّثنا أبو الحسن عليّ بن أحمد بن عبدان الأهوازي قال: أخبرنا أبو الحسن الصفَّار، قال: حدّثنا الإسقاطي قال: حدّثنا منجاب قال: حدّثنا يحيى بن يَعلى، عن أبي خبَّاب، عن عَطاء، قال:

دخلت على عائشة، رضي الله عنها، مع عُبيد بن عُمير، فقلت:

أخبرينا بأعجب ما رأيت من رسول الله ﷺ.

فبكت، وقالت:

وأي شأنه لم يكن عجباً؟.. إنه أتاني في ليلة.. فدخل معي في فراشي، أو قالت: في لحافي.. حتى مس جلدي، ثم قال: يا بنت أبي بكر، ذريني أتعبد لربيِّ.

قالت: قلت: إني أحبّ قربك فأذنت له فقام إلى قربة[2] من ماء فتوضأ. وأكثر صب الماء.. ثم قام يصلي. فبكى، ثم سالت دموعه على صدره.. ثم ركع فبكى، ثم سجد فبكى، ثم رفع رأسه فبكى.. فلم يزل كذلك حتى جاء بلال فآذنه بالصلاة.

فقلت له: يا رسول الله، ما يبكيك، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟!

فقال: «أفلا أكون عبداً شكوراً؟ ولم لا أفعل: وقد أنزل الله علي: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١٦٤] الآية[3].

قال الأستاذ:

حقيقة الشكر عند أهل التحقيق: الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع، وعلى هذا القول: يوصف الحق سُبحانه بأنه: شكور، توسعاً، ومعناه: أنه يجازي العباد على الشكر، فسمي جزاء الشكر شكراً؛ كما قال تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠].

---

(١) الشكر: عرفان الجميل ونشره والثناء على المحسن. ومن الله لعباده: مجازاتهم على أعمالهم الصالحة، والرضا والثواب.

(٢) القِربة: وعاء من جلد يُخرز من جانب واحد، ويُتخذ لحفظ اللبن أو الماء ونحوهما.

(٣) أخرجه البخاري (تهجد ٦)، (تفسير سورة ٤٨، ٢) ومسلم (منافقين ٧٩ ـ ٨١)، والترمذي (صلاة ١٨٧)، والنسائي (قيام الليل ١٧)، وابن ماجة (إقامة ٢٠٠)، وأحمد بن حنبل ٤، ٢٥١، ٢٥٥، ٦، ١١٥.

وقيل: شكره تعالى: إعطاؤه الكثير من الثواب على العمل اليسير؛ من قولهم: دابة شكور: إذا أظهرت من السمن فوق ما تعطي من العلف.

ويحتمل أنْ يقال: حقيقة الشكر: الثناء على المحسن بذكر إحسانه فشكر العبد لله تعالى: ثناؤه عليه بذكر إحسانه إليه، وشكر الحق، سبحانه، للعبد: ثناؤه عليه بذكر إحسانه له، ثم إنَّ إحسان العبد: طاعته لله تعالى، وإحسان الحق: إنعامه على العبد بالتوفيق للشكر له، وشكر العبد على الحقيقة، إنما هو: نطق اللسان، وإقرار القلب بإنعام الرب. والشكر ينقسم إلى:

شكر باللسان: وهو اعترافه بالنعم بنعت الإستكانة.

وشكر بالبدن والأركان: وهو اتصاف بالوفاء والخدمة.

وشكر بالقلب وهو اعتكاف على بساط الشهود بإدامة حفظ الحرمة.

ويُقال: شكر هو شكر العالمين، يكون من جملة أقوالهم.

وشكر: هو نعت العابدين، يكون نوعاً من أفعالهم.

وشكر: هو شكر العارفين، يكون باستقامتهم له في عموم أحوالهم.

وقال أبو بكر الورَّاق: شكر النعمة مشاهدة المنة، وحفظ الحرمة.

قال حمدون القصَّار شكر النعمة: أنْ ترى نفسك فيه طفيلياً[1].

وقال الجُنيد: الشكر فيه علة، لأنه طالب لنفسه المزيد، فهو واقف مع الله، سُبحانه، على حظ نفسه.

وقال أبو عُثمان: الشكر معرفة العجز عن الشكر.

ويقال: الشّكر على الشكر أتم من الشكر، وذلك بأنْ ترى شكرك بتوفيقه، ويكون ذلك التوفيق من أجل النعم عليك، فتشكره على الشكر، ثم تشكره على شكر الشكر، إلا ما لا يتناهى.

وقيل: الشكر: إضافة النعم إلى موليها بنعت الإستكانة.

وقال الجُنيد: الشكر: أنْ لا ترى نفسك أهلاً للنعمة.

وقال رُويم: الشكر: استفراغ الطاقة.

وقيل: الشاكر: الذي يشكر على الموجود، والشكور: الذي يشكر على المفقود.

ويقال: الشَّاكر: الذي يشكر على الرفد[2]، والشكور: الذي يشكر على الرد.

ويُقال الشاكر: الذي يشكر على النفع، والشكور: الذي يشكر على المنع.

ويُقال: الشاكر: الذي يشكر على العطاء، والشكور: الذي يشكر على البلاء.

---

(١) الطفيليّ: الذي يغشىٰ الولائم والمجالس ونحوها بلا دعوة.

(٢) الرفد: العطاء والصلة (ج) أرفاد.

ويقال: الشاكر: الذي يشكر عند البذل، والشكور: الذي يشكر عند المطل.

سمعت الشيخ أبا عبد الرّحمن السلمي، رحمه الله، يقول: سمعت الأستاذ أبا سهل الصعلوكي يقول: سمعت المرتعش يقول: سمعت الجُنيد يقول:

كنت بين يدي السريِّ ألعب، وأنا ابن سبع سنين، وبين يديه جماعة يتكلمون في الشكر، فقال لي: يا غلام، ما الشكر؟ فقلت: ألا تعصي الله بنعمة.

فقال: يوشك أنْ يكون حظك من الله لسانك.

قال الجُنيد، رحمه الله، فلا أزال أبكي على هذه الكلمة التي قالها السري.

وقال الشبلي: الشكر: رؤية المنعم، لا رؤية النعمة.

وقيل الشكر: قيد الموجود، وصيد المفقود.

وقال أبو عُثمان: شكر الله العامة على المطعم والملبس، وشكر الخواص على ما يرد على قلوبهم من المعاني.

وقيل: قال داود، عليه السلام، إلهي، كيف أشكر، وشكري لك نعمة من عندك؟

فأوحى الله إليه: الآن قد شكرتني.

وقيل: قال موسى عليه السلام في مناجاته:

إلهي، خلقت آدم بيدك، وفعلت.. وفعلت فكيف شكرك؟

فقال: علم أنَّ ذلك مني، فكانت معرفته بذلك شكره لي.

وقيل: كان لبعضهم صديق، فحبسه السلطان، فأرسل إليه، فقال له صاحبه:

أشكر الله تعالى؛ فضرب الرجل، فكتب إليه، فقال:

اشكر الله تعالى، فجيء بمجوسي مبطون، وقيد، وجعلت حلقة من قيده على رجل هذا، وحلقة على رجل المجوسي، فكان يقوم المجوسي بالليل مرات وهذا يحتاج أن يقوم على رأسه حتى يفرغ، فكتب إلى صاحبه، فقال:

اشكر الله تعالى، فقال: إلى متى تقول، وأي بلاء فوق هذا؟

فقال له صاحبه: لو وضع الزنار الذي في وسطه في وسطك، كما وُضع القيد الذي في رجله في رجلك، ماذا كنت تصنع؟

وقيل: دخل رجل على سهل بن عبد الله، فقال له: إنَّ اللص دخل داري، وأخذ متاعي!! فقال له اشكر الله تعالى، لو دخل اللص قلبك ـ وهو الشيطان ـ وأفسد التوحيد، ماذا كنت تصنع؟

وقيل: شكر العينين: أن تستر عيباً تراه بصاحبك. وشكر الأذنين: أن تستر عيباً تسمعه فيه.

وقيل: الشكر: التلذذ بثنائه على ما لم يستوجبه عن عطائه.

سمعت السلمي يقول: سمعت مُحمَّد بن الحُسين يقول: سمعت الحسن بن يحيى يقول: سمعت جعفراً يقول سمعت الجُنيد يقول: كان السري إذا أراد أن ينفعني يسألني؛ فقال لي يوماً: يا أبا القاسم، ما الشكر! فقلت له: أنْ لا يستعان بشيء من نعم الله، تعالى، على معاصيه.

فقال: من أين لك هذا! فقلت: من مجالستك.

وقيل: التزم الحسن بن عليّ الركن وقال: إلهي. نعمتني فلم تجدني شاكراً.

وابتليتني فلم تجدني صابراً، فلا أنت سلبت النعمة بتركي الشكر ولا أدمت الشدة بتركي الصبر. إلهي ما يكون من الكريم إلا الكرم.

وقيل: إذا قصرت يدك عن المكافأة فليطل لسانك بالشكر.

وقيل: أربعة لا ثمرة لأعمالهم:

مسارة الأصم، وواضع النعمة عند من لا يشكر، والباذر في السبخة[1]، والمسرج في الشمس.

وقيل: لما بُشّر إدريس، عليه السلام بالمغفرة سأل الحياة، فقيل له فيه، فقال: لأشكره فإني كنت أعمل قبله للمغفرة، فبسط الملك جناحه وحمله عليه إلى السماء.

وقيل: مر بعض الأنبياء عليهم السلام بحجر صغير يخرج منه الماء الكثير، فتعجب منه، فأنطقه الله معه، فقال: مذ سمعت الله، تعالى يقول: ﴿ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾ [التحريم: ٦]، وأنا أبكي من خوفه قال: فدعا ذلك النبي أنْ يجير الله ذلك الحجر؛ فأوحى الله تعالى إليه أني قد أجرته من النار، فمر ذلك النبيّ، فلما عاد وجد الماء يتفجر منه مثل ذلك؛ فعجب منه فانطق الله ذلك الحجر معه، فقال له: لم تبكي، وقد غفر الله لك؟ فقال: ذلك كان بكاء الحزن والخوف، وهذا بكاء الشكر والسرور.

وقيل الشاكر مع المزيد؛ لأنه في شهود النعمة، قال الله تعالى: ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [إبراهيم: ٧]، والصابر مع الله تعالى، لأنه بشهود المبتلي، قال الله سُبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٤٦].

وقيل: قدم وفد على عُمر بن عبد العزيز، رضي الله عنه، وكان فيهم شاب.. فأخذ يخطب، فقال عُمر: الكبر. الكبر. فقال له الشاب: يا أمير المؤمنين، لو كان الأمر بالسنِّ، لكان في المسلمين من هو أسنُّ منك!! فقال: تكلم فقال:

لسنا وفد الرغبة، ولا وفد الرهبة. أما الرغبة فقد أوصلها إلينا فضلك وأما الرهبة فقد

---

(١) السبخة: أرض ذات نزّ وملح لا تكاد تنبت (ج) سباخ.

أمننا منها عدلك. فقال له: فمن أنتم؟ فقال: وفد الشكر، جئناك نشكرك وننصرف.

وأنشدوا:

ومن الرزية[1] أن شكري صامت عما فعلت وأنْ برك ناطق
أرى الصنيعة[2] منك ثم أسرها إني إذن ليد الكريم لسارق

وقيل أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: أرحم عبادي: المبتلى، والمعافى.

فقال: ما بال المعافى؟ فقال: لقلة شكرهم على عافيتي إياهم.

وقيل: الحمد على الأنفاس، والشكر على نعم الحواس.

وقيل الحمد: ابتداء منه، والشكر: اقتداء منك.

وفي الخبر الصحيح: «أول من يُدعى إلى الجنة الحامدون لله على كل حال».

وقيل: الحمد لله على ما دفع، والشكر: على ما صنع.

وحكى عن بعضهم أنه قال: رأيت في بعض الأسفار شيخاً كبيراً قد طعن في السن، فسألته عن حاله، فقال: إني كنت في ابتداء عمري أهوى ابنة عم لي؛ وهي كذلك كانت تهواني؛ فاتفق أنها زوجت مني، فليلة زفافها قلنا: تعال: حتى تحيي هذه الليلة شكراً لله تعالى على ما جمعنا فصلينا تلك الليلة، ولم يتفرغ أحدنا لصاحبه فلما كانت الثانية قلنا مثل ذلك فمنذ سبعين؛ أو ثمانين سنة، نحن على تلك الصفة كل ليلة، أليس كذلك يا فلانة، فقالت العجوز: كما يقول الشيخ.

باب اليقين

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ٤].

حدّثنا الأستاذ الإمام أبو بكر مُحمَّد بن الحسن بن فُورك، قال: حدّثنا أبو بكر أحمد بن محمود بن خرزاذ الأهوازي بها قال: حدّثنا أحمد بن سهل بن أيوب قال: حدّثنا خالد، يعني «ابن زيد» قال: حدّثنا سفيان الثوري، وشَريك بن عبد الله، وسُفيان بن عيينة[3]، عن سُليمان التيميّ، عن خيثمة، عن عبد الله بن مَسعود، عن النبي ﷺ أنه قال:

---

(١) الرزية: المصيبة.

(٢) الصنيعة: الإحسان وفعل الخير.

(٣) سفيان بن عُيينة بن ميمون الهلالي الكوفي أبو محمد، محدث الحرم المكي من الموالي. ولد بالكوفة سنة (١٠٧ هـ)، وسكن مكة وتوفي بها سنة (١٩٨ هـ)، وكان حافظاً ثقة واسع العلم، كبير القدر، كان أعور وحج سبعين سنة، له «الجامع» وغيره. الأعلام ٣/ ١٠٥، وتذكرة الحفاظ ١/ ٢٤٢.

«لا ترضين أحداً بسخط الله تعالى، ولا تحمدن أحداً على فضل الله عزَّ وجل، ولا تذمن أحداً على ما لم يؤتك الله تعالى، فإنَّ رزق الله لا يسوقه إليك حرص حريص ولا يرده عنك كراهة كاره، وإنَّ الله تعالى ـ بعدله وقسطه ـ جعل الروح والفرح في الرضا واليقين، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط»[1].

أخبرنا الشيخ أبو عبد الرّحمن السلمي قال: أخبرنا أبو جعفر مُحمَّد بن أحمد بن سعيد الرازي قال: حدّثنا عيَّاش بن حمزة قال: حدّثنا أحمد بن أبي الحواري، قال: قال أبو عبد الله الأنطاكي:

إنَّ أقل اليقين إذا وصل إلى القلب يملأ القلب نوراً، وينفي عنه كل ريب، ويمتلىء القلب به شكراً، ومن الله تعالى خوفاً.

ويحكى عن أبي جعفر الحدَّاد قال: رآني أبو تُراب النخشبيّ، وأنا في البادية جالس على بركة ماء، ولي ستة عشر يوماً لم آكل ولم أشرب فقال لي: ما جلوسك؟ فقلت: أنا بين العلم واليقين أنتظر ما يَغلب فأكون معه، يعني «إنْ غلب على العلم شربت، وإنْ غلب اليقين مررت»، فقال لي: سيكون لك شأن.

وقال أبو عُثمان الحيريّ: اليقين قلة الإهتمام لغد.

وقال سَهل بن عبد الله: اليقين: من زيادة الإيمان، ومن تحقيقه.

وقال سهل أيضاً: اليقين: شعبة من الإيمان، وهو دون التصديق.

وقال بعضهم: اليقين: هو العلم المستودع في القلوب، يشير هذا القائل إلى أنه غير مكتسب.

وقال سهل: ابتداء اليقين: المكاشفة، ولذلك قال بعض السلف: لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً، ثم المعاينة والمشاهدة.

وقال أبو عبد الله بن خفيف: اليقين تحقق الأسرار بأحكام المغيبات.

وقال أبو بكر بن طاهر: العلم: بمعارضة الشكوك، واليقين: لا شك فيه. أشار إلى العلم الكسبي وما يجري مجرى البديهي، وكذلك علوم القوم في الابتداء كسبي، وفي الانتهاء بديهي.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين يقول: قال بعضهم: أول المقامات المعرفة، ثم اليقين، ثم التصديق، ثم الإخلاص، ثم الشهادة، ثم الطاعة. والإيمان اسم يجمع هذا كله. أشار هذا القائل إلى أنَّ أول الواجبات، هو المعرفة بالله سُبحانه، والمعرفة لا تحصل إلا بتقديم شرائطها، وهو النظر الصائب، ثم إذا توالت الأدلة، وحصل البيان، صار بتوالي الأنوار،

(١) قال في مجمع الزوائد ٤/ ٧١: رواه الطبراني في الكبير، وقال في كنز العمال ٣/ ١٦٠ رقم الحديث ٥٩٦١ رواه الطبراني والبيهقي وابن حبان عن ابن مسعود.

وحصول الاستبصار، كالمستغني عن تأمل البرهان وهو حال اليقين، ثم تصديق الحق، سُبحانه، فيما أخبر عند إصغائه إلى إجابة الداعي فيما يخبر من أفعاله، سُبحانه في المستأنف؛ لأنَّ التصديق إنما يكون في الإخبار، ثم الإخلاص فيما يتعقبه من أداء الأوامر، ثم بعد ذلك إظهار الإجابة بجميل الشهادة، ثم أداء الطاعات بالتوحيد فيما أمر به، والتجرد عما زجر عنه.

وإلى هذا المعنى أشار الإمام أبو بكر مُحمَّد بن فورك، فيما سمعته، يقول ذكر اللسان فضيلة يفيض بها القلب.

وقال سَهل بن عبد الله: حرام على قلب أنْ يشم رائحة اليقين وفيه سكون إلى غير الله تعالى.

وقال ذو النُّون المصري: اليقين داع إلى قصر الأمل، وقصر الأمل يدعو إلى الزهد، والزهد يورث الحكمة، والحكمة تورث النظر في العواقب.

وسمعت مُحمَّد بن الحُسين، رحمه الله يقول: سمعت أبا العبَّاس البغداديّ يقول: سمعت ذا النُّون المصري يقول:

ثلاثة من أعلام اليقين:

قلة مخالطة الناس في العشرة، وترك المدح لهم في العطية، والتنزه عن ذمهم عند المنع.

وثلاثة من أعلام يقين اليقين.

النظر إلى الله تعالى في كلِّ شيء، والرجوع إليه في كلِّ أمر والإستعانة به في كل حال.

وقال الجُنيد، رحمه الله: اليقين هو استقرار العلم الذي لا ينقلب ولا يحول ولا يتغير في القلب.

وقال ابن عطاء: على قدر قربهم من التقوى أدركوا ما أدركوا من اليقين.

وأصل التقوى: مباينة النهي، ومباينة النهي مباينة النفس، فعلى قدر مفارقتهم النفس وصلوا إلى اليقين.

وقال بعضهم: اليقين: هو المكاشفة، والمكاشفة على ثلاثة أوجه:

مكاشفة بالإخبار، ومكاشفة بإظهار القدرة، ومكاشفة بحقائق الإيمان.

واعلم أنَّ المكاشفة في كلامهم، عبارة عن ظهور الشيء للقلب باستيلاء ذكره من غير بقاء للريب، وربما أرادوا بالمكاشفة ما يقرب مما يراه الرائي بين اليقظة والنوم. وكثيراً ما يعبر هؤلاء عن هذه الحالة بـ «الثبات»[1].

---

(١) ربما يكون المقصود (السبات) وليس (الثبات). فالسبات: هو النوم أو النوم الخفيف أو النوم الثقيل.

سمعت الإمام أبا بكر بن فُورك يقول: سألت أبا عُثمان المغربيّ، فقلت: ما هذا الذي تقول؟

قال الأشخاص أراهم كذا.. وكذا، فقلت: تراهم معاينة أو مكاشفة؟ فقال: مكاشفة.

وقال عامر بن عبد قيس: لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً.

وقيل: اليقين: رؤية العيان بقوة الإيمان.

وقيل: اليقين: زوال المعارضات.

وقال الجُنيد، رحمه الله: اليقين: ارتفاع الريب في مشهد الغيب.

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقّاق، يقول في قول النبي ﷺ، في عيسى ابن مريم عليه السلام: «**لو ازداد يقيناً لمشى في الهواء كما مشيت فيه**».

قال رحمه الله: أنه أشار بهذا إلى حال نفسه، ﷺ، ليلة المعراج؛ لأن في لطائف المعراج أنه ﷺ قال: «**رأيت البراق قد بقي ومشيت**».

سمعت مُحمَّد بن الحُسين، رحمه الله، يقول: سمعت أحمد بن عليّ بن جعفر يقول: سمعت إبراهيم بن فَاتك يقول: سمعت الجُنَيد يقول: سمعت السري يقول، وقد سُئل عن اليقين، فقال:

اليقين: سكونك عند جولان الموارد في صدرك، لتبينك أنَّ حركتك فيها لا تنفعك ولا ترد عنك مقضياً.

وسمعته يقول: سمعت عبد الله بن عليّ يقول: سمعت أبا جعفر الأصبهاني يقول: سمعت عليّ بن سهل يقول: الحضور أفضل من اليقين، لأنَّ الحضور وطنات[1]، واليقين خطرات.

كأنه جعل اليقين ابتداء الحضور، والحضور دوام ذلك. فكأنه جوَّز حصول اليقين خالياً من الحضور، وأحال جواز الحضور بلا يقين؛ ولهذا قال النوري: اليقين: المشاهدة.

يعني أنَّ في المشاهدة يقيناً لا شك فيه؛ لأنه لا يشاهده، تعالى من لا يثق بما منه.

وقال أبو بكر الورَّاق: اليقين: ملاك القلب، وبه كمال الإيمان، وباليقين عرف الله تعالى، وبالعقل عقل عن الله تعالى.

وقال الجُنيد: قد مشى رجال بالقين على الماء، ومات بالعطش أفضل منهم يقيناً.

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السلمي يقول: سمعت الحُسين بن يحيى يقول: سمعت جعفراً يقول: قال إبراهيم الخوَّاص:

(١) من توطن: أي أقام واستوطن.

لقيت غلاماً في التيه[١]، كأنه سبيكة[٢] فضة، فقلت: إلى أين يا غلام؟ فقال: إلى مكة. فقلت: بلا زاد، ولا راحلة، ولا نفقة! فقال لي: يا ضعيف اليقين، الذي يقدر على حفظ السموات والأرضين لا يقدر أنْ يوصلني إلى مكة بلا علاقة، قال: فلما دخلت مكة إذا أنا به في الطواف وهو يقول:

يـــا عيـــن سحّـــي أبـــداً   يـا نفـس مـوتـي كمـداً[٣]
ولا تحبـــــي أحـــــداً   إلا الجليــــل الصمـــــدا

فلما رآني قال لي: يا شيخ، أنت بعد على ذلك الضعف من اليقين؟!

وسمعته يقول سمعت مَنْصور بن عبد الله يقول: سمعت النهرجوريّ يقول: إذا استكمل العبد حقائق اليقين صار البلاء عنده نعمة، والرخاء مصيبة.

وقال أبو بكر الورَّاق: اليقين على ثلاثة أوجه:

يقين خبر، ويقين دلالة، ويقين مشاهدة.

وقال أبو تُراب النخشبيّ: رأيت غلاماً في البادية يمشي بلا زاد، فقلت: إنْ لم يكن معه يقين فقد هلك. فقلت: يا غلام، في مثل هذا الموضع بلا زاد؟ فقال: يا شيخ ارفع رأسك هل ترى غير الله عزَّ وجلّ؟ فقلت: الآن اذهب حيث شئت.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين يقول: سمعت أبا نصر الأصبهاني يقول: سمعت مُحمَّد بن عيسى يقول: قال أبو سَعيد الخرَّاز: العلم ما استعملك، واليقين: ما حملك.

وسمعته يقول: سمعت أبا بكر الرازيّ يقول: سمعت أبا عُثمان الآدمي يقول: سمعت إبراهيم الخوَّاص يقول: طلبت المعاش لأكل الحلال! فأصطدت السمك، فيوماً وقعت في الشبكة سمكة، فأخرجتها، وطرحت الشبكة في الماء فوقعت أخرى فيها فرميت بها ثم عدت، فهتف بي هاتف: لم تجد معاشاً إلا أنْ تأتي من يذكرنا فتقتلهم..!

قال: فكسرت القصبة وتركت الإصطياد.

باب الصبر[٤]

قال الله عزَّ وجل: ﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾ [النحل: ١٢٧].

(١) التِّيه: الصحراء لا علامة فيها يُهتدى بها. وربما يكون يقصد بالتيه الصحراء التي على الحدود المصرية الفلسطينية.

(٢) السبيكة: القطعة المذوبة المسبوكة من الذهب أو الفضة (مح). (ج) سبائك.

(٣) الكَمَد: الحزن المكتوم، والحزن الشديد.

(٤) الصبر: لغوياً: التجلد وحُسْن الإحتمال وترك الشكوى، وضبط النفس، وكظم الغيظ والشجاعة، وسعة الصدر.

وأخبرنا عليُّ بن أحمد الأهوازي، قال: أخبرنا أحمد بن عُبيد البصري، قال: حدّثنا أحمد بن علي الخرَّاز قال: حدّثنا أُسيد بن زيد قال: حدّثنا مَسعود بن سعد، عن الزيات، عن أبي هُريرة، عن عائشة، رضي الله عنها، رفعته، قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الصَّبر عند الصدمة الأولى**»[1].

وأخبرنا عليّ بن أحمد قال: أخبرنا أحمد بن عُبيد قال: حدّثنا أحمد بن عُمر، قال: حدّثنا مُحمَّد بن مرداس قال: حدّثنا يُوسف بن عَطية، عن عطاء بن أبي مَيمونة، عن أنس بن مالك، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**الصَّبر عند الصدمة الأولى**».

ثم الصبر على أقسام:

صبر على ما هو كسب للعبد، وصبر على ما ليس بكسب له.

فالصَّبر على المكتسب، على قسمين:

صبر على ما أمر الله تعالى به، وصبر على ما نهى عنه.

وأما الصَّبر على ما ليس بمكتسب للعبد: فصبره على مقاساة ما يتصل به من حكم الله فيما يناله فيه مشقة.

سمعت الشيخ أبا عبد الرّحمن السلمي يقول: سمعت الحُسين بن يَحيى يقول: سمعت جعفر بن مُحمَّد يقول: سمعت الجُنيد يقول: المسير من الدنيا إلى الآخرة سهل هين على المؤمن، وهجران الخلق في جنب الله تعالى شديد، والمسير من النفس إلى الله تعالى صعب شديد، والصبر مع الله أشد.

وسُئل الجُنيد عن الصَّبر، فقال: هو تجرع المرارة من غير تعبيس[2].

وقال عليّ بن أبي طالب، رضي الله عنه: الصَّبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد.

وقال أبو القاسم الحكيم: قوله تعالى: «واصبر» أمر بالعبادة، وقوله: «وما صبرك إلا بالله» عبودية، فمن ترقَّى من درجة «لك» إلى درجة «بك»؛ فقد انتقل من درجة العبادة إلى درجة العبودية.

قال ﷺ: «**بك أحيا وبك أموت**».

سمعت الشيخ أبا عبد الرّحمن السلمي يقول: سمعت أبا جعفر الرازي يقول: سمعت عياشاً يقول: سمعت أحمد يقول: سألت أبا سُليمان عن الصبر، فقال:

والله ما نصبر على ما نحب، فكيف على ما نكره؟

---

(١) أخرجه البخاري (جنائز ٣٢، ٤٢)، (أحكام ١١)، ومسلم (جنائز ١٤، ١٥)، وأبو داود (جنائز ٢٣)، والترمذي (جنائز ١٣)، والنسائي (جنائز ٢٢)، وابن ماجة (جنائز ٥٥)، وأحمد بن حنبل ٣، ١٣٠، ١٤٣، ٢١٧.

(٢) عبس: قطب وجهه وما بين عينيه وتجهَّم.

وقال ذو النون: الصَّبر: التباعد عن المخالفات، والسكون عند تجرع غصص البلية، وإظهار الغنى مع حلول الفقر بساحات المعيشة.

وقال ابن عطاء: الصَّبر: الوقوف مع البلاء بحسن الأدب.

وقيل: هو الفناء في البلوى بلا ظهور شكوى.

وقال أبو عثمان: الصَّبار: الذي عوَّد نفسه الهجوم على المكاره.

وقيل: الصَّبر: المقام مع البلاء بحسن الصحبة، كالمقام مع العافية.

وقال أبو عُثمان: أحسن الجزاء على عبادة: الجزاء على الصبر، ولا جزاء فوقه، قال الله عزَّ وجلّ: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٦].

وقال عَمرو بن عثمان: الصَّبر هو الثبات مع الله سُبحانه وتعالى، وتلقي بلائه بالرحب والدعة.

وقال الخواص: هو الثبات على أحكام الكتاب والسنة.

وقال يَحيى بن مُعاذ: صبر المحبين أشدُّ من صبر الزاهدين، واعجباً، كيف يصبرون؟

وأنشدوا:

الصبر يحمد في المواطن كلها إلا عليك فإنه لا يحمد

وقال رويم: الصبر: ترك الشكوى.

وقال ذو النُّون: الصبر هو الاستعانة بالله تعالى.

سمعت الأستاذ أبا عليِّ الدقاق، رحمه الله، يقول: الصبر كاسمه.

وأنشدني الشيخ أبو عبد الرَّحمن السلمي، قال: أنشدني أبو بكر الرازي قال: أنشدني ابن عطاء لنفسه:

سأصبر، كي ترضى، وأتلف حسرة وحسبي أنْ ترضى ويتلفني صبري

وقال أبو عبد الله بن خَفيف: الصَّبر على ثلاثة أقسام، متصبر، وصابر، وصبار.

وقال عليُّ بن أبي طالب، رضي الله عنه: الصَّبر مطية لا تكبو.

سمعت مُحمَّد بن الحسُين يقول: سمعت علي بن عبد الله البصريّ يقول: وقف رجل على الشبليِّ فقال: أي صبر أشد على الصابرين؟

فقال: الصبر في الله عزَّ وجل، فقال: لا، فقال: الصبر لله، قال: لا. قال: الصبر مع الله. قال: لا. قال: فأي شيء؟ قال: الصبر عن الله.

قال: فصرخ الشبلي صرخة كادت روحه أن تتلف.

وسمعته يقول: سمعت مُحمَّد بن عبد الله بن شاذان، يقول: سمعت أبا مُحمَّد الجريري يقول:

الصَّبر: أنْ لا يفرق بين حال النعمة والمحنة، مع سكون الخاطر فيهما، والتصبر: هو السكون، مع البلاء، مع وجدان أثقال المحنة.

وأنشد بعضهم:

صبرت ولم أطلع هواك على صبري ... وأخفيت ما بي منك عن موضع الصبرِ
مخافة أنْ يشكو ضميري صبابتي ... إلى دمعتي سرّاً فتجري ولا أدري

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقّاق، رحمه الله، يقول:

فاز الصابرون بعزِّ الدارين؛ لأنهم نالوا من الله تعالى معيته، قال الله تعالى: ﴿إن الله مع الصابرين﴾.

وقيل في معنى قوله تعالى: ﴿ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ﴾ [آل عمران: ٢٠٠] الصبر: دون المصابرة، والمصابرة: دون المرابطة[١].

وقيل: اصبروا بنفوسكم على طاعة الله تعالى، وصابروا بقلوبكم على البلوى في الله، ورابطوا بأسراركم على الشوق إلى الله.

وقيل: اصبروا في الله، وصابروا بالله، ورابطوا مع الله.

وقيل: أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: تخلق بأخلاقي، وإنَّ من أخلاقي أنني أنا الصبور.

وقيل: تجرَّع الصبر، فإنْ قتلك قتلك شهيداً، وإنْ أحياك أحياك عزيزاً.

وقيل: الصَّبر لله: عناء، والصبر بالله بقاء، والصبر في الله: بلاء، والصبر مع الله وفاء، والصبر عن الله: جفاء.

وأنشدوا:

والصَّبر عنك فمذموم عواقبه ... والصَّبر في سائر الأشياء محمود

وأنشدوا:

وكيف الصَّبر عمن حل مني ... بمنزلة اليمين من الشمالِ
إذا لعب الرجال بكلِّ شيء ... رأيت الحبّ يلعب بالرجالِ

وقيل: الصَّبر على الطلب عنوان الظفر، والصَّبر في المحن[٢] علامة الفرج.

سمعت مَنْصور بن خَلَف المغربي، رحمه الله، يقول: جُرِّد واحد للسياط[٣]، فلما ردَّ

---

(١) المرابطة: الجماعة من الناس والخيل تلزم الثغر مما يلي العدو.
(٢) المحنة: ما يُمتحن به الإنسان من المصائب (ج) محن.
(٣) السَّوط: ما يُضرب به من جلد مضفور ونحوه (ج) سياط وأسواط.

إلى السجن دعا ببعض أصحابه فتفل على يده، وألقى من فمه دقاق الفضة على يده فسُئل، فقال: كان في فمي درهمان، وكان على حاشية الحلقة لي عين، فلم أرد أن أصيح لرؤيته إياي.. فكنت أعض على الدرهمين.. فتكسرا في فمي.

وقيل: حالك التي أنت فيها رباطك، وما دون الله تعالى أعداؤك، فأحسن المرابطة في رباط حالك.

وقيل: المصابرة هي الصبر على الصبر، حتى يستغرق الصبر في الصبر فيعجز الصبر عن الصبر، كما قيل:

صابر الصبر فاستغاث به الصبر فصاح المحب بالصبر صبراً

وقيل: حبس الشبلي وقتاً في المارستان[1]، فدخل عليه جماعة فقال: من أنتم؟

فقالوا: أحباؤك جاؤوك زائرين.

فأخذ يرميهم بالحجر، وأخذوا يهربون.

فقال: يا كذابون، لو كنتم أحبائي لصبرتم على بلائي.

وفي بعض الأخبار، بعيني ما يتحمل المتحملون من أجلي.

وقال الله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨].

وقال بعضهم: كنت بمكة.. فرأيت فقيراً طاف بالبيت، وأخرج من جيبه رقعة، ونظر فيها، ومر، فلما كان الغد، فعل مثل ذلك، فترقبته أياماً وهو يفعل مثل ذلك، فيوماً من الأيام طاف ونظر في الرقعة، وتباعد قليلاً. وسقط ميتاً، فأخرجت الرقعة من جيبه، فإذا فيها:

﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨].

وقيل: رؤي حدَث يضرب وجه شيخ بنعلة، فقيل له: ألا تستحي!؟ تضرب حروجه شيخ بمثل هذا؟ فقال: جرمه عظيم. فقيل: وما ذاك؟

فقال: هذا الشيخ يدَّعي أنه يهواني ومنذ ثلاث ما رآني.

وقال بعضهم: دخلت بلاد الهند، فرأيت رجلاً بفرد عين «يُسمى فلاناً الصبور» فسألت عن حاله، فقيل: هذا في عنفوان شبابه سافر صديق له، فخرج في وداعه، فدمعت إحدى عينيه ولم تبك الأخرى، فقال لعينه التي لم تدمع: لِمَ لم تدمعي على فراق صاحبي؟ لأحرمنك النظر إلى الدنيا وغمض عينه، فمنذ ستين سنة لم يفتح عينه.

وقيل في قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ [المعارج: ٥]: الصبر الجميل: أنْ يكون صاحب المصيبة في القوم لا يدري من هو.

---

(١) المارستان: (مع) المصحة أو المستشفى (ج) مارستانات.

وقال عُمر بن الخطَّاب، رضي الله عنه، لو كان الصبر والشكر بعيرين، لم أبال أيهما ركبت.

وكان ابن شُبرمة، رحمه الله، إذا نزل به بلاء قال: سحابة ثم تنقشع.

وفي الخبر، أنَّ النبيّ ﷺ، سُئل عن الإيمان، فقال: «**الصَّبر والسَّماحة**»(١).

أخبرنا الشيخ أبو عبد الرَّحمن السلمي، رحمه الله، قال: أخبرنا مُحمَّد بن أحمد بن طاهر الصوفي، قال: حدّثنا مُحمَّد بن عليّ التيجاني قال: حدّثنا مُحمَّد بن إسماعيل البخاري(٢) قال: حدّثنا موسى بن إسماعيل قال: حدّثنا سُويد بن حاتم قال: حدّثنا عبد الله بن عُبيد، عن عُمير، عن أبيه، عن جده، قال: سُئل رسول الله ﷺ عن الإيمان، فقال: «**الصَّبر والسَّماحة**».

وسُئل السري عن الصبر، فجعل يتكلم فيه، فدب على رجله عقرب، وهي تضربه بإبرتها ضربات كثيرة، وهو ساكن: فقيل له: لِمَ لَمْ تنحها؟

فقال: استحييت من الله تعالى أن أتكلم في الصبر، ولم أصبر.

وفي بعض الأخبار: الفقراء الصبر هم جلساء الله تعالى يوم القيامة.

وأوحى الله تعالى إلى بعض أنبيائه: أنزلت بعبدي بلائي، فدعاني، فما طلته بالإجابة، فشكاني، فقلت: يا عبدي، كيف أرحمك من شيء به أرحمك.

وقال ابن عُيينة في معنى قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾ [السجدة: ٢٤]، قال:

لما أخذوا برأس الأمر جعلناهم رؤساء.

سمعت الأستاذ أبا عليٍّ الدقاق يقول: أنَّ الصبر حدّه أنْ لا تعترض على التقدير؛ فأما إظهار البلاء على غير وجه الشكوى فلا ينافي الصبر، قال الله تعالى في قصة أيوب: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤] مع ما أخبر عنه تعالى أنه قال: ﴿مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾ [الأنبياء: ٨٣].

---

(١) أخرجه أحمد بن حنبل ٥، ٣١٩، ٣٨٥.

(٢) محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله، حبر الإسلام والحافظ لحديث رسول الله ﷺ، صاحب «الجامع الصحيح»، و «الضعفاء» في رجال الحديث وغيرهما. ولد في بخارى سنة (١٩٤ هـ)، ونشأ يتيماً، وقام برحلة طويلة (سنة ٢١٠) في طلب الحديث، وجمع نحو ست مائة ألف حديث اختار منها في صحيحه ما وثق برواته. أقام في بخارى فتعصب عليه جماعة ورموه بالتهم فأخرج إلى خرتنك فمات فيها سنة (٢٥٦ هـ). الأعلام ٦/ ٣٤، وتذكرة الحفاظ ٢/ ١٢٢، وتهذيب التهذيب ٩/ ٤٧.

وسمعته يقول: استخرج الله منه هذه المقالة: يعني قوله: «مسني الضر»، لتكون متنفساً لضعفاء هذه الأمة.

وقال بعضهم: إنا وجدناه صابراً، ولم يقل: «صبوراً» لأنه لم يكن جميع أحواله الصبر، بل كان في بعض أحواله يستلذ البلاء، ويستعذبه، فلم يكن في حال الإستلذاذ صابراً؛ فلذلك لم يقل: «صبوراً».

سمعت الأستاذ أبا عليّ، رحمه الله يقول: حقيقة الصبر: الخروج من البلاء على حسب الدخول فيه، مثل أيُّوب عليه السلام، فإنه قال في آخر بلائه: «مسني الضر وأنت أرحم الراحمين» فحفظ أدب الخطاب حيث عرض بقوله: «وأنت أرحم الراحمين» ولم يصرح بقوله «ارحمني».

واعلم أنَّ الصبر على ضربين: صبر العابدين، وصبر المحبين.

فصبر العابدين، أحسنه: أنْ يكون محفوظاً، وصبر المحبين أحسنه: أن يكون مرفوضاً. وفي معناه أنشدوا:

تبيـن يـوم البيـن[1] أنَّ اعتـزامـه ... على الصبر من إحدى الظنون الكواذب

وفي هذا المعنى سمعت الأستاذ أبا عليّ، رحمه الله، يقول: أصبح يعقوب عليه السلام، وقد وعد الصبر من نفسه، فقال: «فصبر جميل» أي: فشأني صبر جميل، ثم لم يمس حتى قال: ﴿يَٰأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبۡيَضَّتۡ﴾ [يوسف: ٨٤].

باب المراقبة[2]

قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا﴾ [الأحزاب: ٥٢].

أخبرنا أبو نعيم عبد الملك بن الحسن بن مُحمَّد بن إسحق، قال: حدّثنا أبو عَوَانة يعقوب بن إسحق[3]، قال: حدّثنا يُوسف بن سَعيد بن مُسلم قال: حدّثنا خالد بن يزيد قال: حدّثنا إسماعيل بن أبي خالد، عن قَيس بن أبي حازم؛ عن جرير بن عبد الله البجلي، قال: «جاء جبريل إلى النبيّ ﷺ في صورة رجل، فقال: يا مُحمَّد، ما الإيمان؟ قال: أنْ تؤمن بالله

(١) البين: الفُرقة، وتأتي بمعنى الوصل.

(٢) المراقبة لغوياً: يُقال: رقبه رقبة ورقابة: انتظره ورصده، والشيء: حرسه ولاحظه.

(٣) يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم النيسابوري ثم الإسفراييني، أبو عوانة من أكابر حفاظ الحديث، طاف الشام ومصر والعراق والحجاز والجزيرة واليمن وفارس في طلب الحديث، واستقر في أسفريين فتوفي بها سنة (٣١٦ هـ)، وهو أول من أدخل كتب الشافعي ومذهبه إليها. من كتبه «الصحيح المسند». الأعلام ٨/١٩٦، ومعجم البلدان ١/٢٢٨.

وملائكته، وكتبه، ورسله، والقدر: خيره وشره، وحلوه ومره. قال: صدقت. قال: فتعجبنا من تصديقه النبيّ ﷺ وهو يسأله ويصدقه، قال: فأخبرني ما الإسلام؟ قال: الإسلام أنْ تقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت. قال: صدقت. قال: فأخبرني ما الإحسان؟ قال: الإحسان: أنْ تعبد الله كأنك تراه فإنْ لم تكن تراه فإنه يراك. قال: صدقت. . »[1] الحديث.

قال الشيخ: هذا الذي قاله ﷺ: **«فإنْ لم تكن تراه فإنه يراك»** إشارة إلى حال المراقبة، لأنَّ المراقبة، علم العبد باطلاع الرب سُبحانه عليه، فاستدامته لهذا العلم مراقبة لربه، وهذا أصل كل خير له، ولا يكاد يصل إلى هذه المرتبة إلا بعد فراغه من المحاسبة، فإذا حاسب نفسه على ما سلف له، وأصلح حاله في الوقت، ولازم طريق الحق، وأحسن بينه وبين الله تعالى مراعاة القلب، وحفظ مع الله تعالى الأنفاس، وراقب الله تعالى في عموم أحواله، فيعلم أنه سُبحانه؛ عليه رقيب، ومن قلبه قريب، يعلم أحواله، ويرى أفعاله، ويسمع أقواله، ومن تغافل عن هذه الجملة فهو بمعزل عن بداية الوصلة، فكيف عن حقائق القربة.

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السلمي، رحمه الله، يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت الجريري يقول: من لم يحكم بينه وبين الله تعالى التقوى والمراقبة لم يصل إلى الكشف والمشاهدة.

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقَّاق، رحمه الله، يقول:

كان لبعض الأمراء وزير، وكان بين يديه يوماً، فالتفت إلى بعض الغلمان الذين كانوا وقوفاً، لا لريبة، ولكن لحركة أو صوت أحس به منهم، فاتفق أنَّ ذلك الأمير نظر إلى هذا الوزير في تلك الحالة فخاف الوزير أنْ يتوهم الأمير أنه نظر إليهم، فجعل ينظر إليه كذلك، فبعد ذلك اليوم كان هذا الوزير يدخل على هذا الأمير، وهو أبداً ينظر إلى جانب، حتى توهم الأمير أنَّ ذلك خلقه؛ وحول فيه. فهذه مراقبة مخلوق لمخلوق، فكيف مراقبة العبد لسيده؟

سمعت بعض الفقراء يقول: كان أمير له غلام يقبل عليه أكثر من إقباله على غيره من غلمانه، ولم يكن أكثرهم قيمة، ولا أحسنهم صورة، فقالوا له في ذلك، فأراد الأمير أن يبين لهم فضل الغلام في الخدمة على غيره. فيوماً من الأيام كان راكباً، ومعه الحشم[2]، وبالبعد

---

(١) أخرجه البخاري (تفسير سورة ٣١، ٢)، (إيمان ٣٧)، ومسلم (إيمان ٥٧)، وأبو داود (سنة ١٦)، والترمذي (إيمان ٤)، وابن ماجة (مقدمة ٩)، وأحمد بن حنبل ١، ٢٧، ٥١، ٥٣، ٣١٩، ٢، ١٠٧، ٤٢٦، ٤، ١٢٩، ١٦٤.

(٢) الحشم للرجل: خاصته الذين يغضبون لغضبه ولما يصيبه من مكروه، عبيداً كانوا أو أهلاً أو جيرة (ج أحشام.

منهم جبل عليه ثلج، فنظر الأمير إلى ذلك الثلج وأطرق رأسه، فركض الغلام فرسه، ولم يعلم القوم لماذا ركض!.. فلم يلبث إلا يسيراً حتى جاء ومعه شيء من الثلج. فقال له الأمير: ما أدراك أني أردت الثلج؟ فقال الغلام: لأنك نظرت إليه، ونظر السلطان إلى شيء لا يكون عن غير قصد صحيح فقال الأمير: إنما أخصه بإكرامي وإقبالي، لأن لكل أحد شغلاً، وشغله مراعاة لحظاتي، ومراقبة أحوالي.

وقال بعضهم: من راقب الله تعالى في خواطره، عصمه الله في جوارحه.

وسُئل أبو الحُسين ابن هِند: متى يهش الراعي غنمه بعصا الرعاية عن مراتع الهلكة؟ فقال: إذا علم أنَّ عليه رقيباً.

وقيل: كان ابن عُمر؛ رضي الله عنه، في سفر، فرأى غلاماً يرعى غنماً، فقال له: تبيع من هذه الغنم واحدة؟

فقال: إنها ليست لي، فقال: قل لصاحبها إنَّ الذئب أخذ منها واحدة، فقال العبد: فأين الله!! فكان ابن عُمر يقول بعد ذلك إلى مدة: قال ذلك العبد: فأين الله.

وقال الجُنيد: من تحقق في المراقبة خاف فوت حظه من ربه عزّ وجل لا غير.

وكان بعض المشايخ له تلامذة.. فكان يخص واحداً منهم بإقباله عليه أكثر مما يقبل على غيره، فقالوا له في ذلك، فقال: أبين لكم ذلك.. فدفع إلى كل واحد من تلامذته طائراً، وقال له: إذبحه بحيث لا يراه أحد، ودفع إلى هذا أيضاً، فمضوا.. ورجع كل واحد منهم وقد ذبح طائره، وجاء هذا بالطائر حياً فقال: هلا ذبحته؟ فقال: أمرتني أنْ أذبحه بحيث لا يراه أحد، فقال: لهذا أخصه بإقبالي عليه.

وقال ذو النُّون المصري: علامة المراقبة: إيثار ما آثر الله تعالى، وتعظيم ما عظم الله تعالى، وتصغير ما صغر الله تعالى.

وقال النصراباذي رجاء: يحركك إلى الطاعات، والخوف: يبعدك عن المعاصي، والمراقبة: تؤديك إلى طرق الحقائق.

سمعت مُحمّد بن الحُسين يقول: سمعت أبا العبّاس البغداديّ يقول: سألت جعفر بن نُصير عن المراقبة، فقال: مراعاة السر، لملاحظة نظر الحق سُبحانه مع كل خطرة.

وسمعته يقول: سمعت أبا الحُسين الفارسيّ يقول: سمعت الجريري يقول: أمرنا هذا مبني على فصلين وهو أنْ تلزم نفسك المراقبة لله تعالى، ويكون العلم على ظاهرك قائماً.

وسمعته يقول: سمعت أبا القاسم البغدادي يقول: سمعت المرتعش يقول: المراقبة؛ مراعاة السر بملاحظة الغيب مع كل لحظة ولفظة.

وسُئل ابن عطاء: ما أفضل الطاعات؟ فقال: مراقبة الحق على دوام الأوقات.

وقال إبراهيم الخوَّاص: المراعاة تورث المراقبة، والمراقبة تورث خلوص السر والعلانية لله تعالى.

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السّلمي، رحمه الله، يقول: سمعت أبا عُثمان المغربي يقول:

أفضل ما يلزم به الإنسان نفسه في هذه الطريقة: المحاسبة، والمراقبة، وسياسة عمله بالعلم.

وسمعته يقول: سمعت عبد الله الرازي يقول: سمعت أبا عُثمان، يقول: قال لي أبو حَفْص إذا جلست للناس فكن واعظاً لقلبك ولنفسك، ولا يغرنك إجتماعهم عليك، فإنهم يراقبون ظاهرك، والله يراقب باطنك.

وسمعته يقول: سمعت مُحمَّد بن عبد الله يقول: سمعت أبا جعفر الصيدلاني يقول: سمعت أبا سَعيد الخرَّاز يقول: قال لي بعض مشايخي: عليك بمراعاة سرك والمراقبة. قال: فبينا أنا يوماً أسير في البادية، إذ أنا بخشخشة خلفي، فهالني ذلك.. وأردت أنْ ألتفت فلم ألتفت.. فرأيت شيئاً واقفاً على كتفي.. فانصرف، وأنا مراع لسري.. ثم التفت، فإذا أنا بسبع عظيم.

وقال الواسطي: أفضل الطاعات حفظ الأوقات، وهو: أنْ لا يطالع العبد غير حده، ولا يراقب غير ربه، ولا يقارن غير وقته.

باب الرِّضا

قال الله عز وجل: ﴿هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [البينة: ٨، والمائدة: ١١٩].

أخبرنا عليّ بن أحمد الأهوازي، رحمه الله، قال: حدّثنا أحمد بن عُبيد البصريّ، قال: حدّثنا الكريميّ، قال: حدّثنا يعقوب بن إسماعيل السلالّ، قال: حدّثنا أبو عاصم العباداني عن الفَضل بن عيسى الرقاشي، عن مُحمَّد بن المنكدر، عن جابر، قال: قال رسول الله ﷺ: «**بينا أهلُ الجنة في مجلس لهم، إذ سطع لهم نورٌ على باب الجنة، فرفعوا رؤوسهم، فإذا الربُّ تعالى قد أشرف عليهم، فقال: يا أهل الجنة، سلوني. فقالوا: نسألك الرِّضا عنا، قال تعالى: ﴿رضاي قد أحلَّكم داري، وأنا لكم كرامتي﴾ هذا أوانها، فاسألوني، قالوا: نسألك الزيادة. قال: فيؤتون بنجائب من ياقوت أحمر.. أزمتها زُمُرّدٌ[1] أخضر، وياقوت أحمر، فجاؤوا عليها، تضع حوافرها عند منتهى طَرفها، فيأمر الله،**

(١) الزُّمرد: حجر بلوري كريم لونه يراوح بين الأخضر والأزرق. ضروبه متعددة. (مج).

سُبحانه، بأشجار عليها الثمار، وتجيء جوارٍ من الحور[١] العين، وهنّ يقلن: نحن الناعمات فلا نبؤس، ونحن الخالدات فلا نموت، أزواج قوم مؤمنين كرام، ويأمر الله، سُبحانه، بكثْبانٍ من مسكٍ أبيض أذفر[٢] فتثير عليهم ريحاً يقال لها: المثيرة» حتى تنتهي بهم إلى جنة عدن، وهي «قصبةُ» الجنة، فتقول الملائكة: يا ربّنا قد جاء القوم. فيقول الله: مرحباً بالصَّاديقين.. مرحباً بالطَّائعين.

قال: فيُكشف لهم الحجاب... فينظرون إلى الله، عزّ وجلّ.. فيتمتعون بنور الرحمن، حتى لا يُبصر بعضهم بعضاً، ثم يقول: أرجعوهم إلى القصور بالتحف قال: فيرجعون، وقد أبصر بعضهم بعضاً. فقال رسول الله ﷺ: «فذلك قوله تعالى: ﴿نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٢]»[٣].

وقد اختلف العراقيون والخراسانيون في الرِّضا: هل هو من الأحوال، أو من المقامات.

فأهل خُراسان قالوا: الرِّضا: من جملة المقامات، وهو نهاية التوكل، ومعناه: أنه يؤول إلى أنه مما يتوصَّل إليه العبد باكتسابه.

وأما العراقيون؛ فإنهم قالوا: الرِّضا: من جملة الأحوال، وليس ذلك كسباً للعبد، بل هو نازلةٌ تحلّ بالقلب كسائر الأحوال.

ويمكن الجمع بين اللسانين؛ فيقال: بداية الرِّضا مكتسبة للعبد، وهي من المقامات، ونهايتُه من جملة الأحوال، وليست بمكتسبة.

وتكلّم الناس في الرِّضا؛ فكلٌّ عبر عن حاله وشِرْبه، فهم في العبارة عنه مختلفون، كما أنهم في الشِّرب والنصيب من ذلك متفاوتون.

فأما شرط العلم، والذي هو لا بدّ منه: فالراضي بالله تعالى، هو: الذي لا يعترض على تقديره.

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقاق يقول: ليس الرِّضا أنْ لا تحسَّ بالبلاء، إنما الرِّضا: أنْ لا تعترض على الحكم والقضاء.

واعلم أنَّ الواجب على العبد: أنْ يرضى بالقضاء الذي أمر بالرِّضا به؛ إذ ليس كل ما هو بقضائه يجوز للعبد أو يجب عليه الرضا به؛ كالمعاصي، وفتون محن المسلمين.

---

(١) حورت العين: اشتد بياض بياضها وسواد سوادها، واستدارت حدقتها، وابيض ما حولها.

(٢) أذفر: ذفر الشيء ذفراً: اشتدت رائحته طيبة كانت أو خبيثة.

(٣) أخرجه ابن ماجة (مقدمة ١٣).

وقال المشايخ: الرِّضا بابُ الله الأعظم، يعنون: أن من أكرم بالرضا فقد لقي بالترحيب الأوفى، وأكرم بالتقريب الأعلى.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين، رحمه الله، يقول: أخبرنا أبو جعفر الرازي قال: حدّثنا العبَّاس بن حمزة قال: حدّثنا ابن أبي الحواريّ قال: قال عبد الواحد بن زيد: الرِّضا بابُ الله الأعظم، وجنةُ الدنيا.

واعلم: أن العبد لا يكاد يرضى عن الحق. سبحانه، إلا بعد أن يرضى عنه الحقُّ سُبحانه؛ لأن الله عزّ وجل قال: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾ [البينة: ٨، والمائدة: ١١٩].

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقَّاق يقول: قال تلميذ لأستاذه: هل يعرف العبدُ أنَّ الله تعالى راضٍ عنه؟ فقال: لا، كيف يعلم ذلك. ورضاه غيب؟ فقال التلميذ: بل يعلم ذلك، فقال: كيف؟! فقال: إذا وجدتُ قلبي راضياً عن الله تعالى، علمت أنه راضٍ عني فقال الأستاذ: أحسنت يا غلام.

وقيل: قال موسى عليه السلام: إلهي، دلّني على عمل إذا عملتُه رضيتَ به عني. فقال: إنك لا تُطيق ذلك. فخرّ موسى عليه السلام ساجداً له، متضرِّعاً، فأوحى الله تعالى إليه: يا ابن عِمران، إنَّ رضاي في رضاك بقضائي.

أخبرنا الشيخ أبو عبد الرَّحمن السلميّ، رحمه الله، قال: أخبرنا أبو جعفر الرازي، قال: حدّثنا العبَّاس بن حمزة قال: حدّثنا ابن أبي الحواريّ قال: سمعت أبا سُليمان الداراني يقول: إذا سلا العبد عن الشهوات فهو راضٍ.

وسمعته يقول: سمعت النصراباذي يقول: من أراد أنْ يبلغ محلّ الرِّضا فليلزم ما جعل الله رضاه فيه.

وقال مُحمَّد بن خفيف: الرِّضا على قسمين: رضا به، ورضا عنه؛ فالرِّضا به أنْ يرضاه مدبراً، والرِّضا عنه فيما يقضي.

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدَّقاق يقول: طرق السالكين أطول، وهو طريق الرياضة، وطريق الخواصّ أقرب، لكنه أشقُّ، وهو أنْ يكون عملك بالرِّضا، ورضاك بالقضاء.

وقال رُوَيم: الرِّضا: أنه لو جعل الله جهنم على يمينه ما سأل أنْ يحوّلها إلى يساره.

وقال أبو بكر بن طاهر: الرِّضا: إخراج الكراهية من القلب، حتى لا يكون فيه إلا فرح وسرور.

وقال الواسطيّ: استعمل الرِّضا جهدك، ولا تدع الرِّضا يستعملك؛ فتكون محجوباً بلذته ورؤيته عن حقيقة ما تطالع.

واعلم أنَّ هذا الكلام الذي قاله الواسطيّ شيء عظيم، وفيه تنبيه على مقطعة للقوم

خفية؛ فإنَّ السكون عندهم إلى الأحوال: حجاب عن محول الأحوال، فإذا استلذّ رضاه ووجد بقلبه راحة الرِّضا حجب بحاله عن شهود حقه.

ولقد قال الواسطيّ أيضاً: إياكم واستحلاء الطاعات، فإنها سموم قاتلة.

وقال ابن خفيف: الرِّضا: سكون القلب إلى أحكامه، وموافقة القلب بما رضي الله به واختاره له.

وسئلت رابعة العدوية: متى يكون العبد راضياً؟ فقالت: إذا سرّته المصيبة كما سرَّته النعمة.

وقيل: قال الشبلي بين يدي الجُنَيد: لا حول ولا قوة إلا بالله، فقال له الجُنيد: قولك ذا ضِيقُ صدر، وضِيقُ الصدر لترك الرِّضا بالقضاء، فسكت الشبلي.

وقال أبو سُليمان الداراني: الرِّضا: أنْ لا تسأل الله تعالى الجنة، ولا تستعيذ به من النار.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين يقول: سمعت أبا العبَّاس البغدادي يقول: سمعت مُحمَّد بن أحمد بن سهل يقول: سمعت سعيد بن عُثمان يقول: سمعت ذا النون المصريّ، رحمه الله، يقول: ثلاثة من أعلام الرِّضا:

ترك الاختيار قبل القضاء، وفقدان المرارة بعد القضاء، وهيجان الحبّ في حشو البلاء.

وسمعته يقول: سمعت مُحمَّد بن جعفر البغدادي يقول: سمعت إسماعيل بن مُحمَّد الصفَّار[١] يقول: سمعت مُحمَّد بن يزيد المبرِّد[٢] يقول: قيل للحُسين بن عليّ بن أبي طالب، رضي الله عنهما: إنَّ أبا ذرٍّ يقول: الفقر أحبّ إليَّ من الغنى، والسقم أحبّ إليّ من الصحة، فقال: رحم الله أبا ذرّ، أما أنا فأقول: من اتّكل على حسن اختيار الله تعالى له لم يتمنَّ غير ما اختاره الله عزَّ وجلَّ له.

---

(١) إسماعيل بن محمد بن إسماعيل، أبو علي الصفار. عالم بالنحو وغريب اللغة، من أهل بغداد ولد سنة (٢٤٧ هـ)، وتوفي سنة (٤٣١ هـ). له شعر، وفي مخطوطات شهيد علي (٥٤٦/٥) كتاب «حديث الصفار» جزء منه.
الأعلام ١/ ٣٢٢، وشذرات الذهب ٢/ ٣٥٨.

(٢) محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد. إمام العربية ببغداد في زمنه وأحد أئمة الأدب والأخبار، مولده بالبصرة سنة (٢١٠ هـ)، ووفاته ببغداد سنة (٢٨٦ هـ). من كتبه «الكامل» و «المقتضب» وغيرها.
الأعلام ٧/ ١٤٤، ووفيات الأعيان ٤/ ٣١٣.

وقال الفُضيل بن عيَّاض لبِشر الحافيّ: الرِّضا أفضل من الزهد في الدنيا، لأنَّ الراضي لا يتمنى فوق منزلته.

وسُئل أبو عُثمان عن قول النبي ﷺ: «**أسألك الرضا بعد القضاء**»(١)، فقال: لأنَّ الرِّضا قبل القضاء عزم على الرِّضا، والرِّضا بعد القضاء هو الرِّضا.

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السلميّ، رحمه الله، يقول: سمعت عبد الله الرازي يقول: سمعت ابن أبي حسَّان الأنماطيّ يقول: سمعت أحمد بن أبي الحواري يقول: سمعت أبا سُليمان يقول: أرجو أن أكون عرفت طرفاً من الرِّضا: لو أنه أدخلني النار لكنت بذلك راضياً.

وقال أبو عُمر الدمشقي: الرِّضا: ارتفاع الجزع في أيِّ حكم كان، وقال الجُنيد: الرِّضا: رفع الاختيار، وقال ابن عطاء: الرِّضا: نظر القلب إلى قديم اختيار الله تعالى للعبد، وهو ترك التسخط، وقال رُويم: الرِّضا: استقبال الأحكام بالفرح، وقال المحاسبيّ: الرِّضا: سكون القلب تحت مجاري الأحكام، وقال النوريّ: الرِّضا: سرور القلب بمُرِّ القضاء.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين يقول: سمعت أبا الحُسين الفارسيّ يقول: سمعت الجريري يقول: من رضي بدون قدره رفعه الله تعالى فوق غايته.

وسمعته يقول: سمعت أحمد بن عليّ يقول: سمعت الحسن بن عَلويَّة يقول: قال أبو تُراب النخشبيّ: ليس ينال الرِّضا من للدنيا في قلبه مقدار.

أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلميّ، قال: أخبرنا أبو عَمرو بن حمدان قال: حدّثنا عبد الله بن شترويه قال: حدثنا بِشر بن الحكم قال: حدّثنا عبد العزيز بن مُحمَّد، عن يزيد بن الهادي، عن مُحمَّد بن إبراهيم، عن عامر بن سعد، عن العبَّاس بن عبد المطلب(٢) قال: قال رسول الله ﷺ:

«**ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًا**»(٣).

وقيل: كتب عُمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري، رضي الله عنهما:

---

(١) أخرجه النسائي (سهو ٦٢)، وأحمد بن حنبل (٥، ١٩١).

(٢) العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، أبو الفضل من أكابر قريش في الجاهلية والإسلام وجدّ الخلفاء العباسيين، وكان محسناً لقومه، سديد الرأي، واسع العقل، مولعاً بإعتاق العبيد كارهاً للرق، وكانت له سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام. أسلم قبل الهجرة وكتم إسلامه، وشهد فتح مكة. ولد سنة (٥١ ق هـ)، وتوفي بالمدينة سنة (٣٢ هـ).
الأعلام ٣/ ٢٦٢، وشذرات الذهب ١/ ٣٨.

(٣) أخرجه مسلم (إيمان ٥٦)، وأحمد بن حنبل ١/ ٢٠٨.

«أما بعد، فإنَّ الخير كله في الرِّضا، فإنْ استطعت أنْ ترضى، وإلا فاصبر».

وقيل: إنَّ عتبة الغلام بات ليلة يقول إلى الصباح: «إنْ تعذبني فأنا لك محبٌّ، وإنْ ترحمني فأنا لك مُحبّ».

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقاق، يقول: الإنسان خزف، وليس للخزف من الخطر ما يعارض فيه حكم الحقِّ تعالى.

وقال أبو عثمان الحيريّ: منذ أربعين سنة ما أقامني الله، عزَّ وجلّ، في حال فكرهتهُ، وما نقلني إلى غيره فسخطته.

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقَّاق يقول: غضب رجل على عبدٍ له، فاستشفع العبد إلى سيده إنساناً، فعفا عنه، فأخذ العبد يبكي، فقال له الشفيع: لمَ تبكي وقد عفا عنك سيدك؟

فقال له السيدُ: إنما يطلب الرِّضا مني ولا سبيل له إليه، فإنما يبكي لأجله.

باب العبودية(١)

قال الله عز وجلّ: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩].

وأخبرنا أبو الحسن الأهوازيّ، رحمه الله، قال: أخبرنا أحمد بن عُبيد الصفَّار، قال: حدّثنا عُبيد بن شريك قال: حدّثنا يحيى قال: حدّثنا مالك، عن حَبيب بن عبد الرَّحمن، عن حَفْص بن عاصم، عن عُمر بن الخطاب، عن أبي سعيد الخدريّ، وأبي هُريرة، أنَّ رسول الله ﷺ قال: **«سبعة يظلهم الله في ظلّه يوم لا ظلَّ إلا ظله: إمامٌ عادل، وشاب نشأ في عبادةِ الله تعالى، ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه، ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرّقا عليه، ورجل ذكر الله تعالى خالياً ففاضت عيناه، ورجل دعته امرأة ذات حسن وجمال فقال: إني أخاف الله ربَّ العالمين، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه»**(٢).

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقَّاق، رحمه الله، يقول:

العبودية أتم من العبادة، فأولاً: عبادة، ثم عبودية؛ ثم عبودة.

فالعبادة للعوامّ من المؤمنين، والعبودية للخواصّ، والعبودة لخاصّ الخاصّ.

(١) العبادة: لغوياً: الخضوع للإله على وجه التعظيم. و الطاعة، والشعائر الدينية.

(٢) أخرجه البخاري (أذان ٣٦)، (زكاة ١٦)، (رقاق ٢٤)، (حدود ١٩)، ومسلم (زكاة ٩١)، والترمذي (زهد ٥٣)، والنسائي (قضاة ٢)، والموطأ (شعر ٤) وأحمد بن حنبل ٢، ٤٣٩.

وسمعته يقول: العبادة: لمن له علم اليقين، والعبودية: لمن له عين اليقين، والعبودة: لمن له حق اليقين.

وسمعته يقول: العبادة: لأصحاب المجاهدات، والعبودية: لأرباب المكابدات، والعبودة: صفة أهل المشاهدات، فمن لم يدّخر عنه نفسَه، فهو صاحب عبادة، ومن لم يضنَّ عليه بقلبه فهو صاحب عبودية: ومن لم يبخل عليه بروحه فهو صاحب عبودة.

ويقال: العبودية: القيام بحقّ الطاعات بشرط التوفير والنظير إلى ما منك بعين التقصير، وشهود ما يحصل من مناقبك من التقدير.

ويُقال: العبودية: ترك الاختيار فيما يبدو من الأقدار.

ويقال: العبودية: التبرؤ من الحول والقوة، والإقرارُ بما يعطيك ويوليك من الطوْل والمنة.

ويُقال: العبودية: معانقة ما أمرت به، ومفارقة ما زجرت عنه.

وسُئل مُحمَّد بن خفيف: متى تصحّ العبودية؟ فقال: إذا طرح كله على مولاه، وصبر معه على بلواه.

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السلميّ، رحمه الله، يقول: سمعت أبا العبَّاس البغداديّ يقول: سمعت جعفر بن مُحمَّد بن نُصير يقول: سمعت ابن مَسروق يقول: سمعت سهل بن عبد الله يقول: لا يصح التعبد لأحدٍ حتى لا يجزع من أربعة أشياء: من الجوع، والعرى، والفقر، والذلّ.

وقيل: العبودية: أنْ تسلم إليه كلكَ، وتحمل عليه كلك.

وقيل: من علامات العبودية: ترك التدبير، وشهودُ التقدير.

وقال ذو النون المصريّ: العبودية: أنْ تكون أنت عبده في كلّ حال، كما أنه ربك في كلِّ حال.

وقال الجريريّ: عبيدُ النعم كثير عديدهم؛ وعبيدُ المنعم عزيزٌ وجودهم.

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقَّاق يقول: أنت عبدُ من أنت في رقة وأسره، فإنْ كنت في أسر نفسك فأنت عبدُ نفسك، وإنْ كنت في أسر دنياك فأنت عبدُ دنياك.

قال رسول الله ﷺ: «**تعس عبد الدرهم، تعس عبد الدينار تعس عبد الخميصة**[1]»[2].

ورأى أبو رزين رجلاً فقال له: ما حِرفتك؟ فقال: خر بندة»[3].

(١) الخميصة: كساء أسود مربع له عَلَمان فإن لم يكن معلماً فليس بخميصة.

(٢) أخرجه البخاري (جهاد ٧٠)، (رقاق ١٠)، وابن ماجة (زهد ٨)

(٣) خربندة: كلمة معربة معناها خادم الحمار (أو سائس).

فقال: أمات الله تعالى حمارك، لتكون عبد الله، لا عبد الحمار.

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن يقول: سمعت جدّي أبا عَمرو بن نُجيد يقول: لا تصفو لأحد قدمٌ في العبودية حتى يشاهد أعماله عنده رياء، وأحواله دعاوى. وسمعته يقول: سمعت عبد الله المعلم يقول: سمعت عبد الله بن منازل يقول: العبد عبد ما لم يطلب لنفسه خادماً، فإذا طلب لنفسه خادماً فقد سقط عن حدّ العبودية وترك آدابها.

وسمعته يقول: سمعت مُحمَّد بن الحُسين يقول: سمعت جَعفر بن نُصير يقول: سمعت ابن مسروق يقول: سمعت سهل بن عبد الله يقول: لا يصلح للعبد التعبد حتى يكون بحيث لا يرى عليه أثر المسكنة في العدم، ولا أثر الغنى في الوجود.

وقيل: العبودية شهود الربوبية.

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقّاق، رحمه الله، يقول: سمعت النصراباذي يقول: قيمة العابد بمعبوده، كما أنّ شرف العارف بمعروفه.

وقال أبو حَفص: العبودية زينة العبد، فمن تركها تعطل من الزينة.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين، رحمه الله، يقول: سمعت أبا جَعفر الرازي يقول: سمعت عبَّاس بن حمزة يقول: حدّثنا أحمد بن الحواري قال: سمعت النباجيّ يقول: أصل العبادة في ثلاثة أشياء:

لا تردَّ من أحكامه شيئاً، ولا تدخر عنه شيئاً، ولا يسمعك تسأل غيره حاجة.

وسمعته يقول: سمعت أبا الحسن الفارسيّ يقول: سمعت ابن عَطاء يقول: العبودية في أربع خصال: الوفاء بالعهود، والحفظ للحدود، والرضا بالموجود، والصبر عن المفقود.

وسمعته يقول: سمعت مُحمَّد بن عبد الله بن شاذان يقول: سمعت الكتانيّ يقول: سمعت عَمرو بن عُثمان المكيّ يقول: ما رأيت أحداً من المتعبدين في كثرة من لقيت بمكة وغيرها، ولا أحداً من قدم علينا في المواسم أشدّ اجتهاداً ولا أدوم على العبادة من المزني، رحمه الله تعالى، ولا رأيت أحداً أشدّ تعظيماً لأوامر الله تعالى منه، وما رأيت أحداً أشد تضييقاً على نفسه وتوسعة على الناس منه.

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقّاق يقول: ليس شيء أشرف من العبودية، ولا اسم أتم للمؤمن من الاسم له بالعبودية، ولذلك قال سُبحانه في وصف النبي ﷺ ليلة المعراج[1] - وكان أشرف أوقاته في الدنيا - ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [الإسراء: ١]. وقال تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ١٠]، فلو كان اسمٌ أجلّ من العبودية لسماه به.

(١) المعراج: ما عرج عليه النبي ﷺ ليلة الإسراء.

وفي معناه أنشدوا:

يا عَمرو ثأري عند زهرائي   يعرفهُ السامعُ والرائي
لا تدعني إلا بياعبدها   فإنه أشرف أسمائي

وقال بعضهم: إنما هو شيئان: سكونك إلى اللذة، واعتمادك على الحركة، فإذا أسقطت عنك هذين فقد أديتَ العبودية حقها.

كما قال الواسطي: احذروا لذة العطاء؛ فإنها غطاء لأهل الصفاء.

وقال أبو عليّ الجوزجانيّ: الرِّضا: دار العبودية، والصبر بابه، والتفويض بيته، فالصوت على الباب والفراغة[1] في الدار، والراحة في البيت.

سمعت الأستاذ أبا عليٍّ الدقَّاق يقول: كما أنَّ الربوبية نعت للحق سُبحانه لا يزول عنه، فالعبودية صفة للعبد لا تفارقه ما دام.

وأنشد بعضهم:

فإن تسألوني قلت:ها أنا عبدهُ   وإنْ سألوه قال ها ذاك مولايا

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السلمي يقول: سمعت النصراباذي يقول:

العبادات إلى طلب الصفح والعفو عن تقصيرها أقربُ منها إلى طلب الإعواضِ والجزاء عليها.

وسمعته يقول: سمعت النصراباذي يقول: العبودية اسقاط رؤية التعبّد في مشاهدة المعبود.

وسمعته يقول: سمعت أبا بكر مُحمَّد بن عبد الله بن شاذان يقول: سمعت الجريريّ يقول: سمعت الجُنيد يَقول: العبودية، تركُ الأشغال، والإشتغالُ بالشغل الذي هو أصل الفراغة.

باب الإرادة[2]

قال الله عزّ وجلّ: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ [الأنعام: ٥٢].

(١) الفَراغة: بفتح الفاء الجزع والقلق، والفُراغة: بضم الفاء نطفة الرجل.
(٢) الإرادة: لغوياً المشيئة والعزم.

وأخبرنا: علي بن أحمد بن عبدان قال: أخبرنا أحمد بن عُبيد قال: حدّثنا هِشام بن عليّ قال: حدّثنا الحَكَم بن أسْلم قال: أخبرنا إسماعيل بن جعفر، عن حُميد، عن أنس رضي الله عنه، أنَّ النبي ﷺ قال: **«إذا أراد الله بعبد خيراً استعمله، فقيل له: كيف يستعمله يا رسول الله؟ قال: يوفقه لعمل صالح قبل الموت»**[1].

والإرادةُ: بدء طريق السالكين، وهي اسم لأوّل منزلة القاصدين إلى الله تعالى.

وإنما سميت هذه الصفة: إرادة؛ لأنَّ الإرادة مقدِّمة كلِّ أمر، فما لم يُرد العبد شيئاً لم يفعله، فلما كان هذا أوَّل الأمر لمن سلك طريق الله عزَّ وجلّ سُمي: إرادة تشبيهاً بالقصد في الأمور الذي هو مقدمتها.

والمريد، على مُوجب الإشتقاق: من له إرادة، كما أنَّ العالِم: من له علم؛ لأنه من الأسماء المشتقة.

ولكن المريد في عُرف هذه الطائفة؛ من لا إرادة له، فمن لم يتجرد عن إرادته لا يكون مُريداً، كما أنَّ من لا إرادة له، على موجب الاشتقاق، لا يكون مُريداً.

وتكلّم الناس في معنى الإرادة؛ فكلٌّ عبّر على حسب ما لاح لقلبه، فأكثر المشايخ قالوا:

الإرادة: ترك ما عليه العادة وعادة الناس ـ في الغالب ـ التعريجُ في أوطان الغفلة، والركونُ إلى اتّباع الشهوة، والإخلادُ إلى ما دعت إليه المنيَّة.

والمريد منسلخ عن هذه الجملة؛ فصار خروجه إمارةً ودلالة على صحة الإرادة فسميت تلك الحالة: إرادة، وهي خروج عن العادة؛ فإن ترك العادة أمارة الإرادة.

فأما حقيقتها: فهي نهوض القلب في طلب الحقّ، سُبحانه، ولهذا يُقال: إنّها لوعةٌ تهوِّن كلَّ روْعة.

سمعت: الأستاذ أبا عليج الدقاق، رحمه الله، يقول حاكياً عن ممشاد الدينوريّ، أنه قال: مذْ علمت أنَّ أحوال الفقراء جدٌّ كلها لم أمازح فقيراً؛ وذلك أنَّ فقيراً قدم عليّ فقال: أيها الشيخ أريد أنْ تتخذ لي عصيدة[2].. فجرى على لساني إرادة وعصيدة فتأخّر الفقير ولم أشعر به، فأمرتُ باتخاذ عصيدة.. وطلبت الفقير لم أجده.. فتعرَّفت خبره.. فقيل لي: إنه انصرف من فوره، وكان يقول في نفسه: إرادة وعصيدة.. إرادة وعصيدة.. وهام على وجهه حتى دخل البادية، ولم يزل يقول هذه الكلمات حتى مات.

وعن بعض المشايخ قال: كنت بالبادية وحدي، فضاق صدري، فقلت: يا إنس،

(١) أخرجه الترمذي (قدر ٨)، وأحمد بن حنبل (٣، ١٠٦، ١٢٠، ٢٣٠).
(٢) العصيدة: دقيق يُخلط بالسمن ثم يُطبخ (ج) عصائد.

كلّموني.. يا جنّ كلموني، فهتف بي هاتف: ما تريد؟ فقلت؛ أريد الله تعالى، فقال: متى تريد الله؟ يعني: أنّ من قال للجن والإنس: كلموني، متى يكون مُريداً الله عزّ وجلّ؟! والمريد لا يفتر آناء الليل والنهار، فهو في الظاهر بنعت المجاهدات، وفي الباطن بوصف المكابدات.. فارق الفِراش. ولازم الإنكماش، وتحمّل المصاعب، وركب المتاعب، وعالج الأخلاق، ومارس المشاقّ، وعانق الأهوال، وفارق الأشكال، كما قيل:

ثم قطعت الليل في مَهْمَهٍ[1] لا أسد أخشى ولا ذيبا
يغلبني شوقي فأطوِي السَّرَى ولم يزل ذو الشوق مغلوبا

سمعت: الأستاذ أبا عليّ الدقّاق يقول: الإرادة: لوعة في الفؤاد.. لدغة في القلب.. غرام في الضمير.. انزعاج في الباطن.. نيران تتأجج في القلوب.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين يقول: سمعت مُحمَّد بن عبد الله يقول: سمعت أبا بكر السبّاك يقول: سمعت يُوسف بن الحُسين يقول: كان بين أبي سُليمان وأحمد بن أبي الحواري عقد: لا يخالفه أحمد في شيء يأمره به.. فجاءه يوماً وهو يتكلم في مجلسه، فقال: إنَّ التنُّور[2] قد سُجر[3]، فما تأمر؟ فلم يجبه، فقال مرتين أو ثلاثة، فقال أبو سُليمان: اذهب فاقعد فيه!! كأنه ضاق به قلبه، وتغافل عنه أبو سُليمان ساعةً، ثم ذكر فقال: ادركوا أحمد فإنه في التنُّور؛ لأنه آلى على نفسه أنْ لا يخالفني؛ فنظروا فإذا هو في التنّور لم تحترق منه شعرة.

وسمعت الأستاذ أبا عليّ، يقول: كنت في ابتداء صباي محترقاً في الإرادة وكنت أقول في نفسي: ليت شعري!! ما معنى الإرادة.

وقيل: من صفات المريدين: التحببُ إليه بالنوافل[4]، والخلوصُ في نصيحة الأمَّة، والأنسُ بالخلوة، والصبرُ على مقاساة الأحكام، والإيثارُ لأمره، والحياءُ من نَظَره، وبذل المجهود في محبوبه، والتعرّضُ لكلِّ سبب يوصل إليه، والقناعة بالخمول، وعدمُ القرار بالقلب إلى أنْ يصل إلى الربّ.

وقال أبو بكر الورّاق: آفة المريد ثلاثةُ أشياء: التزويج، وكتبة الحديث، والأسفار.

وقيل له: لِمَ تركت كتابة الحديث؟ فقال: منعتني عنها الإرادة.

وقال حاتم الأصمّ: إذا رأيت المريدَ يريد غير مُراده، فاعلم أنه قد أظهر بذالته.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت الكتاني يقول:

---

(١) المهمه: المفازة البعيدة (ج) مهامه.
(٢) التنور: ضرب من الكوانين يُخبز فيه، أعلاه أضيق من أسفله.
(٣) سجر التنور: أشبعه وقوداً وأحماه.
(٤) النافلة: ما زاد على النصيب أو الحق أو الفرض (ج) نوافل.

مِن حكم المريد أنْ يكون فيه ثلاثة أشياء: نومه غلبة، وأكله فاقة، وكلامه ضرورة.

وسمعته يقول: سمعت الحُسين بن أحمد بن جعفر يقول: سمعت جعفر بن نُصير يقول: سمعت الجُنيد يقول: إذا أراد الله تعالى بالمريد خيراً أوقعه إلى الصوفية، ومنعه صحبة القُراء.

وسمعته يقول: سمعت عبد الله بن عليّ يقول: سمعت الرَّقيَ يقول: سمعت الدقَّاق يقول: نهايةُ الإرادة أنْ تشير إلى الله تعالى فتجده مع الإشارة، فقلت: فأي شيء يستوعب الإرادة؟ فقال: أنْ تجد الله تعالى بلا إشارة.

سمعت: مُحمَّد بن عبد الله الصوفي يقول: سمعت عبَّاس بن أبي الصحو يقول: سمعت أبا بكر الدقَّاق يقول: لا يكون المريد مريداً حتى لا يكتب عليه صاحبُ الشمال عشرين سنة.

وقال أبو عُثمان الحيريّ: من لم تصح إرادته بِداراً لا يزيده مرور الأيام عليه إلا إدباراً.

وقال أبو عُثمان: المريد إذا سمع شيئاً من علوم القوم فعمل به صار حكمةً في قلبه إلى آخر عمره، ينتفعِ به، ولو تكلم به انتفع به من سمعه. ومن سمع شيئاً من علومهم، ولم يعمل به، كان حكايةً يحفظها أياماً ثم ينساها.

وقال الواسطيّ: أوّل مقام المريد: إرادة الحقّ، سُبحانه، بإسقاط إرادته.

وقال يحيى بن مُعاذ: أشد شيء على المريدين: معاشرة الأضداد.

سمعت: الشيخ أبا عبد الرَّحمن السلميّ يقول: سمعت أبا القاسم الرازيّ يقول: قال يُوسف بن الحُسين: إذا رأيت المريد يشتغل بالرُّخَص والكسب؛ فليس يجيء منه شيء.

وسمعته يقول: سمعت مُحمَّد بن الحُسين يقول: سمعت جَعفراً الخلديّ يقول: سُئل الجُنيد: ما للمريدين من مجاراة الحكايات؟ فقال: الحكاياتُ جند من جنود الله تعالى، يقوّي بها قلوب المريدين. فقيل له: فهل لك في ذلك شاهد؟ فقال: نعم، قوله عزّ وجلّ: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ [هود: ١٢٠].

وسمعته يقول: سمعت مُحمَّد بن خالد يقول: سمعت جَعفراً يقول: سمعت الجُنيد يقول: المريد الصَّادق غني عن علم العلماء.

فأمّا الفرق بين المريد والمُراد: فكلُّ مُريد على الحقيقة مُراد. إذا لم يكن مراد الله تعالى بأنْ يريده لم يكن مريداً؛ إذ لا يكون إلا ما أراده الله تعالى، وكلّ مرادٍ مريد؛ لأنه إذا أراده الحقُّ سُبحانه بالخصوصية وفقه للإرادة. ولكن القوم فرّقوا بين المُريد والمُراد:

فالمريد عندهم هو المبتديء، والمُراد: هو المنتهي، والمريد: الذي نصب بعين

التعب وألقى في مقاساة المشاقّ، والمُراد: الذي كُفي بالأمر عن غير مشقة، فالمريد مُتَعَنٍّ، والمرادُ: مرفوقٌ به مُرفَّه.

وسنَّة الله تعالى مع القاصدين مختلفةٌ؛ فأكثرهم يوفقون للمجاهدات، ثم يصلون، بعد مقاساة اللتيَّا والتي، إلى سَنِّي المعاني. وكثير منهم يكاشفون في الإبتداء بجليل المعاني، ويصلون إلا ما لم يصل إليه كثيرون من أصحاب الرياضات، إلا أنَّ أكثرهم يردّون إلى المجاهدات بعد هذه الأرفاق؛ ليستوفي منهم ما فاتهم من أحكام أهل الرياضة.

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقَّاق يقول: المريد: مُتحمِّل، والمُراد: محمول.

وسمعته يقول: كان موسى عليه السلام، مُريداً، فقال: ﴿رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى﴾ [طه: ٢٥]، وكان نبينا، ﷺ، مُراداً، فقال الله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ١ ـ ٤]. وكذلك قال موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف: ١٤٣].

وقال لنبينا، ﷺ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ [الفرقان: ٤٥].

وكان أبو علي يقول: إنَّ المقصود قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ [الفرقان: ٢٥]، وقوله: ﴿كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ [الفرقان: ٢٥]: سترٌ للقصة وتحصينٌ للحالة.

وسُئل الجُنيد، رحمه الله، عن المُريد والمُراد، فقال:

المُريد: تتولاه سياسة العلم، والمُراد: تتولاه رعاية الحق، سُبحانه، لأنَّ المريد يسير، والمُراد يطير، فمتى يلحق السائرُ الطائرَ؟

وقيل: أرسل ذو النون إلى أبي يزيد رجلاً، وقال له: قل له إلى متى النوم والراحة، وقد جازت القافلة؟!

فقال أبو يزيد: قل لأخي ذي النون: الرجل من ينام الليل كله، ثم يُصبح في المنزل قبل القافلة.

فقال ذو النون: هنيئاً له؛ هذا كلام لا تبلغه أحوالنا.

باب الاستقامة(١)

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ [فصلت: ٣٠].

أخبرنا: الإمام أبو بكر مُحمَّد بن الحُسين بن فورك، رحمه الله، قال: حدّثنا

(١) الإستقامة: لغوياً الاعتدال.

عبد الله بن جعفر بن أحمد الأصبهاني قال: أخبرنا أبو بِشْر يونس بن حبيب[1] قال: حدّثنا أبو داود الطيالسيّ قال: حدّثنا شُعبة، عن الأعمش، عن سالم بن أبي الجعد، عن ثوبان مولى النبي ﷺ، عن النبيّ ﷺ، قال: **«استقيموا ولن تحصوا، واعلموا أنَّ خير دينكم الصلاة، ولن يحافظ على الوضوء إلا مؤمن»**[2].

والاستقامة: درجة بها كمال الأمور وتمامها، وبوجودها حصول الخيرات ونظامها، ومن لم يكن مستقيماً في حالته ضاع سعيه وخابَ جهده؛ قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَـٰثًا ﴾ [النحل: ٩٢].

ومن لم يكن مستقيماً في صفته لم يرتق من مقامه إلى غيره، ولم يبن سلوكه على صحة؛ فمن شرط المستأنف: الإستقامة في أحكام البداية، كما أنَّ من حق العارف الإستقامة في آداب النهاية.

فمن أمارات استقامة أهل البداية: أنْ لا تشوب معاملاتهم فترة[3].

ومن أمارات استقامة أهل الوسائط: أن لا يصحب منازلَهم وقفة.

ومن أمارات استقامة أهل النهاية: أنْ لا تتداخل مواصلتهم حجبة.

سمعت: الأستاذ أبا عليّ الدقَّاق، رحمه الله، يقول: الاستقامة لها ثلاثة مدارج:

أولها: التقويم، ثم الإقامة، ثم الإستقامة؛ فالتقويم، من حيثُ تأديبُ النفوس، والإقامة: من حيث تهذيبُ القلوب، والإستقامة: من حيث تقريبُ الأسرار.

وقال أبو بكر، رضي الله عنه، في معنى قوله: ﴿ثم استقاموا﴾: لم يشركوا.

وقال عُمر، رضي الله عنه، لم يزوغوا[4] زوغان الثعالب.

فقول الصدّيق، رضي الله عنه، محمول على مراعاة الأصول في التوحيد.

وقول عُمر، رضي الله عنه، محمول على طلب التأويل والقيامِ بشرط العهود.

وقال ابن عَطاء: استقاموا على انفراد القلب بالله تعالى.

وقال أبو عليّ الجوزجاني: كُن صاحب الإستقامة، لا طالب الكرامة؛ فإنَّ نفسك متحركة في طلب الكرامة، وربُّك، عزَّ وجلّ، يُطالبك بالإستقامة.

---

(١) يونس بن حبيب أبو بشر العجلي مولاهم الأصبهاني راوي مسند الطيالسي كان ثقة ذا صلاح وجلالة. توفي سنة سبع وستين ومائتين. شذرات الذهب ٢/ ١٥٣.

(٢) أخرجه ابن ماجه (طهارة ٤)، والدارمي (وضوء ٢)، والموطأ (طهارة ٣٦)، وأحمد بن حنبل ٥، ٢٧٧، ٢٨٠، ٢٨٢.

(٣) فترة: أي إنكسار وضعف.

(٤) يزوغوا: ربما تكون يروغوا. روغ الثعلب: حاد وذهب يمنةً ويسرةً في سرعة وخديعة.

سمعت: الشيخ أبا عبد الرَّحمن السلميّ يقول: سمعت أبا عليّ التَّبوي يقول: رأيت النبيّ ﷺ في المنام، فقلت له: روي عنك يا رسول الله أنك قلت: «**شيبتني هود**»[1] فما الذي شيبك منها: قصص الأنبياء وهلاكُ الأمم؟ فقال: لا، ولكن قوله تعالى: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ [هود: ١١٢].

وقيل: إنَّ الإستقامة لا يطيقها إلاّ الأكابر؛ لأنها الخروج عن المعهودات، ومفارقة الرسوم والعادات والقيام بين يدي الله تعالى على حقيقة الصدق؛ ولذلك قال ﷺ: «**استقيموا ولن تحصوا**»[1].

وقال الواسطيّ: «الخصلة التي بها كملت المحاسن، وبفقدها قبحت المحاسن: الإستقامة.

وحكي عن الشبلي، رحمه الله، أنه قال: الإستقامة: أنْ تشهد الوقتْ قيامة.

ويقال: الاستقامة في الأقوال؛ بترك الغيبة، وفي الأفعال: بنفي البدعة، وفي الأعمال بنفي الفترة، وفي الأحوال بنفي الحجبة.

سمعت: الأستاذ الإمام أبا بكر مُحمَّد بن الحُسين بن فُورك يقول:

السين في الاستقامة: سين الطلب، أي: طلبوا من الحقّ، تعالى، أنْ يقيمهم على توحيدهم، ثم على استدامة عهودهم، وحفظ حدودهم.

قال الأستاذ: واعلم أنَّ الاستقامة: توجب دوام الكرامات، قال الله تعالى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾ [الجن: ١٦]، ولم يقل: سقيناهم، بل قال: «أسقيناهم» يقال: أسقيته إذا جعلت له سقيا؛ فهو يشير إلى الدوام.

سمعت: مُحمَّد بن الحُسين، رحمه الله، يقول: سمعت الحُسين بن أحمد يقول: سمعت أبا العبَّاس الفرغاني يقول: قال الجُنيد: لقيت شاباً من المريدين في البادية تحت شجرة من شجر «أم غيلان» فقلت: ما أجلسك هاهنا؟ فقال: مال افتقدته، فمضيت وتركته. فلما انصرفت من الحج إذا أنا بالشاب قد انتقل إلى موضع قريب من الشجرة، فقلت: ما جلوسك هنا؟

فقال: وجدت ما كنت أطلبه في هذا الموضع فلزمته.

قال الجُنيد: فلا أدري أيُّهما كان أشرف: لزومه لافتقاد حاله، أو لزومه للموضع الذي نال فيه مُراده.

---

(١) أخرجه الترمذي (تفسير سورة ٥٦، ٦).

باب الإخلاص[1]

قال الله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣].

أخبرنا عليّ بن أحمد الأهوازيّ قال: أخبرنا أحمد بن عُبيد البصريّ قال: حدّثنا جعفر بن مُحمَّد الفريابي[2] قال: حدّثنا أبو طالوت قال: حدّثني هانىء بن عبد الرَّحمن بن أبي عُقبة، عن إبراهيم بن أبي عَبلة العقيليّ، قال: حدّثني عَطية بن وشاح، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«ثلاث لا يَغُلّ[3] عليهنّ قلبُ مسلم: إخلاصُ العمل لله؛ ومناصحة ولاة الأمور، ولزومُ جماعة المسلمين»**[4].

وقال الأستاذ: الإخلاص، إفراد الحق، سُبحانه، في الطاعة بالقصد، وهو أن يريد بطاعته التقرب إلى الله سُبحانه دون أي شيء آخر: من تصنُّع لمخلوق أو اكتساب محمدة عند الناس، أو محبة مدح من الخلق، أو معنى من المعاني سوى التقرّب به إلى الله تعالى.

ويصحّ أنْ يقال: الإخلاص: تصفية الفعل من ملاحظة المخلوقين.

ويصحّ أنْ يقال: الإخلاص: التوقيّ عن ملاحظة الأشخاص.

وقد ورد خبر مسند: **«أنَّ النبي ﷺ أخبر عن جبريل، عليه السلام، عن الله سُبحانه وتعالى، أنه قال: الإخلاص سرٌّ من سرّي، استودعتُه قلب من أحببته من عبادي»**[5].

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السلميّ، رحمه الله، يقول: وقد سألته عن الإخلاص: ما هو؟ فقال:

سمعت: عليّ بن سعيد، وأحمد بن مُحمَّد بن زكريا، وقد سألتهما عن الإخلاص، فقالا:

سمعنا عليّ بن إبراهيم الشقيقيّ، وقد سألناه عن الإخلاص، فقال:

---

(١) الإخلاص: في الطاعة: ترك الرياء، وكلمة الإخلاص: كلمة التوحيد، والمخلص: الذي وحد الله تعالى خالصاً.

(٢) جعفر بن محمد بن الحسن بن المستفاض، أبو بكر الفريابي، قاض من العلماء بالحديث تركي الأصل من أهل فرياب، حدث بمصر وبغداد، ورحل رحلة واسعة. وولي القضاء بالدينور مدة، ولما دخل بغداد استقبل فيها بالطبول، وكان يحضر مجلسه بها نحو عشرة آلاف. بقي من كتبه «دلائل النبوة» رسالة، و«فضائل القرآن» وغيرهما. ولد سنة (٢٠٧ هـ)، وتوفي سنة (٣٠١ هـ). الأعلام ٢/ ١٢٧، وشذرات الذهب ٢/ ٢٣٥.

(٣) يُغل: يخون، يَغِل: يحقد.

(٤) أخرجه أحمد بن حنبل (٤، ٨٠، ٨٢)، والترمذي (علم ٧).

(٥) أخرجه القزويني في مسلسلاته عن حذيفة.

سمعت مُحمَّد بن جعفر الخصّاف، وقد سألته عن الإخلاص، فقال:

سألت أحمد بن بَشَّار عن الإخلاص: ما هو؟ قال:

سألت أبا يَعقوب الشريطيّ عن الإخلاص: ما هو؟ فقال:

سألت أحمد بن غسّان عن الإخلاص: ما هو؟ قال:

سألت عبد الواحد بن زيد عن الإخلاص: ما هو؟ قال:

سألت الحَسن عن الإخلاص: ما هو قال:

سألتُ حُذيفة عن الإخلاص: ما هو؟ قال:

سألت النبيّ ﷺ عن الإخلاص: ما هو؟ قال:

«سألت جبريل عليه السلام عن الإخلاص: ما هو؟ قال:

سألت ربَّ العزة عن الإخلاص: ما هو؟ قال:

سرّ من سرّي استودعته قلبَ من أحببته من عبادي».

سمعت: الأستاذ أبا عليّ الدقَّاق يقول: الإخلاص: التوقِّي عن ملاحظة الخلق، والصِّدق: التنقيِّ من مطالعة النفس فالمخلص؛ لا رياء له، والصادق: لا إعجاب له.

وقال ذو النون المصري: الإخلاص: لا يتم إلا بالصدق فيه، والصبر عليه، والصدق لا يتم إلاّ بالإخلاص فيه والمداومة عليه.

وقال أبو يَعقوب السوسيّ: متى شهدوا في إخلاصهم الخلاص احتاج إخلاصُهم إلى إخلاص.

وقال ذو النون: ثلاث من علامات الإخلاص: استواء المدح والذمّ من العامّة، ونسيان رؤية الأعمال في الأعمال، ونسيان اقتضاء ثواب العمل في الآخرة.

سمعت: الشيخ أبا عبد الرَّحمن السلميّ، رحمه الله، يقول: سمعت أبا عُثمان المغربيّ يقول: الإخلاص: ما يكون للنفس فيه حظ بحال، وهذا إخلاص العوام. وأما إخلاص الخواصّ: فهو ما يجري عليهم، لا بهم، فتبدو منهم الطاعات، وهم عنها بمعزل، ولا يقع لهم عليها رؤية، ولا بها اعتداد، فذلك: إخلاص الخواصّ.

وقال أبو بكر الدقَّاق: نقصان كلّ مخلص في إخلاصه: رؤيةُ إخلاصه؛ فإذا أراد الله تعالى أنْ يُخْلِص إخلاصه أسقط عن إخلاصه رؤيته لإخلاصه؛ فيكون مُخلصاً إلا مخلِصا.

وقال سهل: لا يعرف الرياء إلا مخلِص.

سمعت أبا حاتم السجستاني يقول: سمعت عبد الله بن عليّ يقول: سمعت الوجيهيّ يقول: سمعت أبا عليّ الروذباري يقول: قال لي رُويم: قال أبو سعيد الخرّاز: رياء العارفين أفضل من إخلاص المريدين.

وقال ذو النّون: الإخلاص: ما حُفظ من العدوّ أنْ يفسده.

وقال أبو عُثمان: الإخلاص: نسيان رؤية الخلق به وأم النظر إلى فضل الخالق.

وقال حذيفة المرعشيّ: الإخلاص: أنْ تستوي أفعال العبد في الظاهر والباطن.

وقيل: الإخلاص: ما أريد به الحقُّ، سُبحانه، وقُصد به الصدق.

وقيل: الإغماضُ عن رؤية الأعمال.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين، رحمه الله، يقول: سمعت أبا الحُسين الفارسيّ يقول: سمعت مُحمَّد بن الحُسين يقول: سمعت عليَّ بن عبد الحميد يقول: سمعت السري يقول: من تزين للناس بما ليس فيه سقط من عين الله تعالى.

وسمعته يقول: سمعت عليّ بن بندار الصوفي يقول: سمعت عبد الله بن مَحمود يقول: سمعت مُحمَّد بن عبد ربه يقول: سمعت الفُضَيل يقول: ترك العمل من أجل الناس رياء، والعمل من أجل الناس شرك، والإخلاص: أنْ يعافيك الله منهما.

وقال الجُنيد: الإخلاص سرٌّ بين الله تعالى وبين العبد، لا يعلمه مَلكٌ فيكتبه، ولا شيطان فيفسده، ولا هوى فيميله.

وقال رُويم: الإخلاص من العمل هو: الذي لا يريد صاحبه عليه عِوضاً من الدارين، ولا حظًّا من الملكين.

وقيل لسهل بن عبد الله: أيُّ شيء أشدُّ على النفس؟ فقال: الإخلاص؛ لأنه ليس لها فيها نصيب.

وسُئل بعضهم عن الإخلاص: فقال: أنْ لا تشهد على عملك غير الله عزَّ وجلّ.

وقال بعضهم: دخلت على سهل بن عبد الله يوم جمعة قبل الصلاة بيتاً. . فرأيت في البيت حيَّة. فجعلت أقدم رِجلاً وأؤخر أخرى، فقال: ادخل، لا يبلغ أحدٌ حقيقة الإيمان وعلى وجه الأرض شيء يخافه. ثم قال: هل لك في صلاة الجمعة؟ فقلت: بيننا وبين المسجد مسيرة يوم وليلة. فأخذ بيدي، فما كان إلا قليل حتى رأيت المسجد، فدخلناه؛ وصلينا الجمعة. . ثم خرجنا؛ فوقف ينظر إلى الناس وهم يخرجون، فقال: أهل لا إلهَ إلا الله كثير، والمخلصون منهم قليل.

أخبرنا: حَمزة بن يوسف الجرجانيّ قال: حدّثنا مُحمَّد بن مُحمَّد بن عبد الرحيم قال: حدّثنا أبو طالب مُحمَّد بن زكريا المقدسيّ قال: حدّثنا أبو قرصافة مُحمَّد بن عبد الوهَّاب العسقلانيّ قال: حدثنا زكريا بن نافع قال: حدّثنا مُحمَّد بن يزيد القراطيسيّ، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن مَكْحول قال: ما أخلص عبدٌ قط أربعين يوماً، إلا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه.

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السلميّ، رحمه الله، يقول: سمعت مُحمَّد بن عبد الله بن شاذان يقول: سمعت عبد الرازق يقول: سمعت يُوسف بن الحُسين يقول: أعزُّ شيء في الدنيا الإخلاصُ، وكم أجتهد في إسقاط الرياء عن قلبي، فكأنه ينبث فيه على لون آخر.

وسمعته يقول: سمعت النصراباذي يقول: سمعت أبا الجهم يقول: سمعت ابن أبي الحواري يقول: سمعت أبا سُليمان يقول: إذا أخلص العبد انقطعت عنه كثرة الوساوس والرياء

باب الصّدق[1]

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [التّوبة: ١١٩].

أخبرنا الإمام أبو بكر مُحمَّد بن فُورك، رحمه الله، قال: أخبرنا عبد الله بن جَعفر بن أحمد الأصبهاني قال: حدّثنا أبو بشر يُونس بن حبيب قال: حدّثنا أبو داود الطيالسيّ قال: حدّثنا شُعبة، عن مَنْصور، عن أبي وائل، عن عبد الله بن مَسعود[2]، عن النبي ﷺ، أنه قال: «**لا يزال العبد يصدق ويتحرّى الصدق حتى يكتب عند الله صدِّيقاً، ولا يزال يكذب ويتحرَّى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً**»[3].

قال الأستاذ: والصدق: عماد الأمر، وبه تمامه، وفيه نظامه، وهو تالي درجة النبوة، قال الله تعالى: ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ. . . ﴾ [النساء: ٦٩].

والصادق الاسم اللازم من الصدق، والصديق المبالغة منه؛ وهو الكثير الصدق، الذي الصدق غالبه، كالسِّكير والخمِّير. . وبابه.

وأقلّ الصدق: استواء السر والعلانية. والصَّادق: مَن صدق في أقواله.

والصِّديق: مَن صدق في جميع أقواله، وأفعاله وأحواله.

---

(١) الصِّدق: لغوياً. قول الحق ونقيض الكذب، و: مطابقة الكلام للواقع بحسب اعتقاد المتكلم. والصلابة والشدة.

(٢) عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، أبو عبد الرحمن، صحابي من أكابرهم فضلاً وعقلاً وقرباً من رسول الله ﷺ وهو من أهل مكة ومن السابقين إلى الإسلام، وأول من جهر بقراءة القرآن بمكة وكان خادم الرسول الأمين وصاحب سره ورفيقه. ولي بيت مال الكوفة بعد وفاة الرسول ﷺ، ثم قدم المدينة في خلافة عثمان. فتوفي فيها سنة (٣٢ هـ). الأعلام ٤/ ١٣٧، وشذرات الذهب ١/ ٣٨.

(٣) أخرجه مسلم (برّ ١٠٤)، وأحمد بن حنبل ١، ٣٩٣، ٤٣٢، ٤٤٠.

وقال أحمد بن خضرويه: من أراد أن يكون الله تعالى معه فليلزم الصدق؛ فإن الله تعالى قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣].

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السلميّ، رحمه الله، يقول: سمعت مَنْصور بن عبد الله يقول: سمعت الفرغاني يقول: سمعت الجُنيد يقول: الصَّادق: يتقلب في اليوم أربعين مرَّة، والمرائي يثبت على حاله واحدة وأربعين سنة.

وقال أبو سُليمان الداراني: لو أراد الصَّادق أنْ يصف ما في قلبه ما نطق به لسانه.

وقيل: الصّدق: القول بالحقّ في مواطن الهلكة.

وقيل: الصدق: موافقةُ السرِّ النطق.

وقال القناد: الصّدق: منع الحرام من الشِّدْق[1].

وقال عبد الواحد بن زيد: الصّدق: الوفاء لله سُبحانه بالعمل.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين يقول: سمعت أبا العبَّاس البغدادي يقول: سمعت جعفر بن نُصير يقول: سمعت الجريري يقول: سمعت سهل بن عبد الله يقول: لا يشمُّ رائحة الصدق عبد داهن نفسه أو غيره.

وقال أبو سعيد القرشيّ: الصَّادق: الذي يتهيأ له أنْ يموت ولا يستحي من سرّه لو كشف. قال الله تعالى: ﴿فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ٩٤].

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقَّاق، رحمه الله، يقول: كان أبو عليّ الثقفيّ يتكلم يوماً، فقال له عبد الله بن منازل: يا أبا عليّ، استعدَّ للموت فلا بدّ منه. فقال أبو عليّ: وأنت يا عبد الله، استعد للموت فلا بد منه. فتوسّد عبد الله ذراعه، ووضع رأسه، وقال: قد مِتُّ.

فانقطع أبو عليّ؛ لأنه لم يمكنه أنْ يقابله بما فعل، لأنه كان لأبي عليّ علاقات وكان عبد الله مجرّداً لا شغل له.

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السلمي، رحمه الله، يقول: كان أبو العبَّاس الدينوريّ يتكلم.. فصاحت عجوز في المجلس صيحة، فقال لها أبو العباس الدينوري: مُوتي.. فقامت وخطت خطوات.. ثم التفتت إليه، وقالت: قد مِتُّ. ووقعت ميّتة.

وقال الواسطيّ: الصدق: صحَّة التوحيد مع القصد.

وقيل: نظر عبد الواحد بن زيد إلى غلام من أصحابه قد نَحل بدنه، فقال: يا غلام، أتديم الصوم؟

فقال: ولا أديم الإفطار. فقال: أتديم القيام بالليل؟ فقال: ولا أديم النوم.

---

(١) الشِّدْق: جانب الفم من باطن الخد (ج) أشداق.

فقال: فما الذي أنحلك؟ فقال: هوى دائم.. وكتمان دائم عليه. فقال عبد الواحد: اسكت؟ فما أجرأك!! فقام الغلام، وخَطا خطوتين، وقال: إلهي، إنْ كنت صادقاً فخذني، فخرّ ميتاً.

وحكي عن أبي عَمرو الزجاجيِّ أنه قال: ماتت أمي.. فورثت منها داراً، فبعتها بخمسين ديناراً.. وخرجت إلى الحجّ، فلما بلغت «بابل» استقبلني من واحد «القناقنة»[1] وقال: ما معك؟

فقلت في نفسي: الصدق خير.. ثم قلت: خمسون ديناراً. فقال: ناولنيها.

فناولته الصُّرة[2].. فعدَّها؛ فإذا هي خمسون ديناراً. فقال: خذها؛ فلقد أخذني صدقك. ثم نزل عن الدابة، وقال: اركبها. فقلت: لا أريد!! فقال: لا بدّ. وألحَّ عليّ.

فركبتها. فقال: وأنا على أثرك.

فلما كان العام المستقبل لحق بي، ولازمني حتى مات.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين، رحمه الله، يقول: سمعت مَنْصور بن عبد الله يقول: سمعت جَعفراً الخوّاص يقول:

سمعت إبراهيم الخوّاص يقول: الصَّادق. لا نراه إلا في فرض يؤدّيه، أو فضل يعمل فيه.

وسمعته يقول: سمعت أبا الحُسين بن مقسم يقول: سمعت جَعفراً الخوّاص يقول: سمعت الجُنيد يقول: حقيقة الصّدق: أن تصدق في موطن لا ينجيك منه إلا الكذب.

وقيل: ثلاثة لا تخطيء الصَّادق: الحلاوةُ، والهيبة، والملاحة.

وقيل: أوحى الله، سُبحانه، إلى داود عليه السلام، يا داود من صدَّقني في سريرته صدقته عند المخلوقين في علانيته.

وقيل: دخل «إبراهيم بن دوحة» مع «إبراهيم بن ستنبة» الباديةَ، فقال إبراهيم بن ستنبة: اطرح ما معك من العلائق[3]. قال: فطرحت كلَّ شيء إلا ديناراً فقال: يا إبراهيم، لا تشغل سرّي، اطرح ما معك من العلائق!! قال: فطرحت الدينار، ثم قال:

يا إبراهيم، اطرح ما معك من العلائق!! فتذكرت أنَّ معي شسوعاً[4] للنعل،

---

(١) القناقنة: ربما يكون هذا التركيب غير صحيح. جمع قنقن. والمفرد القناقن وهو الخبير أو الدليل أو المهندس الذي يعرف وجود الماء تحت الأرض (الدليل الهادي).

(٢) الصُّرَّة: ما يُجمع فيه الشيء ويشد (ج) صرر.

(٣) العِلق: النفيس من كل شيء. والعليق: ما تعلفه الدابة من شعير ونحوه.

(٤) الشِّسْع: من النعل سير يدخل بين الإصبعين من جهة، ويتصل بصدر النعل من جهة أخرى، (ج) شسوع.

فطرحتها، فما احتجت في الطريق إلى شِسع إلاَّ وجدته بين يديّ.

فقال إبراهيم بن ستنبة: هكذا من عامل الله تعالى بالصِّدق.

وقال ذو النون المصريّ، رحمه الله: الصّدق سيف الله، ما وُضع على شيء إلا قطعه.

وقال سَهل بن عبد الله: أوّل خيانة الصِّديقين حديثُهم مع أنفسهم.

وسُئل فتحٌ الموصليُّ عن الصّدق، فأدخل يده في كير[1] الحدّاد.. وأخرج الحديدة المحماة.. ووضعها على كفه، وقال: هذا هو الصدق.

وقال يُوسف بن أَسْباط: لأنْ أبيت ليلة أعامل الله تعالى بالصّدق أحبّ إلي من أنْ أضرب بسيفي في سبيل الله تعالى.

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقَّاق، يقول: الصّدق أنْ تكون مع الناس كما تَرى من نفسك، أو أنْ ترى من نفسك كما تكون.

وسُئل الحارث المحاسبيّ عن علامة الصدق، فقال:

الصَّادق: هو الذي لا يبالي لو خرج كلُّ قدْر له في قلوب الخلق من أجل صلاح قلبه، ولا يحبُّ إطلاع الناس على مثاقيل الذّرِّ من حسن عمله، ولا يكره أنْ يُطلع الناس على السيء من عمله؛ فإنَّ كراهته لذلك دليل على أنه يحبّ الزيادة عندهم وليس هذا من أخلاق الصِّديقين.

وقال بعضهم: من لم يؤدِّ الفرضِ الدائم لا يقبل منه الفرض المؤقت.

قيل له: ما الفرض الدائم؟ قال: الصّدق.

وقيل: إذا طلبت الله بالصدق أعطاك مرآة تُبصر فيها كلَّ شيء من عجائب الدنيا والآخرة.

وقيل: عليك بالصدق حيث تخاف أنه يضرّك فإنه ينفعك، ودع الكذب حيث ترى أنه ينفعك؛ فإنه يضرّك.

وقيل: كل شيء شيءٌ، ومصادقة الكذاب لا شيء.

وقيل: علامة الكذّاب جوده باليمين بغير مستحلِف.

وقال ابن سيرين: الكلامُ أوسع من أنْ يكذب ظريف.

وقيل: ما أمْلق[2] تاجرٌ صدوق.

---

(١) الكير: جهاز من جلد أو نحوه يستخدمه الحداد وغيره للنفخ في النار لاشتعالها (ج) أكيار وكيرة.

(٢) الإملاق: الافتقار.

باب الحَياء[1]

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ [العلق: ١٤].

وأخبرنا أبو بكر مُحمَّد بن عبدوس الحيريّ المزكي قال: أخبرنا أبو سهل أحمد بن مُحمَّد بن زياد النحويُّ ببغداد قال: حدثنا إبراهيم بن مُحمَّد بن الهيثم قال: حدّثنا موسى بن حيّان قال: حدّثنا المقدميّ، عن عُبيد الله بن عُمر، عن نافع، عن ابن عُمر، رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ:

«الحياء من الإيمان»[2].

وأخبرنا أبو سعيد مُحمَّد بن إبراهيم الإسماعيلي قال: حدّثنا أبو عُثمان بن عَمرو بن عبد الله البصريّ قال: حدثنا أبو أحمد مُحمَّد بن عبد الوهاب قال: حدّثنا يعلى بن عُبيد قال: حدّثنا أبان بن إسحاق، عن الصّباح بن مُحمَّد، عن مُرَّة الهمذاني، عن ابن مَسعود، رضي الله عنه، أنَّ نبي الله ﷺ، قال ذات يوم لأصحابه: **«استحيوا من الله حق الحياء، قالوا: إنا نستحي يا نبيّ الله، والحمد لله.**

قال: **ليس ذلك، ولكن من استحيا من الله حقّ الحياء، فليحفظ الرأس وما وَعَى، وليحفظ البطن وما حَوى، وليذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء»**[3].

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السلمي يقول: أخبرنا أبو نَصر الوزيريّ قال: حدّثنا مُحمَّد بن عبد الله بن مُحمَّد قال: حدّثنا الغلابي قال: حدّثنا مُحمَّد بن مَخْلد، عن أبيه قال: قال بعض الحكماء: أحيوا الحياء بمجالسة من يُسْتحا منه.

وسمعته يقول سمعت أبا بكر الرازيّ يقول: سمعت ابن عطاء يقول: العلم الأكبر: الهيبة والحياء؛ فإذا ذهبت الهيبة والحياء لم يبقَ فيه خير.

وسمعته يقول: سمعت أبا الفرج الورثاني يقول: سمعت مُحمَّد بن أحمد بن يَعقوب يقول: حدّثني مُحمَّد بن عبد الملك قال: سمعت ذا النون المصري يقول: الحياء وجود الهيبة في القلب، مع وحشة ما سبق منك إلى ربك تعالى.

---

(١) الحياء: لغوياً الحشمة، وانقباض النفس عن القبائح والإستحياء.

(٢) أخرجه البخاري (إيمان ١٦، ٣)، (أدب ٧٧)، ومسلم (إيمان ٥٧ ـ ٥٩)، وأبو داود (سنّة ١٤)، والترمذي (برّ ٥٦، ٨٠)، (إيمان ٧)، والنسائي (إيمان ١٦، ٢٧)، وابن ماجه (مقدمة ٩)، (زهد ١٧)، والموطأ (حسن الخلق ١٠)، وأحمد بن حنبل ٢، ٥٦، ١٤٧، ٣٩٢، ٤١٤، ٥٠١، ٥٣٣، ٢٦٩.

(٣) أخرجه الترمذي (قيامة ٢٤)، وأحمد بن حنبل ١، ٣٨٧.

وقال ذو النون المصري: الحبُّ ينطق، والحياء يسكب، والخوف يقلق.

وقال أبو عُثمان: من تكلم في الحياء ولا يستحي من الله عزّ وجلّ فيما يتكلم به، فهو مسْتَدْرَج.

سمعت أبا بكر بن أشكيب، يقول: دخل الحَسن بن الحَدَّاد على عبد الله بن منازل، فقال: من أين تجيء؟ فقال: من مجلس أبي القاسم المذكر. قال: في ماذا كان يتكلم؟ فقال: في الحياء. فقال عبد الله: واعجباه!! من لم يستح من الله تعالى كيف يتكلم في الحياء؟!

سمعت مُحمَّد بن الحُسين يقول: سمعت أبا العبَّاس البغداديّ يقول: سمعت أحمد بن صالح يقول: سمعت مُحمَّد بن عَبدون يقول: سمعت أبا العبَّاس المؤدِّب يقول: قال السريَّ:

إنّ الحياء والأنس يطرقان القلب؛ فإنْ وجدا فيه الزهدَ والورع حطا، وإلاّ رحلا.

وسمعته يقول: سمعت مُحمَّد بن عبد الله بن شاذان يقول: سمعت الجريري يقول: تعامل القرن الأول من الناس فيما بينهم بالدِّين، حتى رق الدِّين. . ثم تعامل القرن الثاني بالوفاء حتى ذهب الوفاء، ثم تعامل القرن الثالث بالمروءة حتى ذهبت المروءة، ثم تعامل القرن الرابع بالحياء حتى ذهب الحياء، ثم صار الناس يتعاملون بالرغبة والرهبة.

وقيل في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [يوسف: ٢٤]: البرهان: أنها ألقت ثوباً على وجه صنم في زاوية البيت، فقال يُوسف عليه السلام: ماذا تفعلين؟ فقالت: أستحي منه، قال يُوسف عليه السلام: أنا أولى منك أنْ أستحي من الله تعالى.

وقيل في قوله تعالى: ﴿ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [القصص: ٢٥] قيل: إنما استحيت منه؛ لأنها كانت تدعوه إلى الضيافة، فاستحيت أن لا يجيب موسى عليه السلام، فصفة المضيف الإستحياء، وذلك استحياء الكرم.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين، رحمه الله يقول: سمعت عبد الله بن الحُسين يقول: سمعت أبا مُحمَّد البلاذريّ يقول: سمعت أبا عبد الله العمري يقول: سمعت أحمد بن أبي الحواري يقول: سمعت أبا سُليمان الداراني يقول: قال الله تعالى:

﴿يا عبدي إنك استحييت مني؛ أنسيتُ الناس عيوبك، وأنسيت بقاع الأرض ذنوبك، ومحوت من أمّ الكتاب زلاّتك، ولا أناقشك في الحساب يوم القيامة﴾.

وقيل: رؤي رجل يصلي خارج المسجد، فقيل له: لم لا تدخل المسجد فتصلي فيه؟

فقال: أستحي منه تعالى أنْ أدخل بيته، وقد عصيته!!

وقيل: من علامات المستحي: أنْ لا يرى بموضع يستحيا منه.

وقال بعضهم: خرجنا ليلة فمررنا بأجمة[1]، فإذا رجل نائم، وفرس عند رأسه ترعى، فحركناه، وقلنا له: ألا تخاف أنْ تنام في مثل هذا الموضع المخوف وهو مُسْبع؟

فرفع رأسه وقال: أنا أستحي منه تعالى، أنْ أخاف غيره، ووضع رأسه ونام.

وأوحى الله سُبحانه إلى عيسى عليه السلام: عظ نفسك؛ فإنْ اتعظت فعظ الناس، وإلا فاستح مني أنْ تعظ الناس.

وقيل: الحياء على وجوه:

حياء الجناية؛ كآدم عليه السلام، لما قيل له: أفراراً منا!! فقال: لا، بل حياء منك.

وحياء التقصير؛ كالملائكة يقولون: سُبحانك، ما عبدناك حق عبادتك.

وحياء الإجلال؛ كإسرافيل، عليه السلام، تسربل بجناحه حياء من الله عزّ وجلّ.

وحياء الكرم؛ كالنبي ﷺ، كان يستحي من أمته أنْ يقول لهم: اخرجوا، فقال الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

وحياء حشمة؛ كعليّ، رضي الله عنه، حين سأل المقداد بن الأسود[2] حتى سأل رسول الله ﷺ عن: «حكم خروج المذي[3]»[4]، لمكان فاطمة رضي الله عنها.

وحياء الإستحقار؛ كموسى عليه السلام، قال: إني لتعْرِض لي الحاجة من الدنيا، فأستحي أنْ أسألك يا رب، فقال الله عزّ وجلّ: سلني حتى عن ملح عجينك، وعلف شاتك.

وحياء الإنعام، هو حياء الربّ سُبحانه، يدفع إلى العبد كتاباً مختوماً بعد ما عبر الصراط[5]، وإذا فيه: فعلتَ ما فعلتَ، وقد استحييت أنْ أظهره عليك، فاذهب، فإني قد غفرت لك.

---

(١) الأجمة: الشجر الكثيف الملتف (ج) آجام، وأجمات، وأجَم.

(٢) المقداد بن عمرو، ويعرف بابن الأسود، الكندي البهراني الحضرمي، أبو معبد أو أبو عمرو صحابي من الأبطال، هو أحد السبعة الذين كانوا أول من أظهر الإسلام، وهو أول من قاتل على فرس في سبيل الله. شهد بدراً وغيرها وسكن المدينة. ولد سنة (٣٧ ق هـ). وتوفي على مقربة من المدينة سنة (٣٣ هـ). له ٤٨ حديثاً. الأعلام ٧/ ٢٨٢، وتهذيب ١٠/ ٢٨٥، وشذرات الذهب ١/ ٣٩.

(٣) المذي: سائل يخرج من الرجل بعد خروج المني.

(٤) أخرجه مسلم (حيض ١٨، ١٩)، وأبو داود (طهارة ٥٥)، والترمذي (طهارة ٨٣)، والنسائي (طهارة ١١١)، (غسل ٢٨)، وابن ماجه (طهارة ٧٠)، وأحمد بن حنبل ١، ٨٢، ١٠٤، ١٢٤، ١٤٠.

(٥) الصِّراط: الطريق. وجسر ممدود على جهنم يجوزه أهل الجنة بأعمالهم.

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقّاق يقول في هذا الخبر: إنَّ يَحيى بن مُعاذ قال: سُبحان من يذنب العبد فيستحي هو منه.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين يقول: سمعت عبد الله بن أحمد بن جَعفر يقول: سمعت زنجوية اللبّاد يقول: سمعت عليّ بن الحُسين الهلالي يقول: سمعت إبراهيم بن الأشعث يقول: سمعت الفُضيل بن عيّاض يقول: خمس من علامات الشقاء: القسوة في القلب، وجمود العين، وقلة الحياء، والرغبة في الدنيا، وطول الأمل.

وفي بعض الكتب: ما أنصفني عبدي؛ يدعوني فأستحي أنْ أردّه، ويعصيني فلا يستحي مني.

وقال يَحيى بن مُعاذ: من استحيا من الله مطيعاً استحيا الله تعالى منه وهو مذنب.

واعلم أنَّ الحياء: يوجب التذويب، فيقال: الحياء: ذوبان الحشا لاطلاع المولى.

ويُقال: الحياء: انقباض القلب، لتعظيم الربّ.

وقيل: إذا جلس الرجل ليعظ الناس ناداه ملكاه: عظ نفسك بما تعظ به أخاك، وإلا فاستحي من سيدك؛ فإنه يراك.

وسُئل الجُنيد عن الحياء، فقال: رؤية الآلاء، ورؤية التقصير، فيتولد من بينهما حالة تُسمى «الحياء».

وقال الواسطيّ: لم يذق لذعات الحياء من لابس خرق حدّ أو نقض عهد.

وقال الواسطيّ أيضاً: المستحي يسيل منه العرق، وهو الفضل الذي فيه، وما دام في النفس شيء فهو مصروف عن الحياء.

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقّاق، رحمه الله، يقول: الحياء: ترك الدعوى بين يدي الله عزّ وجلّ.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين يقول: سمعت مُحمَّد بن عبد الله الصوفي، رحمه الله، يقول: سمعت أبا العبّاس بن الوليد الزوزنيّ يقول: سمعت مُحمَّد بن أحمد الجوزجاني يقول: سمعت أبا بكر الورّاق يقول: ربما أصلي لله تعالى ركعتين، فأنصرف عنهما، وأنا بمنزلة من ينصرف عن السرقة من الحياء.

باب الحرية(١)

قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾(٢) [الحشر: ٩].

قال: إنما آثروا على أنفسهم لتجردهم عما خرجوا منه، وآثروا به.

(١) الحرية: لغوياً الخلوص من الشوائب أو الرق أو اللؤم. و: كون الشعب أو الرجل حراً.

(٢) الخصاصة: الفقر وسوء الحال والحاجة.

أخبرنا: عليّ بن أحمد الأهوازاي، قال: أخبرنا أحمد بن عُبيد البصري قال: حدّثنا ابن أبي قماش قال: حدّثنا مُحمَّد بن صالح بن النطّاح[1] قال: حدّثنا نعيم بن مورع بن توبة، عن إسماعيل المكي، عن عَمرو بن دينار، عن طاووس[2]، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنما يكفي أحدكم: ما قنعت به نفسه، وإنما يصير إلى أربعة أذرع وشبر، وإنما يرجع الأمر إلى آخر**»[3].

قال: الحرية: أنْ لا يكون العبد تحت رق المخلوقات، ولا يجري عليه سلطان المكونات، وعلامة صحته: سقوط التميز عن قلبه بين الأشياء، فيتساوى عنده أخطار الأعراض.

قال حارثة رضي الله عنه لرسول الله ﷺ: عزفت نفسي عن الدنيا؛ فاستوى عندي حجرها وذهبها.

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقَّاق، رحمه الله، يقول: من دخل الدنيا وهو عنها حُرٌّ ارتحل إلى الآخرة وهو عنها حُر.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين يقول: سمعت أبا مُحمَّد المراغي يحكي عن الرقي، عن الدقَّاق، يقول: من كان في الدنيا حراً منها كان في الآخرة حراً منها.

واعلم أنَّ حقيقة الحرية في كمال العبودية؛ فإذا صدقت لله تعالى عبوديته خلصت عن رقّ الأغيار حريته.

فأما من توهم أنَّ العبد يسلم له أنْ يخلع وقتاً عِذار[4] العبودية، ويحيد بلحظة عن حد الأمر والنهي وهو مميز، في دار التكليف، فذلك انسلاخ من الدين.

قال الله سُبحانه لنبيه ﷺ: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩] يعني: الأجل، وعليه أجمع المفسرون.

وأنَّ الذي أشار إليه القوم من الحرية هو: أنْ لا يكون العبد تحت رق شيء من المخلوقات لا من أعراض الدنيا، ولا من أعراض الآخرة؛ فرداً لفرد لم يسترقه عاجل دنيا،

---

(١) محمد بن صالح بن مهران ابن النطاح مولى بني هاشم، البصري، مؤرخ عالم بالأنساب والسير من أهل البصرة، نزل بغداد وحدث بها، له كتاب «الدولة». الأعلام ٦/ ١٦٢، وتهذيب التهذيب ٩/ ٢٢٧.

(٢) طاووس بن كيسان الخولاني الهمداني بالولاء، أبو عبد الرحمن من أكابر التابعين، تفقها في الدين ورواية للحديث وتعشقاً في العيش، وجرأة على وعظ الخلفاء والملوك. أصله من الفرس ومولده سنة (٣٣ هـ) باليمن. وتوفي حاجاً بالمزدلفة أو بمنى سنة (١٠٦ هـ). الأعلام ٣/ ٢٢٤، وتهذيب التهذيب ٥/ ٨، وشذرات الذهب ١/ ١٣٣.

(٣) قيل في كنز العمال ٣/ ٢٩٦ رقم ٧١٢٣: رواه ابن لال في مكارم الأخلاق عن ابن مسعود.

(٤) العذار: يُقال: خلع فلان عذاره أي: انهمك في الغي ولم يستح منه واتبع هواه.

ولا حاصل هوى، ولا أجل مِني، ولا سؤال، ولا قصد ولا أرب[1]، ولا حظ.

وقيل للشبلي: ألم تعلم أنه تعالى رحمن؟ فقال: بلى ولكن منذ عرفت رحمته ما سألته أنْ يرحمني.

ومقام الحرية عزيز.

سمعت الشيخ أبا عليٍّ، رحمه الله، يقول: كان أبو العبَّاس السياريّ يقول: لو صحت صلاة بغير قرآن لصحت بهذا البيت:

أتمنى على الزمان محالاً أن ترى مُقلتاي[2] طلعةَ حُرّ

وأما أقاويل المشايخ في الحرية؛ فقال الحُسين بن مَنصور: من أراد الحرية فليصل العبودية.

وسُئل الجُنيد عمن لم يبق عليه من الدنيا إلا مقدار مصّ نواة، فقال: المكاتب عبد ما بقي عليه درهم.

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السلمي يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت أبا عَمرو الأنماطي يقول: سمعت الجُنيد يقول: إنك لا تصل إلى صريح الحرية وعليك من حقيقة عبوديته بقية.

وقال بِشر الحافي: من أراد أنْ يذوق طعم الحرية، يستريح من العبودية فليطهر السريرة[3] بينه وبين الله تعالى.

وقال الحسن بن مَنصور: إذا استوفى العبد مقامات العبودية كلها يصير حُرَّاً من تعب العبودية، فيترسم بالعبودية بلا عناء ولا كلفة، وذلك مقام الأنبياء والصدِّيقين، يعني يصير محمولاً، لايلحقه بقلبه مشقة وإنْ كان متحلياً بها شرعاً، أنشدنا الشيخ أبو عبد الرَّحمن قال: أنشدنا أبو بكر الرازي قال: أنشدني مَنْصور الفقيه لنفسه:

ما بقي من الإنس حرّ لا، ولا في الجنّ حرُّ
قد مضى حرّ الفريقين فحلو العيش مرّ

واعلم أنَّ معظم الحرية في خدمة الفقراء.

سمعت الشيخ أبا عليّ الدقَّاق، رحمه الله، يقول: أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: إذا رأيت لي طالباً فكن له خادماً.

---

(١) الأرب: الحاجة والبغية والأمنية.

(٢) المقلة: العين كلها، أو سوادها وبياضها (ج) مقل.

(٣) السريرة: السر الذي يُكتم، وسريرة الإنسان: ما أسرّه من أمره خيراً وقيل شراً.

وقال ﷺ: «سيد القوم خادمهم»[1].

سمعت مُحمَّد بن الحُسين، رحمه الله يقول: سمعت مُحمَّد بن إبراهيم بن الفَضْل يقول: سمعت مُحمَّد بن الرومي يقول: سمعت يَحيى بن مُعاذ يقول: أبناء الدنيا تخدمهم الإماء والعبيد، وأبناء الآخرة تخدمهم الأحرار والأبرار.

وسمعته يقول: سمعت عبد الله بن عُثمان بن يحيى يقول: سمعت عليّ بن مُحمَّد المصري يقول: سمعت يُوسف بن موسى يقول: سمعت ابن خبيق يقول: سمعت مُحمَّد بن عبد الله يقول: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: إنَّ الحرّ الكريم يخرج من الدنيا قبل أنْ يُخرج منها.

وقال إبراهيم بن أدهم: لا تصحب إلا حراً كريماً؛ يسمع ولا يتكلم.

باب الذّكر[2]

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤١].

أخبرنا أبو الحُسين عليّ بن مُحمَّد بن عبد الله بن بِشْر ببغداد، قال: أخبرنا أبو عليّ الحُسين بن صَفوان البرذعيّ[3] قال: حدّثنا أبو بكر عبد الله بن مُحمَّد بن أبي الدنيا قال: حدّثنا هارون بن مَعْروف قال: حدّثنا أنس بن[4] عيَّاض قال: حدّثنا عبد الله بن سعيد بن أبي هند، عن زياد بن أبي زياد، عن أبي بحرية، عن أبي الدرداء[5]، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) قال العجلوني في كشف الخفاء ١/٥٦٢ رقم ١٥١٥: رواه أبو عبد الرحمن السلمي في آداب الصحبة والخطيب وأبو نعيم في ترجمة إبراهيم بن أدهم بسند ضعيف جداً، والطبراني بمعناه بسند ضعيف الحديث ضعيف، على أنه قد يُقال حسن لتعدد طرقه.

(٢) الذِّكر: لغوياً الحفظ للشيء وهو نقيض النسيان.

(٣) أبو علي الحسين بن صفوان البردعي ـ بالمهلة نسبة إلى بردعة بلد بأذربيجان ـ صاحب أبي بكر بن أبي الدنيا، توفي ببغداد في شعبان سنة أربعين وثلاثمائة. شذرات الذهب ٢/٣٥٦.

(٤) أنس بن عياض الليثي المدني، أبو ضمرة. محدّث المدينة النبوية في عصره. انتهى إليه علوّ الإسناد فيها. حدّث عنه الإمام أحمد بن حنبل وآخرون كثيرون. ولد سنة (١٠٤ هـ)، وتوفي سنة (٢٠٠ هـ). الأعلام ٢/٢٤، وشذرات الذهب ١/٣٥٨، وتذكرة الحفاظ ١/٢٩٧.

(٥) عويمر بن مالك بن قيس بن أمية الأنصاري الخزرجي، أبو الدرداء، صحابي من الحكماء الفرسان القضاة. كان قبل البعثة تاجراً في المدينة، ثم انقطع للعبادة، ولما ظهر الإسلام اشتهر بالشجاعة والنسك. وولاه معاوية قضاء دمشق بأمر عمر بن الخطاب. مات بالشام سنة (٣٢ هـ)، وروى عنه أهل الحديث [١٧٩] حديثاً. الأعلام ٥/٩٨، وحلية الأولياء ١/٢٠٨.

«ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم وخير من إعطاء الذهب والورِق[1]، وأنْ تلقوا عدوّكم فتضربوا أعناقهم، ويضربوا أعناقكم»؟

قالوا: ما ذاك يا رسول الله؟

قال: «ذكر الله تعالى»[2].

أخبرنا أبو نعيم عبد الملك بن الحسن قال: حدّثنا يَعقوب بن إسحاق بن إبراهيم قال: حدّثنا الديري، عن عبد الرزاق، عن مَعْمر: عن الزهري، عن ثابت، عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ:

«لا تقوم الساعة على أحد يقول: الله.. الله»[3].

وأخبرنا عليّ بن أحمد بن عبدان قال: حدّثنا أحمد بن عُبيد قال: حدَّثنا مُعاذ قال: حدّثنا أبي، عن حُميد، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ:

«لا تقوم الساعة حتى لا يُقال في الأرض: الله.. الله»[4].

قال الأستاذ: والذكر ركن قوي في طريق الحقّ سُبحانه وتعالى، بل هو العمدة في هذا الطريق، ولا يصل أحد إلى الله إلا بدوام الذكر.

والذكر على ضربين:

ذكر اللسان، وذكر القلب. فذكر اللسان به يصل العبد إلى استادمة ذكر القلب. والتأثيرُ لذكر القلب؛ فإذا كان العبد ذاكراً بلسانه وقلبه، فهو الكامل في وصفه في حال سلوكه.

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقاق، رحمه الله، يقول: الذكر منشور[5] الولاية؛ فمن وُفق للذكر فقد أعطي المنشور، ومن سلب الذكر فقد عزل.

وقيل: إنَّ الشبلي كان في ابتداء أمره ينزل كلّ يوم سرباً[6] ويحمل مع نفسه حزمة من القضبان، فكان إذا دخل قلبه غفلة ضرب نفسه بتلك الخشب حتى يكسرها على نفسه، فربما كانت الحزمة تفنى قبل أنْ يمسي، فكان يضرب بيده ورجليه على الحائط.

وقيل: ذكر الله بالقلب سيف المريدين، به يقاتلون أعداءهم، وبه يدفعون الآفات التي

---

(١) الوَرِقُ: الفضة، مضروبة كانت أو غير مضروبة.

(٢) أخرجه ابن ماجة (أدب ٥٣)، والموطأ (قرآن ٢٤)، وأحمد بن حنبل، ٥، ١٩٥، ٦، ٤٤٧.

(٣) أخرجه مسلم (إيمان ٢٣٤)، وأحمد بن حنبل ٣، ١٦٢.

(٤) أخرجه مسلم (إيمان ٢٣٤)، والترمذي (فتن ٣٥)، وأحمد بن حنبل، ١٠٧/٣، ٢٠١، ٢٥٩.

(٥) المنشور: بيان بأمر من الأمور يُذاع بين الناس ليعلموه.

(٦) السَّرب: الطريق والمسلك.

تقصدهم، وإنَّ البلاء إذا أظل العبد؛ فإذا فزع بقلبه إلى الله تعالى يحيد عنه في الحال كلُّ ما يكرهه.

وسُئل الواسطيّ عن الذّكر فقال: الخروج من ميدان الغفلة إلى قضاء المشاهدة على غلبةِ الخوف، وشدّة الحبّ له.

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السلميّ يقول: سمعت عبد الله بن الحُسين يقول: سمعت أبا مُحمَّد البلاذريّ يقول: سمعت عبد الرَّحمن بن بَكر يقول: سمعت ذا النُّون المصريّ يقول:

من ذكر الله تعالى ذكراً على الحقيقة نسي في جنب ذكره كلَّ شيء، وحفظ الله تعالى عليه كلَّ شيء، وكان له عِوضاً عن كل شيء.

وسمعته يقول: سمعت عبد الله المعلّم يقول: سمعت أحمد المسجديّ يقول: سُئل أبو عُثمان؛ فقيل له: نحن نذكر الله تعالى، ولا نجد في قلوبنا حلاوة؟

فقال: احمدوا الله تعالى، على أنْ زيّن جارحة من جوارحكم بطاعته.

وفي الخبر المشهور عن رسول الله ﷺ، أنه قال:

«إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا فيها. فقيل له: وما رياض الجنة؟ فقال: حلق الذكر»[1].

أخبرنا أبو الحسن عليّ بن بِشْر ببغداد قال: حدّثنا أبو عليّ بن صَفوان قال: حدّثنا ابن أبي الدنيا قال: حدّثنا الهَيثم بن خارجة قال: حدَّثنا إسماعيل بن عياش، عن عُمر بن عبد الله: أنَّ خالد بن عبد الله بن صَفوان أخبره عن جابر بن عبد الله قال: خرج علينا رسول الله ﷺ، فقال: **««يا أيها الناس؛ ارتعوا في رياض الجنة. قلنا يا رسول الله، ما رياض الجنة؟ قال: مجالس الذكر»! اغدوا، وروحوا، واذكروا، من كان يحبّ أنْ يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلةُ الله عنده؟ فإنَّ الله سُبحانه، ينزل العبدَ منه حيث أنزله من نفسه»**[2].

وسمعت مُحمَّد بن الحُسين يقول: سمعت مُحمَّداً الفراء يقول: سمعت الشِّبليّ يقول: أليس الله تعالى يقول: أنا جليس من ذكرني؟ ما الذي استفدتم من مجالسة الحقّ سُبحانه؟

وسمعته يقول: سمعت عبد الله بن موسى السلاميّ يقول: سمعت الشِّبلي ينشد في مجلسه:

---

(١) أخرجه الترمذي (دعوات ٨٢)، وأحمد بن حنبل ٣، ١٥٠.

(٢) أخرجه أبو هريرة والترمذي رقم ٣٥٠٤ في الدعوات باب: أسماء الله الحسنى بالتفصيل.

ذكــرتــك، لا أنــي نسيتُــك لمحــةً ... وأيســر مـا فـي الـذكـر ذِكـرُ لسـانـي
وكــدتُ بــلا وَجــدٍ أمــوت مــن الهـ ... ـوى وهـام علـيّ القلـبُ بـالخفقـانِ
فلمـا رآنـي الـوجـدَ أنـك حـاضـري ... شهـدتُـك مـوجـوداً بكـلّ مكـانِ
فخـاطبـت مـوجـوداً بغيـر تكلّـم ... ولاحظـتُ معلـومـاً بغيـر عيـانِ

ومن خصائص الذكر: أنه غير مؤقت، بل ما من وقت من الأوقات إلا والعبد مأمور بذكر الله: إما فرضاً، وإما ندباً. والصلاة، وإنْ كانت أشرف العبادات، فقد لا تجوز في بعض الأوقات. والذكر بالقلب مستدام في عموم الحالات.

قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ. . . ﴾ [آل عمران: ١٩١].

سمعت الإمام أبا بكر بن فُورك، رحمه الله، يقول: قياماً: بحق الذكر، وقعوداً: عن الدعوى فيه.

وسمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن يسأل الأستاذ أبا عليّ الدقَّاق، فقال:

الذكر أتم أم الفكر؟ فقال الأستاذ أبو عليّ: ما الذي يقول الشيخ فيه؟

قال الشيخ أبو عبد الرَّحمن: عندي الذكر أتمّ من الفكر؛ لأنَّ الحق، سُبحانه، يُوصف بالذكر، ولا يُوصف بالفكر، وما وصف به الحقّ سُبحانه أتم مما اختصّ به الخلق. فاستحسنه الأستاذ أبو عليّ، رحمه الله.

وسمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السلميّ رحمه الله يقول: سمعت مُحمَّد بن عبد الله يقول: سمعت الكتانيّ يقول: لولا أنّ ذكره فرض عليّ لما ذكرته إجلالاً له، مثلي يذكره!! ولم يغسل فمه بألف توبة منقبلة عن ذكره.

وسمعت الأستاذ أبا عليّ، رحمه الله، ينشد لبعضهم:

مـا إنْ ذكـرْتـك إلا هـمَّ يـزجـرنـي ... قلبيـي وسـري وروحـي عنـد ذكْـراكـا
حتـى كـأنَّ رقيبـاً منـك يهتـف بـي ... إيـاك، ويحـك والتـذكـار إيَّـاكـا

ومن خصائص الذكر: أنه جعل في مقابلته الذكر. قال الله تعالى: ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾ [البقرة: ١٥٢].

وفي خبر: «أن جبريل عليه السلام قال لرسول الله ﷺ: إن الله تعالى يقول: أعطيت أمتك ما لم أعط أمة من الأمم، فقال: وما ذاك يا جبريل؟ فقال: قوله تعالى: ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾؛ لم يقل هذا لأحد غير هذه الأمة».

وقيل: إنَّ الملك يستأمر الذاكرَ في قبض روحه.

وفي بعض الكتب: أنَّ موسى، عليه السلام، قال: يا رب أين تسكن؟ فأوحى إليه تعالى إليه، في قلب عبدي المؤمن. ومعناه: سكون الذكر في القلب فإنَّ الحق سُبحانه

وتعالى منزه عن كل سكون وحلول، وإنما هو: إثبات ذكر وتحصيل.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين، رحمه الله، يقول: سمعت عبد الله بن عليّ يقول: سمعت فارساً يقول: سمعت الثوريّ يقول: سمعت ذا النُّون، وقد سألته عن الذكر فقال: هو غيبة الذاكر عن الذكر، ثم أنشأ يقول:

لا لأنـــي أنســـاك أكثـــرُ ذكـــرا ... كَ، ولكـــن بـــذاك يجـــري لســـانـــي

وقال سهل بن عبد الله: ما من يوم إلا والجليل سُبحانه ينادي: يا عبدي، ما أنصفتني؛ أذكرك وتنساني، وأدعوك إليّ وتذهب إلى غيري، وأذْهب عنك البلايا وأنت معتكف[1] على الخطايا، يا ابن آدم، ما تقول غداً إذا جئتني؟!

وقال أبو سُليمان الدارانيّ: إنَّ في الجنة قيعاناً[2]، فإذا أخذ الذاكر في الذكر أخذت الملائكة في غرس الأشجار فيها، فربما يقف بعض الملائكة، فيقال له: لم وقفت؟ فيقول: فتَر صاحبي.

وقال الحسن: تفقّدوا الحلاوة في ثلاثة أشياء: في الصلاة، والذكر، وقراءة القرآن، فإن وجدتم، وإلا فاعلموا أنَّ الباب مُغْلق.

وقال حامد الأسود: كنت مع إبراهيم الخوَّاص في سفر، فجئنا إلى موضع فيه حيات كثيرة.. فوضع رِكوته[3] وجلس، وجلست، فلما كان برد الليل وبرد الهواء خرجت الحيات، فصحت بالشيخ، فقال: اذكر الله.. فذكرت فرَجعت، ثم عادت، فصحت به، فقال مثل ذلك. فلم أزل إلى الصباح في مثل تلك الحالة.. فلما أصبحنا قام، ومشى، ومشيت معه، فسقطت من وطائه[4] حية عظيمة وقد تطَوقت به، فقلت: ما أحسست بها؟

فقال: لا، منذ زمان ما بت ليلة أطيب من البارحة.

قال أبو عثمان: مَنْ لم يذق وحشة الغفلة لم يجد طعم أنس الذكر.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين يقول: سمعت عبد الرَّحمن بن عبد الله الذبيانيّ يقول: سمعت الجريريّ يقول: سمعت الجُنيد يقول: سمعت السريّ يقول:

مكتوب في بعض الكتب التي أنزلها الله تعالى: «إذا كان الغالب علي عبدي ذكرِي عشقني وعشقته».

---

(١) عكف على الشيء: أقبل عليه مواظباً، لا يصرف عنه وجهه.

(٢) القاع: أرض سهلة مستوية منخفضة عن المرتفعات المحيطة بها، تنصب إليها مياه الأمطار فتمسكها ثم تنبت العشب.

(٣) الركوة: إناء صغير من جلد يُشرب به الماء (ج) ركاء وركوات.

(٤) الوطاء: ما انخفض من الأرض.

وبإسناده: أنه أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: «بي فافرحوا، وبذكري فتنعَّمُوا».

وقال الثوريّ: لكل شيء عقوبة، وعقوبة العارف بالله انقطاعه عن الذكر.

وفي الإنجيل اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب، وارض بنصرتي لك؛ فإنَّ نصرتي لك خير لك من نصرتك لنفسك.

وقيل لراهب[1]: أأنت صائم؟ فقال: صائم بذكره، فإذا ذكرْت غيره أفطرت.

وقيل: إذا تمكَّن الذكرُ من القلب، فإن دنا منه الشيطان صرع، كما يصرع الإنسان إذا دنا منه الشيطان، فتجتمع عليه الشياطين فيقولون: ما لهذا؟ فيقال: قد مسَّه الإنس.

وقال سهل: ما أعرف معصية أقبح من نسيان الربّ تعالى.

وقيل: الذِّكر الخفي لا يرفعه الملَك، لأنه لا اطلاع له عليه، فهو سرٌّ بين العبد وبين الله عزّ وجلّ.

وقال بعضهم: وصف لي ذاكِرٌ في أجمة، فأتيته. فبينما هو جالس إذا سبع عظيم ضربه ضربة، واستلب منه قطعة، فغشي عليه وعلي، فلما أفاق، قلت: ما هذا؟ فقال: قيَّض الله هذا السَّبع عليَّ، فكلما دخلتني فترة عضَّني عَضَّة، كما رأيت.

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السلميّ يقول: سمعت الحُسين بن يَحيى يقول: سمعت جعفر بن نُصير يقول: سمعت الجريري يقول: كان من بين أصحابنا رجل يكثر أنْ يقول: الله.. الله.. فوقع يوماً على رأسه جذع فانشج[2] رأسه وسقط الدم، فاكتُتب على الأرض: الله.. الله.

باب الفتوة[3]

قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: ١٣].

قال الأستاذ: أصل الفتوة أن يكون العبد ساعياً أبداً في أمر غيره.

قال ﷺ: ««لا يزال الله تعالى في حاجة العبد ما دام العبد في حاجة أخيه المسلم»»[4].

---

(١) الراهب: المتعبد في صومعته يتخلّى عن أشغال الدنيا وملاذها، زاهداً فيها معتزلاً أهلها (ج) رهبان.

(٢) الشجة: الجرح في الرأس أو الوجه (ج) شجاج.

(٣) الفتوة: لغوياً الشباب بين طوري المراهقة والرجولة. و: النجدة. و ـ مسلك أو نظام ينمّي خلق الشجاعة والنجدة في الفتى. والفتى: السخي الكريم.

(٤) أخرجه البخاري (مظالم ٣)، (إكراه ٧)، ومسلم (برّ ٥٨)، وأبو داود (أدب ٣٨) والترمذي (حدود ٣)، وأحمد بن حنبل، ٤، ١٠٤.

اخبرنا به عليّ بن احمد بن عبدان، قال: أخبرنا به أحمد بن عُبيد قال: حدّثنا به إسماعيل بن الفَضْل قال: حدّثنا به يَعقوب بن حُميد بن كاسب[1] قال: حدّثنا به ابن أبي حازم، عن عبد الله بن عامر الأسلميّ، عن عبد الرَّحمن بن هرمز الأعرج[2]، عن أبي هُريرة، عن زيد بن ثابت رضي الله عنهما، عن رسول الله ﷺ: «**(لا يزال الله تعالى في حاجة العبد ما دام العبد في حاجة أخيه المسلم)**».

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقَّاق يقول: هذا الخُلق، لا يكون كماله إلا لرسول الله ﷺ؛ فإنَّ كلّ أحد في القيامة يقول: نفسي.. نفسي، وهو ﷺ يقول: أمَّتي.. أمتي.

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السّلميّ، رحمه الله، يقول: سمعت مُحمَّد بن الحُسين يقول: سمعت أبا جَعفر الفرغانيّ يقول: سمعت الجُنيد يقول: الفتوّة بالشام، واللسان بالعراق، والصدق بخراسان.

وسمعته يقول: سمعت عبد الله بن مُحمَّد الرازي يقول: سمعت مُحمَّد بن نصر بن مَنْصور الصَّائغ يقول: سمعت مُحمَّد بن مردويه الصَّائغ يقول: سمعت الفُضيل يقول: الفتوّة: الصفح عن عثرات[3] الإخوان.

وقيل: الفتوة: أنْ لا ترى لنفسك فضلاً عن غيرك.

وقال أبو بكر الورّاق: الفتي من لا خَصْم له.

وقال مُحمَّد بن علي الترمذيّ: الفتوة: أن تكون خصماً لربِّك على نفسك. ويُقال: الفتى: مَن لا يكون خصماً لأحد.

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدّقاق، رحمه الله، يقول: سمعت النصراباذي يقول: سُمي أصحاب الكهف «فتية»؛ لأنهم آمنوا بربهم بلا واسطة.

وقيل: الفتى من كسر الصنم؛ قال الله تعالى: ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ﴾ [الأنبياء: ٦٠]، وقال تعالى: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا﴾ [الأنبياء: ٥٨] وصنم كلّ إنسان نفْسَه؛ فمن خالف هواه فهو فتًى على الحقيقة.

---

(١) يعقوب بن حميد بن كاسب المحدث مدني مشهور، نزل مكة، وروى عن إبراهيم بن سعد وطبقته، وكان يكنى أبا يوسف. قواه البخاري ووثقه ابن معين، وضعفه جماعة توفي سنة إحدى وأربعين ومائتين. شذرات الذهب ٢/ ٩٩.

(٢) عبد الرحمن بن هرمز، أبو داود من موالي بني هاشم، عُرف بالأعرج، حافظ، قاريء، من أهل المدينة. أدرك أبا هريرة وأخذ عنه، وهو أول من برز في القرآن والسنن، وكان خبيراً بأنساب العرب وافر العلم، ثقة، رابط بثغر الإسكندرية مدة، ومات بها سنة (١١٧ هـ). الأعلام ٣/ ٣٤٠، وشذرات الذهب ١/ ١٥٣.

(٣) العثرة: الزلة والسقطة.

وقال الحارث المحاسبيّ: الفتوة: أنْ تنْصِف وتنتصف.

وقال عُمر بن عُثمان المكيّ: الفتوة: حُسن الخُلُق.

وسُئل الجنيد عن الفُتوة، فقال: أنْ لا تنافر فقيراً، ولا تُعارض غنياً.

وقال النصراباذي: المروءة شعبة من الفتوة، وهو الإعراض عن الكونين، والأنفة[١] منهما.

وقال مُحمَّد بن عليّ الترمذيّ: الفتوة أنْ يستوي عندك المقيم والطارىء.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين، رحمه الله، يقول: سمعت عليّ بن عُمر الحافظ يقول: سمعت أبا سهل بن زياد يقول: سمعت عبد الله بن أحمد بن حَنبل يقول: سُئل أبي: ما الفتوة؟ فقال: تركُ ما تهوى لما تخشى.

وقيل لبعضهم: ما الفتوّة؟ فقال: أنْ لا يُميّز بين أنْ يأكل عنده ولي أو كافر.

سمعت بعض العلماء يقول: استضاف مجوسيٌّ إبراهيم الخليل عليه السلام، فقال: بشرط أنْ تُسلم، فمرّ المجوسيّ، فأوحى الله تعالى إليه: منذ خمسين سنة نطعمه على كفره، فلو ناولته لقمةً من غير أنْ تطالبه بتغيير دينه!؟!. فمضى إبراهيم عليه السلام، على أثره، حتى أدركه.. واعتذر إليه، فسأله عن السبب، فذكر له ذلك؛ فأسلم المجوسيّ.

وقال الجُنيد: الفتوة: كفّ الأذى، وبذل الندى.

وقال سهل بن عبد الله: الفتوة: اتباع السنَّة.

وقيل: الفتوة: الوفاء والحِفاظ.

وقيل: الفتوة: فضيلة تأتيها ولا ترى نفسك فيها.

وقيل: الفتوة: أنْ لا تهرب إذا أقبل السائل.

وقيل: أنْ لا تحتجب من القاصدين.

وقيل: أنْ لا تدَّخر ولا تعتذر.

وقيل: إظهار النّعمة، وإسرار المحنة.

وقيل: أنْ تدعو عشرة أنفس فلا تتغير إنْ جاء تسعة أو أحد عشر.

وقيل: الفتوة: ترك التمييز.

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السلميّ، رحمه الله، يقول: قال أحمد بن خضرويه لامرأته أم عليّ: أريد أنْ أتخذ دعوة أدعو فيها «عياراً[٢] شاطراً» كان في بلدهم «رأس الفتيان».

فقالت امرأته: إنك لا تهتدي إلى دعوة الفتيان. فقال: لا بدّ.

---

(١) أنف فلان الشيء: كرهه وتنزه عنه وعافته نفسه. والأنفة: العزة والحمية.

(٢) العيّار: الكثير الذهاب والمجيء في الأرض.

فقالت: إنْ فعلت فاذبح الأغنام والبقر والحُمُر، وألقها من باب دار الرجل إلى باب دارك.

فقال: أما الأغنام والبقر فاعْلمُ فما بال الحُمُر؟

فقالت: تدعو فتى إلى دارك، فلا أقلّ من أن يكون لكلاب المحلة خير.

وقيل: اتخَذَ بعضهم دعوة، وفيهم شيخ شيرازيّ، فلما أكلوا وقع عليهم النوم في حال السماع.

فقال الشيخ الشيرازيّ لصاحب الدعوة: ما السبب في نومنا؟ فقال: لا أدري!! اجتهدت في جميع ما أطعمتكم إلا الباذنجان، فلم أسأل عليه.

فلما أصبحوا سألوا بائع الباذنجان، فقال: لم يكن لي شيء، فسرقت الباذنجان من الموضع الفلاني «وبعته» فحملوه إلى صاحب الأرض ليجعله في حلّ، فقال الرجل: تسألون مني ألف باذنجانة؟ قد وهبته تلك الأرض ووهبته ثورين، وحماراً، وآلة الحرث؛ لئلا يعود إلى مثل ما فعل.

وقيل: تزوّج رجل بامرأة.. فقبل الدخول ظهر بالمرأة الجدري[1]، فقال الرجل: اشتكت عيني، ثم قال: عَمِيتْ، فزُفّت إليه المرأة.. ثم ماتت بعد عشرين سنة.. ففتح الرجل عينيه، فقيل له في ذلك فقال: لم أعم، ولكن تعاميت حذار أنْ تحزن، فقيل له: سبقت الفتيان.

وقال ذو النُّون المصري: من أراد الظَّرف فعليه سِقاةِ الماء ببغداد.

فقيل له: كيف هو؟ فقال: لما حُملت إلى الخليفة، فيما نُسب إليّ من الزندقة[2]، رأيت سقَّاء عليه عمامة[3]، وهو متردّ بمنديل مصريّ، وبيده كيزان[4] خزف[5] رقاق، فقلت: هذا ساقي السّلطان، فقالوا: لا، هذا ساقي العامة. فأخذت الكوزَ وشربت. وقلت لمن معي: أعطه ديناراً. فلم يأخذه، وقال: أنت أسير، وليس من الفتوّة أنْ آخذ منك شيئاً.

وقيل: ليس من الفتوّة أنْ تربح على صديقك. قاله بعض أصدقائنا، رحمه الله تعالى.

وكان فتى يسمى «أحمد بن سهل» التاجر، وقد اشتريت منه خرقة بياض فأخذ الثمنُ رأسَ ماله فقلت له: ألا تأخذ ربحاً؟ فقال: أما الثمن فآخذه، ولا أحملك مِنَّةً؛ لأنه ليس له

---

(١) الجدري (في الطب): مرض جلدي ينتقل بالعدوى ويتسم بالحمى وبظهور بقع صغيرة مليئة بالصديد خصوصاً على الخدين، قد تبقى تجاويفها بعد الشفاء ظاهرة فيهما مدى العمر.

(٢) الزنديق: من يبطن الكفر ويخفيه ويظهر الإيمان (ج) زنادقة، وزناديق (مع) فارسي.

(٣) العمامة: ما يُلف على الرأس (ج) عمائم.

(٤) الكوز: إناء من فخار، أصغر من الإبريق، له أذن يُشرب به الماء (ج) أكواز وكيزان.

(٥) الخزف: ما عُمل من الطين وشوي بالنار فصار فخاراً.

من الخَطَر ما أتخلق به معك، ولكن لا آخذ بالربح؛ إذ ليس من الفتوة أنْ تربح على صديقك.

وقيل: خرج إنسان يدّعي الفتوة من «نيسابور» إلى «نسا»[1] فاستضافه رجل، ومعه جماعة من الفتيان، فلما فرغوا من الطعام خرجت جارية تصبّ الماء على أيديهم، فانقبض النيسابوريّ عن غسل اليد، وقال: ليس من الفتوة أنْ تصب النسوان الماء على أيدي الرجال!!

فقال واحد منهم: أنا من سنين أدخل هذه الدار لم أعلم أنَّ امرأة تصب الماء على أيدينا أم رجلاً.

سمعت مَنصوراً المغربيّ يقول: أراد واحد أنْ يمتحن نوحاً النيسابوري العيار.. فباع منه جارية في زيّ غلام، وشرط أنه غلام، وكانت وضيئة[2] الوجه، فاشتراها نوع على أنها غلام، ولبثت عنده شهوراً كثيرة، فقيل للجارية: هل علم أنك جارية؟ فقالت: لا، إنه ما مسّني، وتوهّم أني غلام.

وقيل: إنَّ بعض الشطَّار طلب منه تسليم غلام كان يخدمه إلى السلطان، فأبى. فضربه ألف سوط، فلم يُسَلم، فاتفق أنه احتلم تلك الليلة، وكان برداً شديداً، فلما أصبح اغتسل بالماء البارد، فقيل له: خاطرت بروحك، فقال: استحييت من الله تعالى أنْ أصبر على ضرب ألف سوط لأجل مخلوق، ولا أصبر على مقاساة برد الاغتسال لأجله.

وقيل: قدم جماعة من الفتيان لزيارة واحد يدَّعي الفتوة، فقال الرجل: يا غلام قدم السفرة[3]. فلم يقدّم. فقال له الرجل ذلك ثانياً وثالثاً. فنظر بعضهم إلى بعض، وقالوا: ليس من الفتوة أنْ يستخدم الرجل من يتعاصى عليه في تقديم السفرة كلَّ هذا!! فقال الرجل: لِمَ أبطأت بالسفرة؟ فقال الغلام: كان عليها نملٌ، فلم يكن من الأدب تقديمُ السفرة إلى الفتيان مع النمل، ولم يكن من الفتوة إلقاء النمل من السفرة، فلبثت حتى دبّ النمل. فقالوا له: دقَّقت يا غلام، مثلك مَن يخدم الفتيان.

وقيل: إنَّ رجلاً نام بالمدينة من الحاجّ. فتوهم أنَّ «هميانه»[4] سُرق، فخرج، فرأي جَعفراً الصَّادق.. فتعلق به، وقال له: أنت أخذت همياني؟ فقال له: ماذا كان فيه؟ فقال: ألف دينار.

---

(١) نسا: وهي مدينة بخراسان، بينها وبين سرخس يومان، وبينها وبين مرو خمسة أيام وبين أبيورد يوم، وبين نيسابور ستة أو سبعة. معجم البلدان ٥/ ٢٨٢.

(٢) الوضاءة: الحُسن والبهجة والنظافة.

(٣) السُّفرة: المائدة وما عليها من الطعام (مج). (ج) سُفر.

(٤) الهميان: كلمة فارسية وهي الدراهم أو كيس توضع فيه الدراهم ويُشد على الوسط.

فأدخله داره.. ووزن له ألف دينار، فرجع الرجل إلى منزله، ودخل بيته. فرأى هميانه في بيته وقد كان توهم أنه سُرق؛ فخرج إلى جَعفر معتذراً، وردّ عليه الدنانير، فأبى أنْ يقبلها، وقال: شيء أخرجته من يدي لا أستردُّه.

فقال الرجل: من هذا؟! فقيل: جَعفر الصَّادق.

وقيل: سأل شقيق البلخيُّ[1] جَعفر بن مُحمَّد عن الفتوة، فقال: ما تقول أنت؟

فقال شقيق: إنْ أعطينا شكرنا. وإن مُنعنا صبرنا.

فقال جعفر: الكلابُ عندنا بالمدينة كذلك تفعل!!

فقال شقيق: يا ابن بنت رسول الله، ما الفتوة عندكم؟

فقال: إنْ أعطينا آثرنا، وإن مُنعنا شكرنا.

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السلميّ، رحمه الله، يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت الجريري يقول: دعانا الشيخ أبو العبَّاس بن مَسروق ليلةً إلى بيته، فاستقبلنا صديق لنا، فقلنا له: ارجع معنا، فنحن في ضيافة الشيخ، فقال: إنه لم يدعني!! فقلنا: نحن نستثني كما استثني رسولُ الله ﷺ لعائشة رضي الله عنها.

فرددناه، فلما بلغ باب الشيخ أخبرناه بما قال، وقلنا، فقال:

جَعلتَ موضعي من قلبك أنْ تجيء إلى منزلي من غير دعوة، عليَّ كذا وكذا إن مشيتَ إلى الموضع الذي تقعد فيه منه إلا على خدّي، وألّح عليه.. ووضع خدَّه على الأرض، وحُمل الرجل، فوضع قدمه على خدّه من غير أن يوجعه، وسحب الشيخ وجهه على الأرض إلى أنْ بلغ موضع جلوسه.

واعلم أنَّ من الفتوة السَّتر على عيوب الأصدقاء، لا سيما إذا كان لهم فيه شماتة الأعداء.

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السلميّ يقول للنصراباذي كثيراً: إنَّ علياً القوال يشرب بالليل ويحضر مجلسك بالنهار، وكان لا يسمع فيه ما يُقال، فاتفق أنه كان يمشي يوماً ومعه واحد ممن يذكر علياً بذلك عنده فوجد علياً مطروحاً في موضع، وقد ظهر عليه أثر السّكر، وصار بحيث يغسل فمه، فقال الرجل: إلى كم نقول فيه للشيخ ولا يسمع؟! هذا عليٌّ عَلى الوصف الذي نقول. فنظر إليه النصراباذي وقال للعذول[2]: احمله على رقبتك، وانقله إلى منزله. فلم يجد بدًّا من طاعته فيه.

وسمعته يقول: سمعت أبا عليَّ الفارسيّ يقول: سمعت المرتعش يقول: دخلنا مع أبي

---

(١) شقيق البلخي أبو علي الزاهد شيخ خراسان، سافر مرة وفي صحبته ثلاثمائة مريد وهو شيخ حاتم الأصم. استشهد في غزوة سنة أربع وتسعين ومائة. شذرات الذهب ١/ ٣٤١.

(٢) العذول: من يُكثر اللوم.

حَفْص على مريض نعوده، ونحن جماعة، فقال للمريض: أتحبُّ أن تبرأ؟ فقال: نعم، فقال لأصحابه: تحملوا عنه.. فقام العليل.. وخرج معنا. وأصبحنا كلنا أصحاب فراشُ نعاد.

باب الفَرَاسَة[1]

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر: ٧٥] قيل: للمتفرِّسين.

أخبرنا الشيخ أبو عبد الرَّحمن السلميّ، رحمه الله تعالى، قال: أخبرنا أحمد بن عليّ بن الحُسين الرازي قال: أخبرنا مُحمَّد بن أحمد بن السَّكن قال: حدّثنا موسى بن داود قال: حدّثنا مُحمَّد بن كثير الكوفي قال: حدّثنا عَمرو بن قيس: عن عَطية، عن أبي سعيد الخدريّ، قال: قال رسول الله ﷺ:

««اتقوا فراسة المؤمن؛ فإنه ينظر بنور الله عزَّ وجل»»[2].

والفراسة: خاطر على القلب فينفي ما يضادّه، وله على القلب حُكم اشتقاقاً من: فريسة السبع، وليس في مقابلة الفراسة مُجَوِّزات للنفس.

وهي على حسب قوّة الإيمان: فكل من كان أقوى إيماناً كان أحدّ فراسة.

وقال أبو سَعيد الخرَّاز: من نظر بنور الفراسة نظر بنور الحقّ، وتكون مواد عِلمه من الحق بلا سهو ولا غفلة، بل حُكم حقٍ جرى على لسان عبد.

وقوله: «نظر بنور الحق» يعني: بنور خصّه به الحقّ سُبحانه.

وقال الواسطيّ: إنَّ الفراسة: سواطع أنوار لمعت في القلوب، وتمكين معرفة حملت السرائر في الغيوب من غَيْب إلى غَيب، حتى يشهد الأشياء من حيثُ أشهده الحق، سُبحانه، إياها؛ فيتكلم على ضمير الخلق.

ويحكى عن أبي الحَسن الديلميّ أنه قال:

دخلت (أنطاكية)[3] لأجل (أسود) قيل لي: إنه يتكلم على الأسرار. فأقمت فيها إلى أنْ خرج من جبل (لِكام) ومعه شيء من المُباح يبيعه، وكنت جائعاً منذ يومين لم آكل شيئاً فقلت له: بكم هذا؟ وأوهمته أني أشتري ما بين يديه فقال: اقعد ثمَّ؛ حتى إذا بعناه نعطيك ما تشتري به شيئاً. فتركته وسرت إلى غيره؛ أوهمه أني أساومه، ثم رجعت إليه، وقلت له:

(١) الفِراسة: لغوياً المهارة في تعرّف بواطن الأمور من ظواهرها.

(٢) أخرجه الترمذي (تفسير سورة ١٥، ٦).

(٣) أنطاكية: مدينة في تركيا أول من بناها أنطيفونيا ثم أتمها بعده سلوقوس. معجم البلدان ١/ ٢٦٦.

إنْ كنت تبيع هذا فقل لي بكم؟ فقال: إنما جعتَ يومين، اقعد ثمَّ، حتى إذا بعناه نعطيك ما تشتري به شيئاً.. فقعدتُ.. فلما باعه أعطاني شيئاً ومشى، فتبعته.. فالتفتَ إليَّ وقال لي: إذا عرضتَ لك حاجة، فأنزلها بالله تعالى، إلا أنْ يكون لنفسك فيها حظ فتُحجب عن حاجتك.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين، رحمه الله، يقول: سمعت مُحمَّد بن عبد الله يقول: سمعت الكتانيّ يقول: الفراسة: مكاشفة اليقين، ومعاينة الغيب، وهو من مقامات الإيمان.

وقيل: كان الشافعيّ، ومُحمَّد بن الحسن، رحمهما الله تعالى، في المسجد الحرام فدخل رجل، فقال مُحمَّد بن الحسن: أتفرّس أنه نجار، وقال الشافعي: أتفرّس أنه حدّاد، فسألاه، فقال: كنت قبل هذا حدّاداً، والساعة أنجّر.

وقال أبو سَعيد الخرّاز:

المسْتنبط: مَن يلاحظ الغيب أبداً، ولا يغيب عنه، ولايخفى عليه شيء، وهو الذي دلّ عليه قوله تعالى:

﴿ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾ [النساء: ٨٣].

والمتوسِّم: هو الذي يعرف الوَسْم[1]، وهو العارف بما في سويداء القلوب بالإستدلال والعلامات، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ [الحجر: ٧٥]، أي: للعارفين بالعلامات التي يبديها على الفريقين من أوليائه وأعدائه.

والمتفرّس: ينظر بنور الله تعالى، وذلك: سواطع أنوار لمعت في قلبه فأدرك بها المعاني، وهو من خواص «الإيمان»، والذين هم أكبر منه حظًّا «الرَّبانيون» قال الله تعالى: ﴿ كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ ﴾ [آل عمران: ٧٩] يعني: علماء، حُكماء، متخلقين بأخلاق الحق نظراً وخُلقاً، وهم فارغون عن الإخبار عن الخلق، والنظر إليهم، والإشتغال بهم.

وقيل: كان أبو القاسم المنادي مريضاً، وكان كبير الشأن، من مشايخ (نيسابور) فعاده أبو الحَسن البوشنجيّ، والحسن الحدَّاد، واشتريا بنصف درهم تفاحاً في الطريق نسيئة[2]، وحملاه إليه، فلما قعدا قال أبو القاسم: ما هذه الظلمة؟ فخرجا. وقالا: ماذا فعلنا؟ وتفكرا.. فقالا: لعلنا لم نؤد ثمن التفاح، فأعطياه الثمن، وعادا إليه، فلما وقع بصره عليهما قال: هذا عجب، أيمكن الإنسان أنْ يخرج من الظلمة بهذه السرعة؟! أخبراني عن شأنكما.. فذكرا له هذه القصة، فقال: نعم، كان يعتمد كلّ واحد منكما على صاحبه في إعطاء الثمن، والرجل يستحي منكما في التقاضي، فكان تبقى التبعة، وأنا السبب، إنما

---

(١) الوسم: العلامة.

(٢) النسيئة: التأخير والتأجيل.

رأيتُ ذلك فيكما وكان أبو القاسم المنادي هذا يدخل السوق كل يوم يُنادي، فإذا وقع بيده ما فيه كفايته من دانق[1] إلى نصف درهم خرج منه، وعاد إلى رأس وقته، ومراعاة قلبه.

وقال الحُسين بن مَنْصور:

الحقّ إذا استولى على سرّ ملكه الأسرار؛ فيعاينها، ويخبر عنها.

وسُئل بعضهم عن الفَراسة، فقال: أرواحٌ تتقلَب في الملكوت، فتشرف على معاني الغيوب، فتنطق عن أسرار الخلق نطق مشاهدة لا نطق ظنّ وحسبان.

وقيل: كان بين زكريا الشختني[2] وبين امرأة سببٌ قبل توبته، فكان يوماً واقفاً على رأس أبي عُثمان الحيريّ، بعدما صار من خواصِّ تلاميذه، فتفكر في شأنها، فرفع أبو عُثمان رأسه إليه وقال: أما تستحي؟!

قال الأستاذ الإمام، رحمه الله:

كنت في ابتداء وصلتي بالأستاذ أبي عليّ الدقَّاق، رضي الله عنه، عقد لي المجلس في مسجد «المطرز» فاستأذنته وقتاً للخروج إلى (نسا) فأذن لي فيه، فكنت أمشي معه يوماً في طريق مجلسه، فخطر ببالي: ليته ينوب عني في مجالسي أيام غيبتي. فالتفت إليَّ، وقال لي: أنوبُ عنك أيام غيبتك في عقد المجالس.

فمشيت قليلاً.. فخطر ببالي أنه عليل يشقُّ عليه أنْ ينوب عني في الأسبوع يومين، فليته يقتصر على يوم واحد في الأسبوع؛ فالتفت إليَّ وقال: إنْ لم يمكني في الأسبوع يومان أنوب عنك في الأسبوع مرَّة واحدة، فمشيت معه قليلاً؛ فخطر ببالي شيء ثالث، فالتفت إليَّ وصرَّح بالإخبار عنه على القطع.

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السلميّ، رحمه الله يقول: سمعت جدّي أبا عَمرو بن نُجيد يقول:

كان شاه الكرمانيّ حادّ الفِراسة، لا يُخطيء، ويقول: من غضَّ بصره عن المحارم، وأمسك نفسه عن الشهوات، وعمر باطنه بدوام المراقبة، وظاهره باتباع السُّنة، وتعوَّد أكل الحلال، لم تُخطىء فراسته.

وسُئل أبو الحسن النوري: من أين تولدتْ فراسة المتفرّسين؟

فقال: من قوله تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [الحجر: ٢٩]، فمن كان حظُّه من ذلك النور أتمَّ، كانت مشاهدته أحْكم، وحكُمه بالفراسة أصدق، ألا ترى كيف أوجب نفخُ الرّوح فيه السجودَ له بقوله تعالى:

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [ص: ٧٢].

---

(١) الدانق: سدس الدرهم (ج) دوانق ودوانيق.

(٢) الشختني: نسبة إلى شختن: قرية بنيسابور.

وهذا الكلام من أبي الحسن النوري فيه أدنى غموض وإبهام؛ يذكر نفخ الرُّوح، لتصويب من يقول بقدم الأرواح، ولا كما يلوح لقلوب المستضعفين؛ فإنَّ الذي يصحُّ عليه النفخ والإتصال والإنفصال فهو قابل للتأثير والتغيير، وذلك من سمات الحدوث، وأنَّ الله، سُبحانه وتعالى، خصّ المؤمنين ببصائر وأنوار بها يتفرَّسون، وهي في الحقيقة معارف، وعليه يُحمل قوله ﷺ: «فإنه ينظر بنور الله» أي بعلم وبصيرة يخصُّه الله تعالى به ويفرده به من دون أشكاله، وتسمية العلوم والبصائر أنواراً: غير مستَبْدع، ولا يبعد وصف ذلك بالنفخ، والمراد منه: الخلق.

وقال الحُسين بن مَنصور:

المتفرِّس هو المصيب بأول مرماه إلى مقصده، ولا يعرِّج على تأويل وظن وحُسبان.

وقيل: فراسة المريدين تكون ظناً يوجب تحقيقاً، وفراسة العارفين تحقيق يوجب حقيقة.

وقال أحمد بن عاصم الأنطاكيّ:

إذا جالستم أهل الصدق فجالسوهم بالصدق؛ فإنهم جواسيس القلوب؛ يدخلون في قلوبكم ويخرجون منها من حيث لا تحسُّون.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين رحمه الله، يقول: سمعت معنْصور بن عبد الله يقول: سمعت الخلديّ يقول: سمعت أبا جعفر الحدَّاد يقول: الفراسة أوّلُ خاطر بلا معارض؛ فإن عارض مُعارضٌ من جنسه فهو خاطر وحديث نفس.

ويُحكى عن أبي عبد الله الرازي (نزيل نيسابور) قال:

كساني (ابن الأنباري) صوفاً، ورأيت على رأس الشبلي قلنسوة ظريفة تليق بذلك الصوف، فتمنيت في نفسي أنْ يكونا جميعاً لي.. فلما قام الشِّبليّ من مجلسه التفت إليّ.. فتبعته، وكان عادته إذا أراد أنْ أتبعه يلتفت إليّ، فلما دخل داره دخلت؛ فقال لي: انزع الصوف. فنزعته.. فلَفه وطرح القلنسوة عليه، ودعا بنار فأحرقهما.

وقال أبو حَفص النيسابوريّ:

ليس لأحد أنْ يدّعي الفراسة، ولكن يتقي الفراسة من الغير؛ لأنَّ النبي ﷺ قال: «اتقوا فراسة المؤمن» ولم يقل: تفرسوا فكيف يصحُّ دعوى الفراسة لمن هو في محل اتقاء الفراسة؟!

وقال أبو العبَّاس بن مَسْروق:

دخلت على شيخ من أصحابنا أعوده.. فوجدته على حال رثة، فقلت في نفسي: من أين يرتزق هذا الشيخ؟ فقال لي: يا أبا العبَّاس: دع عنك هذه الخواطر الدنيئة؛ فإنَّ لله ألطافاً خفية.

ويحكى عن الزبيديّ قال:

كنت في مسجد ببغداد مع جماعة من الفقراء، فلم يفتح علينا بشيء أياماً فأتيت الخوّاص لأسأله شيئاً، فلما وقع بصره عليّ قال: الحاجة التي جئت لأجلها يعلمها الله أم لا؟ فقلت: بلى؛ فقال: اسكت ولا تبدها لمخلوق، فرجعت ولم ألبث إلا قليلاً حتى فتح علينا بما فوق الكفاية. وقيل: كان سهل بن عبد الله يوماً في الجامع، فوقع حَمَام في المسجد من شدَّة ما لحقه من الحرِّ والمشقة، فقال سهل: إنَّ شاهاً الكرمانيِّ مات الساعة، إنْ شاء الله تعالى، فكتبوا ذلك.. فكان كما قال.

وقيل: خرج أبو عبد الله التروغنديّ ـ وكان كبير الوقت ـ إلى «طوس»[1] فلما بلغ «خرَّ» وقال لصاحبه: اشتر الخبز. فاشترى ما يكفيهما، فقال: اشتر أكثر من ذلك. فاشترى صاحبه ما يكفي عشرة أنفس تعمداً، فكأنه لم يجعل لقول ذلك الشيخ تحقيقاً. قال: فلما صعدنا إلى الجبل إذا بجماعة قيَّدَتهم اللصوص، لم يأكلوا منذ مدَّة، فسألونا الطعام، فقال: قدّم إليهم السفرة.

وقال الأستاذ الإمام: كُنت بين يدي الأستاذ الإمام أبي عليّ رحمه الله يوماً فجرى حديث الشيخ أبي عبد الرَّحمن السلميّ رحمه الله، وأنه يقوم في السماع موافقة للفقراء، فقال الأستاذ أبو عليّ: مثله في حاله؛ لعل السكون أولى به. ثم قال في ذلك المجلس: امض إليه فستجده وهو قاعد في بيت كتبه، وعلى وجه الكتُب مجلدة حمراء مربعة صغيرة فيها أشعار الحُسين بن مَنْصور. فاحل تلك المجلدة ولا تقل له شيئاً وجئني بها. وكان وقت الهاجرة[2].. فدخلت عليه فإذا هو في بيت كتُبه والمجلدة موضوعة بحيث ذكَرَ، فلما قعدت أخذ الشيخ أبو عبد الرَّحمن السلميّ في الحديث وقال: كان بعض الناس ينكر على أحد من العلماء حركته في السماع، فرؤي ذلك الإنسان يوماً خالياً في بيت وهو يدور كالمتواجد، فسُئل عن حاله فقال: كانت مسألة مشكلة عليّ، فتبين لي معناها، فلم أتمالك من السرور حتى قمت أدور، فقيل له: مثل هذا يكون حالهم.

فلما رأيت ما أمرني به الأستاذ أبو علي، وما وصف لي على الوجه الذي قال وجرى على لسان الشيخ أبي عبد الرَّحمن ما كان قد ذكره به، تحيَّرت، وقلت: كيف أفعل بينهما؟

ثم فكرت في نفسي وقلت: لا وجه إلا الصدق، فقلت: إنَّ الأستاذ أبا عليّ وصف لي هذه المجلدة وقال لي: احملها من غير أنْ تستأذن الشيخ، وأنا هو ذا أخافك، وليس يمكنني مخالفته، فأي شيء تأمرني به؟.. فاخرج «مسدساً» من كلام الحُسين، وفيه تصنيف له سمَّاه: كتاب «الصهيور في نقض الدهور» وقال: احمل هذا إليه، وقل له: إني أطالع تلك المجلدة وأنقل منها أبياتاً إلى مصنفاتي.. فخرجت.

(١) طوس: وهي مدينة بخراسان بينها وبين نيسابور نحو عشرة فراسخ. معجم البلدان ٤/٤٩.

(٢) الهاجرة: نصف النهار عند اشتداد الحرّ.

ويحكى عن الحَسن الحدَّاد، رحمه الله، أنه قال:

كنت عند أبي القاسم المنادي وعنده جماعة من الفقراء، فقال لي: اخرج وأتِهم بشيءٍ، فسررت حيث أذن لي في التكلف للفقراء وأن آتيهم بشيء بعد ما علم فقري، فقال: فأخذت «مِكتلاً»[1] وخرجت.. فلما أتيت سكة «سيار» رأيت شيخاً بهياً فسلمت عليه وقلت: جماعة من الفقراء في موضع، فهل لك أنْ تتخلق معهم بشيء؟ فأمر.. حتى إذا أخرج إليَّ شيئاً من الخبز واللحم والعنب، فلما بلغت الباب نادى أبو القاسم المنادي من وراء الباب: ردّه إلى الموضع الذي أخذته منه. فرجعت واعتذرت إلى الشيخ، وقلت: لم أجدهم.. وعَرّضت بأنهم تفرَّقوا، ورددت السبب عليه ثم جئت إلى السوق ففتح عليّ بشيء، فحملته، فقال: ادخل.

فقصصت عليه القصّة، فقال: نعم، ذاك (ابن سيّار) رجل سلطاني، إذا جئت للفقراء بشيء فأتهم بمثل هذا، لا بمثل ذاك.

قال أبو الحُسين القرافيّ: زرت أبا الخير التيناتيّ، فلما ودّعته.. خرج معي إلى باب المسجد، وقال لي: يا أبا الحُسين، أنا أعلم أنك لا تحمل معك معلوماً، ولكن احمل معك هاتين التفاحتين.

فأخذتهما.. ووضعتهما في جيبي، وسرت، فلم يفتح لي بشيء ثلاثة أيام، فاخرجت واحدة منهما، وأكلتها، ثم أردت أنْ أخرج الثانية، فإذا هما جميعاً في جيبي، فكنت آكل منهما ويعودان.. إلى باب الموصل، فقلت في نفسي: إنهما يفسدان عليّ حال توكلي؛ إذ صارتا معلوماً لي!!

فأخرجتهما من جيبي بمرّة. فنظرت فإذا فقير ملفوف في عباءة يقول: أشتهي تفاحة!!

فناولتهما إياه.. فلما عبرتُ وقع لي: أنَّ الشيخ إنما بعثهما إليه. وكنت في رُفقه في الطريق.. فانصرفت إلى الفقير، فلم أجده.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين يقول: سمعت عبد الله بن عليّ يقول: سمعت أبا عُمر بن علوان يقول:

كان شاب يصحب الجُنيد.. وكان يتكلم على خواطر الناس، فذُكر للجُنيد، فقال له الجُنيد: ما هذا الذي ذُكر عنك؟ فقال للجُنيد: اعْتَقِد شيئاً. فقال: اعتقدتُ!! فقال الشاب: اعتقدتَ كذا وكذا؟ فقال الجُنيد: لا. فقال: اعتقدْ ثانياً، ففعل، فقال: اعتقدتَ كذا وكذا. فقال: لا فقال: ثالثاً. فقال: مثله. فقال الشاب هذا عجب، أنت صدوق، وأنا أعرف قلبي؟! فقال الجُنيد: صدقتَ في الأول والثاني والثالث، ولكني أردت أنْ أمتحنك هل يتغير قلبك!!

---

(١) المكتل: وعاء من ورق النخل يُحمل فيه التمر وغيره (ج) مكاتل.

وسمعته يقول: سمعت أبا عبد الله الرازيّ يقول: اعتلّ ابن الرقي، فحُلّ إليه دواء في قدح، فأخذه، ثم قال: وقع اليوم في المملكة حَدَث: لا آكل ولا أشرب حتى أعلم ما هو؟ فورد الخبر بعده بأيام: أنَّ القرمطي دخل مكة ذلك اليوم، وقتل بها تلك المقتلة العظيمة.

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السلميّ رحمه الله يقول: سمعت أبا عُثمان المغربيّ يقول:

ذكر الكاتب هذه الحكاية، فقال: هذا عجب!! فقلت له: هذا ليس بعجب، فقال لي أبو عليّ بن الكاتب: ما خبر مكة اليوم؟ فقلت: هو ذا: تحاربَ الطلحيون وبنو الحسن، ومقدّم الطلحيين أسودُ عليه عمامة حمراء، وعلى مكة اليوم غيم على مقدار الحرم، فكتب أبو عليّ إلى مكة، فكان كما ذكرت له.

ويروى عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال:

دخلت على عُثمان بن عفَّان رضي الله عنه، وكنت رأيت في الطريق امرأة تأملتُ محاسنها، فقال عُثمان رضي الله عنه: يدخل عليّ أحدكم وآثار الزنا ظاهرة على عينيه، فقلت له: أوَحيٌ بعد رسول الله ﷺ؟!

فقال: لا، ولكن تبصرةٌ، وبُرهان، وفراسة صادقة.

وقال أبو سعيد الخرّاز: دخلت المسجد الحرام، فرأيت فقيراً عليه خرقتان يسأل الناس شيئاً، فقلت في نفسي: مثل هذا كلٌّ[1] على الناس!! فنظر إليّ وقال:

﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ﴾ [البقرة: ٢٣٥].

قال: فاستغفرت في سرِّي، فناداني، وقال:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الشورى: ٢٥].

وحكى عن إبراهيم الخوّاص أنه قال:

كنت ببغداد في جامع المدينة، وهناك جماعة من الفقراء، فأقبل علينا شاب ظريف، طيِّب الرائحة، حسن الحُرمة، حسن الوجه، فقلت لأصحابنا: يقع لي أنه يهودي!! فكلهم كرهوا ذلك، فخرجت، وخرج الشابّ، ثم رجع إليهم وقال: ماذا قال الشيخ فيّ؟ فاحتشموه. فألحّ عليهم، فقالوا: قال إنك يهودي. قال: فجاءني وأكبّ على يدّي، وأسلم. فقيل له: ما السبب؟ قال:

نجد في كتبنا أنّ الصدِّيق لا تخطيء فراسته. فقلت: أمتحن المسلمين؛ فتأملتهم، وقلت: إن كان فيهم صدّيق ففي هذه الطائفة؛ لأنهمّ يقولون حديثه سُبحانه، فلبستُ

(١) الكلُّ: من يعتمد على غيره في معيشته.

عليكم.. فلما اطلع هذا الشيخ عليّ، وتفرّس فيّ علمت أنه صدِّيق، وصار الشاب من كبار الصوفية.

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السلميّ رحمه الله، يقول: سمعت عبد الله بن إبراهيم بن العلاء، يقول: سمعت مُحمَّد بن داود يقول:

كنا عند الجريري، فقال: هل فيكم من إذا أراد الحق، سُبحانه، أنْ يحدث في المملكة حدثاً أعلمه قبل أنْ يُبديه؟ قلنا: لا. فقال: ابكوا على قلوب لم تجد من الله تعالى شيئاً.

وقال أبو مُوسى الديلميّ: سألت عبد الرَّحمن بن يحيى عن التوكل، فقال: لو أدخلت يدك في فم التنين[١] حتى تبلغ الرُّسغ[٢] لا تخاف مع الله تعالى شيئاً غيره. قال: فخرجت إلى أبي يزيد لأسأله عن التوكل، فدققت عليه الباب، فقال: أليس لك في قول عبد الرَّحمن كفاية؟ فقلت: افتح الباب. فقال: ما زرتني، أتاك الجواب من وراء الباب. ولم يفتح لي الباب؛ فمضيت، ولبثت سنة، ثم قصدته، فقال: مرحباً، جئتني زائراً. فكنت عنده شهراً، فكان لا يخطر بقلبي شيء إلا حدَّثني عنه. فعند وداعه لي قلت:

أفدني فائدة. فقال: حدثتني أمي: أنها كانت حاملاً بي، فكانت إذا قدّم لها طعام من حلال امتدت يدها إليه، وإذا كان فيه شبهة انقبضت يدها عنه.

وقال إبراهيم الخوّاص:

دخلت البادية، فأصابتني شدّة، فلما بلغت مكة، داخلني شيء من الإعجاب، فنادتني عجوز: يا إبراهيم، كنت معك في البادية فلم أكلمك؛ لأني لم أرد أنْ أشغل سرّك أخرجْ عنك هذا الوسواس!!

وحكي أنَّ الفرغانيّ كان يخرج كلّ سنة إلى الحج، ويمر بـ«نيسابور»، ولا يدخل على أبي عُثمان الحيري قال: فدخلت عليه مرّة، وسلمت، فلم يردّ عليّ السلام، فقلت في نفسي: مُسلم يدخل عليه ويسلم عليه فلا يردّ سلامه؟ فقال أبو عُثمان: مثل هذا يحجّ وَيَدع أمه لا يبرُّها؟!

قال: فرجعت إلى «فرغانة»[٣] ولزمتها حتى ماتت. ثم قصدت أبا عُثمان، فلما دخلت

---

(١) التِّنين: ضرب من الحيات العظيمة. و: (في الأساطير): حيوان أسطوري يجمع بين صفات الزواحف والطير، له مخالب أسد وجناحا نسر وذنب أفعى. ويتخذ في بعض البلاد رمزاً قومياً (ج) تنانين.

(٢) الرّسغ: (مذ): مفصل ما بين الكف والساعد، وما بين الساق والقدم (ج) أرساغ، وأرسغ.

(٣) فرغانة: مدينة وكورة واسعة بما وراء النهر متاخمة لبلاد تركستان في زاوية من ناحية هيطل من جهة مطلع الشمس على يمين القاصد لبلاد الترك، كثيرة الخير واسعة الرستاق. معجم البلدان ٤/ ٢٥٣.

استقبلني، وأجلسني، ثم إنَّ الفرغاني لازمه وسأله سياسة دابته، فولاه ذلك حتى مات أبو عُثمان.

وقال خير النسّاج:

كنت جالساً في بيتي، فوقع لي: أنَّ الجُنيد بالباب، فنفيت عن قلبي، فوقع لي ثانياً، وثالثاً، فخرجت فإذا بالجُنيد، فقال: لِمَ لم تخرج مع الخاطر الأوّل؟!

وقال مُحمَّد بنُ الحُسين البسطامي:

دخلت على أبي عُثمان المغربي، فقلت في نفسي: لعله يتشهى عليَّ شيئاً؟ فقال أبو عُثمان: لا يكفي الناس أنْ آخذ منهم حتى يريدوا مسألتي إياهم.

وقال بعض الفقراء:

كنت ببغداد، فوقع لي: أنَّ المرتعش يأتيني بخمسة عشر درهماً؛ لاشترى بها الركوة، والحبل، والنعل، وأدخل البادية:

قال: فدّق عليّ البابُ، ففتحت، فإذا أنا بالمرتعِش معه خُريقة. فقال: خذها. فقلت: يا سيدي، لا أريدها!! فقال: فلم تؤذينا؟! كمْ أردتَ؟ فقلت: خمسة عشر درهماً. فقال: هي خمسة عشرَ درهماً.

وقال بعضهم في قوله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢] أي: ميت الذهن فأحياه الله تعالى بنور الفراسة، وجعل له نور التجلي والمشاهدة، لا يكون كمن يمشي بين أهل الغفلة غافلاً.

وقيل: إذا صحتْ الفراسة ارتقى صاحبها إلى المشاهدة.

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السلمي يقول: سمعت مُحمَّد بن الحُسين البغدادي يقول: سمعت جَعفر بن مُحمَّد بن نُصير يقول: سمعت أبا العبَّاس بن مَسْروق يقول:

قدم علينا شيخ، فكان يتكلم علينا في هذا الشأن بكلام حسن، وكان عذب اللسان، جيد الخاطر، فقال لنا في بعض كلامه: كلّ ما وقع لكم في خاطركم فقولوه لي. فوقع في قلبي أنه يهوديّ، وكان الخاطر يقوى ولا يزول. فذكرت ذلك للجريري، فكبر عليه ذلك، فقلت: لا بدّ لي أنْ أخبر الرجل بذلك؛ فقلت له: تقول لنا ما وقع لكم في خاطركم فقولوه لي؛ إنه يقع: إنك يهوديّ!! فاطرق ساعة ثم رفع رأسه وقال: صدقت، أشهد أنَّ لا إله إلا الله، وأشهد أنَّ مُحمَّداً رسول الله. وقال: قد مارست جميع المذاهب وكنت أقول: إنْ كان مع قوم منهم شيء فمع هؤلاء؛ فداخلتكم لأختبركم، فأنتم على الحقّ. وحَسُن إسلامه.

ويحكى عن الجُنيد: أنه كان يقول له السريّ: تكلم على الناس.

فقال الجُنيد: وكان في قلبي حشمة من الكلام على الناس؛ فإني كنت أتهم نفسي في استحقاق ذلك.. فرأيت ليلة النبيّ ﷺ في المنام وكانت ليلة جمعة، فقال لي: «تكلم عليّ

الناس». فانتبهت. . وأتيت باب السريِّ قبل أنْ أصْبح؛ فدققت عليه الباب، فقال: لم تصدّقنا حتى قيل لك؟ فقعد للناس في الجامع بالغد، فانتشر في الناس أنَّ الجُنيد قعد يتكلم على الناس؛ فوقف عليه غلام نصراني متنكراً، وقال له: أيها الشيخ، ما معنى قول رسول الله ﷺ:

«اتقوا فراسة المؤمن؛ فإن المؤمن ينظر بنور الله تعالى».

«قال: فاطرق الجُنيد. . ثم رفع رأسه وقال:

اسلم؛ فقد حان وقت إسلامك. فأسلم الغلام.

باب الخُلُق (١)

قال الله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤].

أخبرنا عليّ بن أحمد الأهوازي قال: أخبرنا أبو الحسن الصفَّار البصري: قال: حدَّثنا هِشام بن مُحمَّد بن غالب قال: حدّثنا معلي بن مهدي قال: حدَّثنا بشَّار بن إبراهيم النميريّ، قال: حدّثنا غيلان بن جرير عن أنس قال:

««قيل يا رسول الله: أيُّ المؤمنين أفضل إيماناً؟ قال: أحسنهم خُلُقاً»»(٢).

إذا الخُلق الحسن أفضل مناقب العبد، وبه يظهر جواهر الرجال، والإنسان مستور بخَلْقه مشهودٌ بخُلُقه.

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقّاق، رحمه الله، يقول: إنَّ الله تعالى، خصَّ نبيه ﷺ بما خصّه به، ثم لم يُثن عليه بشيء من خصاله بمثل ما أثنى بخلقه؛ فقال عزّ من قائل:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾.

وقال الواسطيّ: وَصَفه بالخلق العظيم؛ لأنه جاد بالكونين، واكتفى بالله تعالى.

وقال الواسطيّ أيضاً: الخُلُق العظيم: أنْ لا يُخاصِم ولا يُخاصم، من شدَّة معرفته بالله تعالى.

وقال الحُسين بن مَنْصور: معناه:

لم يؤثر فيك جفاء الخلق بعد مطالعتك الحق. .

وقال أبو سعيد الخرَّاز: لم يكن لك همة غير الله تعالى.

---

(١) الخُلُق: لغوياً السجية والعادة والطبع والمروءة، و: حال للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال من خير أو شر من غير حاجة إلى فكر ورويّة (مج) (ج) أخلاق.

(٢) أخرجه أبو داود (سنة ١٤)، وأحمد بن حنبل ٢، ٢٥٠، ٤٧٢، ٥٢٧، ٥، ٨٩، ٩٩، ٦، ٤٧، ٩٩.

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السلميّ يقول: سمعت الحُسين بن أحمد بن جَعفر يقول: سمعت الكتانيّ يقول:

التصوّف خُلق، مَنْ زاد عليك بالخُلق، فقد زاد عليك في التصوّف.

ويروى عن ابن عُمر، رضي الله عنهما، أنه قال:

إذا سمعتموني أقول لمملوك: أخزاه الله فاشهدوا أنه حُرّ.

وقال الفُضيل:

لو أنَّ العبد أحسن الإحسان كله، وكانت له دجاجة فأساء إليها لم يكن من المحسنين.

وقيل: كان ابن عُمر، رضي الله عنهما، إذا رأى واحداً من عبيده يُحْسن الصلاة يعتقه. فعرفوا ذلك من خُلُقه، فكانوا يحسنون الصلاة مراءاة له، وكان يعتقهم، فقيل له في ذلك. فقال: من خَدَعنا في الله انخدعنا له.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين يقول: سمعت مُحمَّد بن عبد الله الرازيّ يقول: سمعت أبا مُحمَّد الجريريّ يقول: سمعت الجُنيد يقول: سمعت الحارث المحاسبيّ يقول: فقدنا ثلاثة أشياء؛ حسن الوجه مع الصيانة، وحسن القول مع الأمانة، وحسن الإخاء مع الوفاء.

وسمعته يقول: سمعت عبد الله بن مُحمَّد الرازي يقول:

الخلق: استصغار ما منك إليه واستعظام ما منه إليك.

وقيل للأحنف: ممن تعلمت الخلق؟ فقال: من قيس بن عاصم المنقريّ[1] قيل: وما بلغ من خُلقه؟ قال: بينا هو جالس في داره إذ جاءت خادم له بِسَفود[2] عليه شواء، فسقط من يدها، فوقع على ابن له، فمات، فدهِشت الجارية، فقال: لا رَوْعَة عليك، أنت حُرَّة لوجه الله تعالى.

وقال شاه الكرمانيّ:

علامة حُسن الخلق: كفُّ الأذى، واحتمال المؤن.

وقال رسول الله ﷺ: **«إنكم لا تسعون الناس بأموالكم ولكن ليسعهم منكم بسط الوجه وحُسْن الخلق»**[3].

وقيل لذي النُّون المصري: من أكثر الناس هماً؟ قال: أسوأهم خُلقاً.

وقال وَهْب: ما تخلق عبد بخلق أربعين صباحاً إلا جعله الله طبيعةً فيه.

---

(١) انظر وفيات الأعيان ١/ ١٨٣ ـ ١٨٤، ٢/ ٥٠١، ٣/ ١٢، ٦/ ٨٩.

(٢) السَّفُّود: حديدة دقيقة يُشك فيها اللحم ليشوىٰ (ج) سفافيد.

(٣) رواه أبو هريرة، وأخرجه البزار وأبو نعيم في الحلية، والحاكم، والبيهقي في الشعب.

وقال الحسن البصريّ في قول الله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر: ٤] أي: وخلقك فحسِّن.

وقيل: كان لبعض النسَّاك شاةً فرآها على ثلاثة قوائم، فقال: من فعل بها هذا؟ فقال غلام له: أنا. فقال: لِمَ؟ قال: لأغُمك بها!! فقال: لا، بل لأغمنَّ من أمرك بذلك. اذهب فأنت حرٌّ.

وقيل لإبراهيم بن أدهم: هل فرحتَ في الدنيا قط؟ فقال: نعم، مرتين إحداهما: كنت قاعداً ذات يوم فجاء إنسان وبال عليَّ؛ والثانية: كنت قاعداً فجاء إنسان وصفعني.

وقيل: كان أويس القرنيّ(١) إذا رآه الصبيان يرمونه بالحجارة، فيقول: إن كان ولا بُدَّ فارموني بالصِّغار: كيلا تدقوا ساقي فتمنعوني عن الصلاة.

وشتم رجل الأَحْنَف بن قَيس... وكان يتبعه.. فلما قرب من الحيّ وقف، وقال: يا فتى، إنْ بقي شيء فقله؛ كيلا يسمعك بعض سُفهاء الحيّ فيجيبوك.

وقيل لحاتم الأصم: أيحتمل الرجل من كلّ أحد؟ فقال: نعم، إلا من نفسه.

وروي أنَّ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، دعا غلاماً له، فلم يجبه، فدعاه ثانياً وثالثاً فلم يجبه، فقام إليه فرآه مضطجعاً، فقال: أما تسمع يا غلام؟ فقال: نعم. قال: فما حملك على ترك جوابي؟ فقال: أمِنتُ عقوبتك فتكاسلت. فقال: امض؛ فأنت حرّ لوجه الله تعالى.

وقيل: نزل مَعرُوف الكرخيّ الدجلة ليتوضأ، ووضع مصحفه وملحفته، فجاءت امرأة وحملتهما، فتبعها معروف، وقال: يا أختي، أنا معروف ولا بأس عليك، ألك ابن يقرأ؟ قالت: لا. قال: فزوج؟ قالت: لا، قال: فهاتي المصحف وخذي الثوب.

ودخل اللصوص مرَّة دار الشيخ أبي عبد الرَّحمن السلمي بـ «المكابرة»، وحملوا ما وجدوا، فسمعت بعض أصحابنا يقول: سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن يقول: اجتزت بالسوق، فوجدت جُبَّتي(٢) على منْ يزيد، فأعرضت، ولم ألتفت إليه.

سمعت الشيخ أبا حاتم السجستاني يقول: سمعت أبا نصر السرَّاج الطوسيّ يقول: سمعت الوجيهيّ يقول: قال الجريري: قدمت من مكة، حرسها الله تعالى، فبدأت بالجُنيد،

---

(١) أويس بن عامر بن جزء بن مالك القرني. من بني قرن بن ردمان بن ناجية بن مراد أحد النساك العباد المقدمين، من سادات التابعين، أصله من اليمن، يسكن القفار والرمال، وأدرك حياة النبي ﷺ، ولم يره، فوفد على عمر بن الخطاب ثم سكن الكوفة وشهد وقعة صفين مع عليّ كرم الله وجهه، ويرجح الكثيرون أنه قتل فيها. توفي سنة (٣٧ هـ). الأعلام ٢/ ٣٢، وشذرات الذهب ١/ ٤٦.

(٢) الجُبَّة: ثوب طويل واسع الكمين، مشقوق المقدَّم، يُلبس فوق الثياب.

لكيلا يتعنى إليّ، فسلّمت عليه، ثم مضيت إلى المنزل فلما صليت الصبح في المسجد إذا أنا به خلفي في الصفّ، فقلت: إنما جئتك أمس لئلا تتعنى، فقال: ذاك فضلك، وهذا حقك.

وسُئل أبو حَفص عن الخلُق. فقال: هو ما اختار الله ـ عزَّ وجلّ ـ لنبيه ﷺ في قوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ..﴾ [الأعراف: ١٩٩] الآية.

وقيل: الخلق: أنْ تكون من الناس قريباً، وفيما بينهم غريباً.

وقيل: الخلق قبول ما يردُ عليك من جفاء الخلق، وقضاء الحق بلا ضجر ولا قلق.

وقيل: كان أبو ذرّ على حوض يسقي إبلاً له، فأسرع بعض الناس إليه، فانكسر الحوض، فجلس، ثم اضطجع، فقيل له في ذلك فقال: إنَّ رسول الله ﷺ أمرنا إذا غضب الرجل أنْ يجلس فإنْ ذهب عنه. وإلا فليضطجع.

وقيل: مكتوب في الإنجيل: عبدي.. اذكرنيَ حين تغضب أذكرك حين أغضب.

وقالت امرأة لمالك بن دينار: يا مرائي!! فقال: يا هذه، وجدت اسمي الذي أضله أهل البصرة.

وقال لقمان لابنه: لا تُعرف ثلاثة إلا عند ثلاثة: الحليم عند الغضب والشجاع عند الحرب، والأخ عند الحاجة إليه.

وقال موسى، عليه السلام: إلهي، أسألك أنْ لا يُقال ما ليس فيَّ؛ فأوحى الله سُبحانه إليه: ما فعلت ذلك لنفسي، فكيف أفعله لك؟

وقيل ليحيى بن زياد الحارثي[1]، وكان له غلام سوء: لِمَ تمسك هذا الغلام؟ فقال: لأتعلم عليه الحلم.

وقيل في قوله تعالى: ﴿وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠]: الظاهرة: تسوية الخلق، والباطنة: تصفية الخُلُق.

وقال الفُضيل: لأنْ يصحبني فاجر حسن الخلق أحبّ إليّ من أنْ يصحبني عابد سيء الخُلق.

وقيل: الخلق الحسن احتمال المكروه بحسن المداراة.

وحكي أنَّ إبراهيم بن أدهم خرج إلى بعض البراري فاستقبله جندي فقال: أين العمران؟ فأشار إلى المقبرة، فضرب رأسه وأوضحه، فلما جاوزه، قيل له: إنه إبراهيم بن

---

(١) يحيى بن زياد بن عبيد الله الحارثي، أبو الفضل شاعر ماجن يرمى بالزندقة من أهل الكوفة، أقام ببغداد مدة ولم يحمد زمانه فيها فخرج عنها، له في السفاح والمهدي العباسيين مدائح وهو ابن خال السفاح. توفي سنة (١٦٠ هـ). الأعلام ٨/ ١٤٥، ووفيات الأعيان ٣/ ٤٦٩.

أدهم زاهد «خُراسان» فجاءه يتعذر إليه، فقال: إنك لما ضربتني سألت الله تعالى لك الجنة. فقال: لم؟ فقال: علمت أني أؤجر عليه، فلم أرد أنْ يكون نصيبي منك الخير، ونصيبك مني الشر.

وحكي أنَّ أبا عُثمان الحيريّ دعاه إنسان إلى ضيافة، فلما وافى باب داره قال: يا أستاذ، ليس الآن وقت دخولك، وقد ندمت، فانصرف، فرجع أبو عُثمان، فلما وافى منزله عاد إليه الرجل، وقال: يا أستاذ، ندمت!! وأخذ يتعذر إليه، وقال: احضر الساعة.. فقام أبو عُثمان ومضى، فلما وافى باب داره قال: مثل ما قال في الأولى، ثم كذلك فعل في الثالثة والرابعة، وأبو عُثمان ينصرف ويحضر، فلما كان بعد مرّات قال: يا أستاذ، أردت اختبارك، وأخذ يعتذر ويمدحه، فقال أبو عُثمان:

لا تمدحني على خُلق تجد مثله مع الكلاب: الكلب إذا دُعي حضر، وإذا زُجر انزجر.

وقيل: إن أبا عُثمان اجتاز بسكة وقت الهاجرة، فألقي عليه من سطح طشت رماد، فتغير أصحابه، وبسطوا ألسنتهم في الملقى، فقال أبو عُثمان:

لا تقولوا شيئاً، من استحق أنْ يصبّ عليه النار، فصولح على الرماد لم يجز له أنْ يغضب.

وقيل: نزل بعض الفقراء على جَعفر بن حَنْظلة، فكان جَعفر يخدمه جداً، والفقير يقول: نعم الرجل أنت لو لم تكن يهودياً!! فقال جعفر: عقيدتي. لا تقدح فيما تحتاج إليه من الخدمة؛ فسل لنفسك الشفاء ولي الهداية.

وقيل: كان لعبد الله الخياط حَرِّيف[1] مجوسيّ، يخيط له ثياباً، ويدفع إليه دراهم زيوفاً، وكان عبد الله يأخذها.. فاتفق أنه قام من حانوته يوماً لشغل، فجاء بالدراهم الزيوف، فدفعها إلى تلميذه، فلم يقبلها، فدفع إليه الصحاح، فلما رجع عبد الله قال لتلميذه:

أين قميص المجوسيّ؟

فذكر له القصة.. فقال: بئسما عملت؟ إنه منذ مدّة يعاملني بمثلها، وأنا أصبر عليه، وألقيها في بئر، لئلا يَغُرّ بها غيري.

وقيل: الخلق السيء يضيق قلب صاحبه؛ لأنه لا يسع فيه غير مراده، كالمكان الضيق لا يسع فيه غير صاحبه.

وقيل: حسن الخلق: أنْ لا تتغير ممن يقف في الصفّ بجنبك.

وقيل: من سوء خلقك: وقوع بصرك على سوء خلق غيرك.

---

(١) الحَرِيف: الزميل في الحرفة. والحِرِّيف: اللاذع للفم واللسان بحرافته.

وسُئل رسول الله، ﷺ، عن الشؤم، فقال:

«سوء الخلق»[1].

أخبرنا أبو الحَسن عليُّ بن أحمد الأهوازي، قال: حدّثنا أبو الحسن الصفَّار البصريّ قال: حدّثنا مُعاذ بن المثنى قال: حدَّثنا يَحيى بن معنى قال: حدّثنا مروان الفزاري[2] قال: حدّثنا يزيد بن كيسان، عن أبي حازم، عن أبي هُريرة، رضي الله عنه، قال:

قيل: يا رسول الله، ادع الله تعالى على المشركين.

فقال: ««**إنما بعثت رحمة، ولم أبعث عذاباً**»»[3].

باب الجود والسخاء[4]

قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[5] [الحشر: ٩].

أخبرنا عليُّ بن أحمد بن عبدان قال: أخبرنا أحمد بن عُبيد قال: حدّثنا الحسن بن العبَّاس قال: حدّثنا سهل قال: حدّثنا سعيد بن مُسلم، عن يحيى بن سعيد، عن مُحمَّد بن إبراهيم، عن علقمة، عن عائشة، رضي الله عنهما، قالت: قال رسول الله ﷺ:

««**السخيّ: قريب من الله تعالى، قريبٌ من الناس. قريب من الجنة**»». **بعيد من النار.**

والبخيل: بعيد من الله تعالى، بعيد من الناس، بعيد من الجنة، قريب من النار.

والجاهل السخيّ أحبّ إلى الله تعالى من العابد البخيل»»[6].

قال الأستاذ: ولا فرق ـ على لسان القوم ـ بين الجود والسخاء، ولا يوصف الحق، سُبحانه، بالسخاء والسماحة؛ لعدم التوقيف.

وحقيقة الجود: أنْ لا يصعب عليه البذل.

---

(١) أخرجه أبو داود (أدب ١٢٤)، وأحمد بن حنبل ٣، ٥٠٢، ٦، ٨٥.

(٢) مروان بن معاوية الفزاري الكوفي أبو عبد الله الحافظ نزيل دمشق وابن عم أبي إسحاق، روى عن حميد الطويل وطبقته، ثبت، ثقة، حجة. لكنه يكتب عمن دب ودرج فينظر في شيوخه. توفي في ذي الحجة سنة ثلاث وتسعين ومائة. شذرات الذهب ١/ ٣٣٣.

(٣) أخرجه مسلم (برّ ٨٧)، وأبو داود (سنة ١٠)، وأحمد بن حنبل (٥، ٢٥٠، ٢٥٣، ٢٥٧، ٢٦٥، ٢٦٨، ٤٣٧).

(٤) الجود والسخاء: لغوياً الجود: صفة تحمل صاحبها على بذل ما ينبغي من الخير لغير عوض. والسخاء: الجود والكرم.

(٥) الخصاصة: الحاجة الشديدة.

(٦) أخرجه الترمذي (برّ ٤٠).

وعند القوم، السَّخاء: هو الرتبة الأولى، ثم الجود بعده، ثم الإيثار؛ فمن أعطى البعض وأبقى البعض فهو صاحب سخاء، ومن بذل الأكثر، وأبقى لنفسه شيئاً، فهو صاحب جود، والذي قاسى الضرر وآثر غيره بالبُلغة[1] فهو صاحب إيثار، كذلك سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقّاق، رحمه الله، يقول: قال أسماء بن خارجة[2]: ما أحبّ أنْ أرد أحداً عن حاجة طلبها مني؛ لأنه إنْ كان كريماً أصونُ عرضه، وإن كان لئيماً أصون عنه عرضي.

وقيل: كان مورّق العجلي[3] يتلطف في إدخال الرفق على إخوانه؛ يضع عندهم ألف درهم، فيقول: أمسكوها عندكم حتى أعود إليكم. ثم يرسل إليهم: أنتم منها في حِلّ.

وقيل: لقي رجل من أهل «منبج»[4] رجلاً من أهل المدينة، فقال: ممن الرجل؟ فقال: من أهل المدينة، فقال له: لقد أتانا رجل منكم يُقال له: «الحكم بن عبد المطلب» فأغنانا. فقال له المدني: وكيف؟ وما أتاكم إلا في جبة صوف! فقال: ما أغنانا بمال، ولكنه علمنا الكرم. فعاد بعضنا على بعض حتى استغنينا.

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقّاق يقول: لمّا سعى غلام الخليل بالصوفية إلى الخليفة أمر بضرب أعناقهم؛ فأما الجُنيد فإنه تستر بالفقه، وكان يفتي على مذهب «أبي ثور»، وأما الشحّام، والرقام، والنوري، وجماعة، فقبض عليهم؛ فبسط النِّطع[5] لضرب أعناقهم.. فتقدم النوري فقال له السّياف: تدري إلى ماذا تُبادر؟ فقال: نعم، فقال: وما يعجلك؟

فقال: أوثر عليَّ أصحابي بحياة ساعة.

فتحير السيَّاف، وأنهى الخبر إلى الخليفة، فردّهم إلى القاضي؛ ليتعرّف حالهم؛ فألقى القاضي على أبي الحُسين النوري مسائل فقهية، فأجابه الكلّ، ثم أخذ يقول:

وبعد، فإنَّ لله عباداً إذا قاموا قاموا بالله، وإذا نطقوا نطقوا بالله، وسرد ألفاظاً أبكى بها القاضي فأرسل إلى الخليفة، وقال: إنْ كان هؤلاء زنادقة، فما على وجه الأرض مسلم.

وقيل: كان عليّ بن الفُضيل يشتري من باعة المحلّة؛ فقيل له: لو دخلت السوق فاسترخصت.

---

(١) البُلغة: الكفاية وما تصل به إلى المراد من غير زيادة.

(٢) أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة الفزاري، تابعي من رجال الطبقة الأولى، من أهل الكوفة (بالعراق)، كان سيد قومه، جواداً مقدماً عند الخلفاء. توفي سنة (٦٦ هـ ـ ٦٨٦ م). الأعلام ١/ ٣٠٥، وتاريخ الإسلام ٢/ ٣٧٢.

(٣) انظر شذرات الذهب ١/ ١٢٢.

(٤) منبج: مدينة كبيرة واسعة ذات خيرات كثيرة بينها وبين الفرات ثلاثة فراسخ، وبينها وبين حلب عشرة فراسخ. معجم البلدان ٥/ ٢٠٥ ـ ٢٠٦.

(٥) النِّطع: بساط من جلد، كثيراً ما كان يُقتل فوقه المحكوم عليه بالقتل (ج) أنطاع ونطوع.

فقال: هؤلاء نزلوا بقربنا وجاء منفعتنا.

وقيل: بعث رجل إلى «جبلة»[1] بجارية، وكان بين أصحابه، فقال: قبيح أن أتخذها لنفسي وأنتم حضور؛ وأكره أنْ أخصّ بها واحداً، وكلكم له حق وحرمة. وهذه لا تحتمل القسمة، وكانوا ثمانين؛ فأمر لكل واحد بجارية أو وصيف.

وقيل: عطش عُبيد الله بن أبي بكرة[2] يوماً في طريقه، فاستسقى من منزل امرأة، فأخرجت له كوزاً، وقامت خلف الباب، وقالت: تنحوا عن الباب، وليأخذه بعض غلمانكم، فإني امرأة من العرب: مات خادمي منذ أيام، فشرب عُبيد الله الماء، وقال لغلامه: احمل إليها عشرة آلاف درهم. فقالت: سُبحان الله تسخر بي؟ فقال: احمل إليها عشرين ألف درهم. فقالت: اسأل الله تعالى العافية. فقال: يا غلام احمل إليها ثلاثين ألف درهم، فردّت الباب وقالت: أف لك. فحمل إليها ثلاثين ألف درهم، فأخذتها فما أمست حتى كثر خطابها.

وقيل: الجود: إجابة الخاطر الأوّل:

سمعت بعض أصحاب أبي الحسن البوشنجيّ، رحمه الله يقول: كان أبو الحسن البوشنجي في الخلاء، فدعا تلميذاً له، وقال له: انزع عني هذا القميص، وادفعه إلى فلان؛ فقيل له: هلاَ صبرت حتى تخرج من الخلاء؟ فقال: لم آمن على نفسي أنْ يتغير عليّ ما وقع لي من التخلف منه بذلك القميص.

وقيل لقيس بن سعد بن عُبادة[3]: هل رأيت أحداً أسخى منك؟ فقال له: نعم؛ نزلنا بالبادية على امرأة، فحضر زوجها، فقالت له: إنه نزل بك ضيفان، فجاء بناقة ونحرها، وقال: شأنكم بها. .

فلما كان بالغد جاء بأخرى ونحرها، وقال: شأنكم بها، فقلنا: ما أكلنا من التي نحرت لنا البارحة إلا اليسير. .

---

(١) جبلة بن سحيم الكوفي، روى عن ابن عمر ومعاوية، وتوفي سنة ست وعشرين ومائة. شذرات الذهب ١/١٦٩.

(٢) عبيد الله بن أبي بكرة الثقفي، أبو حاتم، أول من قرأ القرآن بالألحان، تابعي ثقة من أهل البصرة، كان أمير سجستان وعزل عنها، ثم وليها في إمرة الحجاج، وولي قضاء البصرة، وكان أسود اللون اشتهر بأخبار من الجود تشبه الخيال، ولد سنة (١٤ هـ)، وتوفي سنة (٧٩ هـ). الأعلام ٤/ ١٩١.

(٣) قيس بن سعد بن عبادة بن دليم الأنصاري الخزرجي المدني، والٍ، صحابي من دهاة العرب ذوي الرأي والمكيدة في الحرب، والنجدة، وأحد الأجواد المشهورين، كان من سادات قومه وكان يحمل راية الأنصار مع النبي ﷺ، ويلي أموره، وصحب علياً في خلافته فاستعمله على مصر سنة ٣٦ ـ ٣٧، توفي سنة (٦٠ هـ). الأعلام ٥/ ٢٠٦، وشذرات الذهب ١/ ٥٢.

فقال: إني لا أطعم أضيافي الغابّ[1]. فبقينا عنده يومين أو ثلاثة، والسماء تمطر، وهو يفعل كذلك..

فلما أردنا الرحيل وضعنا له مائة دينار في بيته، وقلنا للمرأة: اعتذري لنا إليه.. ومضينا، فلما مَتَع[2] النهار إذا نحن برجل يصيح خلفنا: قفوا أيها الركب اللئام: أعطيتموني ثمن قراي[3]... ثم إنه لحقنا وقال: لتأخذنَّه، وإلا طعنتكم برمحي هذا. فأخذناه وانصرف، فأنشأ يقول:

وإذا أخذت ثوابَ ما أعطيته فكفى بذاك لنائلٍ تكديرا

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السلميّ، رحمه الله يقول: دخل أبو عبد الله الروزباري دار بعض أصحابه، فوجده غائباً، وباب بيتٍ له مُقفل، فقال: صوفيٌّ وله باب بيت مقفل!! اكسروا القفل، فكسروا القفل وأمر بجميع ما وجد في الدار والبيت، وأنفذه إلى السوق، وباعوه، وأصلحوا وقتاً من الثمن، وقعدوا في الدار.. فدخل صاحب المنزل ولم يمكنه أنْ يقول شيئاً.

فدخلت امرأته بعدهم الدار، وعليها كساء، فدخلت بيتاً، ورمت الكساء، وقالت: يا أصحابنا، هذا أيضاً من جملة المتاع فبيعوه. فقال الزوج لها: لِمَ تكلفت هذا باختيارك؟

فقالت له: اسكت، مثل هذا الشيخ يباسطنا، ويحكم علينا، ويبقي لنا شيء ندخره عنه؟

وقال بِشْر بن الحارث: النظر إلى البخيل يقسِّي القلب.

وقيل: مرض قيس بن سعد بن عُبادة، فاستبطأ إخوانه. فسأل عنهم، فقيل له: إنهم يستحيون ممَّا لك عليهم من الدَّين؛ فقال: أخزى الله ما لا يمنع الإخوان من الزيارة!! ثم أمر من ينادي مَن كان لقيس عليه دين فهو منه في حلّ، فكسرت عتبته بالعشي، لكثرة من عاده.

وقيل لعبد الله بن جَعفر: إنك تبذل الكثير إذا سُئلت، وتضنُّ في القليل إذا نُوجزتَ.

فقال: إني أبذل ما لي وأضِنُّ بعقلي.

وقيل: خرج عبد الله بن جعفر إلى ضيعة له.. فنزل على نخيل قوم، وفيها غلام أسود يعمل فيها؛ إذ أتى الغلام بقوته، فدخل كلب الحائط ودنا من الغلام، فرمى إليه الغلام بقرص، فأكله، ثم رمى إليه بالثاني، والثالث، فأكله، وعبد الله بن جَعفر ينظر إليه فقال له: يا غلام، كم قُوتك كلَّ يوم؟ قال: ما رأيت. قال: فلِم آثرت هذا الكلب؟

---

(١) الغابّ: الشيء البائت.

(٢) متع النهار: ارتفع، أو بلغ غاية ارتفاعه.

(٣) القِرى: ما يقدَّم إلى الضيف.

قال: ما هي بأرض كلاب. إنه جاء من مسافة بعيدة جائعاً، فكرهت رده.

قال: فما أنت صانع اليوم؟ قال له: اطوي يومي هذا. فقال عبد الله بن جعفر: أألام على السخاء؟! إنَّ هذا الأسخى مني، فاشترى الحائط والغلام وما فيها من آلات، فأعتق الغلام ووهبها له.

وقيل: أتى رجلٌ صديقاً له، ودقّ عليه الباب، فلما خرج إليه قال: لماذا جئتني؟

قال الأربعمائة درهم دين ركبتني، فدخل الدار، ووزن له أربعمائة درهم وأخرجها إليه، ودخل الدار باكياً، فقالت له امرأته: هلاّ تعللت حين شقَّ عليك الإجابة؟!

فقال: إنما أبكى لأني لم أتفقد حاله حتى أحتاج إلى مفاتحتي به.

وقال مطرف بن الشخير[1]: إذا أراد أحدكم مني حاجة فليرقها في رقعة؟ فإني أكره أنْ أرى في وجهه ذلّ الحاجة.

وقيل: أراد رجل أنْ يضارَّ عبد الله بن العبَّاس، فأتى وجوه البلد وقال لهم: يقول لكم ابن العبَّاس تغدُّوا عندي اليوم. فأتوه فملؤوا الدار، فقال: ما هذا؟ فأخبر الخبر فأمر بشراء الفواكه في الوقت، وأمر بالخبز، والطبخ، وأصلح أمراً، فلما فرغوا قال لوكلائه:

أموجود لنا كل هذا؟ فقالوا: نعم. فقال: فليتغد هؤلاء كلهم عندنا كلَّ يوم.

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السلميّ، رحمه الله، يقول: كان الأستاذ أبو سهل الصعلوكيّ يتوضأ يوماً في صحن داره، فدخل إليه إنسان وسأله شيئاً من الدنيا، ولم يحضره شيء. فقال: اصبر حتى أفرغ.

فصبر. فلما فرغ قال له: خذ القمقمة[1] واخرج. فأخذها، وخرج، ثم صبر حتى علم أنه بعُد، فصاح وقال: دخل إنسان وأخذ القمقمة. فمشوا خلفه، فلم يدركوه.

وإنما فعل ذلك: لأنَّ أهل المنزل كانوا يلومونه على كثرة البذل.

وسمعته يقول: وَهَبَ الأستاذ أبو سهل جبّته من إنسان في الشتاء، وكان يلبس جبّة النساء حين يخرج إلى التدريس، إذ لم تكن له جبة أخرى، فقدم الوفد المعروفون من فارس، فيهم من كلّ نوع: إمام من الفقهاء، والمتكلمين، والنحويين، فأرسل إليه صاحب الجيش أبو الحسن وأمره بأن يركب للإستقبال فلبس دُراعة[2] فوق تلك الجبة التي للنساء،

---

(١) مطرف بن عبد الله بن الشخير الحرشي العامري، أبو عبد الله زاهد من كبار التابعين. له كلمات في الحكمة مأثورة وأخبار، ثقة في ما رواه من الحديث. ولد في حياة النبي ﷺ ثم كانت إقامته ووفاته في البصرة سنة (٨٧ هـ) وقيل: سنة (٩٥ هـ). الأعلام ٧/ ٢٥٠، ووفيات الأعيان ٥/ ٢١١، وشذرات الذهب ١/ ١١٠.

(٢) القمقم: إناء من نحاس أو فضة، أو خزف صيني، يُجعل فيه ماء الزهر أو الورد (مع).

(٣) الدُّرَّاعة: جُبّة من الصوف مشقوقة المقدمة.

وركب، فقال صاحب الجيش: إنه يستخفُّ بي أمام البلد؛ يركب في جبة النساء..!! ثم إنه ناظرهم أجمعين فظهر كلامه على كلام جميعهم في كل فنّ.

وسمعته يقول: لم يناول الأستاذ أبو سهل أحداً شيئاً بيده، وكان يطرحه على الأرض ليأخذه الآخذ من الأرض، وكان يقول: الدنيا أقل خطراً من أنْ أرى لأجلها يدي فوق يد أحد.

وقد قال ﷺ: «اليد العليا خيرٌ من اليد السفلى»(١).

وقيل: كان أبو مرثد، رحمه الله، أحد الكرام، فمدحه بعض الشعراء، فقال: ما عندي ما أعطيك، ولكن قدمني إلى القاضي، وادَّع عليّ عشرة آلاف درهم، حتى أقرّ لك بها، ثم أحبسني، فإنَّ أهلي لا يتركوني مسجوناً. ففعل ذلك، فلم يُمس حتى دُفع إليه عشرة آلاف درهم، وخرج من السجن.

وقيل: سأل رجل الحَسن بن عليّ بن أبي طالب، رضي الله عنه، شيئاً فأعطاه خمسين ألف درهم وخمسمائة دينار، وقال: ائت بحمّال يحمله لك، فأتى [ش [ش ٤/ ٣٠٠]٤/ ٣٠٠]بحمّال فأعطاه «طيلسانه»(٢) وقال: يكون كِراءُ الحمّال من قِبلي.

وسألت امرأةٌ الليثَ بن سعد «سكرجة»(٣) عسل، فأمر لها بزقٍ(٤) من عسل فقيل له في ذلك، فقال: إنها سألت على قدر حاجتها، ونحن نعطيها على قدر نعمنا.

وقال بعضهم: صليت في مسجد الأشعث بالكوفة الصبح أطلب غريماً(٥) لي، فلما سلمت وُضِع بين يدي كلِّ واحد حُلة ونعلين وكذلك وُضع بين يديّ، فقلت: ما هذا؟

فقالوا: إنَّ الأشعث قدم من مكة، فأمر بهذا لأهل جماعة مسجده.

فقلت: إنما جئت أطلب غريماً لي، ولست من جماعته.

فقالوا: هو لكلِّ من حضر.

---

(١) أخرجه البخاري (وصايا ٩)، (رقاق ١١)، (زكاة ١٨)، (نفقات ٢)، ومسلم (زكاة ٤، ٩٧، ١٠٦)، وأبو داود (زكاة ٢٨)، والترمذي (زكاة ٣٨)، (زهد ٣٢)، (قيامة ٢٩)، والنسائي (زكاة ٥٠، ٥٢، ٥٣، ٦٠، ٩٣)، والدارمي (زكاة ٢٢)، والموطأ (صدقة ٨) وأحمد بن حنبل ٢، ٢٧، ٩٨، ١٢٢، ١٥٢، ٢٣٠، ٢٧٨، ٢٤٣، ٢٨٨، ٣١٩، ٣٦٢، ٣٩٤، ٤٣٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٨٠، ٥٠١، ٥٢٤، ٥٢٧، ٣، ٣٣٠، ٣٤٦، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٣٤، ٥، ٢٦٢.

(٢) الطيلسان: كساء أخضر يلبسه الخواص من العلماء والمشايخ، وهو من لباس العجم (ج) طيالس، وطيالسة (مع) فارسي.

(٣) سكرجة: الصحفة التي يوضع فيها الطعام (مع) فارسية.

(٤) الزِّق: وعاء من جلد يُتخذ للماء أو الشراب (ج) أزقاق، وزقاق.

(٥) الغريم: الخصم أو الدائن أو المديون (ج) غُرماء.

وقيل: لمّا قربت وفاة الشافعيّ، رضي الله تعالى عنه، قال: مُروا فلاناً يغسِّلني.

وكان الرجل غائباً.. فلما قدم أخبر بذلك، فدعا بتذكرته، فوجد عليه سبعين ألف درهم ديناً، فقضاها وقال: هذا غسلي إياه.

وقيل: لما قدم الشافعي من «صنعاء»[1] إلىٰ مكة كان معه عشرة آلاف دينار، فقيل له: تشتري بها «قينة»[2] فضرب خيمته خارج مكة، وصبَّ الدنانير، فكلّ من دخل عليه كان يعطيه قبضة قبضة، فلما جاء وقت الظهر قام ونفض الثوب ولم يبق شيء.

وقيل: خرج السريّ يوم عيد، فاستقبله رجل كبير الشأن، فسلم السريّ عليه سلاماً ناقصاً. فقيل له: هذا رجل كبير الشأن. فقال: قد عرفته، ولكن روى مسنداً: أنه إذا التقى المسلمان قُسمت بينهما مائة رحمة: تسعون لأبشهما، فأردت أن يكون معه الأكثر.

وقيل: بكى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه يوماً، فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: لم يأتني ضيف منذ سبعة أيام، وأخاف أنْ يكون الله تعالى قد أهانني.

وروي عن أنس بن مالك، رضي الله عنه، أنه قال: زكاةُ الدّار أنْ يتخذ فيها بيت للضيافة.

وقيل في قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ..﴾ [الذاريات: ٢٤] قيل: قيامه عليهم بنفسه، وقيل: لأنَّ ضيف الكريم كريم.

وقال إبراهيم بن الجُنيد: كان يقال: أربعة لا ينبغي للشريف أنْ يأنف منهن، وإنْ كان أميراً: قيامه من مجلسه لأبيه، وخدمته لضيفه، وخدمته لعالم يتعلم منه، والسؤال عما لم يعلم.

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾ [النور: ٦١]: إنهم كانوا يتحرّجون في أنْ يأكل أحدهم وحده؛ فرخص لهم في ذلك.

وقيل: أضاف «عبد الله بن عامر بن كُريز»[1] رجلاً، فأحسن قراه، فلما أراد الرجل أنْ يرتحل عنه لم يُعنه غلمانه، فقيل له في ذلك. فقال عبد الله: إنهم لا يعينون من يرتحل عنا.

---

(١) صنعاء: قصبة اليمن وأحسن بلادها. معجم البلدان ٣/ ٤٢٥ ـ ٤٢٦.

(٢) القينة: الأَمَةُ، وغلب على المغنية (ج) قيان.

(٣) عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة الأموي، أبو عبد الرحمن أمير فاتح، ولد بمكة سنة (٤ هـ) وولي البصرة وافتتح سجستان صلحاً، وافتتح الداور وهاجم مرو الروذ فافتتحها وفتح أبرشهر وغيرها، وشهد وقعة الجمل، كان شجاعاً سخياً وصولاً لقومه رحيماً محباً للعمران. توفي سنة (٥٩ هـ). الأعلام ٤/ ٩٤، وشذرات الذهب ١/ ٦٥.

أنشد عبد الله بن باكوية الصوفيّ قال: أنشدنا المتنبي[1] في معناه:

إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا   أنْ لا تفارقهم فالراحلون همُ

وقال عبد الله بن المبارك: سخاء النفس عمّا في أيدي الناس أفضل من سخاء النفس بالبذل.

وقال بعضهم: دخلت على بِشْر بن الحارث في يوم شديد البرد وقد تعرى من الثياب وهو ينتفض، فقلت: يا أبا نَصْر، الناس يزيدون في الثياب في مثل هذا اليوم وأنت قد نقصت؟!!

فقال: ذكرت الفقراء وما هم فيه، ولم يكن لي ما أواسيهم به، فأردت أنْ أرافقهم بنفسي في مُقاساة البرد.

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السلميّ رحمه الله يقول: سمعت أبا بكر الرازيّ يقول: سمعت الدقَّاق يقول: ليس السخاء أنْ يُعطي الواجدُ المعدَم، إنما السخاء أنْ يُعطي المعدمُ الواجدَ.

باب الغيرة[2]

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

أخبرنا أبو بكر مُحمَّد بن أحمد بن عَبدوس المزكي قال: أخبرنا أبو أحمد حمزة بن العباس البزَّاز ببغداد قال: حدّثنا مُحمَّد بن حَرب قال: حدّثنا عبد الله بن مُسلم، قال: حدّثنا مُحمَّد بن الفُرات، عن إبراهيم الهجري، عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما أحدٌ أغير من الله تعالى، ومن غيرته حرَّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن»**[3].

أخبرنا عليّ بن أحمد الأهوازي قال: أخبرنا أحمد بن عُبيد الصفَّار، قال: حدّثنا عليّ بن الحسن بن بنان قال: حدّثنا عبد الله بن رَجاء قال: أخبرنا حَرب بن شَدَّاد قال: حدثنا يَحيى بن أبي كثير[4]، عن أبي سلمة: أنَّ أبا هُريرة، رضي الله عنه، حدَّثهم أنَّ رسول

(١) انظر ترجمته في الأعلام ١/ ١١٥، وفي وفيات الأعيان ١/ ١٢٠.

(٢) الغيرة لغوياً: الحمية والأنفة.

(٣) أخرجه البخاري (كسوف ٢)، (توحيد ١٥، ٢٠)، (نكاح ١٠٧)، (تفسير سورة ٦، ٧، ١٠٧)، ومسلم (توبة ٣٢، ٣٣، ٣٥، ٣٦)، (كسوف ١)، والترمذي (دعوات ٩٥) والنسائي (كسوف ١١)، والدارمي (نكاح ٣٧)، والموطأ (كسوف ١)، وأحمد بن حنبل ١، ٣٨١، ٤٢٦، ٤٣٦، ٦، ١٦٤، ٣٤٨، ٣٥٢.

(٤) يحيى بن أبي كثير، كان أحد العلماء الأعلام الأثبات في الحديث، له حديث في صحيح مسلم عن أبي أمامة وآخر في سنن النسائي عن أنس. توفي سنة تسع وعشرين ومائة. شذرات الذهب ١/ ١٧٦.

الله ﷺ قال: «"إنَّ الله يغار، وإنَّ المؤمن يغار، وغيرة الله تعالى: أنْ يأتي العبد المؤمن ما حرَّم الله عليه"»[1].

والغيرة: كراهية مشاركة الغير، وإذا وُصف الله سُبحانه بالغيرة، فمعناه: أنه لا يرضى بمشاركة الغير معه فيما هو حق له تعالى من طاعة عبده له.

حكي عن السريّ السقطي: أنه قرىء بين يديه: ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾ [الإسراء: ٤٥]. فقال السريّ لأصحابه: أتدرون ما هذا الحجاب؟! هذا حجاب الغيرة، ولا أحد أغيرُ من الله تعالى.

ومعنى قوله: «هذا حجاب الغيْرة» يعني: أنه لم يجعل الكافرين أهلاً لمعرفة صدق الدين.

وكان الأستاذ أبو عليّ الدقَّاق، رحمه الله: يقول: إنَّ أصحاب الكسل عن عبادته تعالى هم الذين ربط الحق بأقدامهم مثقلة الخذلان[2]. فاختار لهم البعد عنه، وأخرَهم عن محل القرب؛ لذلك تأخروا:

وأنشدوا:

أنــا صـبٌ لمــن هَــويــتُ ولكــن ... مــا احتيــالــي لســوء رأي المــوالــي

وفي معناه أيضاً قالوا: سقيم ليس يُعادُ ومريد ولا يُرَاد.

سمعت الأستاذ أبا عليّ، رحمه الله يقول: سمعت العبَّاس الزوزنيّ يقول: كان لي بداية حسنة... وكنت أعرف كم بقي بيني وبين الوصول إلى مقصودي من الظفر بمرادي، فرأيت ليلة من الليالي في المنام: كأني أتدهده[3] من حالق[4] جبل، فأردت الوصول إلى ذروته[5] قال: فحزنت، فأخذني النوم فرأيت قائلاً يقول: يا عبَّاس، الحقّ لم يُرد منك أنْ تصل إلى ما كنت تطلب، ولكنه فتح على لسانك الحكمة، قال: فأصبحت وقد ألهمت كلمات الحكمة.

وسمعت الأستاذ أبا عليّ، رحمه الله، يقول: كان شيخ من الشيوخ له حال ووقت مع الله، فخفي مدَّة لم يُر بين الفقراء، ثم إنه ظهر بعد ذلك لا على ما كان عليه من الوقت. فسُئل عنه فقال: آه. وقع حجاب.

---

(١) أخرجه البخاري (نكاح ١٠٧)، ومسلم (توبة ٣٦)، والترمذي (رضاع ١٤)، وأحمد بن حنبل ٢، ٣٤٣، ٥٢٠، ٥٣٢، ٥٣٩.

(٢) الخذلان: ترك المعونة والخزي والخيبة.

(٣) دهده: دحرج.

(٤) الحالِق: الجبل المرتفع.

(٥) الذروة من الشيء: أعلاه.

وكان الأستاذ أبو عليّ، رحمه الله تعالى، إذا وقع شيء في خلال المجلس يشوش قلوب الحاضرين يقول: هذا من غيرة الحقّ سُبحانه، يريد أنْ لا يجري عليهم ما يجري من صفاء هذا الوقت.

وأنشدوا في معناه:

همــتْ بــإتيــاننــا حتــى إذا نظــرَتْ إلـى المـرآة نهـاهـا وجههـا الحسـنُ

وقيل لبعضهم: تريد أنْ تراه؟ فقال: لا، فقيل: لِمَ؟

فقال: أنزه ذلك الجمال عن نظر مثلي.

وفي معناه أنشدوا:

إنــي لأحْسُــد نــاظــرَّي عليكمــا حتــى أغــضُّ إذا نظــرتُ إليكــا
وأراك تخطــرُ فــي شمــائلــك التــي هــي فتنتــي فــأغــارُ منــك عليكــا

وسُئل الشبليّ: متى تستريح؟ فقال: إذا لم أر له ذاكراً.

سمعت الأستاذ أبا عليّ، رحمه الله يقول في قول النبيّ ﷺ في مبايعته فرساً من أعرابيّ، وأنه استقاله فأقاله، فقال الأعرابيّ: عمرُك الله تعالى، ممن أنت؟

فقال له النبي ﷺ: «**امرؤ من قريش**».

فقال بعض أصحابه من الحاضرين للأعرابيّ: كفاك جفاء أنْ لا تعرف نبيك!

وكان رحمه الله يقول: إنما قال: امرؤ من قريش غيْرة، وإلا كان واجباً عليه التعرّف إلى كلّ أحد: أنه من هو؟.. ثم إنَّ الله؛ سُبحانه، أجرى على لسان ذلك الصحابي التعريف للأعرابي بقوله: كفاك جفاء أنْ لا تعرف نبيك..!!

ومن الناس من قال: إنَّ الغيرة من صفات أهل البداية، وإنَّ الموحد لا يشهد الغيرة، ولا يتصف بالإختيار، وليس له فيما يجري في المملكة تحكم، بل الحق سُبحانه، أولى بالأشياء فيما يقضي على ما يقضي.

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السلميّ، رحمه الله، يقول: سمعت أبا عُثمان المغربيّ يقول: الغيرة عمل المريدين، فأما أهل الحقائق فلا.

وسمعته يقول: سمعت أبا نَصر الأصبهاني يقول: سمعت الشبليّ يقول: الغيرة غيرتان: غيرة البشرية على النفوس، وغيرة الإلهية على القلوب.

وقال الشِّبليّ أيضاً: غيرة الإلهية على الأنفاس أنْ تضيع فيما سوى الله تعالى، والواجب أن يُقال: الغيرة غيرتان:

غيرة الحقّ، سُبحانه على العبد: وهو أنْ لا يجعله للخلق؛ فيضنَّ به عليهم وغيرة العبد للحق، وهو أنْ لا يجعل شيئاً من أحواله وأنفاسه لغير الحقّ تعالى فلا يُقال: أنا أغار

على الله تعالى، ولكن يُقال: أنا أغار لله، فإذن الغيرة على الله تعالى جهل، وربما تؤدي إلى ترك الدين؛ والغيرة لله توجب تعظيم حقوقه وتصفية الأعمال له.

واعلموا أنَّ من سنّة الحقّ، تعالى، مع أوليائه: أنهم إذا ساكنوا غيراً، أو لاحظوا شيئاً، أو ضاجعوا بقلوبهم شيئاً، شوَّش عليهم ذلك، فيغار على قلوبهم بأنْ يعيدها خالصة لنفسه. فارغة عما ساكنوه أو لاحظوه أو ضاجعوه، كآدم، عليه السلام، لمَّا وطن نفسه على الخلود في الجنة أخرجه منها.

وإبراهيم عليه السلام، لما أعجبه إسماعيل، عليه السلام، أمره بذبحه حتى أخرجه من قلبه ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾ [الصافات: ١٠٣] وصفا سره منه أمره بالفداء عنه.

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السلميّ، رحمه الله، يقول: سمعت أبا زيد المروزيّ، رحمه الله، يقول: سمعت إبراهيم بن شَيْبان يقول: سمعت مُحمَّد بن حسَّان يقول: بينا أنا أدور في جبل لبنان، إذ خرج علينا رجل شاب قد أحرقته السموم والرياح؛ فلما نظر إليَّ وَلى هارباً، فتبعته، وقلت له تعظني بكلمة؟

فقال لي: احذر، فإنه غيور، لا يحب أنْ يرى في قلب عبده سواه.

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن، رحمه الله، يقول: قال النصراباذي: الحقّ تعالى غيور، ومن غيرته: أنه لم يجعل إليه طريقاً سواه.

وقيل: أوحى الله، سُبحانه، إلى بعض أنبيائه: أنَّ لفلان إليَّ حاجة، ولي أيضاً إليه حاجة، فإنْ قضى حاجتي قضيت حاجته؛ فقال ذلك النبيّ، عليه السلام في مناجاته: إلهي؛ كيف يكون لك حاجة؟ فقال: إنه ساكن بقلبه غيري فليفرغ قلبه عنه أقض حاجته.

وقيل: إنَّ أبا يزيد البسطاميّ رأى جماعة من الحور العين في منامه.. فنظر إليهنّ، فسلب وقته أياماً، ثم إنه رأى في منامه جماعة منهنّ، فلم يلتفت إليهن وقال: إنكنَّ شواغل.

وقيل: مرضت رابعة العدوية، فقيلَ لها: ما سبب علتك؟

فقالت: نظرت بقلبي إلى الجنة فأدّبني، فله العتبى، لا أعود.

ويُحكى عن السريّ أنه قال: كنت أطلب رجلاً صديقاً لي مدة من الأوقات فمررت في بعض الجبال، فإذا أنا بجماعة زَمنى[1] وعميان ومرضى، فسألت عن حالهم، فقالوا: ها هنا رجل يخرج في السنة مرة يدعو لهم فيجدون الشفاء، فصبرت حتى خرج.. ودعا لهم فوجدوا الشفاء، فقفوت أثره وتعلقت به، وقلت له: بي علة باطنة!! فما دواؤها؟

فقال: يا سريّ، خلّ عني، فإنه ـ تعالى ـ غيور لا يراك تساكن غيره فتسقط من عينه.

---

(١) الزَّمانة: مرض يدوم و: تعطيل القوى. و: العاهة.

قال الأستاذ: ومنهم من غيرته، حين يرى الناس يذكرونه، تعالى بالغفلة فلا يمكنه رؤية ذلك وتشقّ عليه.

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقّاق، رحمه الله، يقول: لما دخل الأعرابيّ مسجد رسول الله ﷺ، وبالَ فيه، وتبادر إليه الصحابة لإخراجه، قال، رحمه الله، إنما أساء الأعرابي الأدب، ولكن الخجل وقع على أصحابه، والمشقة حصلت لهم حين رأوا من وضع حشمته، كذلك العبد إذا عرف جلال قدره سُبحانه يشقُّ عليه سماع ذكر من يذكره بالغفلة، وطاعة من لا يعبده بالحرمة.

حكي أنَّ أبا بكر الشبليّ مات له ابن كان اسمه «أبا الحسن» فجزعت أمه عليه، وقطعت شعر رأسها. فدخل الشبليّ الحمام وتنور بلحيته، فكل من أتاه معزِّياً قال: ما هذا يا أبا بكر؟

فكان يقول: موافقة لأهلي.

فقال له بعضهم: أخبرني يا أبا بكر لِمَ فعلت هذا؟

فقال: علمت أنهم يعزونني على الغفلة، ويقولون: آجرك الله تعالى، ففديت ذكرهم لله تعالى بالغفلة بلحيتي.

وسمع النوري رجلاً يؤذّن، فقال: طعنة وسم الموت، وسمع كلباً ينبح فقال: لبيك وسعديك. فقيل له: إنَّ هذا تركٌ للدِّين.. فإنه يقول للمؤمن في تشهده طعنة وسم الموت، ويلبي عند نباح الكلاب، فسُئل عن ذلك فقال أما ذلك فكان ذكره لله على رأس الغفلة، وأما الكلب فقال تعالى:

﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٤٤].

وأذن الشِّبليُّ مرة، فلما انتهى إلى الشهادتين قال: لولا أنك أمرتني ما ذكرتُ معك غيرك.

وسمع رجلٌ رجلاً يقول: جلَّ الله، فقال له: أحبّ أنْ تجلّه عن هذا.

سمعت بعض الفقراء يقول: سمعت أبا الحسن الخزفانيّ رحمه الله يقول:

لا إلهَ إلا الله من داخل القلب مُحمَّد رسول الله من القرط[1] ومن نظر إلى ظاهر هذا اللفظ توهّم أنه استصغر الشرع. ولا كما يخطر بالبال، إذ الأخطار للأغيار بالإضافة إلى قدر الحقّ سُبحانه متصاغرة في التحقيق.

---

(١) القُرط: حلية تعلق في شحمة الأذن (ج) أقراط، وقراط وقروط.

باب الولاية[1]

قال الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢].

أخبرنا حمزة بن يُوسف السَّهمي، رحمه الله، قال: حدّثنا عبد الله بن عديّ الحافظ، قال: حدّثنا أبو بكر مُحمَّد بن حُميد، قال: حدّثنا مُحمَّد بن هارون المقري قال: حدّثنا حمّاد الخيَّاط، عن عبد الواحد بن مَيمون مولى عُروة، عن عُروة، عن عائشة، رضي الله عنها، أنَّ النبيّ ﷺ قال: «**يقول الله تعالى: من آذى ولياً فقد استحلَّ محاربتي، وما تقرّب إليَّ العبد بمثل أداء ما افترضت عليه، وما يزال العبد يتقرّب إليّ بالنوافل حتى أحبه، وما تردّدت في شيء أنا فاعله كترددي في قبض روح عبدي المؤمن؛ لأنه يكره الموت وأكره ماءته ولا بدّ له منه**»[2].

الوليّ: له معنيان: أحدهما: فعيل بمعنى مفعول، وهو من يتولى الله سُبحانه أمره؛ قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦]، فلا يكله إلى نفسه لحظة، بل يتولّى الحقّ، سُبحانه، رعايته.

والثاني: فعيل مبالغة من الفاعل، وهو الذي يتولى عبادة الله وطاعته، فعبادته تجري على التوالي، من غير أنْ يتخللها عصيان.

وكلا الوصفين واجب حتى يكون الولي وليًا: يجب قيامه بحقوق الله تعالى على الإستقصاء والإستيفاء، ودوام حفظ الله تعالى إيّاه في السرَّاء والضرَّاء.

ومن شرط الولي: أنْ يكون محفوظاً، كما أنَّ من شرط النبيّ أنْ يكون معصوماً، فكلّ من كان للشرع اعتراض فهو مغرور مخدوع.

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقَّاق رحمه الله، يقول: قصد أبو يزيد البسطاميّ بعض من وُصف بالولاية، فلما وافى مسجده قعد ينتظر خروجه، فخرج الرجل، وتنخّم[3] في المسجد، فانصرف أبو يزيد ولم يسلم عليه. وقال: هذا رجل غير مأمون على أدب من آداب الشريعة، فكيف يكون أميناً على أسرار الحقّ؟!

واختلفوا في أنّ الوليّ: هل يجوز أنْ يعلم أنه وليّ، أم لا؟

فمنهم من قال: لا يجوز ذلك؛ وقال: إنَّ الوليّ يلاحظ نفسه بعين التصغير، وإنْ ظهر

---

(١) الولاية: لغوياً النُّصرة. والوليّ: النصير أو المحب أو المطيع.

(٢) أخرجه البخاري (رقاق ٣٨)، وأحمد بن حنبل ٦، ٢٥٦.

(٣) تنخَّم: دفع بشيء من صدره، أو أنفه.

عليه شيء من الكرامات خاف أن يكُون مكْراً، وهو يستشعر الخوف دائماً أبداً؛ لخوف سقوطه عمّا هو فيه، وأن تكُون عاقبته بخلاف حاله، وهؤلاء يجعلون من شرط الولاية: وناء المآل.

وقد ورد في هذا الباب حكايات كثيرة عن الشيوخ، وإليه ذهب من شيوخ هذه الطائفة جماعة لا يحصون، ولو اشتغلنا بذكر ما قالوا لخرجنا عن حدّ الاختصار، وإلى هذا كان يذهب من شيوخنا الذين لقيناهم الإمام أبو بكر بن فُورك، رحمه الله.

ومنهم من قال: يجوز أنْ يعلم الوليّ أنه وليٌّ، وليس من شرط تحقيق الولاية في الحال الوفاءُ في المآل.

ثم إنْ كان ذلك شرطه أيضاً فيجوز أنْ يكون هذا الوليُّ خُصّ بكرامة هي: تعريف الحقّ إياه أنه مأمون العاقبة؛ إذ القول بجواز كرامات الأولياء واجب، وهو وإن قارفه خوف العاقبة، فما هو عليه من الهيبة والتعظيم والإجلال في الحال أتم وأشدّ؛ فإنَّ اليسير من التعظيم والهيبة أهدأ للقلوب من كثير من الخوف.

ولما قال ﷺ: «**عشرة في الجنة من أصحابي**»[1] فالعشرة ـ لا محالة ـ صدَّقوا الرسول ﷺ وعرفوا سلامة عاقبتهم، ثم لم يقدح ذلك في حالهم.

ولأنَّ من شرط صحة المعرفة بالنبوّة: الوقوف على حدِّ المعجزة، ويدخل في جملته العلمُ بحقيقة الكرامات، فإذا رأى الكرامات ظاهرة عليه لا يمكنه أنْ لا يميز بينها وبين غيرها، فإذا رأى شيئاً من ذلك علم أنه في الحال على الحقّ. ثم يجوز أن يعرف أنه في المآل يبقى على هذه الحالة، ويكون هذا التعريف كرامة له. والقول بكرامات الأولياء صحيح.

وكثير من حكايات القوم يدل على ذلك (كما نذكر طرفاً من ذلك في باب كرامات الأولياء إنْ شاء الله تعالى).

وإلى هذا القول كان يذهب من شيوخنا الذين لقيناهم، الأستاذ أبو عليّ الدقَّاق، وقيل: إنَّ إبراهيم بن أدهم قال لرجل: أتحبُّ أنْ تكون لله ولياً؟ فقال: نعم، فقال: لا ترغب في شيء من الدنيا والآخرة؛ وفرّغ نفسك لله تعالى، وأقبلْ بوجهك عليك ليُقْبل عليك ويواليك.

وقال يحيى بن مُعاذ في صفة الأولياء: هم عباد تسربلوا بالأنس بالله تعالى بعد المكابدة[2]، واعتنقوا الرّوح بعد المجاهدة، بوصولهم إلى مقام الولاية.

---

(١) أخرجه أبو داود (سنة ٨).

(٢) المكابدة: المشقة والعناء.

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السلميّ، رحمه الله، يقول: سمعت منْصور بن عبد الله يقول: سمعت عمي البسطامي يقول: سمعت أبي يقول: سمعت أبا يزيد يقول: أولياء الله تعالى عرائس الله.. ولا يرى العرائس إلا المحرومون.. وهم مخدرون(١) عنده في حجاف الأنس، لا يراهم أحد في الدنيا ولا في الآخرة.

سمعت أبا بكر الصيدلانيّ ـ كان رجلاً صالحاً ـ قال: كنت أصلح اللوح في قبر «أبي بكر الطمستانيّ» أنقر فيه اسمه في مقبرة «الحيرة»(٢) كثيراً، وكان يُقلع ذلك اللوح ويُسرق!! ولم يقع مثله في غيره من القبور، فكنت أتعجب منه، فسألت أبا عليّ الدقّاق، رحمه الله، يوماً عن ذلك فقال: إنَّ ذلك الشيخ آثر الخفاء في الدنيا، وأنت تريد أنْ تشهر قبره باللوح الذي تصلحه فيه، وإنَّ الحقّ سُبحانه يأبىٰ إلا إخفاء قبره، كما آثر هو ستر نفسه.

وقال أبو عُثمان أبا عبد الرَّحمن السلميّ، رحمه الله، يقول: سمعت النصراباذي يقول: ليس للأولياء سؤال؛ إنما هو الذبول والخمول.

قال: وسمعته يقول: نهايات الأولياء بدايات الأنبياء.

وقال سهل بن عبد الله الولي: هو الذي توالت أفعاله على الموافقة.

وقال يَحيى بن مُعاذ: الوليُّ لا يرائي، ولايُنافق، وما أقلّ صديق من كان هذا خلُقه!!

وقال أبو عليّ الجوزجاني: الوليّ هو الفاني في حاله، الباقي في مشاهدة الحقّ سُبحانه، تولى الله سياسته فتوالت عليه أنوار التوالي، لم يكن له عن نفسه إخبار ولا مع غير الله قرار.

وقال أبو زيد: حظوظ الأولياء مع تباينها من أربعة أسماء، وقيام كل فريق منهم باسم؛ وهو: الأول، والآخر، والظاهر، والباطن، فمتى فني عنها بعد ملابستها فهو الكامل التام، فمن كان حظه من اسمه تعالى «الظاهر» لاحظ عجائب قدرته، ومن كان حظه من اسمه «الباطن» لاحظ ما جرى في السرائر(١) من أنواره. ومن كان حظه من اسمه «الأول» كان شغله بما سبق، ومن كان حظه من اسمه «الآخر» كان مرتبطاً بما يستقبله، وكلٌّ كوشف على قدر طاقته إلا من تولاه الحق، سُبحانه ببرّه، وقام عنه بنفسه:

وهذا الذي قاله أبو يزيد يشير إلى أنَّ الخواص من عباده ارتقوا عن هذه الأقسام، فلا العواقب هم في ذكرها، ولا السوابق هم في فكرها، ولا الطوارق هم في أسرها.. وكذا أصحاب الحقائق يكونون محواً عن نعوت الخلائق كما قال الله تعالى: ﴿وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا وَهُمۡ رُقُودٞۚ﴾ [الكهف: ١٨].

---

(١) الخدر: السِّتر.

(٢) الحيرة: مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة على موضع يُقال له: النجف. معجم البلدان ٢/٣٢٨.

(٣) السريرة: السر الذي يُكتم أو: ما أسره الإنسان من أمره خيراً وقيل شراً.

وقال يَحيى بن معاذ: الوليّ ريحان[1] الله، تعالى، في الأرض، يشمّه الصديقون فتصل رائحته إلى قلوبهم فيشتاقون به إلى مولاهم، ويزدادون عبادة على تفاوت أخلاقهم.

وسُئل الواسطيّ: كيف يُغذَّى الولي في ولايته؟ فقال: في بدايته بعبادته وفي كهولته بستره بلطافته، ثم يجذبه إلى ما سبق له من نعوته وصفاته، ثم يذيقه طعم قيامه به في أوقاته.

وقيل: علامة الوليّ ثلاثة: شغله بالله، وفراره إلى الله، وهمه إلى الله.

وقال الخرَّاز: إذا أراد الله تعالى أنْ يوالي عبداً من عبيده فتح عليه باب ذكره، فإذا استلذَّ الذكر فتح عليه باب القرب، ثم رفعه إلى مجالس الأنس به، ثم أجلسه على كرسي التوحيد، ثم رفع عنه الحجب وأدخله دار الفردانية. وكشف له عن الجلال والعظمة، فإذا وقع بصره على الجلال والعظمة بقي بلا هوى فحينئذ صار العبد زَمناً فانياً، فوقع في حفظه سُبحانه، وبريء من دعاوى نفسه.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين، رحمه الله يقول: سمعت مَنْصور بن عبد الله يقول: سمعت أبا عليّ الروزباري يقول: قال أبو تراب النخشبيّ: إذا ألف القلبُ الإعراض عن الله صحبته الوقيعة في أولياء الله تعالى.

وقالوا: من صفة الوليّ أنْ لا يكون له خوف؛ لأنَّ الخوف ترقب مكروه يحلّ في المستقبل، أو انتظار محبوب يفوت في المستأنف، والولي ابن وقته، ليس له مستقبل فيخاف شيئاً.

وكما لا خوف له لا رجاء له؛ لأنَّ الرجاء انتظار محبوب يحصل أو مكروه يُكشف، وذلك في الثاني من الوقت.

وكذلك لا حزن له؛ لأنَّ الحزن من حزونه القلب، ومن كان في ضياء الرضا وبَرَد الموافقة فأنى يكون له حزن؟! قال الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢].

باب الدُّعاء[2]

قال الله تعالى: ﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥].

وأخبرنا عليّ بن أحمد بن عبدان قال: أخبرنا أبو الحُسين الصغّار البصريّ قال: حدّثنا

(٢) الريحان: كل نبت طيب الرائحة من أنواع المشموم (الحبق).
(١) الدُّعاء: مصدر دعا، وغُلّب على الإبتهال إلى الله والتضرع إليه (ج) أدعية.

مُحمَّد بن أحمد العوديّ قال: حدّثنا كامل، قال: حدّثنا ابن لهيعة قال: حدّثنا خالد بن يزيد، عن سعيد بن أبي هلال، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**الدعاء مخّ العبادة**»[1].

والدعاء: مفتاح الحاجة، وهو مستروح أصحاب الفاقات[2]، وملجأ المضطرين، ومتنفس ذوي المآرب، وقد ذمّ الله سُبحانه وتعالى، قوماً تركوا الدعاء فقال: ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧] قيل: لا يمدونها إلينا في السؤال.

وقال سهل بن عبد الله: خلق الله تعالى الخلق وقال: ناجوني، فإنْ لم تفعلوا فانظروا إليّ، فإنْ لم تفعلوا فاسمعوا مني، فإنْ لم تفعلوا فكونوا ببابي، فإنْ لم تفعلوا فأنزلوا حاجاتكم بي.

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقّاق، رحمه الله، يقول: قال سهل بن عبد الله: أقرب الدعاء إلى الإجابة دعاء الحال.

ودعاء الحال: أن يكون صاحبه مضطراً لا بدّ له مما يدعو لأجله.

أخبرنا حمزة بن يُوسف السهميّ، رحمه الله، قال: سمعت أبا عبد الله المكانسيّ يقول: كنت عند الجُنيد؛ فأتت امرأة إليه وقالت: ادع الله أنْ يردّ عليّ ابني؛ فإنَّ ابناً لي ضاع فقال لها: اذهبي واصبري، فمضت، ثم عادت فقالت له مثل ذلك، فقال له الجُنيد: اذهبي واصبري، فمضت ثم عادت، ففعلت مثل ذلك مرات والجُنيد يقول لها: اصبري، فقالت له: عيل صبري، ولم يبق لي طاقة عليه، فادع لي. فقال لها الجُنيد: إنْ كان الأمر كما قلت فاذهبي، فقد رجع ابنك، فمضت، فوجدته، ثم عادت تشكر له فقيل للجُنَيد: بم عرفت ذلك؟ فقال: قال الله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ [النمل: ٦٢].

وقد اختلف الناس في أنَّ: الأفضل الدعاء، أم السّكوت والرِّضا؟ فمنهم من قال: الدعاء في نفسه عبادة، قال ﷺ: «**الدعاء مخُّ العبادة**»؛ والإتيانُ بما هو عبادة أولى من تركه، ثم هو حق الله تعالى فإنْ لم يستجب للعبد، ولم يصل إلى حظّ نفسه فلقد قام بحق ربه؛ لأنَّ الدعاء إظهار فاقة العبودية: وقد قال أبو حازم الأعرج: لئن أحرم الدعاة أشدُّ عليّ من أنْ أحرم الإجابة. وطائفة قالوا: السكوت والخمول تحت جريان الحكم أتمُّ، والرِّضا بما سبق من اختيار الحقّ أوْلى، ولهذا قال الواسطيّ: اختيار ما جرى لك في الأزل خير لك من معارضة الوقت، وقد قال ﷺ خبراً عن الله تعالى.

«**من شغله ذكري عن مسألتين أعطيته أفضل ما أعطى السائلين**»[3]. وقال قوم: يجب

(١) أخرجه الترمذي (دعاء، ١).

(٢) الفاقة: الفقر والحاجة.

(٣) أخرجه الترمذي (ثواب القرآن ٢٥)، والدارمي (فضائل القرآن ٦).

أن يكون العبد صاحبَ دعاء بلسانه وصاحب رضا بقلبه: ليأتي بالأمرين جميعاً.

والأولى أنْ يُقال: إنَّ الأوقات مختلفة، ففي بعض الأحوال الدعاء أفضل من السكوت، وهو الأدب، وفي بعض الأحوال السكوت أفضل من الدعاء، وهو الأدب، وإنما يعرف ذلك في الوقت، لأنَّ علم الوقت إنما يحصل في الوقت فإذا وجد بقلبه إشارة إلى الدعاء فالدعاء له أولى، وإذا وجد إشارة إلى السكوت فالسكوت له أولى.

ويصحّ أن يقال: ينبغي للعبد أنْ لا يكون ساهياً عن شهود ربه تعالى في حال دعائه. ثم يجب عليه أنْ يراعي حاله، فإن وجد من الدعاء زيادة بَسط في وقته فالدعاء له أولى.. وإنْ عاد إلى قلبه في وقت الدعاء شبه زجر ومثل قبض، فالأولى له ترك الدعاء في هذا الوقت، وإنْ لم يجد في قلبه زيادة بسط ولا حصول زجر فالدعاء وتركه هاهنا سيّان[1]، فإنْ كان الغالب عليه في هذا الوقت العلمُ، فالدعاء أولى؛ لكونه عبادة، وإنْ كان الغالب عليه في هذا الوقت المعرفة والحال والسكوت، فالسكوت أولى، ويصحّ أنْ يقال: ما كان للمسلمين فيه تصيب، أو للحق سُبحانه فيه حقّ، فالدعاء أولى وما كان لنفسك فيه حظ فالسكوت أتمُّ. وفي الخبر المروي: «**أنَّ العبد يدعو الله سُبحانه وهو يحبُّه، فيقول: يا جبريل أخِّر حاجة عبدي، فإني أحبُّ أن أسمع صوته، وإنَّ العبد ليدعو الله وهو يبغضه فيقول: يا جبريل، إقض لعبدي حاجته، فإني أكره أن أسمع صوته**»[2].

ويُحكى عن يحيى بن سعيد القطَّان، رحمه الله تعالى، أنه رأى الحقَّ، سُبحانه في المنام، فقال: إلهي! كم أدعوك فلا تجيبني!!

فقال: يا يَحيى؛ لأني أحبُّ أنْ أسمع صوتك.

وقال ﷺ: «**والذي نفسي بيده، إنَّ العبد ليدعو الله تعالى وهو عليه غضبان، فيعرض عنه، ثم يدعوه، فيعرض عنه، ثم يدعوه، فيعرض عنه، ثم يدعوه، فيقول الله تعالى لملائكته: أبى عبدي أن يدعو غيري فقد استجبت له**»[3].

أخبرنا أبو الحُسين علي بن مُحمَّد بن عبد الله بن بشران ببغداد قال: حدّثنا أبو عَمرو عُثمان بن أحمد المعروف بابن السماك قال: أخبرنا مُحمَّد بن عبد ربه الحضرميّ قال:

---

(١) سيّان: سواء.

(٢) أخرجه ابن ماجة (جنائز ٢٧).

(٣) أخرجه البخاري (شرب ٤)، (خصومات ٤)، (رهن ٦)، (شهادات ١٩، ٢٠، ٢٣، ٢٥)، (تفسير سورة ٣، ٣)، (أيمان ١١، ١٧)، (أحكام ٣٠)، (توحيد ٢٤)، ومسلم (إيمان ٢٢٠ ـ ٢٢٢ ـ ٢٢٤)، وأبو داود (أيمان ١)، والترمذي (بيوع ٤٢)، (تفسير سورة ٣، ٤، ٢١)، وابن ماجة (أحكام ٨)، وأحمد بن حنبل ١، ٣٧٧، ٣٧٩، ٤١٦، ٤٢٦، ٤٤٢، ٤٦٠، ٢، ١١٨، ٤، ١٩٢، ٣١٧، ٥، ٢٥، ٢١١، ٢١٢).

أخبرنا بِشْر بن عبد الملك قال: حدّثنا موسى بن الحجّاج قال: قال مالك بن دينار: حدّثنا الحسن عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رجل على عهد رسول الله ﷺ يتَّجر من بلاد الشام إلى المدينة، ومن المدينة إلى بلاد الشام، ولا يصحب القوافل توكلاً منه على الله، عزَّ وجلّ، فقال:

بينما هو جاء من الشام يريد المدينة إذ عرض له لصٌّ على فرس.. فصاح بالتاجر: قف. قف!! فوقف له التاجر، وقال له: شأنك بمالي وخلّ سبيلي. فقال له اللص: المال مالي، وإنما أريد نفسك. فقال له التاجر: ما تريد بنفسي؟! شأنكَ والمالَ وخلِّ سبيلي. قال: فردّ عليه اللص مثل المقالة الأولى، قال له التاجر: أنظرني حتى أتوضأ وأصلي وأدعو ربّي عزَّ وجلَّ.

قال: افعل ما بدا لك. قال: فقام التاجر، وتوضَّأ، وصلى أربع ركعات، ثم رفع يديه إلى السماء، فكان من دعائه أنْ قال: يا داود.. يا داود.. يا ذا العرش المجيد، يا مبديء يا معيد، يا فعَّال لما يريد أسألك بنور وجهك الذي ملأ أركان عرشك، وأسألك بقدرتك التي قدرت بها على خلقك، وبرحمتك التي وسعت كل شيء، لا إله إلا أنت، يا مُغيث أغثني (ثلاث مرات). فلما فرغ من دعائه إذا بفارس على فرس أشهب[1].. عليه ثياب خضر، بيده حربة[2] من نور، فلما نظر اللص إلى الفارس ترك التاجر ومرّ نحو الفارس. فلما دنا منه شد الفارس على اللص، فطعنه طعنة أذراه عن فرسه.. ثم جاء إلى التاجر فقال له: قم فاقتله، فقال له التاجر: من أنت؟ فما قتلت أحداً قط ولا تطيب نفسي بقتله!! قال: فرجع الفارس إلى اللص وقتله، ثم جاء إلى التاجر، وقال: اعلم أني ملك من السماء الثالثة، حين دعوتَ الأولى سمعنا لأبواب السماء قعقعة، فقلنا: أمرٌ حدث!! ثم دعوتَ الثانية ففتحت أبواب السماء ولها شرر كشرر النار، ثم دعوتَ الثالثة فهبط جبريل عليه السلام علينا من قِبل السماء وهو ينادي: من لهذا المكروب؟ فدعوتُ ربي أنْ يُوليني قتله، واعلم ـ يا عبد الله ـ أنه من دعا بدعائك هذا في كلّ كربة، وكلّ شدة، وكلّ نازلة فرّج الله تعالى عنه، وأعانه. قال: وجاء التاجر سالماً غانماً حتى دخل المدينة وجاء إلى النبيّ ﷺ فخبّره بالقصة وأخبره بالدعاء فقال له النبيّ ﷺ: «**لقد لقّنك الله عزَّ وجلّ، أسماءه الحُسنى التي إذا دُعي بها أجاب، وإذا سُئل بها أعطى**»[3].

ومن آداب الدعاء: حُضور القلب، وأنْ لا يكون ساهياً؛ فقد روى عن النبيّ ﷺ أنه قال: «**إنَّ الله تعالى، لا يستجيب دعاء عبد من قلب لاهٍ**»[4].

---

(١) الشَّهب والشُّهبة: البياض المختلط بالسواد.

(٢) الحربة: سلاح أقصر من الرمح، عريض النصل (ج) حراب.

(٣) أخرجه النسائي (سهو ٥٨)، والترمذي (دعوات ٦٣، ٩٩)، والدارمي (جهاد ٦)، (فضائل القرآن ١٥).

(٤) أخرجه الترمذي (دعوات ٦٥).

ومن شرائطه: أنْ يكون مطعمه حلالاً؛ فلقد قال ﷺ لسعد: «**أطب كسبك تُستجب دعوتك**»[1].

وقد قيل: الدّعاء: مفتاح الحاجة، وأسنانها: لقم الحلال.

وكان يَحيى بن مُعاذ يقول: إلهي، كيف أدعوك وأنا عاص؟ وكيف لا أدعوك وأنت كريم؟!

وقيل: مرّ موسى، عليه السلام، برجل يدعو ويتضرّع[2]، فقال موسى عليه السلام: إلهي، لو كانت حاجته بيدي قضيتُها؛ فأوحى الله تعالى إليه: أنا أرحم به منك، ولكن يدعوني، وله غنم وقلبه عند غنمه، وإني لا أستجيب لعبد يدعوني وقلبه عند غيري. فذكر موسى عليه السلام للرجل ذلك، فانقطع إلى الله تعالى بقلبه فقضيت حاجته.

وقيل لجعفر الصَّادق: ما بالنا ندعو فلا يُستجاب لنا؟

فقال: لأنكم تدعون من لا تعرفونه.

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقّاق يقول: ظهر بيعقوب بن الليث[3] علة أعيت الأطباء، فقالوا له: في ولايتك رجل صالح يسمَّى «سهل بن عبد الله» لو دعا لك لعلّ الله سُبحانه يستجيب له؛ فاستحضر سهلاً وقال: ادع الله عزّ وجلّ لي. فقال سهل: كيف يُستجاب دعائي فيك، وفي محبسك مظلومون؟! فأطلقَ كلَّ من كان في حبسه، فقال سهل: اللهمَّ كما أريته ذلَّ المعصية فأره عزّ الطاعة وفرّج عنه. فعوفي، فعرض مالاً على سهل فأبى أنْ يقبله، فقيل له: لو قبلته ودفعته إلى الفقراء.

فنظر إلى الحَصباء في الصحراء فإذا هي جواهر، فقال لأصحابه: من يُعطي مثل هذا يحتاج إلى مال يعقوب بن الليث؟!!

وقيل: كان صالح المرّي[4] يقول كثيراً: من أدمن قرع باب يُوشك أنْ يفتح له. فقالت له رابعة: إلى متى تقول هذا؟ متى أغلق هذا الباب حتى يستفتح؟ فقال صالح: شيخ جَهِل وامرأة علمت.

(١) أخرجه الترمذي (مناقب ٢٦).

(٢) تضرع إلى الله: ابتهل واجتهد في الدعاء.

(٣) يعقوب بن الليث الصفار، أبو يوسف من أبطال العالم، وأحد لأمراء الكبار الدهاة كان في صفره يعمل الصفر (النحاس) في خراسان ويظهر الزهد. توفي سنة (٢٧٥ هـ). وقد غلب على بلاد الشرق وهزم الجيوش. (وفيات الأعيان ٦/ ٤٠٢ ـ ٤٣٢، والأعلام ٨/ ٢٠١، وشذرات الذهب ٢/ ١٤٠).

(٤) أبو بشير صالح بن بشير القارىء المعروف بالمري، من أهل البصرة، حدث عن الحسن ومحمد بن سيرين وغيرهما، روى عنه شجاع بن أبي نصر وسريج بن النعمان وغيرهما، كان عبداً صالحاً. مات سنة ست وسبعين ومائة، وقيل: سنة اثنتين وسبعين ومائة. شذرات الذهب ١/ ٢٨١، ووفيات الأعيان ٢/ ٤٩٤.

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السلميّ، رحمه الله، يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت أبا بكر الحربي يقول: سمعت السريّ يقول: حضرت مجلس معروف الكرخيّ. فقام إليه رجل فقال: يا أبا محفوظ، ادع الله تعالى أن يردَّ عليَّ كيسي؛ فإنه سرق وفيه ألف دينار، فسكت، فأعاد، ثم سكت فأعاد، فقال معروف: ماذا أقول؟ أقول ما زويته عن أنبيائك وأصفيائك. فردّه عليه، فقال الرجل: فادع الله تعالى لي. فقال: اللهم خرْ له.

وحكي عن اللّيث أنه قال: رأيتُ عُقبة بن نافع ضريراً، ثم رأيته بصيراً، فقلت له: بمَ ردّ عليك بصرك؟

فقال: أتيت في منامي، فقيل قل: يا قَريب، يا مُجيب، يا سميع الدعاء، يا لطيفاً لما يشاء، ردّ عليّ بصري. فقلتها، فردّ الله عزّ وجل عليّ بصري.

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقَّاق يقول: كان بي وجع العين ابتداء ما رجعت إلى «نيسابور» من «مَرو»، وكنت مدّة أيام لم أجد النوم، فتناعست صباحاً، فسمعت قائلاً يقول لي: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾ [الزمر: ٣٦]؟ فانتبهت، وقد فارقني الرمد(١)، وزال في الوقت الوجع، ولم يصبني بعد ذلك وجعُ العين.

وحكي عن مُحمَّد بن خُزيمة، أنه قال: لما مات أحمد بن حَنبل كنت في الإسكندرية، فاغتممت.. فرأيت في المنام أحمد بن حَنْبل وهو يتبختر، فقلت: يا أبا عبد الله، أيّ مشية هذه؟ فقال: مشية الخدّام في دار السلام. فقلت: ما فعل الله عزّ وجلّ بك؟ فقال: غفر لي، وتوّجني، وألبسني نعلين من ذهب، وقال: يا أحمد هذا بقولك القرآن كلامي. ثم قال: يا أحمد ادعني بتلك الدعوات التي بلغتك عن سُفيان الثوريّ وكنت تدعو بها في دار الدنيا. فقلت: يا ربّ كل شيء بقدرتك على كلِّ شيء، اغفر لي كلَّ شيء، ولا تسألني عن شيء. فقال: يا أحمد. هذه الجنةُ فادخلها، فدخلتها.

وقيل: تعلق شاب بأستار الكعبة، وقال: إلهي، لا شريك لك فيؤتى، ولا وزير لك فيرشى، إنْ أطعتك فبفضلك ولك الحمد، وإنْ عصيتك فبجهلي ولك الحجّةُ عليّ، فبإثبات حجتك عليّ وانقطاع حجتي لديك إلاّ غفرت لي. فسمع هاتفاً يقول: الفتى عتيق من النار.

وقيل: فائدة الدُّعاء: إظهار الفاقة بين يديه تعالى، وإلاّ فالربّ يفعل ما يشاء.

وقيل: دعاء العامَّة بالأقوال، ودعاء الزهاد بالأفعال، ودعاء العارفين بالأحوال.

وقيل: خير الدعاء: ما هيّجته الأحزان.

وقال بعضهم: إذا سألت الله تعالى حاجة، فتسهلت، فاسأل الله عقب ذلك الجنّة؛ فلعل ذلك يوم إجابتك.

---

(١) الرَّمد: داء التهابيّ يُصيب العين (مج).

وقيل: ألسنة المبتدئين منطلقة بالدعاء، وألسنة المتحققين خرست عن ذلك.

وسُئل الواسطيّ أن يدعو، فقال: أخشى أني إنْ دعوتُ أنْ يُقال لي: إنْ سألتنا ما لك عندنا فقد اتهمتنا، وإنْ سألتنا ما ليس لك عندنا فقد أسأت الثناء علينا، وإنْ رضيت أجرينا لك من الأمور ما قضينا لك به في الدهور.

وروي عن عبد الله بن منازل أنه قال: ما دعوت منذ خمسين سنة، ولا أريد أنْ يدعو لي أحد.

وقيل: الدعاء سلم المذنبين.

وقيل: الدعاء: المراسلة، وما دامت المراسلة باقية فالأمر جميل بعده.

وقيل: لسان المذنبين دعاؤهم.

وسمعت الأستاذ أبا عليّ الدقّاق، رحمه الله يقول: إذا بكى المذنب فقد راسل الله عزّ وجلّ.

وفي معناه أنشدوا:

دمـوع الفتـى عمـا يجـنُّ تُتـرجـم ... وأنفـاسـه يبـديـن مـا القلـب يكتـم

وقال بعضهم: الدُّعاء ترك الذنوب.

وقيل: الدّعاء لسان الإشتياق إلى الحبيب.

وقيل: الإذن في الدّعاء خير للعبد من العطاء.

وقال الكتانيّ: لم يفتح الله تعالى لسان المؤمن بالمعذرة إلا لفتح باب المغفرة.

وقيل: الدُّعاء يوجب الحضور، والعطاء يوجب الصرف والمقام على الباب أتمُّ من الإنصراف بالمثاب.

وقيل: الدُّعاء مُواجهة الحقّ، تعالى، بلسان الحياء.

وقيل: شرط الدعاء الوقوف مع القضا بوصف الرضا.

وقيل: كيف تنتظر إجابة الدعوة وقد سَدَدْت طريقها بالهفوة؟!

وقيل لبعضهم: ادع لي. فقال: كفاك من الأجنبية أنْ تجعل بينك وبينه واسطة.

سمعت حَمزة بن يُوسف السهميّ يقول: سمعت أبا الفتح نصر بن أحمد بن عبد الملك يقول: سمعت عبد الرَّحمن بن أحمد يقول: سمعت أبي يقول: جاءت امرأة إلى تقيّ بن مَخْلد، فقالت: إنَّ ابني قد أسره الروم، ولا أقدر على مال أكثر من «دويرة»[1]، ولا أقدر على بيعها، فلو أشرت إلى من يفديه بشيء، فإنه ليس لي ليل ولا نهار، ولا نوم ولا قرار!!

(١) الدويرة: الدار الصغيرة.

فقال لهم: نعم، انصرفي حتى أنظر في أمره إنْ شاء الله تعالى.

قال: فأطرق الشيخ وحرّك شفتيه، قال: فلبثنا مدّة، فجاءت المرأة ومعها ابنها، وأخذت تدعو له وتقول: قد رجع سالماً، وله حديث يحدّثك به. فقال الشاب: كنت في يدي بعض ملوك الروم مع جماعة من الأسارى، وكان له إنسان يستخدمنا كلّ يوم، فكان يخرجنا إلى الصحراء للخدمة، ثم يردّنا وعلينا قيدنا. فبينا نحن نجيء من العمل بعد المغرب مع صاحبه الذي كان يحفظنا انفتح القيد من رجلي ووقع على الأرض، ووصف اليوم والساعة، فوافق الوقت الذي جاءت فيه المرأة، ودعا الشيخ، قال: فنهض إلى الذي كان يحفظني وصالح عليّ وقال لي: كسرتَ القيد!! قلت: لا، إنه سقط من رجلي قال: فتخيّر.. وأحضر أصحابه، وأحضروا الحدّاد، وقيّدوني.. فلما مشيت خطوات سقط القَيد من رجلي، فتحيّروا في أمري!! فدعوا رهبانهم، فقالوا لي: ألك والدة؟ قلت: نعم فقالوا: وافق دعاؤها الإجابةَ. وقد أطلقك الله عزَّ وجلّ، فلا يمكننا تقييدك.

فزوّدوني، وأصحبوني بمن أوصلني إلى ناحية المسلمين.

باب الفقر[1]

قال الله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٧٣].

أخبرنا أبو عبد الله الحُسين بن شُجاع بن الحُسين بن موسى البزّار ببغداد، قال: أخبرنا أبو بكر مُحمَّد بن جَعفر بن مُحمَّد بن الهيثم الأنباري قال: حدّثنا جعفر بن مُحمَّد الصَّائغ قال: حدّثنا قبيصة قال: حدّثنا سُفيان، عن مُحمَّد بن عَمرو بن علقمة، عن أبي سَلمة؛ عن أبي هُريرة؛ عن النبيّ، ﷺ قال: **«يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام: نصف يوم»**[2].

وأخبرنا أبو بكر مُحمَّد بن أحمد بن عَبدوس الحيريّ ببغداد، قال: حدّثنا أبو أحمد حمزة بن العبَّاس البزّاز ببغداد. قال: حدّثنا مُحمَّد بن غالب بن حرب قال: حدّثنا عبد الله بن مَسْلمة قال: حدّثنا مُحمَّد بن أبي الفُرات عن إبراهيم الهجريّ، عن أبي الأحوص، عن عبد الله؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) الفقر: لغوياً ضد الغنى، أو حالة من لا تكفيه موارده. أو العوز والحاجة والهم.

(٢) أخرجه الترمذي (زهد ٣٧)، وابن ماجه (زهد ٦)، والدارمي (رقاق ١١٨)، وأحمد بن حنبل، ٢/ ٢٩٦، ٣٤٣، ٤٥١، ٥١٣، ٥١٩، ٥، ٣٦٦.

«إن المسكين ليس بالطوّاف الذي تردُّه اللقمة واللقمتان، والتمرة والتمرتان، قال: فقيل: مَن المسكين يا رسول الله؟

قال: الذي لا يجد ما يغنيه ويستحي أنْ يسأل الناس، ولا يفطن له فيُتصدَّق عليه»[1].

قال الأستاذ: معنى قوله: يستحي أن يسأل الناس: أي يستحي من الله تعالى، أنْ يسأل الناس، لا أنه يستحي من الناس.

والفقر شعار الأولياء؛ وحلية الأصفياء؛ واختيار الحقّ، سُبحانه، لخواصّه من الأتقياء والأنبياء.

والفقراء: صفوة الله عزَّ وجلَّ من عباده، ومواضع أسراره بين خلقه، بهم يصون الحقُّ الخلق، وببركاتهم يبسط عليهم الرزق.

والفقراء الصُّبر جلساء الله تعالى، يوم القيامة؛ بذلك ورد الخبر عن النبيّ ﷺ.

أخبرنا الشيخ أبو عبد الرَّحمن السلميّ، قال: حدّثنا إبراهيم بن أحمد بن مُحمَّد بن رجاء الفزاريّ، قال: حدثنا عبد الله بن مُحمَّد بن جَعفر بن أحمد بن خشيش البغداديّ، قال: حدّثنا عثمان بن مَعْبد قال: حدَّثنا عُمر بن راشد. عن مالك، عن نافع، عن ابن عُمر، عن عُمر بن الخطاب، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ:

«لكلّ شيء مفتاحُ ومفتاح الجنة: حبُّ المساكين، والفقراء الصُّبر: هم جلساء الله تعالى يوم القيامة»[2].

وقيل: إنَّ رجلاً أتى إبراهيم بن أدهم بعشرة آلاف درهم فأبى أنْ يقبلها منه. وقال له: تريد أنْ تمحو اسمي من ديوان الفقراء بعشرة آلاف درهم: لا أفعل!!

وقال مُعاذ النسفيّ: ما أهلك الله، تعالى، قوماً وإنْ عملوا ما عملوا حتى أهانوا الفقراء وأذلوهم.

وقيل: لو لم يكن للفقراء إلى الله فضيلة غير إرادته وتمنيه سعة أرزاق المسلمين ورخص أسعارهم لكفاه ذلك؛ لأنه يحتاج إلى شرائها والغنيُّ يحتاج إلى بيعها. هذا لعوامِّ الفقراء، فكيف حال خواصِّهم؟

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السلميّ: يقول: سمعت عبد الواحد بن بكر يقول: سمعت أبا بكر بن سَمعان يقول: سمعت أبا بكر بن مسعود يقول: سُئل يَحيى بن معاذ عن الفقر، فقال:

---

(١) أخرجه البخاري (زكاة ٥٣)، (تفسير سورة ٢، ٤٨)، والنسائي (زكاة ٧٦)، والدارمي (زكاة ٢)، والموطأ (صفة النبي ٧)، وأحمد بن حنبل ١، ٢٧٨٤، ٤٤٦، ٢، ٣١٦، ٣٩٥، ٤٤٥، ٤٥٧.

(٢) قال في كنز العمال ٦/٤٦٩، رقم الحديث ١٦٥٨٧ رواه ابن لال عن ابن عمر.

حقيقته: أنْ لا يستغني العبد إلا بالله، ورسمه عدم الأسباب كلها.

وسمعته يقول: سمعت مَنْصور بن عبد الله يقول: سمعت إبراهيم القصَّار يقول: الفقر لباس يورث الرضا إذا تحقق العبد فيه.

وقَدِم على الأستاذ أبي عليّ الدقَّاق فقير في سنة خمس، أو أربع وتسعين وثلاثمائة من «زوزن»[١] وعليه «مسْح»[٢] وقلنسوة[٣] مسح، فقال له بعض أصحابه: بكم اشتريت هذا المسح؟ (على وجه المطايبة).

فقال: اشتريته بالدنيا وطلب مني بالآخرة فلم أبعه بها!!

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقَّاق يقول: قام فقير في مجلس يطلب شيئاً، فقال: إني جائع منذ ثلاث، وكان هناك بعض المشايخ فصاح عليه وقال: كذبت!! إنَّ الفقر سرُّ الله وهو لايضع سره عند من يحمله إلى من يريد.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين يقول: سمعت مُحمَّد بن الفراء يقول سمعت زكريا النخشبيّ يقول: سمعت حَمْدون القصَّار يقول: إذا اجتمع إبليس وجنوده لم يفرحوا بشيء كفرحهم بثلاثة أشياء.

رجل مؤمن قتل مؤمناً؛ ورجل يموت على الكفر، وقلب فيه خوف الفقر.

وسمعته يقول: سمعت عبد الله بن عطاء يقول: سمعت أبا جعفر الفرغانيّ يقول: سمعت الجُنيد يقول:

(يا معشر الفقراء: إنكم تعرفون بالله، وتكرمُون الله، فانظروا كيف تكونون مع الله إذا خلوتم به)؟

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلميّ، يقول: سمعت مُحمَّد بن الحسن البغداديّ يقول: سمعت مُحمَّد بن عبد الله الفرغاني يقول: سمعت الجُنيد، وقد سُئل عن الإفتقار إلى الله سُبحانه وتعالى: أهو أتمُّ أم الإستغناء بالله تعالى؟ فقال:

إذا صحَّ الافتقار إلى الله عزَّ وجلّ، فقد صح الإستغناء بالله تعالى، وإذا صح الإستغناء بالله تعالى كمل الغنى به، فلا يُقال: أيهما أتمُّ الإفتقار أم الغنى!! لأنهما حالتان لا تتم إحداهما إلا بالأخرى.

---

(١) زوزن: كورة واسعة بين نيسابور وهراة ويحسبونها من أعمال نيسابور. كانت تُعرف بالبصرة الصغرى لكثرة من أخرجت من الفضلاء والأدباء وأهل العلم. معجم البلدان ١٥٨/٣.

(٢) المِسْح: الكساء من شعر. وثوب الراهب (مو) (ج) مسوح وأمساح.

(٣) القلنسوة: لباس للرأس مختلف الأنواع والأشكال (ج) قلانس.

وسمعته يقول: سمعت مَنْصور بن عبد الله يقول: سمعت جَعفراً يقول: سمعتُ رويماً يقول وقد سُئل عن نعت الفقير، فقال:

«إرسال النفس في أحكام الله تعالى».

وقيل: نعت الفقير ثلاثة أشياء: حفظ سره، وأداء فرضه، وصيانة فقره.

وقيل لأبي سعيد الخزَّاز: لمَ تأخر عن الفقراء رفقُ الأغنياء؟

فقال لثلاث خصال:

لأنَّ ما في أيديهم غير طيّب، ولأنهم غير موفّقين، ولأنَّ الفقراء مرادون بالبلاء.

وقيل: أوحى الله عزّ وجلّ إلى موسى، عليه السلام:

إذا رأيت الفقراء فسائلهم، كما تسائل الأغنياء، فإنْ لم تفعل فاجعل كل شيء علمتُك تحت التُّراب.

وروي عن أبي الدَّرداء، أنه قال:

لأنْ أقع من فوق قصر فأتحطم أحبُّ إليّ من مجالسة الغنيِّ؛ لأني سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«إياكم ومجالسة الموتى!! قيل: يا رسول الله، ومن الموتى؟ قال: الأغنياء»[1].

وقيل للربيع بن خيثم: قد غلا السعر!!

فقال: نحن أهون على الله من أنْ يجيعنا، إنما يجيع أولياءه.

وقال إبراهيم بن أدهم: طلبنا الفقر فاستقبلنا الغنى، وطلب الناس الغنى فاستقبلهم الفقر.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين يقول: سمعت أحمد بن عليّ يقول، سمعت الحسن بن علوية يقول: قيل ليَحيى بن مُعاذ: ما الفقر؟ قال: خوف الفقر.

قيل: فما الغنى؟ قال: الأمنُ بالله تعالى.

وسمعته يقول: سمعت أبا بكر الرازيّ يقول: سمعت الجريريّ يقول: سمعت ابن الكرينيّ يقول:

إنَّ الفقير الصَّادق، ليحترز من الغنى حذراً أنْ يدخله الغنى فيفسد عليه فقره، كما أنَّ الغنيِّ يحترز من الفقر حذراً أنْ يدخل عليه فيفسد عليه غناه.

وسُئل أبو حَفص: بماذا يقدم الفقير على ربه عزَّ وجلّ؟

فقال: وما للفقير أنْ يقدم به على ربه تعالى سوى فقره.

---

(١) رواه الترمذي رقم ١٧٨١ (بلفظ الأغنياء بدل الموتى) في اللباس باب ما جاء في ترقيع الثوب وضعفه، ورواه الحاكم وصححه.

وقيل: أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام:

أتريد أنْ يكون لك يوم القيامة مثل حسنات الناس أجمع؟

قال: نعم.

قال: عد المريضَ، وكُنْ لثياب الفقراء فالياً، فجعل موسى، عليه السلام، على نفسه في كلّ شهر سبعة أيام يطوف على الفقراء يفلي[1] ثيابهم ويعود المرضى.

وقال سهل بن عبد الله: خمسة أشياء من جوهر النفس:

فقير يُظهر الغنى، وجائع يُظهر الشَّبع، ومحزونٌ يظهر الفرح؛ ورجل بينه وبين رجل عداوة يُظهر المحبة، ورجل يصوم النهار ويقوم الليل ولا يُظهر ضعفاً.

وقال بِشْر بن الحارث: أفضل المقامات:

اعتقاد الصَّبر على الفقر إلى القبر.

وقال ذو النُّون: علامة سخط الله على العبد: خوفه من الفقر.

وقال الشِّبليّ: أدْنى علامات الفقر: أنْ لو كانت الدنيا بأسرها لأحد فأنفقها في يوم ثم خطر بباله، أن لو أمسك منها قوت يوم ما صدق في فقره.

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقَّاق يقول: تكلم الناس في الفقر والغنى أيهما أفضل؟ وعندي: أنَّ الأفضل: أن يُعطى الرجل كفايته ثم يُصان فيه.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين يقول: سمعت أبا عبد الله الرازيّ يقول: سمعت أبا مُحمَّد بن ياسين يقول: سمعت ابن الجلاَّء يقول: وقد سألته عن الفقر، فسكت، حتى خلا، ثم ذهب ورجع عن قريب، ثم قال:

كان عندي أربعة دوانيق فاستحييت من الله عزّ وجلّ، أنْ أتكلم في الفقر فذهبت وأخرجتها ثم قعد وتكلم في الفقر.

وسمعته يقول: سمعت عبد الله بن مُحمَّد الدمشقيّ يقول: سمعت إبراهيم بن المولد يقول: سألت ابن الجلاَّء:

متى يستحق الفقير اسم الفقر؟

فقال: إذا لم يبق عليه بقية منه.

فقلت: كيف ذاك؟

فقال: إذا كان له فليس له، وإذا لم يكن له فهو له.

وقيل: صحة الفقر: أنْ لا يستغني الفقير في فقره بشيء إلا بمن إليه فقره.

وقال عبد الله بن المُبارك: إظهار الغنى في الفقر أحسن من الفقر.

(١) فلَّى الشعر أو الثوب ونحوهما: بحث عما قد يكون فيه من قمل ونحوه.

سمعت مُحمَّد بن عبد الله الصوفيّ، يقول: سمعت هلال بن مُحمَّد يقول: سمعت النَّقاش يقول: سمعت بناناً المصريّ يقول: كنت بمكة قاعداً وشاب بين يدي، فجاءه إنسان وحمل إليه كيساً فيه دراهم ووضعه بين يديه، فقال: لا حاجة لي فيه، فقال: فرِّقه على المساكين، فلما كان العشاء رأيته في الوادي يطلب شيئاً لنفسه!

فقلت: لو تركت لنفسك مما كان معك شيئاً؟!

قال: لم أعلم أني أعيش إلى هذا الوقت!!

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السلمي يقول: سمعت عليَّ بن بندار الصيرفيّ يقول: سمعت محفوظاً يقول: سمعت أبا حَفْص يقول: أحسن ما يتوسل به العبد إلى مولاه دوام الفقر إليه على جميع الأحوال، وملازمة السنة في جميع الأفعال، وطلبُ القوت من وجه حلال.

وسمعته يقول: سمعت الحُسين بن أحمد يقول: سمعت المرتعش يقول: ينبغي للفقير أنْ لا تسبق همته خطوته.

وسمعته يقول: سمعت أبا الفرج الورثانيّ يقول: سمعت فاطمة أخت أبي عليّ الروذباريّ تقول: سمعت أبا عليّ الروذباري يقول: كان أربعة في زمانهم:

واحد: كان لا يقبل من الإخوان ولا من السلطان شيئاً، وهو: يُوسف بن أسباط، ورث من أبيه سبعين ألف درهم ولم يأخذ منها شيئاً وكان يعمل الخوصَ[1] بيده.

وآخر: كان يقبل من الإخوان والسلطان جميعاً، وهو: أبو إسحاق الفزاريّ فكان ما يأخذه من الإخوان ينفقه في المستورين الذي لا يتحركون، والذي يأخذه من السلطان كان يخرجه إلى مستحقيه من أهل «طرَسوس»[2].

والثالث: كان يأخذ من الإخوان ولا يأخذ من السلطان، وهو عبد الله بن المبارك، وكان يأخذ من الإخوان ويكافيء عليه.

والرابع: كان يأخذ من السلطان ولا يأخذ من الإخوان وهو: مَخْلَد بن الحُسين كان يقول: السلطان لا يمنّ والإخوان يمنون.

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقَّاق يقول: جاء في الخبر: **«من تواضع لغني لأجل غناه ذهب ثلثا دينه»**.

إنما كان ذلك؛ لأنَّ المرء بقلبه ولسانه ونفسه؛ فإذا تواضع لغني بنفسه ولسانه ذهب ثلثا دينه، فلو اعتقد فضله بقلبه كما تواضع له بلسانه ونفسه ذهب دينه كله.

---

(١) الخوص: ورق النخيل. الواحدة خوصة.

(٢) طرسوس: وهي مدينة بثغور الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم. معجم البلدان ٤/ ٢٨.

وقيل: أقلُّ ما يلزم الفقير في فقره أربعة أشياء:

عِلم يسوسه؛ وورع يحجزه؛ ويقين يحمله؛ وذكر يؤنسه.

وقيل: من أراد الفقر لشرف الفقر مات فقيراً؛ ومن أراد الفقر لئلا يشتغل عن الله تعالى مات غنياً.

وقال المزِّين: كانت الطرق الموصلة إلى الله أكثر من نجوم السماء، فما بقي منها طريق إلا طريق الفقر وهو أصحُّ الطرق.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين يقول: سمعت الحُسين بن يُوسف القزوينيّ يقول: سمعت إبراهيم بن المولد يقول: سمعت الحسن بن علي يقول: سمعت النوري يقول:

نعتُ الفقير: السكون عند العدم، والإيثار عند الوجود.

سُئل الشِّبلي عن حقيقة الفقر فقال: ألا يستغني العبدُ بشيء دون الله عزَّ وجلّ.

وسمعته يقول: سمعت مَنْصور بن خَلف المغربيّ يقول: قال لي أبو سهل الخشَّاب الكبير: الفقر: فقر وذلّ، فقلت: لا بل فقر وعزّ، فقال: فقر وثرى، فقلت: لا بل فقر وعرش.

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقَّاق يقول: سُئلت عن معنى قوله ﷺ: **«كاد الفقر أنْ يكون كفراً»**.

قال: فقلت: آفة الشيء وضده على حسب فضيلته وقدره؛ فكلما كان في نفسه أفضل فضدُّه وآفته أنقص؛ كالإيمان، لما كان أشرف الخصال كان ضدُّه الكفرُ، فلما كان الخطر على الفقر الكفر بالله دلّ على أنه أشرف الأوصاف.

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السلميّ يقول: سمعت أبا نصر الهرويّ يقول: سمعت المرتعش يقول: سمعت الجُنيد يقول:

إذا لقيت الفقير فالقه بالرفق، ولا تلقه بالعلم؛ فإنَّ الرفق يؤنسه، والعلم يوحشه، فقلت له: يا أبا القاسم وهل يكون فقير يوحشه العلم؟

فقال: نعم، الفقير إذا كان صادقاً في فقره فطرحت عليه علمك ذاب كما يذوب الرصاص على النار.

وسمعته يقول: سمعت أبا عبد الله الرازي، يقول: سمعتُ مُظفر القرمسينيّ يقول: الفقر: هو الذي لا يكون له إلى الله حاجة.

قال الأستاذ أبو القاسم:

وهذا اللفظ فيه أدنى غموض لمن سمعه على وجه الغفلة عن مرمى القوم، وإنما أشار قائله إلى سقوط المطالبات وانتفاء الإختيار، والرضا بما يجريه الحقّ سُبحانه.

وقال ابن خفيف:
الفقر: عدم الإملاك والخروج من أحكام الصفات.
وقال أبو حَفص:
لا يصح لأحد الفقر حتى يكون العطاء أحبّ إليه من الأخذ، وليس السخاء أنْ يعطى الواجد المعدم: إنما السخاء أنْ يعطى المعدم الواجد.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين يقول: سمعت عبد الواحد بن بكر يقول: سمعت الدقي يقول: سمعت ابن الجلاَّء يقول:

لولا شرف التواضع لله لكان حكم الفقير إذا مشى أنْ يتبختر.
وقال يُوسف بن أسباط:
منذ أربعين سنة ما ملكت قميصين.
وقال بعضهم:
رأيت كأن القيامة قد قامت، وقيل: ادخلوا مالك بن دينار، ومحمد بن واسع الجنة، فنظرت أيهما يتقدم: فتقدم مُحمَّد بن واسع، فسألت عن سبب تقدمه، فقيل لي: إنه كان له قميص واحد ولمالك قميصان.

وقال مُحمَّد المسوحي:
الفقير: الذي لا يرى لنفسه حاجة إلى شيء من الأسباب.
وسُئل سهل بن عبد الله متى يستريح الفقير؟
فقال: إذا لم ير لنفسه غير الوقت الذي هو فيه.
وتذاكروا عند يَحيى بن مُعاذ الفقر والغنىٰ فقال:
لا يوزن غداً لا الفقر ولا الغنى، وإنما يوزن الصَّبر والشْكر؛ فيقال: يشكر ويصبر.
وقيل: أوحى الله تعالى، إلى بعض الأنبياء عليهم السلام؛ إنْ أردت أنْ تعرف رضاي عنك فانظر كيف رضا الفقراء عنك؟

وقال أبو بكر الزقاق: من لم يصحبه التقى في فقره أكل الحرام المحض.

وقيل: كان الفقراء في مجلس سُفيان الثوري: كأنهم الأمراء.
سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السلميّ يقول: سمعت مُحمَّد بن أحمد الفرّاء يقول: سمعت أبا بكر بن طاهر يقول:

من حكم الفقير أنْ لا يكون له رغبة في الدنيا، فإنْ كان ولا بد فلا تجاوز رغبته كفايته.

وأنشدنا الشيخ أبو عبد الرَّحمن السلميّ، قال: أنشدني عبد الله بن إبراهيم بن العلاء قال: أنشدني أحمد بن عطاء لبعضهم؛ قال:

قالوا: غداً العيد ماذا أنت لابسه؟ فقلت: خلعة ساق حبه جرعا
فقر وصبر، هما ثوباي تحتهما قلب يرى إلفه الأعياد والجمعا
أحرى الملابس أنْ تلقى الحبيب به يوم التزاور في الثوب الذي خلعا
الدهر لي مأتم إنْ غبت يا أملي والعيد ما كنت لي مرأى ومستمعا

وقيل: إنَّ هذه الأبيات لأبي عليّ الروذباري.

وقال أبو بكر المصري، وقد سُئل عن الفقير الصَّادق، فقال:

الذي لا يملك ولا يميل.

وقال ذو النُّون المصريّ:

دوام الفقر إلى الله تعالى، مع التخليط أحبّ إلي من دوام الصفاء مع العجب.

سمعت أبا عبد الله الشيرازيّ، يقول: سمعت عبد الواحد بن أحمد، يقول: سمعت أبا بكر الجوَّال، يقول: سمعت أبا عبد الله الحصري، يقول:

مكث أبو جعفر الحدَّاد عشرين سنة يعمل كل يوم بدينار، وينفقه على الفقراء، ويصوم ويخرج بين العشاءين فيتصدق عليه من الأبواب.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين يقول: سمعت أبا عليّ الحُسين بن يُوسف القزوينيّ يقول: سمعت إبراهيم بن المولد، يقول: سمعت الحسن بن عليّ، يقول: سمعت النوري، يقول:

نعت الفقير السكون عند العدم، والبذل والإيثار عند الوجود.

وسمعته يقول: سمعت مَنْصور بن عبد الله، يقول: سمعت مُحمَّد بن علي الكتاني، يقول:

كان عندنا بمكة فتى عليه أطمار[1] رثة، وكان لا يداخلنا ولا يجالسنا، فوقعت محبته في قلبي، ففتح لي بمائتي درهم من وجه حلال، فحملتها إليه. ووضعتها على طرف سجادته وقلت له: إنه فتح لي ذلك من وجه حلال، تصرفه في بعض أمورك، فنظر إلي شزراً[2] ثم كشف عما هو مستور عني، وقال: اشتريت هذه الجلسة مع الله تعالى، على الفراغ بسبعين ألف دينار غير الضياع والمشتغلات، تريد أنْ تخدعني عنها بهذه!! وقام وبددها وقعدت ألتقطها فما رأيت كعزه حين مرَّ، ولا كذلِّي حين كنت ألتقطها.

وقال أبو عبد الله بن خَفيف:

ما وجبت علي زكاة الفطر أربعين سنة ولي قبولٌ عظيم بين الخاص والعام.

سمعت الشيخ أبا عبد الله بن باكويه الصوفيّ، يقول: سمعت أبا عبد الله بن خفيف يقول ذلك.

---

(١) الطِّمر: الثوب الخَلَق البالي (ج) أطمار.

(٢) الشَّزر: نظرة الإعراض أو الغضب أو الإستهانة.

وسمعته يقول: سمعت أبا أحمد الصغير، يقول:

سألت أبا عبد الله بن خفيف عن فقير يجوع ثلاثة أيام وبعد ثلاثة أيام يخرج ويسأل مقدار كفايته: إيش يُقال فيه؟! فقال: يُقال فيه: مُكدٌ... كلوا واسكتوا، فلو دخل فقير من هذا الباب لفضحكم كلكم.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين، يقول: سمعت عبد الله بن عليّ الصوفي يقول: سمعت الدقي يقول ـ وقد سُئل عن سوء أدب الفقراء مع الله تعالى، في أحوالهم ـ فقال: هو انحطاطهم من الحقيقة إلى العلم.

وسمعته يقول: سمعت مُحمَّد بن عبد الله الطبري، يقول: سمعت خيراً النسَّاج يقول:
دخلت بعض المساجد وإذا فيه فقير، فلما رآني تعلق بي.
وقال: أيها الشيخ تعطف عليّ؛ فإنَّ محنتي عظيمة!!
فقلت: وما هي؟
فقال: فقدت البلاء وقويت بالعافية. فنظرت فإذا قد فتح عليه بشيء من الدنيا.

وسمعته يقول: سمعت مُحمَّد بن مُحمَّد بن أحمد يقول: سمعت أبا بكر الورَّاق يقول:

طوبى[1] للفقير في الدنيا والآخرة.

فسألوه عنه، فقال: لا يطلب للسلطانُ منه في الدنيا: الخراج، ولا الجبار في الآخرة: الحساب.

باب التَّصوف[1]

الصفاء محمود بكل لسان، وضدّه: الكدورة؛ وهي مذمومة.

أخبرنا عبد الله بن يُوسف الأصبهاني قال: أخبرنا عبد الله بن يَحيى الطلحيّ قال: حدّثنا الحُسين بن جعفر قال: حدّثنا عبد الله بن نوفل[2] قال: حدّثنا أبو بكر بن عيَّاش، عن يزيد بن أبي زياد، عن أبي جحيفة قال:

خرج علينا رسول الله ﷺ متغيِّر اللون فقال: «**ذهب صفو الدنيا وبقي الكدر، فالموت اليوم تحفة لكل مسلم**»[3].

(١) التصوف: لغوياً طريقة سلوكية قوامها التقشف والتحلي بالفضائل لتزكو النفس وتسمو الروح.

(٢) عبد الله بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم، صحابي من القضاة. ولد على عهد النبي ﷺ، واستقضاه مروان بن الحكم بالمدينة (سنة ٤٢ هـ). توفي سنة (٨٤ هـ).

(٣) أخرجه ابن ماجة (زهد ١).

ثم هذه التسمية غلبت على هذه الطائفة؛ فيُقال: «رجلٌ صوفيٌّ»، وللجماعة «صوفيَّة»، ومن يتوصَّل إلى ذلك يُقال له: «متصوف»، وللجماعة: «المتصوّفة».

وليس يشهد لهذا الاسم من حيث العربية قياس ولا اشتقاق. والأظهر فيه: أنه كاللقب، فأما قول من قال: إنه من الصوف، ولهذا يُقال: تَصوّف إذا لبس الصوف كما يُقال: تقمَّص إذا لبس القميص، فذلك وجه. ولكن القوم لم يختصُّوا بلبس: الصوف!!

ومن قال: إنهم منسوبون إلى صُفة مسجد رسول الله ﷺ، فالنسبة إلى الصفة لا تجيء على نحو الصوفيّ!!

ومن قال: إنه مشتق من الصفاء، فاشتقاق الصوفيّ من الصفاء بعيدٌ في مقتضى اللغة.

وقول من قال: إنه مشتق من الصفّ، فكأنهم في الصف الأول بقلوبهم فالمعنى صحيح، ولكن اللغة لا تقتضي هذه النسبة إلى الصف.

ثم إنَّ هذه الطائفة أشهر من أنْ يحتاج في تعينهم إلى قياس لفظ واستحقاق اشتقاق.

وتكلم الناس في التصوّف: ما معناه؟ وفي الصوفي: من هو؟

فكلٌّ عبَّر بما وقع له. واستقصاء جميعه يخرجنا عن المقصود من الإيجاز وسنذكر هنا بعض مقالاتهم فيه على حدِّ التلويح، إنْ شاء الله تعالى.

سمعت مُحمَّد بن أحمد بن يَحيى الصوفي يقول: سمعت عبد الله بن علي التميميّ يقول: سُئل أبو مُحمَّد الجريري عن التصوُّف، فقال: الدخول في كل خلق سني والخروج من كل خلق دنيّ.

سمعت عبد الرَّحمن بن يُوسف الأصبهاني يقول: سمعت أبي يقول: سمعت أبا عبد الله مُحمَّد بن عمَّار الهمداني يقول: سمعت أبا مُحمَّد المرعشي يقول: سُئل شيخي عن التصوف، فقال: سمعت الجُنيد وقد سُئل عنه فقال: هو أنْ يميتك الحق عنك، ويحييك به.

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السلميّ يقول: سمعت عبد الرَّحمن بن مُحمَّد الفارسي يقول: سمعت أبا الفاتك يقول: سمعت الحُسين بن مَنصور، وقد سُئل عن الصوفي، فقال: وحداني الذات لا يقبله أحد، ولا يقبل أحداً.

وسمعته يقول: سمعت عبد الله بن مُحمَّد يقول: سمعت جَعفر بن مُحمَّد بن نُصير يقول: سمعت أبا عليّ الوراق يقول: سمعت أبا حمزة البغدادي يقول: علامة الصوفي الصَّادق: أنْ يفتقر بعد الغنى، ويذلّ بعد العزّ، ويخفى بعد الشهرة، وعلامة الصوفي الكاذب: أنْ يستغني بالدنيا بعد الفقر، ويعز بعد الذلّ، ويشتهر بعد الخفاء.

وسُئل عَمرو بن عُثمان المكيّ عن التصوَّف، فقال: أنْ يكون العبد في كل وقت بما هو أولى به في الوقت.

وقال مُحمَّد بن علي القصَّاب: التصوّف: أخلاق كريمة ظهرت في زمان كريم من رجل كريم مع قوم كرام.

وسُئل سمنون عن التصوف فقال: أنْ لا تملك شيئاً ولا يملكك شيء.

وسُئل رُويم عن التصوف فقال: استرسال النفس مع الله تعالى على ما يريده.

وسُئل الجُنيد عن التصوف فقال: هو أنْ تكون مع الله تعالى بلا علاقة.

وسمعت عبد الله بن يُوسف الأصبهاني يقول: سمعت أبا نصر السَّرَّاج الطوسي يقول: أخبرني مُحمَّد بن الفَضْل قال: سمعت عليّ بن عبد الرحيم الواسطيّ يقول: سمعت رُويم بن أحمد البغدادي يقول: التصوف مبني على ثلاث خصال:

التمسك بالفقر، والإفتقار إلى الله، والتحقق بالبذل والإيثار، وترك التعرض والإختيار.

وقال مَعْروف الكرخيّ: التصوف: الأخذ بالحقائق، واليأس مما في أيدي الخلائق.

قال حمدون القصَّار: أصحب الصوفيَّة؛ فإنَّ للقبيح عندهم وجوهاً من المعاذير.

وسُئل الخرّاز عن أهل التصوُّف فقال: قوم أعطوا حتى بسطوا، ومنعوا حتى فقدوا، ثم نودوا من أسرار قريبة ألا فابكوا علينا.

وقال الجُنيد: التصوف: عنوة لا صلح فيها.

وقال أيضاً: هم أهل بيت واحد، لا يدخل فيهم غيرهم.

وقال أيضاً: التصوّف: ذكر مع اجتماع، ووجْد مع استماع، وعملٌ مع اتباع.

وقال أيضاً: الصوفيّ كالأرض، يُطرح عليها كلُّ قبيح، ولا يخرج منها إلا كلُّ مليح.

وقال أيضاً: إنه كالأرض؛ يطؤها البرُّ والفاجر، وكالسحاب يظل كلَّ شيء وكالقطر يسقي كل شيء.

وقال: إذا رأيت الصوفي يُعنى بظاهره، فاعلم أنَّ باطنه خراب.

وقال سَهل بن عبد الله: الصوفيّ: من يرى دمه هدراً، وملكه مُباحاً.

وقال النوريّ: نعت الصوفي السكون عند العدم، والإيثار عند الوجود.

وقال الكتَّاني: التصوفُ خلق، فمن زاد عليك في الخلق فقد زاد عليك في الصفاء.

وقال أبو علي الرُّوذباري التصوُّف: الإناخة[1] على باب الحبيب وإنْ طرد عنه.

وقال أيضاً: صفوة القرب بعد كدورة البعد.

وقيل: أقبح من كلّ قبيح صوفي شحيح.

(١) الإناخة: الإقامة.

وقيل: التصوّف: كفّ فارغ، وقلب طيب.

وقال الشِّبليّ: التصوف الجلوس مع الله بلا همّ.

وقال أبو منصور: الصوفيّ: هو المشير عن الله تعالى؛ فإن الخلق أشاروا إلى الله تعالى.

وقال الشِّبلي: الصوفي مُنقطع عن الخلق، مُتصل بالحق؛ كقوله تعالى: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾ [طه: ٤١] قطعه عن كل غير، ثم قال له: «لن تراني».

وقال: الصوفية أطفالٌ في حجر الحقّ.

وقال أيضاً: التصوف برقة[1] محرقةٌ.

وقال أيضاً: هو العصمة عن رؤية الكون.

وقال رويم: ما تزال الصوفية بخير ما تنافروا، فإذا اصطلحوا فلا خير فيهم.

وقال الجريري: التصوف مراقبة الأحوال ولزوم الأدب.

وقال المزَين: التصوف: الإنقياد للحقّ.

وقال أبو تُراب النخشبيّ: الصوفيّ لا يكدره شيء، ويصفو به كل شيء.

وقيل: الصوفي لا يتعبه طلب، ولا يزعجه سبب.

سمعت أبا حاتم السجستاني يقول: سمعت أبا نصر السرَّاج يقول: سُئل ذو النُّون المصريّ عن أهل التصوف فقال: هم قوم آثروا الله، عزَّ وجلّ، على كل شيء فآثرهم الله، عزَّ وجلّ، على كل شيء.

وقال الواسطيّ رحمه الله: كان للقوم إشارات.. ثم صارت حركات.. ثم لم يبق إلا حسرات!!

وسُئل النوري عن الصوفي، فقال: من سمع السماع وآثر الأسباب.

سمعت أبا حاتم السجستاني، رحمه الله، يقول: سمعت أبا نصر السرَّاج يقول: قلت للحصري: من الصوفي عندك؟ فقال: الذي لا تقله الأرض، ولا تظله السماء.

قال الأستاذ أبو القاسم: إنما أشار إلى حلّ «المحو».

وقيل: الصوفي من إذا استقبله حالان، أو خُلقان كلاهما حسن، كان مع الأحسن منهما.

وسُئل الشبلي: لم سميت الصوفية بهذه التسمية؟

فقال: لبقية بقيت عليهم من نفوسهم، ولولا ذلك لما تعلقت بهم تسمية.

سمعت أبا حاتم السجستاني يقول: سمعت أبا نصر السرَّاج يقول: سُئل ابن الجلاَّء: ما معنى قولهم: صوفي؟ فقال: ليس نعرفه في شرط العلم، ولكن نعرف أنَّ من كان فقيراً

---

(١) البَرقة: برق البصر بريقاً: شَخص فلم يطرف دهشاً. والبُرمة: أرض غليظة ذات حجارة ورمل وطين مختلط.

مجرداً من الأسباب، وكان مع الله تعالى بلا مكان، ولا يمنعه الحقّ سُبحانه عن علم كل مكان يسمى «صوفيًا».

وقال بعضهم: التصوف: إسقاط الجاهِ، وسوادِ الوجه في الدنيا والآخرة.

وقال أبو يعقوب المزايليّ: التصوف: حال تضمحل[1] فيها معالم الإنسانية.

وقال أبو الحسن السيروانيّ: الصوفي: من يكون من الواردات لا مع الأوراد.

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقّاق، رحمه الله، يقول: أحسن ما قيل في هذا الباب قول من قال: هذا طريق لا يصلح إلا لأقوام قد كنس الله بأرواحهم المزابل؛ ولهذا قال رحمه الله يوماً: لو لم يكن للفقير إلا روح فعرضها على كلاب هذا الباب لم ينظر كلب إليها.

وقال الأستاذ أبو سهل الصعلوكي: التصوف: الإعراض عن الإعتراض.

وقال الحصري: الصوفي لا يوجد بعد عدمه؛ ولا يُعْدم بعد وجوده.

قال الأستاذ القشريّ: وهذا فيه إشكال. ومعنى قوله: لا يوجد بعد عدمه أي إذا فنيت آفاته لا تعود تلك الأفات. وقوله: ولا يعدم بعد وجوده بمعنى: إذا اشتغل بالحق لم يسقط بسقوط الخلق، فالحادثات لا تؤثر فيه.

ويُقال: الصوفي: المصطلم عنه بما لاح له من الحق.

ويُقال الصوفي: مقهور بتصريف الربوبية. مستور بتصرف العبودية.

ويُقال: الصوفيّ لا يتغير، فإنْ تغير لا يتكدَّر.

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلميّ، رحمه الله، يقول: سمعت الحُسين بن أحمد الرازي يقول: سمعت أبا بكر المصري يقول: سمعت الخرّاز يقول: كنت في جامع «قيروان»[2] يوم جمعة، فرأيت رجلاً يدور في الصف، ويقول:

تصدَّقوا عليَّ؛ فقد كنت صوفياً فضعفتُ..

فرفقته بشيء. فقال لي: مُر، ويلك!! ليس هذا من ذلك!! ولم يقبل الرفق.

باب الأدب[3]

قال الله عزَّ وجل: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ [النجم: ١٧].

قيل: حفظ آداب الحضرة.

---

(١) اضمحل: ضَعُف وانحل شيئاً فشيئاً حتى تلاشى.

(٢) القيروان: مدينة عظيمة بإفريقية غبرت دهراً وليس بالغرب مدينة أجل منها. معجم البلدان ٤/ ٤٢٠.

(٣) الأدب: لغوياً: الظَّرف وحسن التناول. ورياضة النفس بالتعليم والتهذيب على ما ينبغي.

وقال تعالى: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ [التحريم: ٦]، جاء في التفسير عن ابن عبَّاس: فقهوهم، وأدبوهم.

أخبرنا عليّ بن أحمد الأهوازيّ، قال: أخبرنا أبو الحسن الصفَّار البصريّ قال: حدّثنا غنَّام قال: حدّثنا عبد الصَّمد بن النُّعمان[1] قال: حدّثنا عبد الملك بن الحسين، عن عبد الملك بن عُمير، عن مُصعب بن شيبة، عن عائشة، رضي الله عنها، عن النبي ﷺ قال:

«**حق الولد على والده: أنْ يحسن اسمه، ويحسن مرضعه، ويحسن أدبه**»[2].

ويُحكى عن سعيد بن المسيَّب أنه قال: من لم يعرف ما لله عزَّ وجل، عليه في نفسه، ولم يتأدب بأمره ونهيه كان من الأدب في عزلة.

وروي عن النبيّ ﷺ أنه قال:

«**إنَّ الله عزَّ وجلَّ، أدّبني فأحسن تأديبي**»[3].

وحقيقة الأدب: اجتماع جميع خصال الخير؛ فالأديب: هو الذي اجتمع فيه خصال الخير ومنه أخذت «المأدبة» اسم للمجمع.

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقَّاق، رحمه الله، يقول: العبد يصل بطاعته إلى الجنة، وبأدبه في طاعته إلى الله.

وسمعته أيضاً يقول: رأيت من أراد أنْ يمد يده في الصلاة بين يدي الله إلى أنفه، ليزيل ما به، فقبض على يده.

قال الأستاذ: وإنما أشار بذلك إلى نفسه؛ لأنه لا يمكن الإنسان أنْ يعرف من غيره أنه قبض على يده.

وكان الأستاذ أبو عليّ، رحمه الله، لا يستند إلى شيء، وكان يوماً في مجمع، فأردت أنْ أضع وسادة خلف ظهره؛ لأني رأيته غير مستند.. فتنحى عن الوسادة قليلاً.. فتوهمت أنه توقى الوسادة، لأنه لم يكن عليها خرقة أو سجادة، فقال: لا أريد الإستناد.

فتأملت بعده حاله؛ فكان لا يستند إلى شيء.

سمعت أبا حاتم السجستاني يقول: سمعت أبا نصر السرَّاج، يقول: سمعت أحمد بن مُحمَّد البصريّ يقول: سمعت الجلاجليّ البصريّ يقول: التوحيد موجب يوجب الإيمان؛ فمن لا إيمان له فلا توحيد له، والإيمان موجب يوجب الشريعة؛ فمن لا شريعة له فلا إيمان

---

(١) عبد الصمد بن النعمان البزاز، بغدادي، روى عن عيسى بن طهمان وطبقته، وكان أحد الثقات، ولم تقع له رواية في الكتب الستة. توفي سنة ست عشرة ومائتين.

(٢) كنز العمال برقم ٤٥١٩١ وحلية الأدباء ١/ ١٨٤، شذرات الذهب ٢/ ٣٦.

(٣) كنز العمال ١٨٦٧٣.

له ولا توحيد، والشريعة موجب يوجب الأدب: فمن لا أدب له لا شريعة له ولا إيمان ولا توحيد.

وقال ابن عطاء: الأدب: الوقوف مع المستحسنات، فقيل: وما معناه؟

قال: أنْ تُعامل الله بالأدب سراً وعلناً؛ فإذا كنت كذلك كنت أديباً وإنْ كنت أعجمياً.

ثم أنشد:

إذا نطقــتْ جــاءت بكــل مــلاحــةٍ ... وإنْ سكتــت جــاءت بكــل مليــح

أخبرنا مُحمَّد بن الحُسين، قال: سمعت عبد الله الرازيّ يقول: سمعت عبد الله الجريري يقول: منذ عشرين سنة ما مددت رجلي وقت جلوسي في الخلوة فإن حُسن الأدب مع الله أولى.

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقّاق، رحمه الله، يقول: من صاحب الملوك بغير أدب أسلمه الجهل إلى القتل.

وروي عن ابن سيرين أنه سُئل: أيّ الآداب أقرب إلى الله تعالى؟

فقال: معرفة بربوبيته، وعملٌ بطاعته، والحمد لله على السراء[1]، والصبر على الضراء[2].

وقال يَحيى بن مُعاذ: إذا ترك العارف أدبه مع معروفه، فقد هلك مع الهالكين.

سمعت الأستاذ أبا عليّ رحمه الله، يقول: ترك الأدب موجب يوجب الطرد؛ فمن أساء الأدب على البساط رُدّ إلى الباب، ومن أساء الأدب على الباب ردّ إلى سياسة الدواب.

وقيل للحسن البصريّ: قد أكثر الناس في علم الآدب، فما أنفعها عاجلاً وأوصلها آجلاً؟

فقال: التفقه في الدين، والزهد في الدنيا، والمعرفة بما لله، عزّ وجلّ عليك.

وقال يَحيى بن مُعاذ: من تأدب بأدب الله تعالى صار من أهل محبة الله تعالى.

وقال سهل: القوم الذين استعانوا بالله، على أمر الله، وصبروا على آداب الله.

وروي عن ابن المُبارك أنه قال: نحن إلى قليل من الأدب أحوج منّا إلى كثير من العلم.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين يقول: سمعت مُحمَّد بن أحمد بن سعيد يقول: سمعت العبَّاس بن حمزة يقول: حدّثنا أحمد بن أبي الحواريّ قال: قال الوليد بن عُتبة: قال ابن المبارك: طلبنا الأدب حين فاتنا المؤدِّبون:

---

(١) السّرّاء: الخير والنعمة يسر بها.

(٢) الضراء: الشدة والفقر والعذاب.

وقيل: ثلاث خصال ليس معهن غُربة:
مجانبةُ أهل الرِّيب، وحسن الأدب، وكف الأذى.
وأنشدنا الشيخ أبو عبد الله المغربيّ، رضي الله عنه، في هذا المعنى:

يـزيـن الغـريـبَ إذا مـا اغتـرب ثـلاث: فمنهـن حسـنُ الأدب
وثـانيـه: حُسـن أخـلاقـه وثـالثـه اجتنـاب الـرِّيـب

ولما دخل أبو حَفْص بغداد قال له الجُنيد: لقد أدبت أصحابك أدب السلاطين.

فقال له أبو حُفْص: حُسن الأدب في الظاهر عنوان حسن الأدب في الباطن.

وعن عبد الله بن المُبارك أنه قال: الأدب للعارف كالتوبة للمستأنف.

سمعت مَنْصور بن خَلف المغربيّ يقول: قيل لبعضهم: يا سيء الأدب.

فقال: لست بسيء الأدب، فقيل له: من أدّبك؟ فقال: أدَّبني الصوفية.

سمعت أبا حاتم السجستاني يقول: سمعت أبا النصر الطوسيّ السرّاج يقول: الناس في الأدب على ثلاث طبقات:

أما أهل الدنيا فأكثر آدابهم في الفصاحة والبلاغة وحفظ العلوم وأسماء الملوك وأشعار العرب.

وأما أهل الدين فأكثر آدابهم في رياضة النفوس وتأديب الجوارح وحفظ الحدود وترك الشهوات.

وأما أهل الخصوصية فأكثر آدابهم في طهارة القلوب ومراعات الأسرار والوفاء بالعهود وحفظ الوقت، وقلة الإلتفات إلى الخواطر، وحسنُ الأدب في مواقف الطلب وأوقات الحضور ومقامات القرب.

وحكي عن سهل بن عبد الله أنه قال: من قهر نفسه بالأدب فهو يعبد الله بالإخلاص.
وقيل: كمال الأدب لا يصفو إلا للأنبياء والصديقين.
وقال عبد الله بن المُبارك: قد أكثر الناس في الأدب، ونحن نقول: هو معرفة النفس.
وقال الشِّبلي: الإنبساط بالقول مع الحقّ سُبحانه ترك الأدب.
وقال ذو النُّون المصريّ: أدب العارف فوق كلّ أدب؛ لأنَّ معروفه مؤدِّب قلبه.

وقال بعضهم: يقول الحقّ، سُبحانه: من ألزمته القيام مع أسمائي وصفاتي ألزمته الأدب، ومن كشفت له عن حقيقة ذاتي ألزمته العطب[1]، فاختر أيَّهما شئتَ: الأدب أو العطب.

(١) العطب: الهلاك.

وقيل: مدّ ابن عطاء رجله يوماً بين أصحابه وقال: ترك الأدب بين أهل الأدب أدب.

ويشهد لهذه الحكاية الخبر الذي روى «أنَّ النبيّ ﷺ كان عنده أبو بكر، وعُمر، فدخل عُثمان فغطى فخذه وقال: **ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة**[1] نبه ﷺ: أنَّ حشمة عُثمان، رضي الله عنه، وإنْ عظمت عنده، فالحالة التي بينه وبين أبي بكر وعُمر كانت أصفي.

وفي قريب من معناه أنشدوا:

فـــيّ انقبـــاض وحشمـــة فـــإذا ... جـالســت أهــل الــوفــاء والكــرم

أرسلـــتُ نفســـي علـــى سجيتهـــا ... وقلــت مــا قلــت غيــرَ مُحتشــم

وقال الجُنيد: إذا صحّت المحبَّة سقطت شروط الأدب.

وقال أبو عُثمان: إذا صحّت المحبة تأكد على المحبّ ملازمة الأدب.

وقال النوريّ: من لم يتأدب للوقت فوقته المقت.

وقال ذو النُّون المصريّ: إذا خرج المُريد عن استعمال الأدب، فإنه يرجع من حيث جاء.

سمعت الأستاذ أبا علي، رحمه الله يقول في قوله عزّ وجلّ: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣]، قال: لم يقل «ارحمني» لأنه حفظ آداب الخطاب.

وكذلك عيسى عليه السلام حيث قال: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ [المائدة: ١١٨]، وقال: ﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ﴾ [المائدة: ١١٦] ولم يقل «لم أقل»؛ رعاية لآداب الحضرة.

سمعت مُحمَّد بن عبد الله الصوفي، رحمه الله، يقول: سمعت أبا الطيب بن الفرحان يقول: سمعت الجُنيد يقول: جاءني بعض الصالحين يوم جمعة فقال لي: ابعث معي فقيراً يُدخل عليَّ سروراً، ويأكل معي شيئاً؛ فالتفت، فإذا أنا بفقير شهدتُ فيه الفاقة.. فدعوته.. وقلت له: امض مع هذا الشيخ وأدخل عليه سروراً، فلم ألبث أنْ جاءني الرجل فقال لي: يا أبا القاسم لم يأكل ذلك الرجل الفقير إلاّ لقمة، وخرج!!

فقلت: لعلك قلت كلمة جفاء عليه، فقال لي: لم أقل شيئاً.

فالتفت فإذا أنا بالفقير جالس، فقلت له: لمَ لَم تُتم عليه السرور؟

فقال: يا سيدي، خرجت من الكوفة وقدمت «بغداد» ولم آكل شيئاً.. وكرهت أنْ

(١) أخرجه مسلم فضائل الصحابة ٢٦، وأحمد في مسنده عن عثمان ١/ ٧١، وعن عائشة رضي الله عنها ٦/ ٦٢، ١٥٥، ٢٨٨.

يبدو سوء أدب مني من جهة الفاقة في حضرتك.. فلما دعوتني سررتُ إذ جرى ذلك ابتداء منك، فمضيتُ وأنا لا أرضى له الجنان... فلما جلست على مائدته سوَّى لقمةَ وقال لي: كُل، فهذا أحبّ إليّ من عشرة آلاف درهم. فلما سمعت هذا منه علمت أنه دنيء الهمّة، فتطرفت أن آكل طعامه، فقال الجُنيد: ألم أقل لك إنك أسأت أدبك معه، فقال: يا أبا القاسم.. التوبة، فسأله أنْ يمضي معه ويفرحه.

باب أحكامهم في السَّفر[1]

قال الله عزَّ وجل: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ..﴾ [يونس: ٢٢] الآية.

أخبرنا عليّ بن أحمد بن عبدان، قال: أخبرنا أحمد بن عُبيد البصريّ قال: حدّثنا مُحمَّد بن الفرج الأزرق قال: حدّثنا حجّاج قال: قال ابن جُريج: أخبرني أبو الزبير: أنَّ علياً الأزدي أخبره: أنّ ابن عُمر أعلمهم «أنَّ رسول الله ﷺ كان إذا استوى على البعير خارجاً إلى سفر كبّر ثلاثاً، ثم قال:

﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ [الزخرف: ١٣ و ١٤]، ثم يقول: **اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى، ومن العمل ما ترضى، اللهم هوّن علينا سفرنا.**

اللهمّ أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل.. اللهمّ إني أعوذ بك من وَعثاء[2] السفر، وكآبة المنقلب، وسوء المنظر في المال والأهل، وإذا رجع قالهن، وزاد فيهن: آيبون.. تائبون.. ربنا حامدون»[3].

ولما كان رأى كثير من أهل هذه الطائفة اختيارُ «السفر» أفردنا لذكر «السَّفر» في هذه الرسالة باباً، لكونه من أعظم شأنهم؛ وهذه الطائفة مختلفون: فمنهم من آثر الإقامة على السفر، ولم يسافر إلا لفرض، كحجة الإسلام، والغالب عليهم الإقامة، مثل: الجُنيد، وسهل بن عبد الله، وأبي يزيد البسطاميّ، وأبي حَفْص، وغيرهم.

ومنهم من آثر السفر، وكانوا على ذلك، إلى أنْ أخرجوا من الدنيا، مثل: أبي عبد الله المغربيّ، وإبراهيم بن أدهم، وغيرهم.

---

(١) السَّفر: لغوياً قطع المسافة (ج) أسفار.

(٢) وعثاء السفر: شدته ومشقته.

(٣) أخرجه مسلم (حج ٤٢٥، ٤٢٧)، وأبو داود (جهاد ٧٢)، والترمذي (دعاء ٤١)، والنسائي (استعاذة ٤١، ٤٣)، وابن ماجة (دعاء ٢٠)، والدارمي (استئذان ٤٢) والموطأ (استئذان ٣٤)، وأحمد بن حنبل ٢، ١٥٠، ٤٠١، ٤٣٣، ٥، ٨٢، ٨٣.

وكثير منهم سافروا في ابتداء أمورهم في حال شبابهم أسفاراً كثيرة ثم قعدوا عن السفر في آخر أحوالهم، مثل: أبي عُثمان الحيري، والشِّبلي، وغيرهم، ولكل منهم أصول بنوا عليها طريقتهم.

واعلم أنَّ السفر على قسمين:

سفر بالبدن: وهو الإنتقال من بقعة إلى بقعة.

وسفر بالقلب: وهو الإرتقاء من صفة إلى صفة؛ فترى ألفاً يُسافر بنفسه وقليل من يسافر بقلبه.

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقَّاق، رحمه الله، يقول: كان بـ«فَرَخْك» (قرية بظاهر «نيسابور») شيخ من شيوخ هذه الطائفة، وله على هذا اللسان تصانيف، سأله بعض الناس: هل سافرت أيها الشيخ؟

فقال: سفر الأرض أم سفر السماء؟ سفر الأرض لا. وسفر السماء، بلى. وسمعته رحمه الله، يقول: جاءني بعض الفقراء يوماً، وأنا بمرو، فقال لي: قطعت إليك شقة بعيدة، والمقصود لقاؤك.

فقلت له: كان يكفيك خطوة واحدة لو سافرت عن نفسك.

وحكاياتهم في السفر تختلف على ما ذكرنا من أقسامهم وأحوالهم.

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السلميّ، رحمه الله يقول: سمعت مُحمَّد بن عليّ العلويّ يقول: سمعت جَعفر بن مُحمَّد يقول: سمعت أَحْنَف الهمذاني يقول: كنت في البادية وحدي، فأعييتُ، فرفعت يدي وقلت: يا رب، إني ضعيف زمن، وقد جئت إلى ضيافتك، فوقع في قلبي أنْ يقال لي: من دعاك؟ فقلت يا رب هي مملكة تحتمل الطفيلي[1].. فإذا أنا بهاتف من ورائي.. فالتفت إليه فإذا أعرابي على راحلة، فقال: يا أعجميّ، إلى أين؟.. قلت: إلى مكة، قال: أودعاك؟ قلت: لا أدري، فقال: أليس قال: ﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾ [آل عمران: ٩٧]؟ فقلت: المملكة واسعة تحتمل الطفيلي، فقال: نِعم الطفيلي أنت، يمكنك أن تخدم الجمل؟ قلت: نعم، فنزل عن راحلته وأعطانيها، وقال: سر عليها.

سمعت مُحمَّد بن عبد الله الصوفي يقول: سمعت مُحمَّد بن أحمد النجَّار يقول: سمعت الكتانيّ يقول؛ وقد قال له بعض الفقراء: أوصني، فقال: اجتهد أنْ تكون كل ليلة ضيف مسجد، وأنْ لا تموت إلا بين منزلين.

ويحكى عن الحصريّ أنه كان يقول: جلسة خير من ألف حجة.

وإنما أراد جلسة تجمع الهمَّ على نعت الشهود.

---

(١) الطفيلي: الذي يغشى الولائم والمجالس ونحوهما بلا دعوة.

ولعمري، إنها أتم من ألف حجة، على وصف الغيبة عنه.

سمعت مُحمَّد بن أحمد الصوفي، رحمه الله، يقول: سمعت عليّ بن عبد الله التميميّ يقول: حكى عن مُحمَّد بن إسماعيل الفرغاني أنه قال: كنا نسافر مقدار عشرين سنة أنا وأبو بكر الزقّاق، والكتّاني، لا نختلط بأحد، ولا نعاشر أحداً، فإذا قدمنا بلداً؛ فإنْ كان فيه شيخ سلّمنا عليه، وجالسناه إلى الليل.. ثم نرجع إلى مسجد، فيصلي الكتّاني من أول الليل إلى آخره ويختم القرآن؛ ويجلس الزقاق مستقبل القبلة؛ وكنت أستلقي متفكراً، ثم نصبح ونصلي صلاة الفجر على وضوء العتمة، فإذا وقع معنا إنسان ينام كنا نراه أفضلنا.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين، رحمه الله يقول: سمعت عبد الله بن عليّ يقول: سمعت عيسى القصّار يقول: سُئل رُويم عن أدب السفر. فقال: أنْ لا يجاوز همه قدمه: وحيثما وقف قلبه يكون منزله.

وحكي عن مالك بن دينار أنه قال: أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام؛ اتخذ نعلين من حديد، وعصاً من حديد، ثم سِحْ في الأرض، فاطلب الآثار والعبر، حتى تنخرق النعلان وتنكسر العصا.

وقيل: كان أبو عبد الله المغربي يسافر أبداً ومعه أصحابه، وكان يكون مُحرماً؛ فإذا تحلل من إحرامه أحرم ثانياً، ولم يتسخ له ثوب، ولا طال له ظفر ولا شعر.

وكان يمشي معه أصحابه بالليل وراءه، فكان إذا حاد أحدهم عن الطريق، يقول: يمينك يا فلان، يسارك يا فلان، وكان لا يمدُّ يده إلى ما وصلت إليه يد الآدميين، وكان طعامه أصل شيء من النبات يؤخذ فيُقلع لأجله.

وقيل: كلُّ صاحب تقول له «قُم» فيقول: إلى أين؟ فليس بصاحب، وفي معناه أنشدوا:

إذا استنْجدوا لم يسألوا من دعاهم   لأية حرب أم لأيِّ مكان

وحكي عن أبي عليّ الرباطي قال: صحبت عبد الله المروزي، وكان يدخل البادية قبل أنْ أصحبه بلا زاد ولا راحلة. فلما صحبته، قال لي: أيما أحبُّ إليك، أن تكون أنت الأمير أم أنا؟ فقلت: لا، بل أنت؛ فقال: وعليك الطاعة؟ فقلت: نعم.

فأخذ مخلاة[1]، ووضع فيها زاداً، وحملها على ظهره، فإذا قلت: أعطني حتى أحملها.

قال: الأمير أنا وعليك الطاعة.

---

(١) المخلاة: ما يُجعل فيه العلف ويعلق في عنق الدابة (ج) المخالي.

قال: فأخذنا المطر ليلة.. فوقف إلى الصباح على رأسي وعليه كساء يمنع عني المطر، فكنت أقول في نفسي: يا ليتني متُّ ولم أقل له أنت الأمير.

ثم قال لي: إذا صحبتَ إنساناً فاصحبه كما رأيتني صحبتك.

وقدم شاب على أبي عليٍّ الروذباريّ، فلما أراد الخروج، قال: يقول الشيخ شيئاً، فقال: يا فتى كانوا لا يجتمعون عن موعد، ولا يتفرَّقون عن مشورة.

وعن المزين الكبير قال: كنت يوماً مع إبراهيم الخوَّاص في بعض أسفاره، فإذا عقرب تسعى على فخذه. فقمت لأقتلها، فمنعني وقال: دعها. كلُّ شيء مفتقر إلينا. ولسنا مفتقرين إلى شيء.

وقال أبو عبد الله النصبيني: سافرت ثلاثين سنة ما خطت قطّ خرقة على مرقعتي، ولا عدلت إلى موضع علمت أنَّ لي فيه رفيقاً، ولا تركت أحداً يحمل معي شيئاً.

واعلموا أنَّ القوم استوفوا آداب الحضور من المجاهدات، ثم أرادوا أنْ يضيفوا إليها شيئاً، فأضافوا أحكام السفر إلى ذلك؛ رياضة لنفوسهم، حتى أخرجوها عن المعلومات، وحملوها على مفارقة المعارف، كي يعيشوا مع الله بلا علاقة ولا واسطة، فلم يتركوا شيئاً من أورادهم في أسفارهم.

وقالوا: الرُّخص لمن كان سفره ضرورة، ونحن لا شغل لنا ولا ضرورة في أسفارنا علينا.

سمعت أبا صادق بن حبيب قال: سمعت النصراباذي يقول: ضعفت في البادية مرّة فأيست من نفسي، فوقع بصري على القمر، وكان ذلك بالنهار، فرأيت مكتوباً عليه: ﴿ شِقَاقٍۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ﴾ [البقرة: ١٣٧]، فاستقللت، وفتح عليّ من ذلك الوقت هذا الحديث.

وقال أبو يَعقوب السوسيّ: يحتاج المسافر إلى أربعة أشياء في سفره:
عِلم يسوسه، وورع يحجزه، ووجد يحمله، وخُلق يصونه.
وقيل: سمي السفر سفراً؛ لأنه يُسفر عن أخلاق الرجال.
وكان الكتانيّ إذا سافر الفقير إلى اليمن ثم رجع إليه مرّة أخرى يأمر بهجرانه؛ وإنما كان يفعل ذلك؛ لأنهم كانوا يسافرون إلى اليمن ذلك الوقت لأجل الرفق.

وقيل: كان إبراهيم الخوّاص لا يحمل شيئاً في السفر، وكان لايفارق «الإبرة» و «الركوة» أما الأبرة فلخياطة ثوبه إنْ تمزّق ستراً للعورة، وأما الركوة فللطهارة، وكان لا يرى ذلك علاقة ولا معلوماً.

وحكي عن أبي عبد الله الرازي قال: خرجت من «طرسوس» حافياً، وكان معي رفيق،

فدخلنا بعض قرى الشام، فجاءني فقير بحذاء فامتنعت من قبوله؛ فقال لي رفيقي: البس هذا، فقد عييتُ، فإنه قد فتح عليك بهذا النعل بسببي. فقلت: مالك؟ فقال: نزعت نعلي موافقة لك، ورعاية لحق الصحبة.

وقيل: كان الخوّاص في سفر، ومعه ثلاثة نفر، فبلغوا مسجداً في بعض المفاوز وباتوا فيه، ولم يكن عليه باب. وكان برد شديد فناموا، فلما أصبحوا رأوه واقفاً على الباب، فقالوا له في ذلك فقال: خشيت أنْ تجدوا البرد. وكان قد وقف طول ليلته.

وقيل: إنَّ الكتاني استأذن أمه في الحج مرة فأذنت له، فخرج، فأصاب ثوبه البول في البادية، فقال: إنَّ هذا لخلل في حالي، فانصرف. فلما دق باب داره أجابته أمه، ففتحت.. فرآها جالسة خلف الباب.. فسألها عن سبب جلوسها فقالت: مذ خرجتَ اعتقدت أن لا أبرح من هذا الموضع حتى أراك.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين يقول: سمعت عبد الله بن مُحمَّد الدمشقيّ يقول: سمعت إبراهيم بن المولد يقول: سمعت إبراهيم القصَّار يقول: سافرت ثلاثين سنة أصلح قلوبَ الناس للفقراء.

وقيل: زار رجل داود الطائيَّ فقال: يا أبا سُليمان، كانت نفسي تنازعني إلى لقائك منذ زمان، فقال: لا بأس إذا كانت الأبدان هادئة والقلوب ساكنة فالتلاقي أيسر.

سمعت أبا نصر الصوفي، وكان من أصحاب النصراباذي، يقول: خرجت من البحر بـ «عمان» وقد أثَّر فيّ الجوع، فكنت أمرّ في السوق.. فبلغت حانوت حلاوي.. فرأيت فيه حملاناً[1] مشوّية، وحلواء.. فتعلقت برجل وقلت: اشتر لي من هذه الأشياء.

فقال: لماذا؟ ألك عليّ شيء، أو عليّ دين؟

فقلت: لا بد أنْ تشتري لي من هذا.

فرآني رجل فقال: خله يا فتى (إنَّ الذي يجب عليه أنْ يشتري لك ما تريد) أنا لا هو، اقترح عليّ، واحكم بما تريد.

ثم اشترى لي ما أردتُ، ومضى.

وحكي عن أبي الحُسين المصري قال: أنفقت مع الشجري في السفر من «طرابلس».. فسرنا أياماً لم نأكل شيئاً، فرأيت قرعاً مطروحاً.. فأخذت آكله، فالتفت إليّ الشيخ ولم يقل شيئاً، فرميت به، وعلمت أنه كره ذلك.. ثم فتح علينا بخمسة دنانير.. فدخلنا قرية، فقلت: يشتري الشيخ (لنا شيئاً) لا محالة.

فمرّ.. ولم يفعل.. ثم قال: لعلك تقول نمشي جياعاً ولم يشتر لنا شيئاً، هو ذا.

---

(١) الحَمَل: الصغير من الضأن (ج) حملان وأحمال.

فوافى «اليهودية» (قرية على الطريق)، وثم رجلٌ صاحب عيال إذا دخلناها يشتغل بنا، فادفعها إليه؛ لينفقها علينا وعلى عياله.

فوصلنا إليه، ودفع الدنانير إلى الرجل فأنفقها، فلما خرجنا قال لي: إلى أين يا أبا الحُسين؟

فقلت: أسير معك، فقال: لا، إنك تخونني في قرعة وتصحبني، لا تفعل وأبى أنْ أصحبه.

سمعت مُحمَّد بن عبد الله الشيرازي، رحمه الله، يقول: سمعت أبا أحمد الصغير يقول: سمعت أبا عبد الله بن خفيف يقول: كنت في حال حداثتي استقبلني بعض الفقراء.. فرأى فيّ أثر الضرّ والجوع، فأدخلني داره وقدّم لي لحماً طبخ بالكشك واللحم متغير. فكنت آكل الثريد[1] وأتجنب اللحم لتغيره، فلقمني لقمة، فأكلتها بجهد... ثم لقمني ثانية فبلغتني مشقة.. فرأى ذلك فيّ، وخجل، وخجلت لأجله، فخرجت وانزعجت في الحال للسفر.

فأرسلت إلى والدتي من يخبرها ويحمل إليّ مرقعتي فلم تعارضني الوالدة.. ورضيت بخروجي، فارتحلت من «القادسية»[2] مع جماعة من الفقراء.. فضعنا.. ونفد ما كان معنا.. وأشرفنا على التلف، فوصلنا إلى حي من أحياء العرب، ولم نجد شيئاً، فاضطررنا إلى أنْ اشترينا منهم كلباً بدنانير، وشووه، وأعطوني قطعة من لحمه.. فلما أردت أكله فكرت في حالي، فوقع لي أنه عقوبة خجل ذلك الفقير. فتبت في نفسي.. فدلونا على الطريق.. فمضيت.. وحججت.. ثم رجعت معتذراً إلى الفقير.

باب الصُّحبة[3]

قال الله عزّ وجلّ: ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾ [التوبة: ٤٠].

لما أثبت الله سُبحانه للصدّيق الصحبة بين أنه أظهر عليه الشفقة؛ فقال تعالى: ﴿إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾.

فالحُر شفيقٌ على من يصحبه.

---

(١) الثريدة والثروة: الخبز يُفت ويُبل بالمرق (ج) ثرائد.

(٢) القادسية: مدينة بينها وبين الكوفة خمسة عشر فرسخاً، وبينها وبين العذيب أربعة أميال. معجم البلدان ٤/ ٢٩١.

(٣) الصاحب: المرافق والملازم المعاشر لغيره.

أخبرنا عليّ بن أحمد الأهوازي، رحمه الله، قال: أخبرنا أحمد بن عُبيد البصريّ، قال: حدّثنا يَحيى بن محمد الجياني قال: حدّثنا عُثمان بن عبد الله القرشيّ، عن نعيم بن سالم، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: **«متى ألقى أحبابي؟ فقال أصحابه: بأبينا أنت وأمنا، أولسنا أحبابك؟**

فقال: أنتم أصحابي، أحبابي: قوم لم يروني، وآمنوا بي، وأنا إليهم بالأشواق أكثر».

والصحبة على ثلاثة أقسام:

صحبة مع من فوقك: وهي في الحقيقة خدمة، وصحبة مع من دونك: وهي تقضي على المتبوع بالشفقة والرحمة، وعلى التابع بالوفاق والحرمة.

وصحبة الأكفاء والنظراء: وهي مبنية على الإيثار[1] والفتوة؛ فمن صحب شيخاً فوقه في الرتبة، فأدبه ترك الإعتراض، وحمل ما يبدو منه على وجه جميل، وتلقى أحواله بالإيمان به.

سمعت مَنْصور بن خَلف المغربي وسأله بعض أصحابنا: كم سنة صحبت أبا عُثمان المغربي؟ فنظر إليه شزراً وقال: إني لم أصحبه، بل خدمته مدة. وأما إذا صحبك من هو دونك، فالخيانة منك في حق صحبته أنْ لا تنبهه على ما فيه من نقصان في حالته؛ ولهذا كتب أبو الخير التيناني إلى جَعفر بن مُحمَّد بن نُصير: وزر جهل الفقراء عليكم؛ لأنكم اشتغلتم بنفوسكم عن تأديبهم، فبقوا جهلة.

وأما إذا صحبت من هو في درجتك، فسبيلك التعامي عن عيوبه، وحملُ ما ترى منه على وجه من التأويل جميلٍ، ما أمكنك، فإنْ لم تجد تأويلاً عدت إلى نفسك بالتهمة وإلى التزام اللائمة.

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقّاق، رحمه الله، يقول: قال أحمد بن أبي الحواري: قلت لأبي سُفيان الداراني: إنَّ فلاناً لم يقع من قلبي!! فقال أبو سُليمان: وليس يقع أيضاً من قلبي، ولكن يا أحمد، لعلنا أتينا مِنْ قِبلنا، لسنا من جملة الصالحين؛ فلسنا نحبهم.

وقيل: صحب رجلٌ إبراهيم بن أدهم، فلما أراد أنْ يفارقه قال له الرجل: إنْ رأيت فيَّ عيباً فنبهني عليه. فقال إبراهيم: إني لم أر بك عيباً؛ لأني لاحظتك بين الوداد؛ فاستحسنت منك ما رأيت، فسل غيري عن عيبك.

وفي معناه أنشدوا:

وعين الرِّضا عن كلّ عيب كليلة ولكنَّ عين السخط تبدي المساويا

وحكى عن إبراهيم بن شَيبان أنه قال: كنا لا نصحب من يقول «نَعلى».

---

(١) الإيثار: تفضيل المرء غيره على نفسه (مج).

سمعت أبا حاتم الصوفي، يقول: سمعت أبا نصر السرَّاج، يقول: قال أبو أحمد القلانسيّ، وكان من أستاذي الجُنيد: صحبت أقواماً بـ «البصرة» فأكرموني.. فقلت مرّة لبعضهم: أين إزاري[1]؟ فسقطت من أعينهم.

وسمعت أبا حاتم يقول: سمعت أبا نصر السرّاج يقول: سمعت الدقي يقول: سمعت الزقَّاق يقول:

منذ أربعين سنة أصحب هؤلاء، فما رأيت رفقاً لأصحابنا إلا من بعضهم لبعض، أو ممن يحبهم، ومن لم يصحبه التقوى والورع في هذا الأمر أكل الحرام النص.

سمعت الأستاذ أبا علي الدقَّاق يقول: قال رجل لسهل بن عبد الله: أريد أنْ أصحبك يا أبا مُحمَّد. فقال: إذا مات أحدنا فمن يصحبه الباقي؟

فقال: الله. فقال له: فليصحبه الآن.

وصحب رجل رجلاً مدّة، ثم بدا لأحدهما المفارقة، فاستأذن صاحبه، فقال: بشرط ألا تصحب أحداً إلا إذا كان فوقنا، وإنْ كان أيضاً فوقنا فلا تصحبه؛ لأنك صحبتنا أولاً.
فقال الرجل: زال من قلبي إرادة المفارقة.

سمعت أبا حاتم الصوفي، يقول: سمعت أبا نصر السرَّاج يقول: سمعت الدُّقي يقول: سمعت الكتاني يقول: صحبني رجل، وكان على قلبي ثقيلاً، فوهبت له شيئاً، ليزول ما في قلبي، فلم يَزُل!!.. فحملته إلى بيتي، وقلت له: ضع رجلك على خدّي. فأبى، فقلت: لا بدّ. ففعل، واعتقدت أنْ لا يرفع رجله من خدّي حتى يرفع الله من قلبي ما كنت أجده، فلما زال عن قلبي ما كنت أجده، قلت له: ارفع رجلك الآن.

وكان إبراهيم بن أدهم يعمل في الحصاد وحفظ البساتين وغيره، وينفق على أصحابه.

وقيل: كان مع جماعة من أصحابه، فكان يعمل بالنهار وينفق عليهم، ويجتمعون بالليل في موضع وهم صيام، فكان يبطيء في الرجوع من العمل، فقالوا ليلة: تعالوا نأكل فطورنا دونه، حتى يعود بعد هذا أسرع، فأفطروا، وناموا، فلما رجع إبراهيم وجدهم نياماً، فقال: مساكين، لعلهم لم يكن لهم طعام، فعَمد إلى شيء من الدقيق كان هناك، فعجنه، وأوقد على النار، وطرح الملة[2]، فانتبهوا، وهو ينفخ في النار واضعاً محاسنه على التراب، فقالوا له في ذلك، فقال: قلت لعلكم لم تجدوا فطوراً.. فنمتم.. فأحببت أن تستيقظوا والملة قد أدركت.

فقال بعضهم لبعض: انظروا ما الذي عملنا، وما الذي به يعاملنا.

(١) الإزار: كساء يغطي النصف الأسفل من البدن (ج) أُزر.
(٢) الملَّة: الرماد الحار.

وقيل: كان إبراهيم بن أدهم إذا صحبه أحد شارطه على ثلاثة أشياء: أنْ تكون الخدمةُ والأذان له، وأنْ تكون يده في جميع ما يفتح الله عليهم من الدنيا كيدهم.

فقال له يوماً رجل من أصحابه: أنا لا أقدر على هذا؟

فقال: أعجبني صدقك.

وقال يُوسف بن الحُسين: قلت لذي النُّون: مع من أصحب؟

فقال: مع من لا تكتمه شيئاً يعلمه الله تعالى منك.

وقال سهل بن عبد الله لرجل: إنْ كنت ممن يخاف السِّباع فلا تصحبني.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين يقول: سمعت مُحمَّد بن الحسن العلوي يقول: حدّثنا عبد الرَّحمن بن حمدان قال: حدّثنا أبو القاسم بن منبّه قال: سمعت بِشْر بن الحارث يقول: صحبة الأشرار تورث سوء الظنّ بالأخيار.

وحكى الجُنيد قال: لما دخل أبو حَفْص بغداد كان معه إنسان أصلع لا يتكلم بشيء.. فسألت أصحاب أبي حَفْص عن حاله، فقالوا: هذا رجل أنفق عليه مائة ألف درهم، واستدان مائة ألف درهم أنفقها عليه، ولا يُرخص له أبو حَفص أن يتكلم بحرف.

وقال ذو النُّون: لا تصحب مع الله إلا بالموافقة، ولا مع الخلق إلا بالمناصحة، ولا مع النفس إلا بالمخالفة، ولا مع الشيطان إلا بالعداوة.

وقال رجل لذي النُّون: مع من أصحب؟ فقال:

مع من إذا مرضت عادك، وإذا أذنبت تاب عليك.

سمعت الأستاذ أبا عليّ، رحمه الله، يقول: الشجر إذا نبت بنفسه ولم يستنبته أحد يورق ولكنه لا يثمر، كذاك المريد، إذا لم يكن له أستاذ يتخرج به لا يجيء منه شيء.

وكان الأستاذ أبو عليّ، يقول: أخذت هذا الطريق عن النصراباذي، والنصراباذي عن الشِّبلي، والشِّبلي عن الجُنيد، والجُنيد عن السريّ، والسريّ عن مَعْروف الكرخيّ، ومَعروف الكرخيّ عن داود الطائي، وداود الطائي لقي التابعين.

وسمعته يقول: لم أختلف إلى مجلس النصراباذي قط إلا اغتسلت قبله.

قال الأستاذ أبو القاسم القشيريّ: ولم أدخل أنا على الأستاذ أبي عليّ في وقت بدايتي إلا صائماً، وكنت أغتسل قبله، وكنت أحضر باب مدرسته غير مرة فأرجع من الباب؛ احتشاماً منه أنْ أدخل عليه، فإذا تجاسرت[1] مرة ودخلت المدرسة كنت إذا بلغت وسط المدرسة يصحبني شبه خدَرٍ، حتى لو غرز فيَّ إبرة ـ مثلاً ـ علي كنت لا أحسّ بها، ثم إذا قعدت لواقعة وقعت لي لم أحتجْ أن أسأله بلساني عن المسألة، فكما كنت أجلس كان

---

(١) تجاسر: اجترأ وأقدم.

يبتدىء بشرح واقعتي، وغير مرة رأيت منه هذا عياناً، وكنت أفكر في نفسي كثيراً أنه لو بعث الله في وقتي رسولاً إلى الخلق هل يمكنني أنْ أزيد من حشمته على قلبي فوق ما كان منه، رحمه الله، فكان لايتصوَّر لي أنَّ ذلك ممكن، ولا أذكر أني في طول اختلافي إلى مجلسه، ثم كوني معه بعد حصول الوصلة، أنْ جرى في قلبي أو خطر ببالي عليه قط اعتراض، إلى أنْ خرج رحمه الله من الدنيا.

أخبرنا حَمزة بن يُوسف السهميّ الجرجاني، رحمه الله، قال: أخبرنا مُحمَّد بن أحمد العبسيّ قال: أخبرنا أبو عوانة، قال: حدّثنا يُونس، قال: حدّثنا خلف بن تميم أبو الأحوص، عن مُحمَّد بن النّضر الحارثي، قال: أوحى الله سُبحانه، إلى موسى عليه السلام:

كن يقظاناً.. مرتاداً لنفسك أخداناً[1] وكلُّ خدن لا يؤاتيك على مسرَّة فاقصه. ولا تصحبه؛ فإنه يقسي قلبك، وهو لك عدو، وأكثر من ذكري تستوجب على شكري والمزيد من فضلي.

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السلمي، رحمه الله، يقول: سمعت عبد الله بن المعلم يقول: سمعت أبا بكر الطمستاني يقول:

اصحبوا مع الله، فإنْ لم تطيقوا فاصحبوا مع من يصحب مع الله، لتوصلكم بركات صحبتهم إلى صحبة الله عزّ وجلّ.

باب التَّوحيد[2]

قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [البقرة: ١٦٣].

أخبرنا الإمام أبو بكر مُحمَّد بن الحُسين بن فُورك، رضي الله عنه، قال: حدّثنا أحمد بن مَحمود بن خرزاذ قال: حدّثنا مسيح بن حاتم العكلي قال: حدّثنا الحجبي عبد الله بن عبد الوَّهاب قال: حدّثنا حمَّاد بن زيد[3]، عن سعيد بن سعد بن حاتم العتكي، عن ابن أبي صدقة: عن مُحمَّد بن سيرين، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

«بينا رجل فيمن كان قبلكم لم يعمل خيراً قط إلا التوحيد، فقال لأهله: إذا متُّ

---

(١) الخِدن: الصديق الذي يكون معك ظاهراً وباطناً في كل أمر (للذكر والأنثى) (ج) أخدان.

(٢) التوحيد: لغوياً الإيمان بالله تعالى وحده لا شريك له.

(٣) حماد بن زيد بن درهم الأزدي الجهضمي، مولاهم البصري، أبو إسماعيل شيخ العراق في عصره. من حفاظ الحديث المجودين، يُعرف بالأزرق، أصله من سبي سجستان، ولد بالبصرة سنة (٩٨ هـ) وتوفي بها سنة (١٧٩ هـ)، وكان ضريراً، يحفظ أربعة آلاف حديث. خرّج حديثه الأئمة الستة. الأعلام ٢/ ٢٧١، وتهذيب التهذيب ٣/ ٩، وشذرات الذهب ١/ ٢٩٢.

فاحرقوني، ثم اسحقوني، ثم ذروا نصفي في البرّ ونصفي في البحر في يوم ريح. ففعلوا.. فقال الله عزّ وجل للريح: أدّي ما أخذتِ، فإذا هو بين يديه، فقال له: ما حملك على ما صنعت؟ فقال: استحياءً منك، فغفر له»[1].

التوحيد: هو الحكم بأنَّ الله واحد، والعلم بأنَّ الشيء واحد أيضاً توحيد، ويُقال: وحدته: إذا وصفته بالواحدنية، كما يُقال: شجعت فلاناً إذا نسبته إلى الشجاعة، يُقال في اللغة: وَحَد يحد فهو واحد وَوَحْد، ووحيد؛ كما يُقال: فَرَد فهو فارد، وفَرْد، وفريد.

وأصل أحد «وحد» فقلبت الواو همزة، والواو المفتوحة قد تقلب همزة، كما تُقلب المكسورة والمضمومة، ومنه امرأة أسماء، بمعنى وسماء، من الوسامة، ومعنى كونه، سُبحانه، واحداً على لسان العلم، قيل: هو الذي لا يصحّ في وصفه الوضع والرفع، بخلاف قولك: إنسان واحد؛ لأنك تقول: إنسان بلا يد ولا رجل، فيصح رفع شيء منه، والحق، سُبحانه أحديّ الذات، بخلاف الاسم الجملة الحاملة.

وقال بعض أهل التحقيق في معنى أنه واحد: نفي التقسيم لذاته، ونفي التشبيه عن حقه وصفاته، ونفي الشريك معه في أفعاله ومصنوعاته.

والتوحيد ثلاثة:

توحيد الحقّ للحقّ، وهو عِلمه بأنه واحد وخبره عنه بأنه واحد.

والثاني: توحيد الحق، سُبحانه، للخلق، وهو حكمه، سُبحانه، بأنَّ العبد موحد، وخلقه توحيدَ العبد.

والثالث: توحيد الخلق للحقّ، سُبحانه، وهو علم العبد بأنَّ الله، عزّ وجلّ، واحد، وحكمه وإخباره عنه بأنه واحد.

فهذه جملة في معنى التوحيد على شرط الإيجاز والتحديد.

واختلفت عبارات الشيوخ عن معنى التوحيد: سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السلميّ رحمه الله، يقول: سمعت مُحمَّد بن عبد الله بن شاذان يقول: سمعت يُوسف بن الحُسين يقول: سمعت ذا النُّون المصري يقول: وقد سُئل عن التوحيد. فقال: أنْ تعلم أنَّ قدرة الله تعالى في الأشياء بلا مزاج[2]، وصنعه للأشياء بلا علاج، وعلة كلِّ شيء صَنَعه، ولا علة لصُنعه، ومهما تصوَّر في نفسك شيءٌ فالله بخلافه.

وسمعته يقول: سمعت أحمد بن مُحمَّد بن زكريا يقول: سمعت أحمد بن عطاء

---

(١) أخرجه البخاري (أنبياء ٥٤)، ومسلم (توبة ٢٥، ٢٧)، والنسائي (جنائز ١١٧)، وابن ماجة (زهد ٣٠)، وأحمد بن حنبل، ٢/٢٦٩، ٣، ١٣، ١٧، ٧٧، ٥، ٤.

(٢) المزاج: الطباع.

يقول: سمعت عبد الله بن صالح يقول: قال الجريري: ليس لعلم التوحيد إلا لسان التوحيد.

وسُئل الجُنيد عن التوحيد فقال: إفراد الموحَّد بتحقيق وحدانيته بكمال أحديته أنه الواحد الذي لم يلد ولم يولد، بنفي الأضداد والأنداد والأشياء بلا تشبيه ولا تكييف ولا تصوير ولا تمثيل:

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وقال الجُنيد: إذا تناهت عقول العقلاء في التوحيد تناهت إلى الحيرة.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين يقول: سمعت أبا الحُسين بن مقسم يقول: سمعت جَعفر بن مُحمَّد يقول: سمعت الجُنيد يقول ذلك، وسُئل الجُنيد عن التوحيد، فقال:

معنى تضمحل فيه الرسوم، وتندرج فيه العلوم، ويكون الله تعالى كما لم يزل.

وقال الحصريّ: أصولنا في التوحيد خمسة أشياء:

رفع الحدث، وإفراد القدم، وهجر الإخوان، ومفارقة الأوطان، ونسيان ما عُلم وجُهل.

سمعت مَنصور بن خَلف المغربيّ يقول: كنت في صحن «الجامع» ببغداد [يعني جامع المنصور] والحصريّ يتكلم في التوحيد، فرأيت ملكين يعرجان إلى السماء، فقال أحدهما لصاحبه: الذي يقول هذا الرجل عِلم التوحيد والتوحيد غيرُه يعني كنت بين اليقظة والنوم.

وقال فارس: التوحيد هو إسقاط الوسائط عند غلبة الحال والرجوع إليها عند الأحكام، وأنَّ الحسنات لا تغير الأقسام من الشقاوة والسعادة.

سمعت مُحمَّدبن الحُسين يقول: سمعت أبا بكر بن شاذان يقول: سمعت الشِّبليّ يقول: التوحيد: صفة الموحَّد حقيقة وحلية الموحِّد رسماً.

وسُئل الجُنيد عن توحيد الخاصّ فقال: أنْ يكون العبد شبحاً[1] بين يدي الله، سُبحانه، تجري عليه تصاريف تدبيره في مجاري أحكام قدرته، في لجج بحار توحيده، بالفناء عن نفسه وعن دعوة الخلق له وعن استجابته بحقائق وجوده ووحدانيته، في حقيقة قربه بذهاب حسّه وحركته. لقيام الحقّ سُبحانه له فيما أراد منه، وهو أنْ يرجع آخر العبد إلى أوّله، فيكون كما كان قبل أنْ يكون.

وسُئل البوشنجيّ عن التوحيد فقال: غير مشبه الذوات ولا منفيّ الصفات.

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السلمي يقول: سمعت مَنْصور بن عبد الله يقول:

---

(١) الشَّبح: ما بدا لك شخصه من الناس وغيرهم غير جلي من بُعد (ج) أشباح وشبوح.

سمعت أبا الحُسين العنبري يقول: سمعت سهل بن عبد الله يقول، وقد سُئل عن ذات الله، عزّ وجلّ فقال: ذات الله تعالى موصوفة بالعلم، غيرُ مدركة بالإحاطة، ولا مرئية بالأبصار في دار الدنيا، وهي موجودة بحقائق الإيمان من غير حدّ ولا إحاطة ولا حلول، وتراه العيون في العقبى ظاهراً في ملكه وقدرته، قد حجب الخلق عن معرفة كنه[1] ذاته، ودلهم عليه بآياته؛ فالقلوب تعرفه، والعقول لا تدركه، ينظر إليه المؤمنون بالأبصار من غير إحاطة ولا إدراك نهاية.

وقال الجُنيد: أشرف كلمة في التوحيد: ما قاله أبو بكر الصدّيق، رضي الله عنه:

سُبحان مَنْ لم يجعل لخلقه سبيلاً إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته.

قال الأستاذ أبو القاسم: ليس يريد الصديق، رضي الله عنه، أنه لا يعرف؛ لأنَّ عند المحققين: العجز عجز عن الموجود، دون المعدوم، كالمقعد عاجزٌ عن قعوده؛ إذ ليس بكسب له ولا فعل، والقعود موجود فيه، كذلك العارف عاجز عن معرفته، والمعرفة موجودة فيه؛ لأنها ضرورية.

وعند هذه الطائفة المعرفة به سُبحانه في الانتهاء ضرورية.

فالمعرفة الكسبية في الابتداء، وإنْ كانت معرفة على التحقيق، فلم يعدّها الصديق رضي الله عنه شيئاً بالإضافة إلى المعرفة الضرورية، كالسراج عند طلوع الشمس وانبساط شعاعها عليه.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين يقول: سمعت أحمد بن سعيد البصريّ بالكوفة يقول: سمعت ابن الأعرابي يقول: قال الجُنيد: التوحيد الذي انفرد به الصوفية هو: إفراد القدم عن الحدثَ والخروج عن الأوطان، وقطع المحاب، وترك ما علم وجهل، وأنْ يكون الحقّ، سُبحانه، مكان الجميع.

وقال يُوسف بن الحُسين: من وقع في بحار التوحيد لا يزداد على ممر الأوقات إلا عطشاً:

وقال الجُنيد: علم التوحيد مباين لوجوده، ووجوده مفارق لعلمه.

وقال الجُنيد أيضاً: علم التوحيد طوى بساطه منذ عشرين سنة، والناس يتكلمون في حواشيه!!

سمعت مُحمَّد بن الحُسين يقول: سمعت مُحمَّد بن أحمد الأصبهاني يقول: وقف رجل على الحُسين بن مَنصور، فقال: من الحقّ الذي يشيرون إليه؟ فقال: يحل الأنام ولا يعتل.

---

(١) الكُنْه: جوهر الشيء وحقيقته.

وسمعته يقول: سمعت مَنْصور بن عبد الله يقول: سمعت الشِّبلي يقول: من اطلع على ذرّة من علم التوحيد ضعف عن حمل بقة[1] لثقل ما حمله.

سمعت أبا حاتم السجستاني يقول: سمعت أبا نصر السرَّاج يقول: سُئل الشِّبليّ؛ فقيل له: أخبرنا عن توحيد مجرّد، وبلسان حق مفرد.

فقال: ويحك!! من أجاب عن التوحيد بالعبارة فهو ملحد، ومن أشار إليه فهو ثنوي[2]، ومن أومأ إليه فهو عابد وثن، ومن نطق فيه فهو غافل، ومن سكت عنه فهو جاهل، ومن توهم أنه واصل فليس له حاصل، ومن رأى أنه قريب فهو بعيد، ومن تواجد فهو فاقد، وكل ما ميزتموه بأوهامكم وأدركتوه بعقولكم في أتم معانيكم فهو مصروف مردود إليكم، محدَث مصنوع مثلكم.

وقال يُوسف بن الحُسين: توحيد الخاصة أنْ يكون بسره ووجده وقلبه كأنه قائم بين يدي الله تعالى يجري عليه تصاريف تدبيره وأحكام قدرته في بحار توحيده بالفناء عن نفسه وذهاب حسه، بقيام الحقّ سُبحانه له في مُراده منه، فيكون كما هو قيل أنْ يكون في جريان حكمه سُبحانه عليه.

وقيل: التوحيد للحق سُبحانه، والخلق طفيلي.

وقيل: التوحيد: إسقاط الياءات؛ لا تقول لي وبي ومنِّي وإليّ.

وقيل لأبي بكر الطمستاني: ما التوحيد؟ فقال: توحيد، وموحِّد، وموحَّد، هذه ثلاثة.

قال رُويم: التوحيد هو آثار البشرية وتجرد الألوهية.

سمعت أبا عليّ الدقَّاق يقول في آخر عمره، وكان قد اشتدت به العلة، فقال: من أمارات التأييد حفظ التوحيد في أوقات الحكم، ثم قال؛ كالمفسر لقوله مشيراً إلى ما كان من حاله، هو: أنْ يقرضك بمقاريض القدرة في إمضاء الأحكام قطعة قطعةً وأنت شاكر حامد.

وقال الشبليّ: ما شم روائح التوحيد من تصور عنده التوحيد.

وقال أبو سعيد الخرّاز: أول مقام لمن وجد علم التوحيد، وتحقق بذلك، فناء ذكر الأشياء عن قلبه، وانفرادُه بالله عزّ وجلّ.

وقال الشبلي لرجل: أتدري لم لا يصح توحيدك؟

فقال: لا!! فقال: لأنك تطلبه بك.

وقال ابن عَطاء: علامة حقيقة التوحيد نسيان التوحيد، وهو أنْ يكون القائم به واحداً.

---

(١) البقّ: جنس من الحشرات أحمر اللون منتن الريح يتغذَّى بدم الإنسان ويعيش في البيوت واحدته بقة.

(٢) الثنوية: وهي فرقة تقول بإلهين اثنين (إله للخير وإله للشر) ويُرمز لهما بالنور والظلام.

ويُقال من الناس من يكون مكاشَفاً بالأفعال، يرى الحادثات بالله تعالى، ومنهم من هو مكاشف بالحقيقة، فيضمحل إحساسه بما سواه، فهو يشاهد الجمع سراً بسرّ، وظاهره بوصف التفرقة.

سمعت مُحمَّد بن عبد الله الصوفي يقول: سمعت عليّ بن مُحمَّد القزويني يقول: سمعت القنفذ يقول: سُئل الجُنيد عن التوحيد، فقال: سمعت قائلاً يقول:

وغنَّــــى لـــي مـــن قلبـــي
وغنيـــت كمـــا غنـــى
وكنـــا حيثمـــا كـــانـــوا
وكـــانـــوا حينمـــا كنـــا

فقال السائل: أهَلكَ القرآن والأخبار؟!!

فقال: لا، ولكن الموحِّد يأخذ أعلى التوحيد من أدنى الخطاب وأيسره.

باب أحوالهم عند الخروج من الدنيا

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ﴾ [االنحل: ٣٢].

يعني: طيبة نفوسهم، ببذلهم مُهجهم[١] لا يثقل عليهم رجوعهم إلى مولاهم.

أخبرنا عبد الله بن يُوسف الأصبهاني قال: أخبرنا أبو الحسن عليّ بن مُحمَّد بن عُقبة الشيباني بالكوفة قال: حدّثنا الخضر بن أبان الهاشميّ قال: حدّثنا أبو هدبة، عن أنس بن مالك قال، قال رسول الله ﷺ:

«إنَّ العبد ليعالج كرب الموت وسكرات الموت، وإنّ مفاصله ليسَلِّم بعضها على بعض؛ تقول: عليك السلام تفارقني وأفارقك إلى يوم القيامة»[٢].

أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي قال: حدّثنا أبو العبَّاس الأصمّ قال: حدّثنا الخضر بن أبان الهاشمي قال: حدّثنا سوار قال: حدّثنا جعفر، عن ثابت، عن أنس:

«أنَّ النبي ﷺ دخل على شاب وهو في الموت، فقال كيف تجدك؟ فقال: أرجو الله تعالى وأخاف ذنوبي، فقال رسول الله ﷺ: شيئان لا يجتمعان في قلب عبد مؤمن في هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو، وأمنه مما يخاف»[٣].

(١) المهجة: دم القلب والروح أو النفس.
(٢) أخرجه البخاري (رقاق ٤٢).
(٣) أخرجه ابن ماجة (زهد ٣١)، والترمذي (جنائز ١١).

واعلم أنَّ أحوالهم في حال النزع مختلفة؛ فبعضهم الغالب عليه الهيْبة، وبعضهم الغالب عليه الرجاء، ومنهم من كشف له في تلك الحالة ما أوجب له السكون، وجميلَ الثقة.

حكى أبو مُحمَّد الجريري قال: كنت عند الجُنيد في حال نزعه، وكان يوم الجمعة، ويوم نيروز[١]، وهو يقرأ القرآن، فختمه، فقلت: في هذه الحالة يا أبا القاسم؟

فقال: ومن أولى بذلك مني وهو ذا تُطوى صحيفتي.

سمعت أبا حاتم السجستاني يقول: سمعت أبا نصر السرَّاج يقول: بلغني عن أبي مُحمَّد الهروي أنه قال: مكثت عند الشِّبلي الليلة التي مات فيها فكان يقول طول ليلته هذين البيتين:

كــلُّ بيــت أنــت ســاكنــه　　غيــر محتــاج إلــى الســرُج
وجهــك المــأمــول حجتنــا　　يــوم يــأتــي النــاس بــالحجــجِ

وحكي عن عبد الله بن منازل أنه قال: إنَّ حمدون القصَّار أوصى إلى أصحابه أنْ لا يتركوه في حال الموت بين النسوان.

وقيل لبِشْر الحافي، وقد اختصر، كأنك يا أبا نصر تحبّ الحياة؟

فقال: القدوم على الله، عزّ وجل، شديد.

وقيل: كان سُفيان الثوري إذا قال له بعض أصحابه إذا سافر: أتأمر بشغل؟؟

يقول: إنْ وجدتَ الموتَ فاشتره لي!

فلما قربت وفاته كان يقول: كنا نتمناه.. فإذا هو شديد!!

وقيل: لما حضرت الحسن بن عليّ بن أبي طالب[٢] الوفاة بكى فقيل له: ما يبكيك؟

فقال: أقدم على سيد لم أره.

ولما حضرت بلالاً الوفاة قالت امرأته: واحزناه!!

فقال: بل واطرباه.. غداً نلقى الأحبة مُحمَّداً وحزبه.

وقيل: فتح عبد الله بن المبارك عينيه عند الوفاة وضحك. وقال: لمثل هذا فليعمل العاملون.

---

(١) النَّيروز النَّوروز بالفارسية: اليوم الجديد وهو أول يوم من أيام السنة الشمسية الإيرانية، ويوافق الحادي والعشرين من شهر آذار من السنة الميلادية. وعيد النيروز أكبر أعياد الفرس القومية.

(٢) الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي، أبو محمد خامس الخلفاء الراشدين وآخرهم وثاني الأئمة الاثني عشر عند الإمامية. ولد في المدينة المنورة سنة (٣ هـ)، كان عاقلاً حليماً محباً للخير، فصيحاً من أحسن الناس منطقاً وبديهة. كان يفضل حقن الدماء توفي سنة (٥٠ هـ). الأعلام ٢/ ١٩٩، ووفيات الأعيان ٢/ ٦٥، وشذرات الذهب ١/ ٥٥.

وقيل: كان مَكحول الشامي[1] الغالب عليه الحزن، فدخلوا عليه في مرض موته وهو يضحك، فقيل له في ذلك، فقال: ولم لا أضحك وقد دنا فراق ما كنت أحذره، وسرعة القدوم على ما كنت أرجوه وآمله.

وقال رُويم: حضرتُ وفاة أبي سعيد الخرّاز، وهو يقول في آخر نفسه:

حنينُ قلوب العارفين إلى الذكر ... وتذكارهم وقت المناجاة للسرِّ
أديرت كؤوس للمنايا عليهم ... فأغفوا عن الدنيا كإغفاء ذي السكر
هُمُومهم جَوالة بمعسكرٍ ... به أهل ودّ الله كالأنجم الزُّهرِ
فأجسامهم في الأرض قتلى بحبّه ... وأرواحهم في الحجب نحو العلا تسري
فما عَرَّسوا إلا بقرب حبيبهم ... وما عَرَّجوا عن مس بؤس ولا ضرِّ

وقيل للجُنيد: إنَّ أبا سعيد الخرّاز كان كثير التواجد عند الموت. فقال: لم يكن بعجيب أنْ تطير روحه اشتياقاً.

وقال بعضهم وقد قربت وفاته: يا غلام اشدد كتافي وعَفِّر خدي، ثم قال: دنا الرحيل ولا براءة لي من ذنب، ولا عذر أعتذر به، ولا قوة أنتصر بها.. أنت لي، أنت لي..

ثم صاح صيحة، ومات، فسمعوا صوتاً: «استكان العبدُ لمولاه، فقبله».

وقيل لذي النُّون المصري عند موته: ما تشتهي؟ قال: أنْ أعرفه قبل موتي بلحظة.

وقيل لبعضهم وهو في النزع: قُل الله، فقال: إلى متى تقولون: قل الله، وأنا محترق بالله؟!!

وقال بعضهم: كنت عند ممشاد الدينوريّ، فقدم فقير وقال: السلام عليكم، فردوا عليه السلام، فقال: هل هنا موضع نظيف يمكن الإنسان أنْ يموت فيه؟ فأشاروا عليه بمكان، وكان ثمَّ عين ماء.. فجدَّد الفقير الوضوء وركع ما شاء الله تعالى، ومضى إلى المكان الذي أشاروا إليه.. ومد رجليه، ومات.

وسمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السلميّ يقول: كان أبو العبَّاس الدينوري يتكلم يوماً في مجلسه.. فصاحت امرأة تواجداً، فقال لها: موتي.. فقامت المرأة فلما بلغت باب الدار التفتت إليه وقالت: قد مُتُّ. ووقعت ميتة.

وقال بعضهم: كنت عند ممشاد الدينوريّ عند وفاته، فقيل له: كيف تجد العلة؟!

---

(١) مكحول بن أبي مسلم شهراب بن شاذل، أبو عبد الله الهذلي بالولاء، فقيه الشام في عصره، من حفاظ الحديث. ولد بكابل، ترعرع بها وسبي، وصار مولى لامرأة بمصر. ثم تفقه ورحل في طلب الحديث إلى العراق فالمدينة ثم استقر في دمشق ومات بها سنة (١١٢ هـ)، وقيل: (١١٣ هـ) وقيل غير ذلك. الأعلام ٧/ ٢٨٤، وشذرات الذهب ١/ ١٤٦، ووفيات الأعيان ٥/ ٢٨٠.

فقال: سلوا العلة عني كيف تجدني، فقيل له: قُل: لا إله الا الله. فحوّل وجهه إلى الجدار وقال: أفنيت كُلي بكلك هذا جزاء من يحبك.

وقيل لأبي مُحمَّد الدبيليّ، وقد حضرته الوفاة، قُل: لا إله إلا الله.

فقال: هذا شيء قد عرفناه، وبه نفنى، ثم أنشأ يقول:

تسربل ثوبُ التيه لما هويتُه ... وَصدَّ ولم يرض بأن أكُ عبده

وقيل للشِّبلي عند وفاته: قُل: لا إله إلا الله. فقال:

قال سلطان حبّه ... أنا لا أقبل الرِّشا[1]

فسلوه بحقه ... لِم بقتلي تحرّشا

سمعت مُحمَّد بن أحمد الصوفي يقول: سمعت عبد الله بن عليّ التميمي يقول: سمعت أحمد بن عَطاء يقول: سمعت بعض الفقراء يقول: لما مات يحيى الإصطخري جلسنا حوله، فقال له رجل منا: قُل: أشهد أنَّ لا إله إلا الله، فجلس مستوياً.. ثم أخذ بيد واحد منا، وقال له: قُل: أشهد أنَّ لا إله إلا الله.. ثم أخذ بيد آخر.. حتى عرض الشهادة على جميع الحاضرين، ثم مات.

ويحكى عن فاطمة أخت أبي عليّ الروذباري، أنها قالت: لما قرب أجل أخي أبي عليّ الروذباريّ، وكان رأسه في حجري، فتح عينيه، وقال: هذه أبواب السماء قد فتحت.. وهذه الجنان قد زُينت، وهذا قائل يقول لي: يا أبا عليّ قد بلغناك الرتبة القصوى وإنْ لم تردها.. ثم أنشأ يقول:

وحقّك لا نظرتُ إلى سواكا ... بعين مودةً حتى أراكا

أراك معذِّبي بفتورِ لحظٍ ... وبالخدّ الموّرد من جناكا

ثم قال: يا فاطمة، الأول ظاهر، والثاني فيه إشكال.

سمعت بعض الفقراء يقول: لما قربت وفاة أحمد بن نَصر، رحمه الله تعالى، قال له واحد: قُل: أشهد أنَّ لا إله إلا الله فنظر إليه وقال له: لا تترك الحرمة (بالفارسية «بي حرمتي مكن»).

وقال بعضهم: رأيت فقيراً يجود بنفسه غريباً.. والذباب على وجهه، فجلست أذبَ الذباب عن وجهه.. ففتح عينيه، وقال: من هذا؟ أنا منذ كذا سنة في طلب وقت يصفو لي فلم يتفق إلا الآن.. جئت أنتَ توقع نفسك فيه، مرّ؛ عافاك الله.

وقال أبو عِمران الإصطخريّ: رأيت أبا تُراب في البادية قائماً ميتاً لا يمسكه شيء.

---

(١) الرشوة: مال ونحوه يُعطى لإبطال حق أو إحقاق باطل أو قضاء مصلحة (ج) رُشاً، ورِشاً.

سمعت أبا حاتم السجستاني يقول: سمعت أبا نصر السرَّاج يقول: كان سبب وفاة أبي الحُسين النوري أنه سمع هذا البيت:

لا زلت أنزل في دارك منزلا   تتحير الألبابُ عند نزوله

فتواجد النوري وهام في الصحراء فوقع في أجْمه قصب قد قطعت وبقي أصولها مثلُ السيوف، فكان يمشي عليها ويعيد هذا البيت إلى الغداة والدم يسيل من رجليه. ثم وقع مثل السكران، فتورّمت قدماه ومات.

وحكى أنه قيل له عند النزع: قُل: لا إلهَ إلا الله، فقال: أليس إليه أعود.

وقيل: مرض إبراهيم الخوَّاص في المسجد الجامع: «بالري» وكانت به علة الإسهال[1]، فكان إذا قام مجلساً يدخل الماء.. ويتوضأ، فدخل الماء مرّة فخرجت روحه.

سمعت مَنْصوراً المغربيّ يقول: دخل عليه يُوسف بن الحُسين عائداً له بعدما أتى عليه أيامٌ لم يعده، ولم يتعهده، فلما رآه، قال للخوَّاص: أتشتهي شيئاً؟

قال: نعم، قطعة كبد مشوي.

قال الأستاذ أبو القاسم: لعلّ الإشارة فيه أنه أراد: أشتهي قلباً يرقّى لفقير، وكبداً تشتوي وتحترق لغريب؛ لأنه كالمستحي ليُوسف بن الحُسين؛ حيث لم يتعهده.

وقيل: كان سبب موت ابن عطاء أنه أدخل مرة على الوزير، فكلمه الوزير بكلام غليظ.

فقال له ابن عطاء: اهدأ يا رجل!! فأمر.. فضُرب بخفه[2] على رأسه فمات منه.

سمعت مُحمَّد بن أحمد بن مُحمَّد الصوفي يقول: سمعت عبد الله بن عليّ التميميّ يقول: سمعت أبا بكر الدقيّ يقول: كنا عند أبي بكر الزقّاق بالغداة، فقال: إلهي، كم تبقيني هاهنا، فما بلغ الغداة الأولى حتى مات.

وحكي عن أبي علي الروذباري أنه قال: رأيت في البادية حَدَثاً، فلما رآني قال: أما يكفيه أنْ شغفني بحبه حتى علني، ثم رأيته يجود بروحه، فقلت له: قُل: لا إلهَ إلا الله، فأنشأ يقول:

أيا من ليس لي عنه   وإنْ عذبني بدٌّ
ويا من نال من قلبي   منالاً ما له حدٌّ

وقيل للجُنيد: قُل: لا إله إلا الله، فقال: ما نسيتُه فأذكره!! وقال:

---

(١) الإسهال: استطلاق البطن.

(٢) الخُفّ: ما يُلبس في الرجل من جلد رقيق.

حاضر في القلب يعمره لست أنساه فأذكره
فهو مولاي ومعتمدي ونصيبي منه أوفره

سمعت مُحمَّد بن أحمد بن مُحمَّد الصوفي يقول: سمعت عبد الله بن عليّ التميميّ، يقول: سألت جعفر بن نُصير بكران الدينوري، وكان يخدم الشِّبليّ، ما الذي رأيت منه؟ فقال: قال لي عليَّ درهم مظلمة، وقد تصدَّقت عن صاحبه بألوف، فما على قلبي شغل أعظم منه، ثم قال: وضئني للصلاة، ففعلت، فنسيت تخليل لحيته، وقد أمسِكَ على لسانه، فقبض على يدي وأدخلها في لحيته، ثم مات، فبكى جعفر وقال: ما تقولون في رجلٍ لم يفته حتى في آخر عمره أدب من آداب الشريعة.

سمعت عبد الله بن يوسف الأصبهاني يقول: سمعت أبا الحسن بن عبد الله الطرسوسيّ يقول: سمعت علوشاً الدينوريّ يقول: سمعت المزين الكبير يقول: كنت بمكة ـ حرسها الله تعالى ـ فوقع بي انزعاج. فخرجت أريد المدينة، فلما وصلت إلى بئر ميمون[1] إذا أنا بشاب مطروح؛ فعدلت إليه وهو ينزع؛ فقلت له: قُل: لا إلهَ إلا الله.. ففتح عينيه؛ وأنشأ يقول:

أنا إنْ مِتّ فالهوى حَشوَ قلبي وبداء الهوى تموت الكرام

فشهق شهقة، ثم مات، فغسلته، وكفنته، وصليت عليه، فلما فرغت من دفنه سكن ما كان بي من إرادة السفر، فرجعت إلى مكة.

وقيل لبعضهم: أتحبُّ الموت؟ فقال: القدوم على من يرجى خيره خيرٌ من البقاء مع لا يُؤمن شرّه.

وحكي عن الجُنيد أنه قال: كنت عند أستاذي ابن الكرنبيّ، وهو يجود بنفسه، فنظرت إلى السماء، فقال: بعد، ثم نظرت إلى الأرض فقال: بعد، يعني: أنه أقرب إليك من أنْ تنظر إلى السماء أو إلى الأرض، بل هو وراء المكان.

سمعت أبا حاتم السجستاني يقول: سمعت أبا نَصر الطوسيّ يقول: سمعت بعض أصحابنا يقول، قال: أبو يزيد عند موته: ما ذكرتك إلا عن غفلة، ولا قبضتني إلا على فترة.

سمعت أبا حاتم السجستاني يقول: سمعت أبا نصر السرَّاج يقول: سمعت الوجيهي يقول: سمعت أبا عليّ الروذباري يقول: دخلت مصر فرأيت الناس مجتمعين، فقالوا: كنا في جنازة فتى سَمع قائلاً يقول:

كبرت همة عبد طمعت في أنْ تراكا

فشهق شهقة ومات.

(١) بئر ميمون: مبكة، منسوبة إلى ميمون بن خالد بن عامر بن الحضرمي. معجم البلدان ١/ ٣٠٢.

وقيل: دخل جماعة على «ممشاد الدينوريّ» في مرض موته، فقالوا: ما فعل الله بك وما صنع؟ فقال: منذ ثلاثين سنة تعرض عليّ الجنة بما فيها فما أعرتها طرفي. وقالوا له عند النزع: كيف تجد قلبك؟ فقال: منذ ثلاثين سنة فقدت قلبي.

سمعت مُحمَّد بن أحمد بن مُحمَّد الصوفي يقول: سمعت عبد الله بن عليّ التميميّ يقول: قال الوجيهي: كان سبب موت ابن بنان أنه ورد على قلبه شيء، فهام على وجهه، فلحقوه في وسط متاهة بني إسرائيل في الرمل، ففتح عينيه وقال: ارتعْ، فهذا مرتع الأحباب. وخرجت روحه.

وقال أبو يَعقوب النهرجوريّ: كنت بمكة، فجاءني فقير معه دينار، فقال: إذا كان غداً فأنا أموت، فأصلح لي بنصف هذا قبراً، والنصف الثاني لجهازي. فقلت في نفسي: دوخل[1] الشاب؛ فإنه قد أصابته فاقة الحجاز، فلما كان الغد جاء؛ ودخل الطواف، ثم مضى وامتد على الأرض، فقلت: هوذا يتماوت، فذهبت إليه، فحركته فإذا هو ميت. فدفنته كما أمر.

وقيل: لما تغيرت الحال على أبي عُثمان الحيري مزق ابنه أبو بكر قميصاً ففتح أبو عُثمان عينيه وقال: يا بني إنَّ خلاف السنة في الظاهر من رياء في الباطن.

وقيل: دخل ابن عطاء على الجُنيد، وهو يجود بنفسه؛ فسلم. فأبطأ في الجواب، ثم رد، وقال: اعذرني، فلما كنت في وردي ثم مات.

وحكى أبو عليّ الروذباريّ قال: قدم علينا فقير، فمات، فدفنته وكشفت عن وجهه لأضعه في التراب ليرحم الله عزّ وجلّ غربته. ففتح عينيه وقال: يا أبا عليّ، أتدللني بين يدي من دَللني؟ فقلت: يا سيدي أحياة بعد موت؟ فقال لي: بلى أنا حيّ، وكل مُحبّ لله، عزّ وجل، حي لأنصرنك غداً بجاهي يا روذباري.

ويحكى عن ابن سهل الأصفهاني أنه قال: أترون أني أموت كما يموت الناس، مَرض وعيادة، وإنما ادعى، فيقال: يا عليُّ، فأجيب.

فكان يمشي يوماً، فقال: «لبيك». ومات.

سمعت مُحمَّد بن عبد الله الصوفي يقول: سمعت أبا عبد الله بن خفيف يقول سمعت أبا الحسن المزين قال: لما مرض أبو يَعقوب النهرجوري مرض وفاته، قلت له، وهو في النزع: قُل: لا إله إلا الله، فتبسم إليّ وقال: إيايّ تعني؟ وعزة من لا يذوق الموت ما بيني وبينه إلا حجّاب العزة. وانطفأ من ساعته، فكان المزين يأخذ بلحيته ويقول: حجام[2] مثلي يلقن أولياء الله الشهادة، واخجلتاه منه!! وكان يبكي إذا ذكر هذه الحكاية.

(١) دوخل الشاب: أصابه الفساد في عقله أو جسمه.
(٢) الحجّام: المداوي بالحجامة.

وقال أبو حُسين المالكيّ: كنت أصحب خير النسَّاج سنين كثيرة، فقال لي قبل موته بثمانية أيام: أنا أموت يوم الخميس وقت المغرب، وأدفن يوم الجمعة قبل الصلاة، وستنسى هذا، فلا تنس.

قال أبو الحُسين: فأنسيته إلى يوم الجمعة فلقيني من أخبرني بموته، فخرجت لأحضر جنازته، فوجدت الناس راجعين يقولون: يُدفن بعد الصلاة.

فلم أنصرف، وحضرت، فوجدت الجنازة قد أخرجت قبل الصلاة كما قال، فسألت من حضر وفاته، فقال: إنه غشي[1] عليه، ثم أفاق، ثم التفت إلى ناحية البيت وقال:

قف عافاك الله، فإنما أنت عبد مأمور وأنا عبد مأمور، الذي أمرت به لا يفوتك، والذي أمرت به يفوتني، فدعا بماء فجدد وضوءه وصلى، ثم تمدد، وغمض عينيه، فرؤي في المنام بعد موته، فقيل له: كيف حالك؟ فقال: لا تسل، ولكني تخلصت من دنياكم الوضرة[2].

وذكر أبو الحُسين الحمصيّ «مصنف كتاب بهجة الأسرار» أنه لما مات سهل بن عبد الله انكبّ الناس على جنازته، وكان في البلد يهودي نيف على السبعين، فسمع الضجة، فخرج لينظر ما كان، فلما نظر إلى الجنازة صاح وقال: أترون ما أرى؟ فقالوا: لا، ماذا ترى؟ فقال أرى أقواماً ينزلون من السماء يتمسحون بالجنازة، ثم إنه تشهد، وأسلم، وحسن إسلامه.

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السلميّ يقول: سمعت مَنْصور بن عبد الله يقول: سمعت أبا جعفر بن قيس ـ بمصر ـ يقول: سمعت أبا سعيد الخرَّاز يقول: كنت بمكة فجزت يوماً بباب «بني شيبة» فرأيت شاباً حسن الوجه ميتاً، فنظرت في وجهه فتبسم في وجهي وقال لي: يا أبا سعيد، أما علمت أن الأحباء أحياء وإنْ ماتوا، وإنما يُنقلون من دار إلى دار.

وسمعته يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت الجريري يقول: بلغني أنه قيل لذي النُّون المصري عند النزع: أوصنا. فقال: لا تشغلوني فإني متعجب من محاسن لطفه.

وسمعته يقول: سمعت عبد الله بن مُحمَّد الرازي يقول: سمعت أبا عُثمان الحيري يقول: سُئل أبو حفص في حال وفاته: ما الذي تعظنا به؟ فقال: لست أقوى على القول، ثم رأى من نفسه قوة، فقلت له: قل حتى أحكي عنك.

فقال: موعظتي: الإنكسار بكلِّ القلب على التقصير.

---

(١) غشي عليه: أغمي عليه.

(٢) الوضر: الوسخ من الدسم أو غيره (ج) أو ضار.

باب المعرفة بالله

قال الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الأنعام: ٩١]. جاء في التفسير: وما عرفوا الله حقّ معرفته.

أخبرنا عبد الرَّحمن بن مُحمَّد بن عبد الله العدل، قال: حدّثنا مُحمَّد بن القاسم العتكي، قال: حدّثني مُحمَّد بن أشرس، قال: حدّثنا سُليمان بن عيسى الشجري عن عبّاد بن كثير، عن حَنْظلة بن أبي سُفيان[١]، عن القاسم بن مُحمَّد[٢]، عن عائشة رضي الله عنها، أنَّ النبيّ ﷺ قال:

«إنَّ دعامة البيت أساسهُ، ودعامة الدين المعرفة بالله تعالى، واليقينُ والعقل القامع فقلت: بأبي أنت وأمي ما العقل القامع؟ قال: الكفّ عن معاصي الله، والحرص على طاعة الله»[٣].

قال الأستاذ: المعرفة على لسان العلماء هو: العلم؛ فكل علم معرفة؛ وكل معرفة علم؛ وكل عالم بالله عارف؛ وكل عارف عالم وعند هؤلاء القوم المعرفة: صفة من عرف الحقّ سُبحانه بأسمائه وصفاته؛ ثم صدق الله تعالى في معاملاته؛ ثم تنقى عن أخلاقه الرديئة وآفاته؛ ثم طال بالباب وقوفه ودام بالقلب اعتكافه فخطى من الله تعالى بجميل إقباله وصدق الله في جميع أحواله؛ وانقطع عنه هواجس[٤] نفسه؛ ولم يصغ بقلبه إلى خاطر يدعوه إلى غيره؛ فإذا صار من الخلق أجنبياً ومن آفات نفسه بريأً؛ ومن المساكنات والملاحظات نقياً، ودام في السرّ مع الله تعالى مناجاته، وحقّ في كل لحظة إليه رجوعه وصار محدثاً من قبل الحقّ سُبحانه بتعريف أسراره فيما يجريه من تصاريف أقداره يسمى عند ذلك «عارفاً» وتسمى حالته «معرفة».

وبالجملة فبمقدار أجنبيته عن نفسه تحصل معرفته بربّه.

وقد تكلّم المشايخ في المعرفة، فكلّ نطق بما وقع له؛ وأشار إلى ما وجده في وقته.

---

(١) حنظلة بن أبي سفيان بن عبد الرحمن بن صفوان بن أمية الجمحي المكي. روى عن مجاهد وطبقته. توفي سنة إحدى وخمسين ومائة. شذرات الذهب ١/ ٢٣٠.

(٢) القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق أبو محمد، أحد الفقهاء السبعة في المدينة، ولد فيها سنة (٣٧ هـ - ٦٥٧ م)، وتوفي بقديد سنة (١٠٧ هـ - ٧٢٥ م) حاجاً أو معتمراً، وكان صالحاً ثقة من سادات التابعين، عمي في أواخر أيامه. وقيل: توفي سنة ثمان أو احدى أو اثنين ومائة. الأعلام ٥/ ١٨١، وشذرات الذهب ١/ ١٣٥، ووفيات الأعيان ٤/ ٥٩.

(٣) قال صاحب الكنز ٣/ ٣٨١ رقم (٤٧، ٧) أخرجه الديلمي عن عائشة (ر).

(٤) الهاجس: الخاطر (ج) هواجس.

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقَّاق، رحمه الله يقول: من أمارات المعرفة بالله حصولُ الهيبة من الله، فمن ازدادت معرفته ازدادت هيبته.

وسمعته يقول: المعرفة توجب السكينة في القلب كما أنَّ العلم يوجب السكون فمن ازدادت معرفته ازدادت سكينته.

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السلميّ يقول: سمعت أحمد بن مُحمَّد بن زيد يقول: سمعت الشِّبلي يقول: ليس لعارف علاقة، ولا لمحبّ شكوى، ولا لعبد دعوى، ولا لخائف قرار، ولا لأحد من الله فرار.

وسمعته يقول: سمعت مُحمَّد بن مُحمَّد بن عبد الوهَّاب يقول: سمعت الشِّبلي يقول، وقد سُئل عن المعرفة، فقال: أولها الله تعالى، وآخرها ما لا نهاية له.

وسمعته يقول: سمعت أبي يقول: سمعت أبا العبَّاس الدينوري يقول: قال أبو حَفص:

مذ عرفت الله تعالى ما دخل قلبي حقٌ ولا باطل.

قال الأستاذ أبو القاسم: وهذا الذي أطلقه أبو حَفص فيه طرف من الإشكال، وأجلّ ما يحتمله: أنّ عند القوم المعرفة توجب غيبة العبد عن نفسه، لإستيلاء ذكر الحقّ؛ سُبحانه، عليه، فلا يشهد غير الله، عزّ وجلّ، ولا يرجع إلى غيره، فكما أنَّ العقل يرجع إلى قلبه وتكفره وتذكره فيما ينح له من أمر، أو يستقبله من حال؛ فالعارف رجوعُه إلى ربه. فإذا لم يكن مشتغلاً إلا بربه لم يكن راجعاً إلى قلبه. وكيف يدخل المعنى قلب من لا قلب له. وفرق بين من عاش بقلبه وبين من عاش بربه عزّ وجلّ.

وسُئل أبو يزيد عن المعرفة، فقال:

﴿ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ﴾ [النمل: ٣٤].

قال الأستاذ: هذا معنى ما أشار إليه أبو حفص.

وقال أبو يزيد: للخلق أحوال، ولا حال للعارف؛ لأنه محيت رسومه. فنبت هويته بهوية غيره، وغيبت آثاره بآثار غيره.

وقال الواسطيّ: لا تصح المعرفة وفي العبد استغناء بالله وافتقار إليه.

قال الأستاذ: أراد الواسطيّ بهذا: أنَّ الإفتقار والإستغناء من أمارات صحو العبد وبقاء رسومه؛ لأنهما من صفاته، والعارف محو في معروفه، فكيف يصح له ذلك، وهو لاستهلاكه في وجوده، أو لاستغراقه في شهوده إنْ لم يبلغ الوجود مختطف عن إحساسه بكل وصف هو له.

ولهذا قال الواسطيّ أيضاً: من عرف الله تعالى انقطع، بل خرس وانقمع.

قال ﷺ:

«لا أحصي ثناءً عليك»[1].

هذه صفات الذين بعد مرماهم، فأما من نزلوا عن هذا الحد فقد تكلموا في المعرفة وأكثروا.

أخبرنا مُحمَّد بن الحُسين قال: حدّثنا أبو جعفر مُحمَّد بن أحمد بن سعيد الرازي قال: حدّثنا عيَّاش بن حمزة قال: سمعت أحمد بن أبي الحواريّ قال: سمعت أحمد بن عاصم الأنطاكي يقول: من كان بالله أعرف كان له أخوف.

وقال بعضهم: من عرف الله تعالى تبرّم بالبقاء، وضاقت عليه الدنيا بسعتها.

وقيل: من عرف الله صفا له العيش، وطابت له الحياة، وهابه كلُّ شيء، وذهب عنه خوف المخلوقين، وأنس بالله تعالى.

وقيل: من عرف الله ذهب عنه رغبة الأشياء، وكان بلا فصل ولا وصل.

وقيل: المعرفة توجب الحياء والتعظيم، كما أنَّ التوحيد يوجب الرِّضا والتسليم.

وقال رُويم: المعرفة للعارف مرآة إذا نظر فيها تجلى له مولاه.

وقال ذو النُّون المصري: ركضت أرواح الأنبياء في ميدان المعرفة فسبقت روحُ نبينا ﷺ، أرواحَ الأنبياء عليهم السَّلام إلى روضة الوصال.

وقال ذو النُّون المصري: معاشرة العارف كمعاشرة الله تعالى يحتملك ويحلم عنك، تخلقاً بأخلاق الله.

وسُئل ابن يزدانيار: متى يشهد العارفُ الحقّ سبحانه؟ فقال: إذا بدا الشاهد وفنيت الشواهد وذهب الحواس واضمحل الإخلاص.

وقال الحُسين بن مَنصور: إذا بلغ العبد إلى مقام المعرفة أوحى الله إليه بخواطره، وحرس سرّه أنْ يسنح فيه غير خاطر الحقّ.

وقال: علامة العارف أنْ يكون فارغاً من الدنيا والآخرة.

وقال سهل بن عبد الله: المعرفة غايتها شيئان: الدهش، والحيرة.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين يقول: سمعت مُحمَّد بن أحمد بن سعيد يقول: سمعت مُحمَّد بن أحمد بن سهل يقول: سمعت سعيد بن عُثمان يقول: سمعت ذا النُّون المصريّ يقول: أعرف الناس بالله تعالى أشدهم تحيراً فيه.

---

(١) أخرجه مسلم (صلاة ٢٢٢)، وأبو داود (صلاة ١٤٨)، (وتر، ٥)، والترمذي (دعوات، ٧٥، ١١٢)، والنسائي (طهارة ١١٩)، (تطبيق ٤٧، ٧١)، (قيام الليل ٥١)، وابن ماجة (دعاء ٣)، (إقامة ١١٧)، والموطأ (مس القرآن ٣١)، وأحمد بن حنبل ١، ٩٦، ١١٨، ١٥٠، ٦، ٥٨، ٢٠١.

وسمعته يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت أبا عُمر الأنطاكيّ يقول: قال رجل للجُنيد: مِن أهل المعرفة أقوام يقولون إنَّ ترك الحركات من باب البرّ والتقوى!!

فقال الجُنيد: إنَّ هذا قول قوم تكلموا بإسقاط الأعمال، وهو عندي عظيم، والذي يسرق ويزني أحسن حالاً من الذي يقول هذا؛ فإنَّ العارفين بالله أخذوا الأعمال عن الله تعالى، وإلى الله رجعوا فيها، ولو بقيت ألف عام لم أنقص من أعمال البر ذرة.

وقيل لأبي يزيد: بما وجدت هذه المعرفة؟

فقال: ببطن جائع وبدن عار.

وقال أبو يعقوب النهرجوريّ: قلت لأبي يَعقوب السوسي: هل يتأسف العارف على شيء غير الله عزّ وجلّ؟ فقال: وهل يرى غيره فيتأسف عليه؟

قلت: فبأي عين ينظر إلى الأشياء؟ فقال: بعين الفناء والزوال.

وقال أبو يزد: العارف طيار، والزاهد سيَّار.

وقيل: العارف تبكي عينه ويضحك قلبه.

وقال الجُنيد: لا يكون العارف عارفاً حتى يكون كالأرض يطؤه البرُّ والفاجر، وكالسّحاب يظل كل شيء، وكالمطر، يسقي ما يحبّ، وما لا يحبّ.

وقال يَحيى بن مُعاذ: يخرج العارف من الدنيا ولا يقضي وطره[1] من شيئين: بكاؤه على نفسه، وثناؤه على ربه، عزّ وجلّ.

وقال أبو يزيد: إنما نالوا المعرفة بتضييع ما لهم والوقوف مع ماله.

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت أبا الحُسين الفارسي يقول: سمعت يُوسف بن علـيّ يقول: لا يكون العارف عارفاً حقاً حتى لو أعطي مثل ملك سُليمان عليه السلام لم يشغله عن الله طرفة عين.

وسمعته يقول: سمعت أبا الحُسين الفارسيّ يقول: سمعت ابن عطاء يقول: المعرفة على ثلاثة أركان: الهيبة، والحياء، والأنس.

وسمعته يقول: سمعت مُحمَّد بن عبد الله بن شاذان يقول: سمعت يُوسف بن الحُسين يقول: قيل لذي النُّون المصري: بم عرفت ربك؟ قال: عرفت ربي بربي، ولولا ربي لما عرفت ربي.

وقيل: العالم يقتدي به، والعارف يهتدي به.

وقال الشِّبليّ: العارف لا يكون لغيره لاحظاً، ولا بكلام غيره لافظاً، ولا يرى لنفسه غير الله تعالى حافظاً.

---

(١) الوطر: الحاجة والبغية (ج) أوطار.

وقيل: العارف أنس بذكر الله فأوحشه من خلقه، وافتقر إلى الله فأغناه عن خلقه، وذل لله تعالى فأعزّه في خلقه.

وقال أبو الطيّب السامريّ: المعرفة طلوع الحقّ على الأسرار بمواصلة الأنوار.

وقيل: العارف فوق ما يقول، والعالم دون ما يقول.

وقال أبو سُليمان الداراني: إنَّ الله تعالى يفتح للعارف وهو على فراشه ما لا يفتح لغيره وهو قائم يصلي.

وقال الجُنيد: العارف من نطق الحقُّ عن سره وهو ساكت.

وقال ذو النُّون: لكل شيء عقوبة، وعقوبة العارف انقطاعه عن ذكر الله تعالى.

سمعت أبا حاتم السجستاني يقول: سمعت أبا نصر السرَّاج يقول: سمعت الوجيهي يقول: سمعت أبا علي الرُّوذباري يقول: سمعت رُويماً يقول: رياء العارفين أفضل من إخلاص المريدين.

وقال أبو بكر الورَّاق: سكوت العارف أنفع، وكلامه أشهى وأطيب.

وقال ذو النُّون: الزهَّاد ملوك الآخرة وهم فقراء العارفين.

وسُئل الجُنيد عن العارف، فقال: لون الماء لون إنائه (يعني أنه بحكم وقته).

وسُئل أبو يزيد عن العارف، فقال: لا يرى في نومه غير الله، ولا في يقظته غير الله، ولا يُوافق غير الله، ولا يُطالع غير الله تعالى.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين يقول: سمعت عبد الله بن مُحمَّد الدمشقي يقول: سُئل بعض المشايخ: بمَ عرفت الله تعالى؟

فقال: بلمعة لمعت بلسان مأخوذ عن التمييز المعهود، ولفظة جرت على لسان هالك مفقود (يشير إلى وجد ظاهر ويخبر عن سر ساتر هو هو بما أظهره، وغيره بما أشكله ثم أنشد:

نطقــتُ بــلا نطــق هــو النطــق إنــه ... لـك النطـق لفظـاً أو يبيـن عـن النطـق
تـراءيـت كـي أخفـى وقـد كنـتَ خـافيـا ... وألمعـتَ لـي بـرقـاً فـأنضفـت بـالبـرقِ

وسمعته يقول: سمعت عليّ بن بندار الصيرفي يقول: سمعت الجريري يقول: سُئل أبو تُراب عن صفة العارف، فقال: الذي لايكدره شيء، ويصفو به كلُّ شيء.

وسمعته يقول: سمعت أبا عُثمان المغربي يقول: العارف تضيء له أنوار العلم فيبصر به عجائب الغيب.

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقَّاق يقول: العارف مستهلك في بحار التحقيق؛ كما قال قائلهم: المعرفة أمواج تغطُّ، ترفع وتحط.

وسُئل يحيى بن مُعاذ عن العارف، فقال: رجل كائن بائن، ومرة قال: كان فبان.

وقال ذو النُّون: علامة العارف ثلاثة: لا يطفيء نور معرفته نور ورعه، ولا يعتقد باطناً من العلم ينقض عليه ظاهراً من الحكم، ولا تحمله كثرة نعم الله عزَّ وجلّ، عليه على هتك أستار محارم الله.

وقيل: ليس بعارف من وصف المعرفة عند أبناء الآخرة، فكيف عند أبناء الدنيا؟!

وقال أبو سعيد الخرَّاز: المعرفة تأتي من عين الجود وبذل المجهود.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين يقول: سمعت مُحمَّد بن عبد الله يقول: سمعت جعفراً يقول: سُئل الجُنيد عن قول ذي النُّون المصري في صفة العارف.

«كان ها هنا فذهب» فقال الجُنيد: العارف: لا يحصره حال عن حال، ولا يحجبه منزل عن التنقل في المنازل، فهو مع أهل كل مكان بمثل الذي هو فيه يجد مثل الذي يجدون، وينطق فيها بمعالمها لينتفعوا بها.

وسمعته يقول: سمعت عبد الله الرازي يقول: سمعت مُحمَّد بن الفَضل يقول: المعرفة حياة القلب مع الله تعالى.

وسمعته يقول: سمعت أحمد بن عليّ بن جعفر يقول: سمعت الكتاني يقول: سُئل أبو سعيد الخرَّاز: هل يصير العارف إلى حال يجفو عليه البكاء؟

فقال: نعم، إنما البكاء في أوقات سيرهم إلى الله تعالى، فإذا نزلوا إلى حقائق القرب وذاقوا طعم الوصول من بره زال عنهم ذلك.

باب المحبة(١)

قال الله عزّ وجلّ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [المائدة: ٥٤].

أخبرنا أبو نعيم عبد الملك بن الحُسين قال: حدّثنا أبو عوانة يَعقوب بن إسحاق قال: حدّثنا السلمي قال: حدّثنا عبد الرزاق، عن معمر، عن همَّام بن منبه(٢)، عن أبي هُريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) المحبة: لغوياً الوداد والميل إلى الشيء السّار.

(٢) همام بن منبّه بن كامل بن شيخ اليماني الصنعاني الأنباري، أو عقبة صاحب أقدم تأليف في الحديث النبوي من ثقات التابعين، لازم أبا هريرة فأخذ عنه نحو ١٤٠ حديثاً وصنفها. ولد سنة (٤٠ هـ)، وتوفي سنة (١٣١ هـ). الأعلام ٨/ ٩٤، وشذرات الذهب ١/ ١٨٢.

«من أحَبّ لقاء الله أحبّ الله لقاءه، ومَن لم يحبّ لقاء الله لم يحبّ الله لقاءه»[1].

أخبرنا أبو الحُسين عليّ بن أحمد بن عبدان قال: حدّثنا أحمد بن عُبيد الصفّار البصريّ قال: حدّثنا عبد الله بن أيوب قال: حدّثنا الحسن بن مُوسى قال: حدّثنا الهيثم بن خارجة قال: حدّثنا الحسن بن يحيى، عن صدقة الدمشقي، عن هشام الكتاني، عن أنس بن مالك، عن النبيّ ﷺ، عن جبريل عليه السلام، عن ربه سُبحانه وتعالى قال:

«من أهان لي وليًّا فقد بارزني بالمحاربة، وما ترددت في شيء كترددي في قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته، ولا بدّ له منه، وما تقرب إلى عبدي بشيء أحبّ إليّ من أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، ومن أحببته كنت له سمعاً وبصراً ويداً ومؤيداً»[2].

أخبرنا عليّ بن أحمد بن عبدان قال: أخبرنا أحمد بن عُبيد قال: حدّثنا عُبيد بن شريك قال: أخبرنا يحيى، قال: حدّثنا مالك، عن سُهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هُريرة أنَّ النبي ﷺ قال:

«إذا أحبّ الله عزَّ وجلّ، العبد قال لجبريل: يا جبريل، إني أحبّ فلاناً فأحببْه، فيحبه جبريل، ثم ينادي جبريل في أهل السماء إنَّ الله تعالى قد أحبّ فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يضع له القبول في الأرض، وإذا أبغض الله العبد قال: مالك لا أحسبه إلا قال في البغض مثل ذلك»[3].

والمحبة: حالة شريفة شهد الحقُّ، سُبحانه، بها للعبد، وأخبر عن محبته للعبد، فالحقّ سُبحانه، يوصف بأنه يُحب العبدَ، والعبدُ يوصف بأنه يحبّ الحق سُبحانه.

والمحبة على لسان العلماء: هي الإرادة، وليس مراد القوم بالمحبة الإرادة؛ فإنَّ الإرادة لا تتعلق بالقديم، اللهمّ إلا أنْ تحمل على إرادة التقرب إليه والتعظيم له.

ونحن نذكر من تحقيق هذه المسألة إنْ شاء الله تعالى؛ فمحبة الحقِّ سُبحانه، للعبد إرادته لإنعام مخصوص عليه، كما أنَّ رحمته له إرادةُ الإنعام، فالرحمة أخصّ من الإرادة،

---

(٣) أخرجه البخاري (رقاق ٤١)، ومسلم (ذكر ١٤، ١٦، ١٨)، والترمذي (جنائز ٦٧) (زهد ٦)، والنسائي (جنائز ١٠)، وابن ماجة (زهد ٣١)، والدارمي (رقاق ٤٣)، وأحمد بن حنبل ٢، ٣١٣، ٣٤٦، ٤٢٠، ٣، ١٠٧، ٤، ٢٥٩، ٥، ٣١٦؛ ٣٢١، ٦، ٤٤، ٥٥، ٢٠٧، ٢١٨، ٢٣٦.

(٤) أخرجه البخاري (رقاق ٣٧)، وأحمد بن حنبل ٦، ٢٥٦.

(٣) أخرجه البخاري (بدء الخلق ٦)، (أدب ٤١)، (توحيد ٣٣)، ومسلم (بر ١٥٧)، والترمذي (تفسير سورة ١٩، ٧)، والموطأ (شعر ١٥)، وأحمد بن حنبل ٢، ٢٦٧، ٣٤١، ٤١٣، ٤٨٠، ٥٠٩، ٥١٤، ٦، ٢٠٩، ٢٦٣.

والمحبة أخصّ من الرحمة، فإرادة الله تعالى لأنْ يوصل إلى العبد الثواب والإنعام تسمى «رحمة» وإرادته لأن يخصه بالقربة والأحوال العلية تسمى «محبة».

وإرادته سُبحانه، صفة واحدة، فبحسب تفاوت متعلقاتها تختلف أسماؤها، فإذا تعلقت بالعقوبة تسمى «غضباً» وإذا تعلقت بعموم النعم تُسمى «رحمة» وإذا تعلقت بخصوصها تُسمى «محبة».

وقوم قالوا: محبة الله، سُبحانه، للعبد، مدحه له، وثناؤه عليه بالجميل، فيعود معنى محبته له، على هذا القول، إلى كلامه، وكلامه قديم.

وقال قوم: محبته للعبد: من صفات فعله، فهو إحسان مخصوص يلقى الله العبد به، وحالة مخصوصة برقيه إليها، كما قال بعضهم: إنَّ رحمته بالعبد نعمة معه، وقوم من السلف قالوا: محبته من الصفات الخبرية، فأطلقوا اللفظ وتوقفوا عن التفسير.

فأما ما عدا هذه الجملة مما هو المعقول من صفات محبة الخلق؛ كالميل إلى الشيء، والإستئناس بالشيء، وكحالة يجدها المحبّ مع محبوبه من المخلوقين، فالقديم، سُبحانه يتعالى عن ذلك.

وأما محبة العبد لله: فحالة يجدها من قلبه. تلطف عن العبارة.

وقد تحمله تلك الحالة على التعظيم له، وإيثار رضاه، وقلة الصبر عنه، والاهتياج إليه، وعدم القرار من دونه، ووجود الإستئناس بدوام ذكره له بقلبه. وليست محبة العبد له، سُبحانه، متضمنة مَيْلاً، ولا اختطاطاً، كيف وحقيقة الصمدية مقدسة عن اللحوق والدرك والإحاطة والمحبّ بوصف الإستهلاك في المحبوب، أولى منه بأنْ يوصف بالإختطاط، ولا توصف المحبة بوصف ولا تحدّ بحدّ أوضح ولا أقرب إلى الفهم من المحبة والإستقصاء في المقال عند حصول الإشكال؛ فإذا زاد الاستعجام والاستبهام سقطت الحاجة إلى الاستغراق في شرح الكلام.

وعبارات الناس عن المحبة كثيرة، وتكلموا في أصلها في اللغة؛ فبعضهم قال: الحبّ اسم لصفاء المودّة؛ لأنَّ العرب تقول لصفاء بياض الأسنان ونضارتها: «حبب الأسنان».

وقيل: الحباب: ما يعلو الماء عند المطر الشديد؛ فعلى هذا «المحبة»: غليان القلب وثورانه عند العطش والإهتياج إلى لقاء المحبوب.

وقيل: إنه مشتق من حباب الماء (بفتح الحاء) وهو: معظمه. فسمي بذلك: لأنَّ المحبة غاية معظم ما في القلب من المهمات.

وقيل: اشتقاقه من اللزوم والثبات، يُقال: أحب البعير. وهو: أنْ يبرك فلا يقوم، فكأن المحب لا يبرح بقلبه عن ذكر محبوبه.

وقيل: الحبّ مأخوذ من الحبّ. وهو «القرط» قال الشاعر:

تبيت الحيَّة النضناض[1] منه مكانَ الحب تستمع السرارا

وسمي القرط «حباً»؛ إما للزومه للأذن، أو لِقلَقه. وكلا المعنيين صحيح في الحبّ.

وقيل: هو مأخوذ من «الحبِّ» (جمع حبَّة) وحبة القلب: ما به قوامه؛ فسمي الحبّ حباً باسم محله.

وقيل: الحَبّ، والحُبّ كالعَمر والعُمر.

وقيل: هو مأخوذ من الحِبَّة (بكسر الحاء) وهي بذور الصحراء: فسمي الحبّ حبًّا، لأنه لُباب الحياة، كما أنَّ الحبّ لباب النبات.

وقيل: الحبّ: هي الخشبات الأربع التي توضع عليها الجرّة، فسميت المحبة حباً لأنه يتحمل عن محبوبه كل عزّ وذلّ.

وقيل: هو من الحب الذي فيه الماء، لأنه يمسك ما فيه، فلا يسع فيه غير ما امتلأ به، كذلك إذا امتلأ القلب بالحبّ فلا مساغ فيه لغير محبوبه.

وأما أقاويل الشيوخ فيه، فقال بعضهم: المحبة: الميل الدائم بالقلب الهائم.

وقيل: المحبة: إيثار المحبوب على جميع المصحوب.

وقيل: موافقة الحبيب في المشهد والمغيب.

وقيل: محو المحب لِصفاته، وإثباتُ المحبوب بذاته.

وقيل: مواطأة القلب لمرادات الرب.

وقيل: خوف ترك الحرمة مع إقامة الخدمة.

وقال أبو يزيد البسطامي: المحبة: استقلال الكثير من نفسك، واستكثار القليل من حبيبك.

وقال سهل: الحبُّ: معانقة الطاعة ومباينة المخالفة.

وسُئل الجُنيد عن المحبة، فقال: دخول صفات المحبوب على البدل من صفات المحب.

أشار بهذا إلى استيلاء ذكر المحبوب، حتى لا يكون الغالب على قلب المحبّ إلا ذكر صفات المحبوب، والتغافل بالكلية عن صفات نفسه والإحساس بها.

وقال أبو علي الروذباري: المحبّة: الموافقة.

---

(١) النضنضة: صوت الحية أو تحريك الحية لسانها وقيل: هي التي تقتل إذا نهشت من ساعتها وقيل: هي التي لا تستقر في مكان.

قال أبو عبد الله القرشيّ: حقيقة المحبة أنْ تهب كلك لمن أحببت، فلا يبقى لك منك شيء.

وقال الشِّبلي: سميت المحبة محبة لأنها تمحو من القلب ما سوى المحبوب.

وقال ابن عَطاء: المحبة: إقامة العتاب على الدوام.

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقَّاق، رحمه الله يقول: المحبة: لذة، ومواضع الحقيقة دهَش.

وسمعته يقول: العشق: مجاوزة الحدّ في المحبة، والحقُّ، سُبحانه؛ لا يوصف بأنه يجاوز الحدّ؛ فلا يوصف بالعشق، ولو جمع محابّ الخلق كلهم لشخص واحد لم يبلغ ذلك استحقاق قدر الحقّ سُبحانه، فلا يقال: إنَّ عبداً جاوز الحد في محبة الله. فلا يُوصف الحقّ، سُبحانه بأنه يعشق، ولا العبد في صفته سُبحانه بأنه يعشق، فنفي العشق، ولا سبيل له إلى وصف الحقّ، سُبحانه، لا من الحق للعبد، ولا من العبد للحقّ، سُبحانه.

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السلمي يقول: سمعت مَنْصور بن عبد الله يقول: سمعت الشِّبلي يقول: المحبة أنْ تغار على المحبوب أنْ يحبه مثلك.

وسمعته يقول: سمعت أبا الحُسين الفارسي يقول: سمعت ابن عطاء يقول، وقد سُئل عن المحبة. فقال: أغصان تغرس في القلب فتثمر على قدر العقول.

وسمعته يقول: سمعت النصراباذي يقول: محبة توجب حقن الدماء، ومحبة توجب سفك الدماء.

وسمعته يقول: سمعت مُحمَّد بن علي العلويّ يقول: سمعت جَعفراً يقول: سمعت سمنوناً يقول: ذهب المحبون لله تعالى بشرف الدنيا والآخرة، لأن النبي ﷺ قال: «المرء مع من أحبّ»[1]؛ فهم مع الله تعالى.

وقال يحيى بن مُعاذ: حقيقة المحبة ما لا ينقص بالجفاء، ولا يزيد بالبر، وقال: ليس بصادق من ادعى محبته ولم يحفظ حدوده.

وقال الجُنيد: إذا صحت المحبة سقطت شروط الأدب، وفي معناه أنشد الأستاذ أبو عليّ:

إذا صفـت المـودة بيـن قـوم ... ودام ودادهـم سمـج الثنـاء

(١) أخرجه البخاري (أدب ٩٦)، ومسلم (بر ١٦٥)، والترمذي (زهد ٥٠)، (دعوات ٩٨)، والدارمي (رقاق ٧١)، وأحمد بن حنبل ١، ٣٩٢، ٣، ١٠٤، ١١٠، ١٥٩، ١٦٥، ١٦٧، ١٦٨، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٨، ١٩٢، ١٩٨، ٢٠٠، ٢٠٢، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢١٣، ٢٢٢، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٥٥، ٢٦٨، ٢٧٦، ٢٨٣، ٢٨٨، ٣٣٦، ٣٩٤، ٤، ١٠٧، ١٦٠، ٢٣٩، ٢٤٩، ٣٩٢، ٣٩٥، ٣٩٨، ٤٠٥.

وكان يقول: لا ترى أباً شفيقاً يبجل ابنه في الخطاب والناس يتكلفون في مخاطبته والأب يقول: يا فلان.

وقال الكتاني: المحبة: الإيثار للمحبوب.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين يقول: سمعت أبا سعيد الأرجاني يقول: سمعت بندار بن الحُسين يقول: رؤي مجنون بني عامر في المنام، فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي، وجعلني حجة على المحبِّين.

وقال أبو يَعقوب السوسي: حقيقة المحبة: أنْ ينسى العبد حظه من الله وينسى حوائجه إليه.

وقال الحُسين بن منصور: حقيقة المحبة: قيامك مع محبوبك بخلع أوصافك.

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السلمي يقول: قيل للنصراباذي: ليس لك من المحبة شيء؟ فقال: صدقوا، ولكن لي حسراتهم، فهو ذا احترق فيه.

وسمعته يقول: قال النصرابذاي: المحبة: مجانبة السُّلو على كلِّ حال. ثم أنشد:

ومن كان في طول الهوى ذاق سلوةً ... فإني من ليلى لها غير ذائق
وأكثر شيء نلته من وصالها ... أماني لم تصدق كلمحة بارق

وقال مُحمَّد بن الفَضل: المحبة: سقوط كلّ محبة من القلب إلا محبة الحبيب.

وقال الجنيد: المحبة: إفراط المَيْل بلا نيل.

ويُقال: المحبة: تشويش في القلوب يقع في المحبوب.

ويُقال: المحبة: فتنة تقع في الفؤاد من المراد.

وأنشد ابن عطاء:

غرست لأهل الحبّ غصناً من الهوى ... ولم يك يدري ما الهوى أحدٌ قبلي
فأوْرَق أغصاناً، وأينع صبوة ... وأعقب لي مراً من الثمر المحلي
وكل جميع العاشقين هواهم ... إذا نسبوه كان من ذلك الأصلي

وقيل: الحب أوله ختل[1] وآخره قتل.

سمعت الأستاذ أبا عليّ، رحمه الله، يقول في معنى قوله ﷺ: **«حبّك للشيء يُعمي ويُصم»**[2].

فقال: يعمي عن الغير غيرة وعن المحبوب هيبة، ثم أنشد:

إذا ما بدا لي تعاظمته ... فأصْدِر في حال من لم يرد

---

(١) المخاتلة: المخادعة أو المراوغة التي تصرف انتباهك عما تريد.

(٢) أخرجه أبو داود (أدب ١٦)، وأحمد بن حنبل ٥، ٩٤، ٦، ٤٥٠.

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السلمي يقول: سمعت أحمد بن عليّ يقول: سمعت إبراهيم بن فاتك يقول: سمعت الجُنيد يقول: سمعت الحارث المحاسبيّ يقول: المحبة ميلك إلى الشيء بكليتك، ثم إيثارك له على نفسك وروحِك ومالك، ثم موافقتُك له سرًّا وجهراً، ثم علمك بتقصيرك في حبّه.

وسمعته يقول: سمعت أحمد بن عليّ يقول: سمعت عبَّاس بن عِصام يقول: سمعت الجُنيد يقول: سمعت السري يقول: لا تصلح المحبة بين اثنين حتى يقول الواحد للآخر: يا أنا.

وقال الشِّبلي: المحبّ إذا سكت هلك، والعارف إنْ لم يسكت هلك.

وقيل: المحبة: نار في القلب تحرق ما سوى مراد المحبوب.

وقيل: المحبة: بذل المجهود والحبيب يفعل ما يشاء.

وقال النوري: المحبة: هتك الأستار وكشف الأسرار.

وقال أبو يعقوب السوسيّ: لا تصحّ المحبة إلا بالخروج عن رؤية المحبة إلى رؤية المحبوب بفناء علم المحبة.

وقال جعفر: قال الجُنيد: دفع السريّ إلي رقعة، وقال: هذه لك خير من سبعمائة قصة أو حديث يعلو، فإذا فيها:

ولمـا ادَّعيـتُ الحـبَّ قـالـت: كـذبتني ... فمـالـي أرى الأعضـاء منـك كـواسيـا
فما الحبّ حتى يلصق القلب بالحشا ... وتـذبـل حتـى لا تجيـب المنـاديـا
وتنحـل حتـى لا يبقـى لـك الهـوى ... سـوى مقلـة تبكـي بهـا وتنـاجيـا

وقال ابن مَسْروق: رأيت سمنوناً يتكلم في المحبة فتكسرت قناديل[1] المسجد كلها.

سمعت مُحمَّد بن الحَسن يقول: سمعت أحمد بن عليّ يقول: سمعت إبراهيم بن فاتك يقول: سمعت سمنوناً، وهو جالس في المسجد يتكلم في المحبة إذ جاء طير صغير فقرب منه، ثم قرب.. فلم يزل يدنو حتى جلس على يده.. ثم ضرب بمنقاره الأرض حتى سال منه الدم، ثم مات.

وقال الجُنيد: كلّ محبة كانت لغرض إذا زال الغرض زالت تلك المحبة.

وقيل: حبس الشِّبلي في «المارستان»[2]، فدخل عليه جماعة، فقال: من أنتم؟ قالوا: إنا محبوك يا أبا بكر، فأقبل يرميهم بالحجارة، ففروا، فقال: إنْ ادعيتم محبتي فاصبروا على بلائي.

---

(١) القنديل: مصباح من زجاج يشبه الكوب، فيه فتيل يُضاء بالزيت وغيره (ج) قناديل (مع).
(٢) المارستان: (مع) المصحة أو المستشفى (ج) مارستانات.

وأنشد الشِّبلي:

أيهـــا السيـــد الكـــريـــم حبـــك بيـــن الحشـــا مقيـــم
يـــا رافـــع النـــوم عـــن جفـــونـــي أنـــت بمـــا مـــر بـــي عليـــم

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السّلمي يقول: سمعت مَنْصور بن عبد الله يقول: سمعت النهرجوري يقول: سمعت عليّ بن عُبيد يقول: كتب يَحيى بن مُعاذ إلى أبي يزيد: سكرت من كثرة ما شربت من كأس محبته. فكتب إليه أبو يزيد: غيرك شرب بحور السموات والأرض وما روي بعد، ولسانه خارج ويقول: هل من مزيد.

وأنشدوا:

عجبـت لمـن يقـول ذكـرت إلفـي وهـل أنسـى فـأذكـر مـا نسيـت
أمـوت إذا ذكـرتـك ثـم أحيـا ولـولا حسـن ظنـي مـا حييـت
فـأحيـا بـالمنـى وأمـوت شـوقـاً فكـم أحيـا عليـك وكـم أمـوت
شـربـت الحـبّ كـأسـاً بعـد كـأس فمـا نفـد الشـراب ومـا رويـت

وقيل: أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام: إني إذا اطلعت على قلب عبد فلم أجد فيه حبّ الدنيا والآخرة ملأته من حبي.

ورأيت بخط الأستاذ أبي علي الدّقاق، رحمه الله، في بعض الكتب المنزلة «عبدي، أنا وحقك لك محبّ، فبحقي كُنْ لي محباً».

وقال عبد الله بن المبارك: من أعطى شيئاً من المحبة ولم يعط مثله من الخشية فهو مخدوع.

وقيل: المحبة: ما يمحو أثرك.

وقيل: المحبة: سُكر لا يصحو صاحبه إلا بمشاهدة محبوبه.

ثم السكر الذي يحصل عند الشهود لا يوصف، وأنشدوا:

فـــأسكـــرُ القـــومَ دَوْرُ كـــأس وكـــان سكـــري مـــن المـــديـــرِ

وكان الأستاذ أبو عليّ الدقّاق ينشد كثيراً:

لـــي سكـــرتـــان، وللنـــدمـــان واحـــدة شيءٌ خصصت به من بينهم وحدي

وقال ابن عطاء: المحبة: إقامة العتاب على الدوام.

وكان للأستاذ أبي عليّ جارية تُسمى «فيروز» وكان يحبها؛ إذ كانت قد خدمته كثيراً، فسمعته يقول: كانت فيروز تؤذيني يوماً وتستطيل عليَّ بلسانها، فقال لها أبو الحسن القارىء: لم تؤذين هذا الشيخ؟ فقالت: لأني أحبه.

وقال يَحيى بن مُعاذ: مثقالُ خُردلة[1] من الحب أحبّ إليّ من عبادة سبعين سنة بلا حب.

وقيل: إنّ شاباً أشرف على الناس في يوم عيد وقال:

من مات عشقاً فليمت هكذا   لا خير في عشق بلا موت

وألقى نفسه من سطح عال فوقع ميتاً.

وحكى أنَّ بعض أهل الهند عشق جارية، فرحلت الجارية، فخرج الرجل في وداعها، فدمعت إحدى عينيه دون الأخرى، فغمض التي لم تدمع أربعاً وثمانين سنة. ولم يفتحها. عقوبة لها: لأنها لم تبك على فراق حبيبته، وفي معناه أنشدوا:

بكيت عيني غداة البين دمعاً   وأخرى بالبكا بخلت علينا
فعاقبت التي بخلت بدمع   بأنْ غمضتها يوم التقينا

وقال بعضهم: كنا عند ذي النُّون المصريّ، فتذاكرنا المحبة، فقال ذو النُّون:

كفوا عن هذه المسألة، لا تسمعها النفوس فتدعيها، ثم أنشأ يقول:

الخوف أولى بالمسي   ء إذا تألّه والحزن
والحبُّ يجمل بالتقى   وبالنقي من الدرَن[2]

وقال يَحى بن مُعاذ: من نشر المحبة عند غير أهلها فهو في دعواه دعيّ.

وقيل: ادَّعى رجل الإستهلاك في محبة شخص، فقال له الشاب: كيف هذا، وأخي أحسن مني وجهاً وأتم جمالاً؟ فرفع الرجل رأسه يلتفت، وكانا على سطح فألقاه من السطح وقال: هذا أجر من يدعي هوانا وينظر إلى سوانا.

وكان سمنون يقدّم المحبة على المعرفة، والأكثرون يقدّمون المعرفة على المحبة.

وعند المحققين: المحبة: استهلاك في لذّة، والمعرفة: شهودٌ في حيْرة، وفناءٌ في هيبة.

وقال أبو بكر الكتاني: جرت مسألة في المحبة، بمكة، أيام الموسم، فتكلم الشيوخ فيها، وكان الجُنيد أصغرهم سناً، فقالوا له: هات ما عندك يا عراقيّ، فأطرق رأسه ودمعت عيناه، ثم قال: عبدٌ ذاهب عن نفسه، متصل بذكر ربه، قائم بأداء حقوقه، ناظر إليه بقلبه، أحرق قلبه أنوارُ هويته، وصفا شربه من كأس ودّه، وانكشف له الجبار من أستار غيبه؛ فإنْ

---

(١) الخردل: نبات عشبي من الفصيلة الصليبية له حب صغير جداً حريف الطعم من المشهيات الواحدة خردلة.

(٢) الدرن: الوسخ.

تكلم فبالله، وإنْ نطق فعن الله، وإنْ تحرك فبأمر الله، وإنْ سكن فمع الله، فهو بالله ولله ومع الله فبكى الشيوخ وقالوا: ما على هذا مزيد، جبرك الله يا تاج العارفين.

وقيل: أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: يا داود، إني حرَّمت على القلوب أنْ يدخلها حبي وحبّ غيري فيها.

أخبرنا حمزة بن يُوسف السهمي قال: أخبرنا مُحمَّد بن أحمد بن القاسم قال: حدّثنا هُمَيْم بن همام قال: أخبرنا إبراهيم بن الحارث قال: حدّثني عبد الرَّحمن بن عفان قال: حدّثني مُحمَّد بن أيوب قال: حدّثني أبو العبَّاس خادم الفُضيل بن عيَّاض قال: إحتبس بول الفُضيل، فرفع يديه وقال: اللّهم بحبي لك إلا أطلقته عني، فما برحنا حتى شفي.

وقيل المحبة: الإيثار كامرأة العزيز لما تناهت في أمرها قالت:

﴿ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [يوسف: ٥١].

وفي الابتداء قالت: ﴿ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ [يوسف: ٢٥]، فوركت الذنب في الإبتداء عليه، وفي الانتهاء نادت على نفسها بالخيانة.

سمعت الأستاذ أبا عليّ يقول ذلك. وحكي عن أبي سعيد الخرَّاز أنه قال: رأيت النبي ﷺ في المنام، فقلت: يا رسول الله اعذرني، فإنَّ محبة الله شغلتني عن محبتك.. فقال: يا مُبارك، من أحب الله تعالى فقد أحبني».

وقيل: قالت رابعة في مناجاتها: إلهي، أتحرق بالنار قلباً يحبك؟

فهتف بها هاتف: ما كنا نفعل هكذا، فلا تظني بنا ظنّ السوء!!

وقيل: الحبّ حرفان: حاء وباء، والإشارة فيه: أنَّ من أحبّ فليخرج عن روحه وبدنه.

وكالإجماع من إطلاقات القوم: أنَّ المحبة: هي الموافقة، وأشد الموافقات: الموافقة بالقلب، والمحبة توجب انتفاء المباينة؛ فإنَّ المحبّ أبداً مع محبوبه، وبذلك ورد الخبر:

«حدّثنا الإمام أبو بكر بن فُورك، رحمه الله تعالى، قال: أخبرنا القاضي أحمد بن مَحمود بن حرّزاد قال: حدّثنا الحُسين بن حمَّاد بن فُضالة قال: حدّثنا يَحيى بن حبيب قال: حدّثنا مرحوم بن عبد العزيز، عن سُفيان الثوريّ، عن الأعمش، عن أبي وائل، عن أبي موسى الأشعريّ: أنَّ النبي ﷺ قيل له:

إنَّ الرجل ليحب القوم ولما يلحق بهم؟ فقال: «المرء مع من أحب».

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت عبد الله الرازي يقول: سمعت أبا عُثمان الحيريّ يقول: سمعت أبا حَفص يقول: أكثر فساد الأحوال من ثلاثة، فسق العارفين، وخيانة المحبين، وكذب المريدين.

قال أبو عُثمان: فسق العارفين: إطلاق الطرف واللسان والسمع إلى أسباب الدنيا ومنافعها.

وخيانة المحبين: اختيار هواهم على رضا الله عزَّ وجلّ فيما يستقبلهم.
وكذب المريدين: أنْ يكون ذكر الخلق ورؤيتهم تغلب عليهم على ذكر الله عزّ وجلّ.

وسمعته يقول: سمعت أبا بكر الرازيّ يقول: سمعت أبا القاسم الجوهري يقول: سمعت أبا عليّ ممشاد بن سَعيد العكبريّ يقول:

راود خطاف[1] خطابة في قبة سُليمان، عليه السلام، فامتنعت عليه، فقال لها:

لِمَ تمتنعين عليّ وإنْ شئت قلبت القبة على سُليمان!!
فدعاه سُليمان، عليه السلام، وقال له: ما حملك على ما قلت؟
فقال: يا نبيّ الله، إنَّ العشّاق لا يؤاخذون بأقوالهم!
فقال: صدقت.

باب الشَّوق [2]

قال الله عزّ وجلّ: ﴿ مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأَتٍ ﴾ [العنكبوت: ٥].

أخبرنا عليّ بن أحمد بن عبدان الأهوازي، قال: أخبرنا أحمد بن عُبيد البصريّ قال: أخبرنا ابن أبي قماش قال: أخبرنا إسماعيل بن زرارة، عن حمَّاد بن يزيد، قال: أخبرنا عَطاء بن السَّائب[3]، عن أبيه، قال: صلىٰ بنا عمَّار بن ياسر[4] صلاة، فأوجز فيها، فقلت: خففت أبا اليقظان!! فقال: وما عليَّ من ذلك، ولقد دعوت الله بدعوات سمعتها من رسول الله ﷺ، فلما قام تبعه رجل من القوم فسأله عن الدعوات، فقال:

---

(١) الخُطَّاف: من الطيور الدورية ومن رتبة العصفوريات وفصيلة الخطاطيف، المنقار قصير عريض القاعدة دقيق الطرف، والذنب يتشعب شعبتين طويلتين، والرجلان قصيرتان ضعيفتان، سريع الطيران، قيل: هو السنونو.

(٢) الشَّوق: نزوع النفس إلى الشيء وتعلقها به (ج) أشواق.

(٣) عطاء بن السائب بن مالك الثقفي الكوفي الصالح، حسن الحديث، روى عن عبد الله بن أبي أوفى وطائفة. توفي سنة ست وثلاثين ومائة. شذرات الذهب ١/ ١٩٤.

(٤) عمار بن ياسر بن عامر الكناني المذحجي العنسي القطحاني، أبو اليقظان، صحابي من الولاة الشجعان ذوي الرأي، وهو أحد السابقين إلى الإسلام والجهر به، هاجر إلى المدينة وشهد بدراً وأحداً والخندق وبيعة الرضوان، وهو أول من بنى مسجداً في الإسلام، وولاه عمر الكوفة، وشهد صفين والجمل مع علي له (٦٢ حديثاً) ولد سنة (٥٧ ق.هـ ـ ٥٦٧ م) وتوفي سنة (٣٧ هـ ـ ٦٥٧ م). الأعلام ٥/ ٣٦، وشذرات الذهب ١/ ٤٥.

«اللهم بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيراً لي، وتوفني ما علمت الوفاة خيراً لي.

اللهم إني أسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وأسألك كلمة الحق في الرضا والغضب، وأسألك القصد في الغنى والفقر، وأسألك نعيماً لا ينفد، وقرّة عين لا تنقطع. وأسألك الرضا بعد القضاء، وبرَد العيش بعد الموت، وأسألك النظر إلى وجهك الكريم، وشوقاً إلى لقائك في غير ضرّاء مضرة ولا فتنة مُضلة.

اللهم زينا بزينة الإيمان.. اللهم اجعلنا هُداة مهتدين»[1].

قال الأستاذ: الشوق اهتياج القلوب إلى لقاء المحبوب، وعلى قدر المحبة يكون الشوق.

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقّاق يفرق بين الشوق والإشتياق، ويقول: الشوق يسكن باللقاء والرؤية، والإشتياقُ لا يزول باللقاء. وفي معناه أنشدوا:

ما يرجع الطرف عنه عند رؤيته حتى يعود إليه الطرفُ مشتاقاً

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السلميّ يقول: سمعت النصراباذي يقول: للخلق كلهم مقامُ الشوق، وليس لهم مقام الإشتياق. ومن دخل في حال الإشتياق هام فيه حتى لا يُرى له أثر ولا قرار.

وقيل: جاء أحمد بن حامد الأسود إلى عبد الله بن منازل فقال: رأيت في المنام أنك تموت إلى سنة، فلو استعددت للخروج؟ فقال له عبد الله بن منازل: لقد أجلْتنا إلى أمد بعيد أأعيش أنا إلى سنة!! لقد كان لي أنس بهذا البيت الذي سمعته من هذا الثقفي «يعني أبا عليّ»:

يا من شكا شوقه من طول فرقته اصبر لعلك تلقى من تحبّ غداً

وقال أبو عُثمان: علامة الشوق: حبّ الموت مع الراحة.

وقال يحيى بن مُعاذ: علامة الشوق: فطام الجوارح عن الشهوات.

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقّاق يقول: خرج داود عليه السلام يوماً إلى بعض الصحارى منفرداً، فأوحى الله تعالى إليه: مالي أراك يا داود وحدانياً؟ فقال يا إلهي، استأثر الشوق إلى لقائك على قلبي فحال بيني وبين صحبة الخلق. فأوحى الله تعالى إليه: ارجع إليهم؛ فإنك إنْ أتيتني بعبد آبق[2] أثبتُك في اللوح المحفوظ جهبذاً[2].

---

(١) أخرجه النسائي (سهو ٦٢)، وأحمد بن حنبل ٤/ ٢٦٤.

(٢) الجهبذ: النّقاد الخبير بغوامض الأمور (ج) جهابذة وهو الجهباذ (مع).

وقيل: كانت عجوز قَدِمَ بعض أقاربها من السفر فأظهر قومُها السرور، والعجوز تبكي، فقيل لها: ما يبكيك؟ فقالت: ذكَّرني قدوم هذا الفتى يوم القدوم على الله تعالى.

وسُئل ابن عطاء عن الشوق فقال: احتراق الأحشاء وتلهب القلوب وتقطع الأكباد.

وسُئل أيضاً عن الشوق، فقيل له: الشوق أعلى أم المحبة؟ فقال: المحبة؛ لأنَّ الشوق منها يتولد.

وقال بعضهم: الشوق لهيب ينشأ بين أثناء الحشى، يسنح[1] عن الفرقة، فإذا وقع اللقاء طفيء، وإذا كان الغالب على الأسرار مشاهدة المحبوب لم يطرقها الشوق.

وقيل لبعضهم: هل تشتاق؟ فقال: لا، إنما الشوق إلى غائب، وهو حاضر.

سمعت الأستاذ أبي عليّ الدقَّاق يقول في قوله عزّ وجلّ: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ [طه: ٨٤]، قال: معناه: شوقاً إليك، فستره بلفظ «الرضا».

وسمعته رحمه الله تعالى يقول: من علامات الشوق: تمنى الموت على بساط العوافي، كيُوسف عليه السلام لمَّا ألقى في الجبّ لم يقل «توفني»؛ ولما أدخل السجن لم يقل: «توفني»؛ ولما دخل عليه أبواه وخرَّ له الإخوة سُجدًا، وتمّ له لذلك والنعم قال: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا﴾ [يوسف: ١٠١]، وفي معناه أنشدوا:

نحن في أكمل السرور ولكن ... ليس إلا بكم يتمّ السرور
عيبُ ما نحن فيه يا أهل ودّي ... أنكم غيَّبُ، ونحن حضور

وفي معناه أنشدوا:

من سرَّه العيد الجديد ... فقد عدمت به السرورا
كان السرور يتمُّ لي ... لو كان أحبابي حضورا

وقال ابن خفيف: الشوق: ارتياح القلوب بالوجد، ومحبة اللقاء بالقرب.

وقال أبو يزيد: إنَّ لله عباداً لو حجبهم في الجنة عن رؤيته لاستغاثوا من الجنة كما يستغيث أهل النار من النار.

أخبرنا مُحمَّد بن عبد الله الصوفي قال: أخبرنا أبو العبَّاس الهاشميّ بـ «البيضاء» قال: حدّثنا مُحمَّد بن عبد الله الخزاعيّ قال: حدّثنا عبد الله الأنصاري قال: سمعت الحُسين الأنصاريّ يقول: رأيت في النوم كأنَّ القيامة قد قامت وشخص قائم تحت العرش فيقول الحقّ، سُبحانه: يا ملائكتي، من هذا؟ فقالوا: الله أعلم. فقال: هذا معروف الكرخيّ سكر من حبي فلا يفيق إلا بلقائي.

---

(١) يسنح: يظهر.

وفي بعض الحكايات في مثل هذا المنام أنه قيل: هذا معروف الكرخيّ خرج من الدنيا مشتاقاً إلى الله، فأباح الله عزّ وجلّ له النظر إليه.

وقال فارس: قلوب المشتاقين منورة بنور الله تعالى، فإذا تحرك اشتياقهم أضاء النور ما بين السماء والأرض، فيعرضهم الله على الملائكة فيقول: هؤلاء المشتاقون إليّ... أشهدكم أني إليهم أشوَق..

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقّاق يقول في قوله ﷺ: «**أسألك الشوق إلى لقائك**»[1] قال: كان الشوق مائة جزء، تسعة وتسعون له، وجزء متفرق في الناس، فأراد أنْ يكون ذلك الجزء له أيضاً، فغار أنْ يكون شظيه[2] من الشوق لغيره.

وقيل: شوق أهل القرب أتمّ من شوق المحجوبين؛ ولهذا قيل:

وأبرح ما يكون الشوق يوماً ... إذا دنتِ الخيامُ من الخيامِ

وقيل: إنَّ المشتاقين يتحسسون[3] حلاوة الموت عند وروده؛ لما قد كشف لهم من رَوح الوصول أحلى من الشهد[4].

سمعت مُحمَّد بن الحُسين يقول: سمعت عبد الله بن عليّ يقول: سمعت جَعفراً يقول: سمعت الجُنيد يقول: سمعت السريّ يقول: الشوق أجلّ مقام للعارف إذا تحقق فيه، وإذا تحقق في الشوق لها عن كل شيء يشغله عمن يشتاق إليه.

وقال أبو عثمان الحيريّ في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَآتٍ﴾ [العنكبوت: ٥]: هذا تعزية للمشتاقين، معناه: أني أعلم أنَّ اشتياقكم إليّ غالب، وأنا أجلت للقائكم أجلاً، وعن قريب يكون وصولكم إلى من تشتاقون إليه.

وقيل: أوحى الله تعالى لداود عليه السلام: قلْ لشبان بني إسرائيل لم تشغلون أنفسكم بغيري وأنا مشتاق إليكم، ما هذا الجفاء!!

وقيل: أوحى الله عزّ وجلّ إلى داود عليه السلام: لو يعلم المدبرون علي كيف انتظاري لهم ورفقي بهم وشوقي إلى ترك معاصيهم لماتوا شوقاً إليّ. وانقطعت أوصالهم من محبتي، يا داود هذه إرادتي للمدبري علي، فكيف إرادتي للمقبلين إليّ؟!

وقيل: مكتوب في التوراة: شوّقناكم فلم تشتاقوا، وخوّفنا فلم تخافوا، ونُحنا لكم فلم تنوحوا.

(١) أخرجه النسائي (سهو ٦٢)، وأحمد بن حنبل ٤/ ٢٦٤، ٥، ١٩١.
(٢) الشظية: كل فلقة تتناثر من جسم صلب.
(٣) التحسي: الشرب شيئاً بعد شيء.
(٤) الشهد: العسل غير مفصول عن شمعه (ج) شهاد.

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقّاق يقول: بكى شعيب حتى عمي، فردّ الله عزَّ وجلّ بصره عليه، ثم بكى حتى عمي، فرد الله عزَّ وجلّ بصره عليه. ثم بكى حتى عمي، فأوحى الله تعالى إليه: إن كان هذا البكاء لأجل الجنة فقد أبحتها لك، وإنْ كان لأجل النار فقد أجرْتك منها، فقال: لا، بل شوقاً إليك، فأوحى الله إليه: لأجل ذلك أخدمتك نبيّ وكليمي عشر سنين.

وقيل: من اشتاق إلى الله اشتاق إليه كل شيء.

وفي الخبر: «**اشتاقت الجنة إلى ثلاثة: عليّ، وعمَّار، وسَلْمان**»[1].

سمعت الأستاذ أبا عليّ يقول: قال بعض المشايخ: أنا أدخل الشوق والأشياء تشتاق إليّ، وأنا عن جميعها حُر.

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السلميّ يقول: سمعت عبد الله بن جعفر يقول: سمعت مُحمَّد بن عُمر الرمليّ يقول: حدّثنا مُحمَّد بن جعفر الإمام قال: حدّثنا إسحاق بن إبراهيم قال: حدّثنا مَرحوم قال: سمعت مالك بن دينار يقول: قرأت في التوراة: شوقناكم فلم تشتاقوا، وزمَّرنا لكم فلم ترقصوا.

سمعت مُحمَّد بن عبد الله الصوفي يقول: سمعت مُحمَّد بن فَرحان يقول: سمعت الجُنيد، وقد سُئل من أي شيء يكون بكاء المحبّ إذا لقي المحبوب؟ فقال: إنما يكون ذلك سروراً به، ووجداً من شدة الشوق إليه، ولقد بلغني أنَّ أخوين تعانقا، فقال أحدهما: واشوقاه، وقال الآخر: واوجداه!!

باب حفظ قلوب المشايخ
وترك الخلاف عليهم

قال الله تعالى في قصة موسى مع الخضر، عليهما السلام: ﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ [الكهف: ٦٦].

قال الإمام: لما أراد صحبة الخضر حفظ شرط الأدب، فاستأذن أوَّلاً في الصحبة، ثم شرط عليه الخضر أنْ لا يعارضه في شيء ولا يعترض عليه في حكم، ثم لما خالفه موسى عليه السلام تجاوز عنه المرة الأولى والثانية، فلما صار إلى الثالثة، والثلاثُ آخر حدّ القلة وأوّل حدّ الكثرة، سامه الفرقة؛ فقال: ﴿ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ﴾ [الكهف: ٧٨].

أخبرنا أبو الحُسين الأهوازي قال: حدّثنا أحمد بن عُبيد البصريّ قال: حدّثنا أبو سالم

---

(١) أخرجه الترمذي (مناقب ٣٢).

القزّاز قال: حدّثنا يزيد بن بيان قال: حدّثنا أبو الرجال، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ:

«ما أكرم شاب شيخاً لسنّه إلا قيّض الله تعالى له من يكرمه عند سنّه»[1].

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقّاق، رحمه الله، يقول: بدء كلّ فُرقة المخالفة. يعني به: أنّ من خالف شيخه لم يبق على طريقته، وانقطعت العُلْقة بينهما وإنْ جمعتهما البقعة؛ فمن صحب شيخاً من الشيوخ ثم اعترض عليه بقلبه فقد نقض عهد الصحبة، ووجبت عليه التوبة، على أنَّ الشيوخ قالوا: عُقوق[2] الأستاذين لا توبة عنها.

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السلميّ يقول: خرجت إلى «مَرو» في حياة شيخي الأستاذ أبي سهل الصعلوكيّ، وكان له قبل خروجي أيام الجمعة بالغدوات مجلس دَوْر القرآن والختم، فوجدته عند رجوعي قد رفع ذلك المسجد، وعقد لأبي الغفاني في ذلك الوقت مجلس القول، فداخلني من ذلك شيءٌ؛ فكنت أقول في نفسي: قد استبدل مجلس الختم بمجلس القول، فقال لي يوماً: يا أبا عبد الرَّحمن، ما يقول الناسُ فيَّ؟ فقلت: يقولون رفع مجلس القرآن ووضع مجلس القول!! فقال: من قال لأستاذ لِمَ؟ لا يفلح أبداً، ومن المعروف أنَّ الجُنيد قال: دخلت على السريّ يوماً، فأمرني شيئاً، فقضيت حاجته سريعاً، فلما رجعت ناولني رقعة وقال: هذا لمكان قضائك لحاجتي سريعاً، فقرأت الرقعة، فإذا فيها مكتوب «سمعت حادياً[3] يحدو في البادية»:

أبكي، وهل يدريك ما يبكيني ... أبكي حِذاراً أنْ تفارقيني
وتقطعي حبلي وتهجريني

ويُحكى عن أبي الحسن الهمداني العلوي قال: كنت ليلة عند جعفر الخلديّ، وكنت أمرت في بيتي أنْ يُعَلّق طير في التنور، وكان قلبي معه، فقال لي جعفر: أقم عندنا الليلة، فتعللت بشيء، ورجعت إلى منزلي، فأخرج الطير من التنور، ووضع بين يدي، فدخل كلب من الباب، وحمل الطير عند تغافل الحاضرين، فأتى بـ «الجواذب»[4] الذي تحته، فتعلق به ذيل الخادمة، فانصب.. فلما أصبحتُ دخلت على جعفر، فحين وقع بصره عليّ قال: من لم يحفظ قلوبَ المشايخ سُلّط عليه كلب يؤذيه.

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السّلمي يقول: سمعت عبد الله بن علي الطوسيّ يقول:

---

(١) أخرجه الترمذي (برّ ٧٥).

(٢) العقوق: العصيان وترك الإحسان.

(٣) الحادي: الذي يسوق الإبل بالحُداء. (الحُداء: الغناء للإبل).

(٤) الجُواذب: طعام مصنوع من سكر وأرز ولحم وبندق (مع).

سمعت أبا عبد الله الدينوري يقول: سمعت الحسن الدامغاني يقول: سمعت عمي البسطامي يحكي عن أبيه: أنَّ شقيقاً البلخيّ، وأبا تُراب النخشبيّ، قدما على أبي يزيد، فقُدّمت السفرة، وشاب يخدم أبا يزيد، فقالا له: كُل معنا يا فتى. فقال: أنا صائم. فقال أبو تُراب: كل ولك أجر صوم شهر. فأبى: فقال شقيق: كل ولك أجر صوم سنة. فأبىٰ: فقال أبو يزيد: تدعُوا من سقط من عين الله تعالى!! فأخذ ذلك الشاب في السرقة بعد سنة، فقطعت يده!!

سمعت الأستاذ أبا عليّ يقول: وصف سهل بن عبد الله رجلاً بالولاية (خبازاً بالبصرة)... فسمع رجل من أصحاب سهل بن عبد الله ذلك، فاشتاق إليه؛ فخرج إلى البصرة، فأتى حانوت الخبّاز.. فرآه يخبز وقد تنقّب لمحاسنه على عادة الخبازين، فقال في نفسه: لو كان هذا وليّا لم يحترق شعره بغير تقلب. ثم إنه سلم عليه وسأله شيئاً، فقال الرجل: إنك استصغرتني، فلا تنتفع بكلامي، وأبى أنْ يُكلمه.

سمعت الشيخ أبا عبد الرّحمن السّلمي يقول: سمع عبد الرَّحمن الرازي أبا عُثمان الحيري يصف مُحمَّد بن الفَضل البلخي ويمدحه، فاشتاق إليه، فخرج إلى زيارته، فلم يقع بقلبه من مُحمَّد بن الفضل ما اعتقد، فرجع إلى أبي عُثمان وسأله، فقال: كيف وجدته؟ فقال: لم أجده كما ظننت!! فقال: لأنك استصغرته، وما استصغر أحدٌ أحداً إلا حُرم فائدته، ارجع إليه بالحرمة. فرجع إليه عبد الله، فانتفع بزيارته.

ومن المشهور أنَّ عُمر بن عُثمان المكيّ رأى الحُسين بن مَنصور يكتب شيئاً، فقال: ما هذا؟ فقال: هو ذا أُعارض القرآن، فدعا عليه وهجره؛ قال الشيوخ: إنّ ما حلَّ به بعد طول المدّة كان لدعاء ذلك الشيخ عليه.

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقّاق، رحمه الله تعالى، يقول: لما نفى أهل بَلْخ مُحمَّد بن الفضل من البلد؛ دعا عليهم وقال: اللهم امنعهم الصدق. فلم يخرج من بَلخ بعده صديق.

سمعت أحمد بن يَحيى الأبيورديّ يقول: من رضي عنه شيخه لا يكافأ في حال حياته؛ لئلا يزول عن قلبه تعظيم ذلك الشيخ. فإذا مات الشيخ أظهر الله عزَّ وجلّ عليه ما هو جزاء رضاه ومن تغير عليه قلبُ شيخه لا يكافأ في حال حياة ذلك الشيخ، لئلا يرقَّ له، فإنهم مجبولون على الكرم، فإذا مات ذلك الشيخ، فحينئذ يجد المكافأة بعده.

باب السماع

قال الله عزّ وجلّ: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ [الزمر: ١٧ ـ ١٨].

اللام في قوله «القول» تقتضي التعميم والاستغراق، والدليل عليه أنه مدحهم باتباع الأحسن.

وقال تعالى: ﴿فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ [الروم: ١٥]، جاء في التفسير: أنه السماع.

واعلم أنَّ سماع الأشعار بالألحان الطيبة والنغم المتلذة إذا لم يعتقد السمَع محظوراً، ولم يسمع على مذموم في الشرع، ولم يتجرّ في زمام هواه، ولم ينخرط في سلك لهوه، مباحٌ في الجملة.

ولا خلاف أنَّ الأشعار أنشدت بين يدي رسول الله ﷺ، وأنه سمعها ولم ينكر عليهم في إنشادها، فإذا جاز استماعها بغير الألحان الطيبة فلا يتغير الحكم بأنْ يسمع بالألحان.

هذا ظاهر من الأمر، ثم ما يوجب للمستمع توفر الرغبة على الطاعات، وتذكّر ما أعدّ الله تعالى لعباده المتقين من الدرجات ويحمله على التحرّز من الزلات، ويؤدي إلى قلبه في المحال صفاء الواردات مستحبٌّ في الدين ومختار في الشرع، وقد جرى على لفظ رسول الله ﷺ ما هو قريب من الشعر، وإنْ لم يقصد أنْ يكون شعراً.

أخبرنا: أبو الحسن عليّ بن أحمد الأهوازيّ قال: أخبرنا أحمد بن عُبيد الصفَّار قال: حدّثنا الحارث بن أبي أُسامة قال: حدّثنا أبو النضر قال: حدّثنا شُعبة عن حُميد قال: سمعت أنساً يقول: كانت الأنصار يحفرون الخندق[1] فجعلوا يقولون:

نحن الذين بايعوا مُحمَّداً ... على الجهاد ما بقينا أبداً

فأجابهم رسول الله ﷺ.

«اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة، فأكرم الأنصار والمهاجرة»[2].

وليس هذا اللفظ منه، ﷺ، على وزن الشعر، لكنه قريب منه.

وقد سمع السلف والأكابرُ الأبيات بالألحان؛ فمن قال بإباحته من السلف: مالك بن أنس: وأهل الحجاز كلهم يبيحون الغناء، وأما «الحداء» فإجماع منهم على إجازته.

وقد وردت الأخبار واستفاضت الآثار في ذلك، وروي عن ابن جُريج أنه كان يرخص في السماع، فقيل له: إذا أتى بك يوم القيامة، ويؤتى بحسناتك وسيآتك، ففي أي الجانبين سماعك؟ فقال: لا في الحسنات ولا في السيآت. يعني أنه من المباحات.

---

(١) الخندق: أخدود عميق مستطيل يُحفر حول أسوار المدن وفي ميادين القتال (ج) خنادق.

(٢) أخرجه البخاري (رقاق ١)، (جهاد ٣٣، ١١٠)، (مناقب الأنصار ٩)، (مغازي ٢٩)، ومسلم (جهاد ١٢٦، ١٢٩)، والترمذي (مناقب ٥٥)، وابن ماجه (مساجد ٣)، وأحمد بن حنبل ٢، ٣٨١، ٣، ١٧٢، ١٨٠، ٢١٦، ٢٧٦، ٥، ٣٣٢.

وأما الشافعي، رحمه الله، فإنه لا يحرمه، ويجعله في العوام مكروهاً، حتى لو احترف بالغناء أو اتصف على الدوام بسماعته على وجه التلهي تردّ به الشهادة، ويجعله مما يسقط المروءة ولا يُلحقه بالمحرمات.

وليس كلامنا في هذا النوع من السماع: فإنَّ هذه الطائفة جلت رتبتهم عن أنْ يستمعوا بلهو، أو يقعدوا للسماع بسهو، أو يكونوا بقلوبهم مفكرين في مضمون لغوه أو يستمعوا على صفة غير كفء.

وقد روي عن ابن عُمر آثار في إباحة السماع، وكذلك عن عبد الله بن جَعفر بن أبي طالب[1]. وكذلك عن عُمر رضي الله عنهم أجمعين، في الحداء وغيره.

وأنشد بين يدي النبيّ ﷺ الأشعار فلم ينه عنها، وروي أنه ﷺ استنشد الأشعار.

ومن المشهور الظاهر أنه دخل بيت عائشة رضي الله عنها، وفيه جاريتان تغنيان، فلم ينههما.

أخبرنا الشيخ أبو عبد الرَّحمن السلمي قال: أخبرنا مُحمَّد بن جَعفر بن مُحمَّد بن مَطر قال: حدّثنا الحُباب بن مُحمَّد التستريّ قال: أخبرنا أبو الأشعث قال: حدّثنا مُحمَّد بن بكر البرساني قال: حدّثنا شُعبة، عن هِشام بن عُروة[2]، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها: **«أنَّ أبا بكر الصديق، رضي الله عنه، دخل عليها وعندها قينتان تغنيان بما تقاذفت به الأنصار يوم «بُعاث»[3]، فقال أبو بكر: مزمار الشيطان (مرتين) فقال النبيّ ﷺ: دعهما يا أبا بكر؛ فإنّ لكل قوم عيداً وعيدنا هذا اليوم»**[4].

أخبرنا: عليّ بن أحمد الأهوازي قال: أخبرنا أحمد بن عُبيد، قال: حدّثنا عُثمان بن عُمر الضبي قال: حدّثنا أبو كامل، قال: حدّثنا أبو عوانة، عن الأجلح، عن أبي الزبير، عن جابر، عن عائشة رضي الله عنها:

---

(١) عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي، صحابي ولد بأرض الحبشة سنة (١ هـ ـ ٦٢٢ م) وهو أول من ولد بها من المسلمين، وأتى البصرة والكوفة والشام وكان كريماً، وكان أحد الأمراء في جيش علي يوم «صفين»، ومات بالمدينة سنة (٨٠ هـ ـ ٧٥ م). الأعلام ٤/ ٧٦، وشذرات الذهب ١/ ٨٧.

(٢) هشام بن عروة بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي أبو المنذر، تابعي من أئمة الحديث من علماء المدينة. ولد سنة (٦١ هـ) وعاش فيها، وزار الكوفة فسمع منه أهلها، ودخل بغداد، وتوفي بها سنة (١٤٦ هـ). روى نحو أربعمائة حديث. والأعلام ٨/ ٨٧، وشذرات الذهب ١/ ٢١٨، ووفيات الأعيان ٦/ ٨٠.

(٣) يوم بُعاث: آخر موقعة كانت بين الأوس والخزرج في الجاهلية.

(٤) أخرجه البخاري (عيدين ٣)، وابن ماجة (نكاح ٢١)، وأحمد بن حنبل ٦، ١٨٧.

«أنها أنكحت ذات قرابتها من الأنصار. فجاء النبيّ ﷺ، فقال: أهديتم الفتاة؟ فقالت: نعم. قال: فأرسلت من يغني؟ قالت: لا. فقال النبيّ ﷺ:

«إنَّ الأنصار فيهم غزل، فلو أرسلتم من يقول:

أتينـــاكـــم أتينـــاكـــم فحيـــونـــا نحييكـــم»[1]!

أخبرنا الأستاذ الإمام أبو بكر مُحمَّد بن الحُسين بن فُورك، رضي الله عنه، قال: حدّثنا أحمد بن مَحمود بن خرّزاذ قال: حدّثنا الحُسين بن الحارث الأهوازيّ قال: حدّثنا سلمة بن سعيد، عن صَدقة بنت أبي عمران، قالت: حدّثنا عَلقمة بن مرثد، عن زاذان، عن البَراء بن عازب[2] قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«حسّنوا القرآن بأصواتكم؛ فإنَّ الصوت الحسن يزيد القرآن حسناً»**[3]. دلّ هذا الخبر على فضيلة الصوت الحسن.

وأخبرنا عليّ بن أحمد بن عبدان الأهوازي قال: أخبرنا أحمد بن عُبيد قال: حدّثنا عُثمان بن عمر الضبي قال: حدّثنا أبو الرّبيع قال: حدّثنا عبد السلام بن هاشم قال: حدّثنا عبد الله بن محرز، عن قُتادة، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ:

«لكل شيء حلية وحلية القرآن الصوت الحسن».

أخبرنا عليّ بن أحمد الأهوازي، قال: أخبرنا أحمد بن عُبيد قال: حدّثنا مُحمَّد بن يُونس الكريميّ قال: حدّثنا الضحَّاك بن مَخلد[4] أبو عاصم قال: حدّثنا شبيب بن بِشْر بن البجليّ، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ:

«صوتان ملعونان: صوتُ ويل عند مُصيبة، وصوت مزمار عند نغمة»[5].

مفهوم الخطاب يقتضي إباحة غير هذا في غير هذه الأحوال، وإلا بطل التخصيص.

والأخبارُ في هذا الباب تكثر، والزيادة على هذا القدر من ذكر الروايات تخرجنا عن المقصود من الإختصار، وقد روي أنَّ رجلاً أنشد بين يدي رسول الله ﷺ:

---

(١) أخرجه ابن ماجة (نكاح ٢١)، وأحمد بن حنبل ٣، ٣٩١.

(٢) البراء بن عازب بن الحارث الخزرجي، أبو عمارة قائد صحابي من أصحاب الفتوح. أسلم صغيراً وغزا مع رسول الله ﷺ. ثم جُعل أميراً على الري فغزا أبهر وفتحها ثم قزوين وغير ذلك، وعاش إلى أيام مصعب بن الزبير فسكن الكوفة واعتزل الأعمال. وتوفي في زمنه سنة (٧١ هـ ـ ٦٩٠ م). روى له البخاري ومسلم (٣٠٥) أحاديث. الأعلام ٢/٤٦، وشذرات الذهب ١/٦٣ ـ ٧٧.

(٣) أخرجه الدارمي (فضائل القرآن ٣٤).

(٤) الضحاك بن مخلد بن الضحاك بن مسلم الشيباني، بالولاء، البصري المعروف بالنبيل، شيخ حفاظ الحديث في عصره، له «جزء» في الحديث. ولد بمكة سنة (١٢٢ هـ ـ ٧٤٠ م) وتحول إلى البصرة فسكنها وتوفي بها سنة (٢١٢ هـ ـ ٨٢٨ م). الأعلام ٣/٢١٥.

(٥) رواه البزار والضياء عن أنس بن مالك.

أقبلـــتْ فـــلاح لهـــا عـــارضـــان كـــالسَّبَـــج[1]
أدبـــرت فقلـــت لهـــا والفـــؤاد فـــي وَهـــجِ
هـــل علـــى ويحكمـــا إن عشقـــت مـــن حـــرجِ

فقال رسول الله ﷺ: «لا».

وإنَّ حُسن الصوت مما أنعم الله تعالى به على صاحبه من الناس: قال الله عزّ وجلّ:

﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ [فاطر: ١]، قيل في التفسير: من ذلك، الصوت الحسن.

وذمّ الله سُبحانه الصوت الفظيع؛ فقال تعالى:

﴿إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٩].

واستلذاذ القلوب واشتياقها إلى الأصوات الطيبة واسترواحها إليها مما لا يمكن جحوده؛ فإنَّ الطفل يسكن إلى الصوت الطيب، والجمل يقاسي تعب السير ومشقة الحمولة فيهون عليه بالحداء. قال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية: ١٧].

وحكى إسماعيل بن علية قال: كنت أمشي مع الشافعيّ، رحمه الله تعالى، وقت الهاجرة فجزنا بموضع يقول فيه أحد شيئاً، فقال: مل بنا إليه، ثم قال: أيطربك هذا؟

فقلت: لا. فقال: ما لك حس!!

وقال رسول الله ﷺ: **«ما أذن الله تعالى لشيء كإذنه لنبيّ يتغنىٰ بالقرآن»**[2].

أخبرنا عليّ بن أحمد الأهوازيّ قال: أخبرنا أحمد بن عُبيد قال: حدّثنا ابن ملحان قال: حدّثنا يحيى بن بُكير قال: حدّثنا اللَّيث عن عقيل، عن ابن شهاب أنه قال: أخبرني أبو سَلَمة، عن أبي هُريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما أذن الله لشيء ما أذن لنبيّ حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به»**.

وقيل: إنَّ داود عليه السلام كان يستمع لقراءته الجن والإنس والطير والوحش إذا قرأ الزبور[3]، وكان يحمل من مجلسه أربعمائة جنازة ممن قد مات ممن سمعوا قراءته.

وقال ﷺ لأبي موسى الأشعري:

«لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود»[4] متفق عليه.

---

(١) السَّبَج: الخرز الأسود (مع).

(٢) أخرجه مسلم (مسافرين ٢٣٤)، وابن ماجة (إقامة ١٧٦).

(٣) الزبور: الكتاب (ج) زبر، وغلب على صحف النبي داود عليه السلام.

(٤) أخرجه البخاري (فضائل القرآن ٣١)، ومسلم (مسافرين ٢٣٥، ٢٣٦)، والترمذي (مناقب ٥٥)، والنسائي (افتتاح ٨٣)، وابن ماجة (إقامة ١٧٦)، والدارمي (صلاة ١٧١)، (فضائل القرآن ٣٤)، وأحمد بن حنبل ٢، ٣٦٩، ٤٥٠، ٥، ٣٤٩، ٣٥١، ٣٥٩، ٦، ٣٧، ١٦٧.

وقال مُعاذ بن جبل لرسول الله ﷺ: «لو علمت أنك تسمع لحبرَته لك تحبيراً».

أخبرنا أبو حاتم السجستاني قال: أخبرنا عبد الله بن عليّ السرَّاج قال: حكى أبو بكر مُحمَّد بن داود الدينوريّ الرقي قال: كنت في البادية، فوافيت قبيلة من قبائل العرب، وأضافني رجل منهم، فرأيت غلاماً أسود مقيداً هناك. ورأيت جمالاً قد ماتت بفناء[1] البيت، فقال لي الغلام: أنت الليلة ضيف، وأنت على مولاي كريم، فتشفع لي؛ فإنه لا يردّك.

فقُلت لصاحب البيت: لا آكل طعامك حتى تحل هذا العبد.

فقال: هذا الغلام قد أفقرني وأتلف مالي!!

فقلت: فما فعل؟

فقال: له صوت طيب، وكنت أعيش من ظهر هذه الجمال، فحملها أحمالاً ثقيلة، وحدا لها حتى قطعت مسيرة ثلاثة أيام في يوم واحد، فلما حطّ عنها ماتت كلها، ولكن قد وهبته لك وحلَّ عنه القيد، فلما أصبحنا أحببت أنْ أسمع صوته، فسألته عن ذلك، فأمر الغلامَ أنْ يحدو على جمل كان على بئر هناك يستقي عليه، فحدا الغلام.. فهام الجمل على وجهه وقطع حباله، ولم أظن أني سمعت صوتاً أطيب منه، فوقعت لوجهي... حتى أشار إليه بالسكوت.

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السلمي يقول: سمعت مُحمَّد بن عبد الله بن عبد العزيز يقول: سمعت أبا عَمرو الأنماطيّ يقول: سمعت الجُنيد يقول، وقد سُئل: ما بال الإنسان يكون هادئاً، فإذا سمع السماع اضطرب؟ فقال: إنَّ الله تعالى لما خاطب الذرَّ[2] في الميثاق[3] الأول بقوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢] استفرغت عذوبة سماع الكلام الأرواح، فلما سمعوا السماع حركهم ذكر ذلك.

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقّاق يقول: السماع حرام على العوام؛ لبقاء نفوسهم، مباح الزهَّاد؛ لحصول مجاهداتهم، مستحب لأصحابنا؛ لحياة قلوبهم.

سمعت أبا حاتم السجستاني يقول: سمعت أبا نَصر الصوفي يقول: سمعت الوجيهيّ يقول: سمعت أبا عليّ الروذباري يقول: كان الحارث بن أسد المحاسبيّ يقول:

ثلاث إذا وجدن مُتِّع بهنَّ، وقد فقدناها: حسن الوجه مع الصيانة، وحسن الصوت مع الديانة، وحسن الإخاء مع الوفاء.

---

(١) الفِناء: الساحة أمام الدار أو بجانبها (ج) أفنية.

(٢) الذر: النسل.

(٣) الميثاق: العهد المؤكد بيمين (ج) مواثيق ومياثيق.

وسُئل ذو النُّون المصريّ عن الصوت الحسن، فقال: مخاطبات وإشارات أودعها الله تعالى كلّ طيب وطيبة.

وسُئل مرة أخرى عن السماع فقال:

وارد حقّ يزعج القلوب إلى الحقِّ؛ فمن أصغى إليه بحقّ تحقق، ومن أصغَى إليه بنفس تزندق.

وحكى جعفر بن نُصير: عن الجُنيد أنه قال: تنزل الرحمة على الفقراء في ثلاثة مواطن: عند السماع؛ فإنهم لا يسمعون إلا عن حقّ، ولا يقولون إلا عن وَجْد، وعند أكل الطعام؛ فإنهم لا يأكلون إلا عن فاقة، وعند مجاراة العلم؛ فإنهم لا يذكرون إلا صفات الأولياء.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين يقول: سمعت الحُسين بن أحمد بن جَعفر يقول: سمعت أبا بكر بن ممشاد يقول: سمعت الجُنيد يقول: السماع فتنة لمن طلبه. ترويح لمن صادفه.

وحكي عن الجُنيد أنه قال: السماع يحتاج إلى ثلاثة أشياء: الزمان والمكان والإخوان.

وسُئل الشِّبلي عن السماع فقال: ظاهره فتنة، وباطنه عبرة؛ فمن عرف الإشارة حلّ له استماع العبرة، وإلا فقد استدعى الفتنة، وتعرض للبلية.

وقيل: لا يصلح السماع إلا لمن كانت له نفس ميتة وقلبٌ حيّ؛ فنفسه ذُبحت بسيوف المجاهدة، وقلبه حيّ بنور الموافقة.

وسُئل أبو يعقوب النهرجوري عن السماع فقال: حال يبدى الرجوع إلى الأسرار من حيث الإحتراق.

وقيل: السماع لطف غذاء الأرواح لأهل المعرفة.

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقَّاق يقول: السماع طَبْع، إلا عن شَرعْ، وخَرْقٌ، إلا عن حق، وفتنةٌ إلا عن عبرة.

ويُقال: السماع على قسمين: سماع بشرط العلم والصحو؛ فمن شرط صاحَبه معرفةُ الأسامي والصفات؛ وإلا وقع في الكفر المحض. وسماع بشرط الحال؛ فمن شرط صاحبه الفناءُ عن أحوال البشرية، والتنقي من آثار الحظوظ بظهور أحكام الحقيقة.

وحكي عن أحمد بن أبي الحواريّ أنه قال: سألت أبا سُليمان عن السماع، فقال: من اثنين أحبّ إليّ من الواحد.

وسُئل أبو الحسن النوري عن الصوفيّ، فقال: مَن سمع السماع، وآثر الأسباب.

وسُئل أبو عليّ الروذباري عن السماع يوماً فقال: ليتنا تخلصنا منه رأساً برأس.

سمعت الشيخ أبا عبد الرّحمن السلميّ يقول: سمعت أبا عُثمان المغربي يقول: من ادعى السماع ولم يسمع صوتَ الطيور، وصريرَ الباب، وتصفيق الرياح، فهو فقير مدَّعٍ.

سمعت أبا حاتم السجستاني يقول: سمعت أبا نصر السرَّاج الطوسي يقول: سمعت أبا الطيب أحمد بن مُقاتل العكي يقول: قال جعفر: كان ابن زيري، من أصحاب الجُنيد، شيخاً فاضلاً، فربما كان يحضر موضعَ سماع، فإنْ استطابه فرش إزاره، وجلس وقال: الصوفي مع قلبه، وإنْ لم يستطبه قال: السماع لأرباب القلوب، ومرّ وأخذ نعله.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين، رحمه الله تعالى، يقول: سمعت عبد الواحد بن بكر يقول: سمعت عبد الله بن عبد المجيد الصوفي يقول: سُئل «رُويم» عن وجود الصوفية عند السماع فقال:

يشهدون المعاني التي تعزب[1] عن غيرهم فتشير إليهم: إليّ.. إليّ.. فيتنعمون بذلك من الفرح، ثم يقطع الحجاب فيعود ذلك الفرح بكاء؛ فمنهم من يخرق ثيابه، ومنهم من يصيح، ومنهم من يبكي كلّ إنسان على قدْره.

سمعت مُحمَّد بن أحمد بن مُحمَّد التميميّ يقول: سمعت عبد الله بن عليّ يقول: سمعت الحصريّ يقول في بعض كلامه: ما أعمل بسماع ينقطع إذا انقطع من يسمع منه؟ ينبغي أن يكون سماعك متصلاً غير منقطع.

قال: وقال الحصريّ: ينبغي أنْ يكون ظمأ دائم، فكلما ازداد شربه ازداد ظمؤه.

وجاء عن مجاهد في تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ﴾ [الروم: ١٥]: أنه السماع من الحور العين بأصوات شهية:

«نحن الخالدات، فلا نموت أبداً، نحن الناعمات، فلا نبؤس أبداً».

وقيل: السماع نداء، والوجد قصد.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين يقول: سمعت أبا عُثمان المغربي يقول: قلوب أهل الحقّ قلوب حاضرة، وأسماعهم أسماع مفتوحة.

وسمعته يقول: سمعت الأستاذ أبا سهل الصعلوكي يقول: المستمع بين استتار وتجلٍ، فالاستتار يوجب التلهيب، والتجلي يورث الترويح؛ والإستتار يتولد منه حركات المريدين، وهو محل الضعف والعجز، والتجلي يتولد منه سكون الواصلين، وهو محل الإستقامة والتمكين، وذلك صفة الحضرة ليس فيها إلاّ الذبولُ تحت موارد الهيبة، قال الله تعالى:

---

(١) عزب الشيء عزوباً: بَعُد وغاب.

﴿ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ ﴾ [الأحقاف: ٢٩].

وقال أبو عُثمان الحيري: السماع على ثلاثة أوجه:

فوجه منها للمريدين والمبتدئين يستدعون بذلك الأحوال الشريفة ويُخشى عليهم في ذلك الفتنة والمرآءاة.

والثاني: للصادقين يطلبون الزيادة في أحوالهم ويستمعون من ذلك ما يوافق أوقاتهم.

والثالث: لأهل الإستقامة من العارفين، فهؤلاء لا يختارون على الله تعالى فيما برد على قلوبهم من الحركة والسكون.

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السلمي، رحمه الله، يقول: سمعت أبا الفرج الشيرازي يقول: سمعت أبا عليّ الروذباري يقول: قال أبو سعيد الخرَّاز:

من ادّعى أنه مغلوب عند الفهم يعني في السماع، وأنّ الحركات مالكة له، فعلامته تحسين المجلس الذي هو فيه بوجده.

قال الشيخ أبو عبد الرَّحمن: فذكرت هذه الحكاية لأبي عُثمان المغربي فقال: هذا ادناه، وعلامته الصحيحة: أنْ لا يبقى في المجلس محق إلا أنسَ به، ولا يبقى فيه مبطل إلا استوحش منه.

وقال بندار بن الحُسين: السماع على ثلاثة أوجه: منهم من يسمع بالطبع، ومنهم من يسمع بالحال، ومنهم من يسمع بالحق.

فالذي يسمع بالطبع يشترك فيه الخاص والعام؛ فإنَّ جبلة البشرية استلذاذ الصوت الطيب.

والذي يسمع بالحال فهو يتأمل ما يردُ عليه من ذكر عتاب أو خطاب أو وصل أو هجر أو قُرب أو بُعد، أو تأسف على فائت أو تعطش إلى آتٍ، أو وفاء بعهد أو تصديق لوعد أو نقض لعهد، أو ذكر قلق أو اشتياق أو خوف فراق أو فرح وصالٍ، أو حذَر انفضال أو ما جرى مجراه.

وأما من يسمع بحقّ فيسمع بالله تعالى، ولله، ولا ينصف بهذه الأحوال التي هي ممزوجة بالحظوظ البشرية فإنها مبقاة مع العلل فيسمعون من حيثُ صفاء التوحيد بحق لا بحظ.

وقيل: أهل السماع على ثلاث طبقات: أبناء الحقائق يرجعون في سماعهم إلى مخاطبة الحقّ سُبحانه لهم؛ وضرب: يخاطبون الله تعالى بقلوبهم بمعاني ما يسمعون، فهم مطالبون بالصدق فيما يشيرون له إلى الله: وثالث: هو فقير مجرّد قطع العلاقات من الدنيا والآفات، يسمعون بطيبة قلوبهم، وهؤلاء أقربهم إلى السلامة.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت أبا علي الروذباري، وقد سُئل عن السماع، فقال: مكاشفة الأسرار إلى مشاهدة المحبوب.

وقال الخوَّاص، وقد سُئل: ما بال الإنسان يتحرك عند سماع غير القرآن، ولا يجد ذلك في سماع القرآن؟ فقال: لأنَّ سماع القرآن صدمة لا يمكن لأحد أنْ يتحرك فيه لشدة غلبته، وسماع القول ترويح فيتحرك فيه.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين يقول: سمعت عبد الله بن مُحمَّد بن عبد الرحمن الرازي يقول: سمعت الجُنيد يقول: إذا رأيت المريد يُحب السماع فاعلم أنَّ فيه بقية من البطالة.

وسمعته يقول: سمعت أبا عبد الله البغدادي يقول: سمعت أبا سعيد الرملي يقول: قال سهل بن عبد الله: السماع علم استأثر الله تعالى به لا يعلمه إلا هو.

وحكى أحمد بن مُقاتل العكيّ قال: لما دخل ذو النُّون المصري بغداد اجتمع إليه الصوفية، ومعهم قوَّال، فاستأذنوه أنْ يقول بين يديه شيئاً فأذن، فابتدأ يقول:

صغيـرُ هـواك عـذبنـي ... فكيـف بـه إذا احتنكـا[1]
وأنـت جمعـتِ مـن قلبـي ... هَـوى قـد كـان مشتـركـا
أمـا تـرثـي لمكتئـب ... إذا ضحـك الخلـيّ بكـا

قال: فقام ذو النُّون وسقط على وجهه والدم يقطر من جبينه ولا يسقط على الأرض، ثم قام رجل من القوم يتواجد، فقال له ذو النُّون: الذي يراك حين تقوم.. فجلس الرجل.

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقَّاق يقول في هذه الحكاية: كان ذو النُّون صاحب إشراف على ذلك الرجل: حيث نبهه أنَّ ذلك ليس مقامه، وكان ذلك الرجل صاحب إنصاف؛ حيث قبل ذلك منه، فرجع فقعد.

سمعت مُحمَّد بن أحمد بن مُحمَّد التميمي يقول: سمعت عبد الله بن علي الصوفي يقول: سمعت الرقيّ يقول: سمعت ابن الجلاَّء يقول: كان بالمغرب شيخان لهما أصحاب وتلامذة، يُقال لأحدهما؛ «جبلة» وللثاني: «رزيق» فزار رزيق يوماً جبلة في أصحابه، فقرأ رجل من أصحاب رزيق شيئاً، فصاح واحد من أصحاب جبلة ومات. فلما أصبحوا قال جبلة لرزيق: أين الذي قرأ بالأمس؟ فليقرأ.. فقرأ آية، فصاح جبلة صيحة، فمات القارىء، فقال جبلة: واحد بواحد والبادي أظلم.

وسُئل إبراهيم المارستاني عن الحركة عند السماع فقال: بلغني أنَّ موسى عليه السلام قص في بني إسرائيل، فمزق واحد منهم قميصه، فأوحى الله تعالى إليه: قل له مزِّق لي قلبك ولا تمزِّق ثيابك.

---

(١) احتنك: استولى وأضل.

وسُئل أبو عليّ المغازلي الشِّبلي فقال: ربما يطرق سمعي آية من كتاب الله عزَّ وجلّ فتحدوني على ترك الأشياء والإعراض عن الدنيا، ثم ارجع إلى أحوالي وإلى الناس..

فقال الشِّبلي: ما اجتذبك إليه فهو عطف منه عليك، ولطف، وما رُدِدت إلى نفسك فهو شفقة منه عليك، لأنه لم يصح لك التبري من الحول والقوة في التوجّه إليه.

سمعت أبا حاتم السجستاني يقول: سمعت أبا نصر السرَّاج يقول: سمعت أحمد بن مُقاتل العكيّ يقول: كنت مع الشبلي في مسجد ليلة من شهور رمضان وهو يصلي خلف إمام له وأنا بجنبه، فقرأ الإمام: ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الإسراء: ٨٦]. فزعق زعقة قلت: طارت روحه وهو يرتعد ويقول: بمثل هذا يُخاطب الأحباب!! ويردّد ذلك كثيراً.

وحكي عن الجُنيد أنه قال: دخلت على السريّ يوماً فرأيت عنده رجلاً مغشياً عليه، فقلت: ماله؟ فقال: سمع آية من كتاب الله تعالى. فقلت: تُقرأ عليه ثانياً، فقُرِيء، فأفاق، فقال لي: من أين علمت هذا؟ فقلت: إنَّ قميص يُوسف ذهبت بسببه عينُ يعقوب عليهما السلام ثم به عاد بصره. فاستحسن مني ذلك.

سمعت أبا حاتم السجستاني يقول: سمعت أبا نصر السرَّاج يقول: سمعت عبد الواحد بن علوان يقول: كان شاب يصحب الجُنيد فكان إذا سمع شيئاً من الذكر يزعق، فقال له الجُنيد يوماً: إنْ فعلت ذلك مرّة أخرى لم تصحبني!! فكان إذا سمع شيئاً يتغير ويضبط نفسه، حتى كان يقطرُ كل شعرة من بدنه بقطرةٍ، فيوماً من الأيام صاح صيحة تلفت بها نفسه.

سمعت أبا حاتم السجستاني يقول: سمعت أبا نصر السرَّاج يقول: حكى لي بعض إخواني عن أبي الحُسين الدرّاج قال: قصدت يُوسف بن الحُسين الرازي من بغداد، فلما دخلت «الريّ» سألت عن منزله، فكلّ من اسأل عنه يقول لي: ما تفعل بذلك الزنديق؟ فضيقوا صدري، حتى عزمت على الإنصراف، فبتّ تلك الليلة في مسجد، ثم قلت: جئتُ هذه البلدة، فلا أقلّ من زيارته؛ فلم أزل أسأل عنه حتى وقعت إلى مسجده وهو قاعد في المحراب[1]، وبين يديه رَحْل، وعليه مصحف يقرأ فيه، وإذا هو شيخ بهيّ، حسن الوجه واللحية، فدنوت منه وسلمت عليه، فردّ السلام وقال: من أين؟ فقلت: من بغداد، قصدت زيارة الشيخ. فقال: لو أنَّ في بعض البلدان قال لك إنسان: أقم عندي حتى أشتري لك داراً أو جارية، أكان يمنعك عن زيارتي؟ فقلت: يا سيدي، ما امتحنني الله تعالى بشيء من ذلك!! ولو كان لا أدري كيف كنت أكون؟

---

(١) المحراب: مقام الإمام في المسجد.

فقال: تحسن أن تقول شيئاً؟ فقلت: نعم، وقلت:

رأيتُــك تبنــي دائبــاً فــي قطيعتــي ... ولـو كنـت ذا حـزم لهـدمـت مـا تبنـي

فأطبق المصحف، ولم يزل يبكي حتى ابتلت لحيتُه وثوبه، حتى رحمتُه من كثرة بكائه؛ ثم قال لي: يا بني: لا تلمُ أهل «الريّ» على قولهم: «يُوسف بن الحُسين زنديق» ومن وقت الصلاة هو ذا أقرأ القرآن فلم تقطر من عينيِّ قطرة، وقد قامت عليَّ القيامة بهذا البيت.

سمعت مُحمَّد بن أحمد بن مُحمَّد الصوفي يقول: سمعت عبد الله بن عليّ الطوسيّ يقول: سمعت الرقي يقول: سمعت الدرَّاج يقول: كنت أنا وابن القوطي مارين على الدجلة بين «البصرة» و «الأبلة»[1]، وإذا نحن بقصر حسن، له منظر، وعليه رجل وبين يديه جارية تغني وتقول:

فــي سبيــل الله وُدٌّ ... كــان منــي لــك يُبــذَل

كــلَّ يــوم تتلــوَّن ... غيــر هــذا بــك أجمــل!!

وإذا شاب تحت المنظرة بيده «ركوة»، وعليه مرقعة[2] يسمع فقال: يا جارية، بحياة مولاك أعيدي: كل يوم تتلون غير هذا بك أجمل فأعادته.

فقال الشاب: قولي. فأعادت فقال الفقير: هذا والله تلوني مع الحقّ، وشهق شهقة خرجت روحه. فقال صاحب القصر للجارية: أنت حرَّة لوجه الله تعالى، وخرج أهل البصرة، وفرغوا من دفنه والصلاة عليه، فقام صاحب القصر، وقال: أليس تعرفوني!! أشهدكم أنَّ كلَّ شيء لي في سبيل الله، وكلَّ مماليكي أحرار، ثم اتزر بإزار، وارتدى برداء، وتصدق بالقصر، ومرّ، فلم يُرَ له بعد ذلك وجه ولا سُمع له أثر.

سمعت مُحمَّد بن أحمد بن مُحمَّد الصوفي يقول: سمعت عبد الله بن علي الطوسي يقول: سمعت يَحيى بن الرِّضا العلوي قال: سمع أبو سلمان الدمشقيّ «طوّافاً» ينادي: يا سعتر[3] برِّي فسقط مغشياً عليه، فلما أفاق، سُئل، فقال: حسبته يقول: اسع تَرَ برّي.

وسمع عُتبة الغلام رجلاً يقول: سُبحان ربِّ السماء؛ إنّ المحب لفي عناء.

فقال عُتبة: صدقت؛ وسمع رجل آخر ذلك القول، فقال: كذبت!!

فكلّ واحد سمع من حيث هو.

---

(١) الأُبلة: بلدة على شاطىء دجلة البصرة العظمى في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة، وهي أقدم من الصرة. معجم البلدان ١/ ٧٦ ـ ٧٧.

(٢) المرقعة: من لباس الصوفية، سميت بذلك لما فيها من الرقع.

(٣) السعتر أو الصعتر: نبات عشبي زراعي طيب الرائحة من فصيلة الشفويات. زهرة أبيض إلى الغبرة. يُستعمل ورقه تابلاً ويُدق فيكون إداماً، وله استعمالات طبية.

سمعت أبا حاتم السجستاني يقول: سمعت أبا نصر السرَّاج يقول: سمعت أبا الحسن عليّ بن مُحمَّد الصوفي يقول: سمعت رُويماً وقد سُئل عن المشايخ، الذين لقيهم في السماع، فقال: كالقطيع إذا وقع فيه الذئب.

وحكي عن أبي سعيد الخرَّاز قال: رأيت عليّ بن الموفق في السماع يقول: أقيموني، فأقاموه، فقام، وتواجد، ثم قال: أنا الشيخ «الزفان»[1].

وقيل: قام الرقيُّ ليلة إلى الصباح، يقوم ويسقط على هذا البيت، والناس قيام يبكون، والبيت:

بـــاللَّـــه فـــاردد فـــؤاد مكتئـــب ليـــس لـــه مـــن حبيبـــه خلـــف

سمعت مُحمَّد بن أحمد التميمي يقول: سمعت عبد الله بن عليّ الصوفي يقول: سمعت عليّ بن الحُسين بن مُحمَّد بن أحمد بالبصرة يقول: سمعت أبي يقول:

خدمت سهل بن عبد الله سنين كثيرة، فما رأيته تغير عند سماع شيء كان يسمعه من الذكر والقرآن وغيره، فلما كان في آخر عمره قُرِيء بين يديه: ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ﴾ [الحديد: ١٥]، رأيته تغير، وارتعد، وكاد يسقط، فلما رجع إلى حال صحوة سألته عن ذلك، فقال يا حبيبي ضعفنا.

وحكى ابن سالم قال: رأيته مرَّة أخرى قريء بين يديه: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ [الفرقان: ٢٦] فتغير وكاد يسقط، فقلت له في ذلك، فقال: ضعفتُ وهذه صفة الأكابر لا يرد عليه وارد وإنْ كان قوياً إلا وهو أقوى منه.

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السلمي يقول: دخلت على أبي عُثمان المغربيّ وواحد يستقي الماء من البئر على بكرة[2] فقال: يا أبا عبد الرَّحمن، أتدري ما تقول البكرة؟ فقلت: لا، فقال: تقول الله. الله.

سمعت مُحمَّد بن عبد الله الصوفي يقول: سمعت عليّ بن طاهر يقول: سمعت عبد الله بن سهل يقول: سمعت رُويماً يقول: روي عن عليّ بن أبي طالب، رضي الله عنه، أنه سمع صوت ناقوس[3] فقال لأصحابه: أتدرون ما يقول هذا؟ قالوا: لا، قال: إنه يقول: سُبحان الله، حقاً، إنَّ المولى صمدٌ يبقى.

سمعت مُحمَّد بن أحمد التميمي يقول: سمعت عبد الله بن عليّ يقول: سمعت أحمد بن علي الكرخيّ الوجيهيّ يقول: كان جماعة من الصوفية مجتمعين في بيت الحسن

---

(١) الزفان: الرقّاص.

(٢) البكرة: خشبة مستديرة لها محور تدور عليه، وعلى محيطها محزّ يمر عليه حبل الدلو.

(٣) الناقوس: آلة من نحاس ونحوه تُضرب للتنبيه (ج) نواقيس.

القزَّاز، ومعهم قوّالون يقولون ويتواجدون، فأشرف عليهم ممشاد الدينوري؛ فسكتوا، فقال: ارجعوا إلى ما كنتم فيه، فلو جمع ملاهي الدنيا في أدنى ما شغل همي ولا شفي بعض ما بي.

وبهذا الإسناد عن الوجيهي قال: سمعت أبا عليّ الروذباري يقول: بلغنا في هذا الأمر إلى مكان مثل حدّ السيف إنْ ملنا كذا ففي النار.

وقال خير النسَّاج: قصّ موسى بن عِمْران، صلوات الله عليه، على قوم قصة، فزعق واحد منهم، فانتهره موسى، فأوحى الله تعالى إليه: يا موسى، بطيبي فاحوا، وبحبي باحوا، وبوجدي صاحوا، فلم تنكر على عبادي؟!

وقيل: سمع الشِّبلي قائلاً يقول: الخيارُ عشرةٌ بدانق فصاح وقال: إذا كان الخيار عشرة بدانق فكيف الشرار؟!

وقيل: إذا تغنت الحور العين في الجنة توردت الأشجار.

وقيل: كان عون بن عبد الله يأمر جارية له خسنة الصوت فتغني بصوت حزين حتى تُبكي القوم.

وسُئل أبو سُليمان الداراني عن السماع، فقال: كل قلب يريد الصوت الحسن فهو ضعيف يداوى كما يداوى الصبيّ إذا أريد أنْ ينام، ثم قال أبو سُليمان: إنَّ الصوت الحسن لا يُدخل في القلب شيئاً، وإنما يحرك من القلب ما فيه قال ابن أبي الحواري: صدق والله أبو سُليمان.

وقال الجريري: كونوا ربانيين، أي سمَّاعين من الله، قائلين بالله.

وسُئل بعضهم عن السماع فقال: بروق تلمع ثم تخمد، وأنوار تبدو ثم تخفى، ما أحلاها لو بقيت مع صاحبها طرفة عين، ثم أنشأ يقول:

خطرة في السرّ منه خطرت خطرة البرق ابتدى ثم اضمحل
أيُّ زوْر لك لو قصداً سرى وملمٌّ بك لو حقاً فعل

وقيل: السماع فيه نصيب لكل عضو؛ فما يقع إلى العين تبكي، وما يقع إلى اللسان يصيح، وما يقع على اليد تمزق الثياب وتلطم، وما يقع إلى الرجل ترقص.

وقيل: مات بعض ملوك العجم، وخلف ابنا صغيراً، فأرادوا أنْ يبايعوه فقالوا: كيف نصل إلى معرفة عقله وذكائه؟! ثم توافقوا على أنْ يأتوا بقوّال يقول شيئاً؛ فإنْ أحسن الإصغاء علموا كياسته. فأتوا بقوَّال، فلما قال القوَّال شيئاً ضحك الرضيع، فقبلوا الأرض بين يديه وبايعوه.

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقَّاق يقول: اجتمع أبو عَمرو بن نُجيد، والنصراباذي

والطبقة في موضع؛ فقال النصراباذي: أنا أقول إذا اجتمع القوم فواحد يقول شيئاً ويسكت الباقون خير من أنْ يغتابوا أحداً.

فقال أبو عَمرو: لأنْ تغتاب أنت ثلاثين سنة أنجى لك من أنْ تظهر في السماع ما لستَ به.

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقّاق، رحمه الله، يقول: الناس في السماع ثلاثة: متسمع، ومستمع، وسامع؛ فالمتسمع يسمع بوقت؛ والمستمع يسمع بحال؛ والسامع يسمع بحق.

وسألت الأستاذ أبا عليّ الدقّاق، رحمه الله تعالى، غير مرة، شِبه طلب رخصة في السماع، فكان يحيلني على ما يوجب الإمساك عنه، ثم بعد طول المعاودة قال: إنَّ المشايخ قالوا: «ما جمع قلبك إلى الله سُبحانه وتعالى فلا بأس به».

أخبرنا أبو الحسن عليّ بن أحمد الأهوازي قال: أخبرنا أحمد بن عُبيد البصريّ قال: حدّثنا إسماعيل بن الفَضل قال: حدّثنا يَحيى بن يعلى الرازي قال: حدّثنا حَفْص بن عُمر العمريّ قال: حدّثنا أبو عَمرو وعُثمان بن بدر قال: حدّثنا هارون بن حمزة، عن الغدافريّ، عن سعيد بن جُبير، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، قال: أوحى الله سُبحانه إلى موسى عليه السلام: إني جعلت فيك عشرة آلاف سمع حتى سمعت كلامي، وعشرة آلاف لسان حتى أجبتني، وأحبُّ ما تكون إلي وأقربه إذا أكثرت الصلاة على مُحمَّد ﷺ.

وقيل: رأى بعضهم النبيّ ﷺ في المنام فقال: الغلط في هذا أكثر؛ يعني به: السماع.

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السلميّ يقول: سمعت مُحمَّد بن عبد الله بن شاذان يقول: سمعت أبا بكر النهاونديّ يقول: سمعت عليًا السائح يقول: سمعت أبا الحارث الأولاسيّ يقول: رأيت إبليس، لعنه الله، في المنام على بعض سطوح «أولاس»(١) وأنا على سطح، وعلى يمينه جماعة، وعلى يساره جماعة وعليهم ثياب نظاف، فقال لطائفة منهم: قولوا. فقالوا، وغنوا، فاستقزعني طيبة، حتى هممت أنْ أطرح نفسي من السطح.

ثم قال: ارقصوا، فرقصوا أطيب ما يكون.

ثم قال لي: يا أبا الحارث، ما أصبتُ شيئاً أدخل به عليكم إلا هذا.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين يقول: سمعت عبد الله بن عليّ يقول: اجتمعت ليلة مع الشِّبلي، رحمه الله، فقال القوّال، شيئاً، فصاح الشِّبلي، وتواجد قاعداً، فقيل له: يا أبا بكر، مالك من بين الجماعة قاعداً؟!

فقام وتواجد، وقال:

لـي سَكْـرَتـان، وللنـدمـان واحـدةٌ   شـيء خُصِصْـت بـه مـن بينهـم وحـدي

---

(١) أولاس: حصن على ساحل بحر الشام من نواحي طرسوس، فيه حصن يسمى حصن الزهاد. معجم البلدان ١/ ٢٨٢.

وسمعته يقول: سمعت مَنْصور بن عبد الله الأصبهاني يقول: سمعت أبا عليّ الروذباري يقول: جزت بقصر، فرأيت شاباً حسن الوجهِ مطروحاً، وحوله ناس، فسألت عنه، فقالوا: إنه جاز بهذا القصر وفيه جارية تغنِّي:

كبــــرت هِمَّـــــة عبـــــد طمعـــــت فـــي أنْ تـــراكـــا
أو مـــا حَســـب لعيْـــنٍ أنْ تـــرى مَـــنْ قـــد رآكـــا

فشهق شهقة ومات.

باب كرامات الأولياء

قال الأستاذ أبو القاسم: ظهورُ الكرامات على الأولياء جائز.

والدليل على جوازه أنه أمر موهومٌ حدوثه في العقل لا يؤدي حصوله إلى وقع أصل من الأصول، فواجبٌ وصفه، سُبحانه بالقدرة على إيجاده، وإذا وجب كونه مقدوراً لله، سُبحانه، فلا شيء يمنع جواز حصوله.

وظهور الكرامات علامة صدق من ظهرت عليه في أحواله، فمن لم يكن صادقاً فظهور مثلها عليه لا يجوز. والذي يدل عليه أن تعريف القديم سُبحانه إيانا، حتى نفرق بين من كان صادقاً في أحواله، وبين من هو مُبطل من طريق الإستدلال أمر موهوم، ولا يكون ذلك إلا باختصاص الولي بما لا يوجد مع المفتري في دعواه، وذلك الأمر هو الكرامة التي أشرنا إليها.

ولا بد أنْ تكون هذه الكرامة فعلاً ناقضاً للعادة في أيام التكليف، ظاهراً على موصوف بالولاية في معنى تصديقه في حاله.

وتكلم الناس في الفرق بين الكرامات وبين المعجزات من أهل الحق؛ فكان الإمام أبو إسحاق الإسفرايينيّ، رحمه الله، يقول:

المعجزات دلالات صدق الأنبياء، ودليل النبوة لا يوجد مع غير النبيّ، كما أنَّ العقل المحكم لمَّا كان دليلاً للعالِم في كونه عائِداً لم يوجد ممن لا يكون عالماً.

وكان يقول: الأولياء لهم كرامات شبه إجابة الدعاء، فأما جنس ما هو معجزة للأنبياء فلا.

وأما الإمام أبو بكر بن فُورك، رحمه الله، فكان يقول: المعجزات: دلالات الصدق، ثم إنْ ادعى صاحبها النبوة فالمعجزات تدل على صدقه، وفي مقالته، وإنْ أشار صاحبها إلى الولاية دلت المعجزة على صدقه في حالته، فتسمّى «كرامة» ولا تُسمى «معجزة» وإنْ كانت من جنس المعجزات للفرق.

وكان رحمه الله يقول: من الفرق بين المعجزات والكرامات: أنَّ الأنبياء عليهم السلام مأمورون بإظهارها والوليّ يجب عليه سترها وإخفاؤها، والنبيّ ﷺ يدَّعي ذلك ويقطع القول به، والولي لا يدعيها ولا يُقطع بكرامته، لجواز أنْ يكون ذلك مكراً.

وقال أوحد فنه في وقته القاضي أبو بكر الأشعريّ، رضي الله عنه: إنَّ المعجزات تختص بالأنبياء، والكرامات تكون للأولياء كما تكون للأنبياء ولا تكون للأولياء معجزة، لأنَّ من شرط المعجزة اقتران دعوة النبوة بها، والمعجزة لم تكن معجزة لعينها، وإنما كانت معجزة لحصولها على أوصاف كثيرة، فمتى اختل شرط من تلك الشرائط، لا تكون معجزة، وأحد تلك الشرائط: دعوى النبوة، والوليّ لا يدّعي النبوة، فالذي يظهر عليه لا يكون معجزة. . .

وهذا القول الذي نعتمده ونقول به، بل ندين به.

فشرائط المعجزات، كلها أو أكثرها، توجد في الكرامة إلا هذا الشرط الواحد، والكرامة فِعل لا محالة محدث، لأنَّ ما كان قديماً لم يكن له اختصاص بأحد، وهو ناقض للعادة، وتحصل في زمان التكليف، وتظهر على عبد تخصيصاً له وتفضيلاً، وقد تحصل باختياره ودعائه، وقد لا تحصل له، وقد تكون بغير اختياره في بعض الأوقات، ولم يؤمر الوليّ بدعاء الخلق إلى نفسه ولو أظهر شيئاً من ذلك على من يكون أهلاً له لجاز.

واختلف أهل الحقّ في الولي: هل يجوز أنْ يعمل أنه وليْ؟ أم لا؟

فكان الإمام أبو بكر بن فورك رحمه الله يقول: لا يجوز ذلك؛ لأنه يسلبه الخوف ويوجب له الأمن.

وكان الأستاذ أبو عليّ الدقاق رحمه الله يقول بجوازه.

وهو الذي نؤثره ونقول به.

وليس ذلك بواجب في جميع الأولياء حتى يكون كلُّ وليّ يعلم أنه وليّ واجباً، ولكن يجوز أنْ يعلم بعضهم كما يجوز أنْ لا يعلمه بعضهم. فإذا علم بعضهم أنه ولي كانت معرفته تلك كرامة له انفراد بها.

وليس كل كرامة لوليّ يجب أنْ يكون تلك بعينها لجميع الأولياء، بل لو لم يكن للولي كرامة ظاهرة عليه في الدنيا لم يقدح عدمها في كونه وليًا، بخلاف الأنبياء فإنه يجب أن تكون لهم معجزات؛ لأنَّ النبيّ مبعوث إلى الخلق فبالناس حاجة إلى معرفة صدقه؛ ولا يعرف إلا بالمعجزة.

وبعكس ذلك حال الولي؛ لأنه ليس بواجب على الخلق، ولا على الولي أيضاً، العلم بأنه وليّ.

والعشرة من الصحابة صَدَّقوا الرسول ﷺ فيما أخبرهم به أنهم من أهل الجنة.

وقول من قال: لا يجوز ذلك لأنه يخرجهم من الخوف فلا بأس أنْ يخافوا تغيير العاقبة، والذي يجدونه في قلوبهم من الهيبة والتعظيم والإجلال للحق، سُبحانه، يزيد ويربو(١) على كثير من الخوف.

واعلم أنه ليس للوليّ مساكنة إلى الكرامة التي تظهر عليه، ولا له ملاحظة. وربما يكون لهم في ظهور جنسها قوة يقين وزيادة بصيرة لتحققهم أنَّ ذلك فعل الله، فيستدلون بها على صحة ما هم عليه من العقائد.

وبالجملة، فالقول بجواز ظهورها على الأولياء واجب، وعليه جمهور أهل المعرفة ولكثرة ما تواتر بأجناسها الأخبارُ والحكايات صار العلم بكونها وظهورها على الأولياء في الجملة علماً قوياً انتفى عنه الشكوك، ومن توسَّط هذه الطائفة وتواتر عليه حكاياتهم وأخبارهم لم تبق له شبهة في ذلك على الجملة. ومن دلائل هذه الجملة: نص القرآن في قصة صاحب سُليمان عليه السلام، حيث قال: ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ [النمل: ٤٠] ولم يكن نبياً.

والأثر: عن أمير المؤمنين عُمر بن الخطاب، رضي الله عنه، صحيح أنه قال: «يا سارية(٢) الجبلَ» في حال خطبته يوم الجمعة، وتبليغ صوت عُمر إلى سارية في ذلك الوقت حتى تحرز من مكامن العدو من الجبل في تلك الساعة.

فإنْ قيل: كيف يجوز إظهار هذه الكرامات الزائدة في المعاني على معجزات الرسل؟ وهل يجوز تفضيلُ الأولياء على الأنبياء عليهم السلام؟

قيل: هذه الكرامات لاحقة بمعجزات نبينا ﷺ؛ لأن كل من ليس بصادق في الإسلام لا تظهر عليه الكرامة. وكل نبيّ ظهرت كرامته على واحد من أمته فهي معدودة من جملة معجزاته؛ إذ لو لم يكن ذلك الرسول صادقاً لم تظهر على يد من تابعه الكرامة. فأمّا رتبة الأولياء فلا تبلغ رتبة الأنبياء عليهم السلام: للإجماع المنعقد على ذلك.

وهذا أبو يزيد البسطاميّ سُئل عن هذه المسألة فقال:

مثل ما حصل للأنبياء عليهم السلام كمثل زِق فيه عسل ترشح منه قطرة، فتلك القطرة مثل ما لجميع الأولياء، وما في الظرف مثل لنبينا ﷺ.

---

(١) يربو: يزيد.

(٢) سارية بن زنيم بن عبد الله بن جابر الكناني الدئلي، صحابي من الشعراء القادة، الفاتحين كان في الجاهلية لصاً، كثير الغارات، ولما ظهر الإسلام أسلم، وجعله عمر أميراً على جيش، وسيره إلى بلاد فارس سنة (٢٣ هـ)، ففتح بلاداً، وهو المعني بقول عمر: يا سارية الجبل. توفي نحو سنة (٣٠ هـ ـ ٦٥٠ م).

فصـــل

ثم هذه الكرامات قد تكون إجابة دعوة، وقد تكون إظهار طعام في أوان فاقة من غير سبب ظاهر، أو حصول ماء في زمان عطش، أو تسهيل قطع مسافة في مدة قريبة، أو تخليصاً من عدو، أو سماع خطاب من هاتف، أو غير ذلك من فنون الأفعال الناقضة للعادة.

واعلم أنَّ كثيراً من المقدورات يعلم اليوم قطعاً أنه لا يجوز أن يظهر كرامة للأولياء، وبضرورة أو شبه ضرورة يعلم ذلك، فمنها حصول إنسان لا من أبوين، وقلب جماد بهيمة أو حيواناً، وأمثال هذا كثير.

فصـــل

فإنْ قيل: فما معنى الوليّ؟

قيل: يحتمل أمرين: أحدهما أنْ يكون فعيلاً مبالغة من الفاعل؛ كالعليم والقدير وغيره، فيكون معناه: من توالت طاعاته من غير تخلل معصية.

ويجوز أنْ يكون فعيلاً بمعنى مفعول، كقتيل بمعنى مقتول، وجريح بمعنى مجروح، وهو الذي يتولى الحقّ، سُبحانه، حفظه وحراسته على الإدامة والتوالي، فلا يخلق له الخذلان الذي هو قدرة العصيان، وإنما يديم توفيقه الذي هو قدرة الطاعة، قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦].

فصـــل

فإنْ قيل: فهل يكون الوليّ معصوماً؟

قيل: أمّا وجوباً، كما يُقال في الأنبياء فلا، وأمّا أنْ يكون محفوظاً حتى لا يصر على الذنوب إنْ حصلت هنات أو آفات أو زلاّت، فلا يمتنع ذلك في وصفهم.

ولقد قيل للجُنيد: العارف يزني يا أبا القاسم؟

فاطرق ملياً، ثم رفع رأسه وقال: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨].

فصـــل

فإنْ قيل: فهل يسقط الخوف عن الأولياء؟

قيل: أمّا الغالب على الأكابر فكان الخوف، وذلك الذي قلنا فيما تقدم على جهة النذْرة غير ممتنع، وهذا السريّ السقطيّ يقول:

لو أنَّ واحداً دخل بستاناً فيه أشجار كثيرة وعلى كلّ شجرة طير يقول له بلسان فصيح:

السَّلام عليك يا ولي الله. فلو لم يخف أنه مكرٌ لكان ممكوراً وأمثال هذا من حكاياتهم كثيرة.

فصــل

فإنْ قيل: فهل تجوز رؤية الله سُبحانه، بالأبصار اليوم في الدنيا على جهة الكرامة؟

فالجواب عنه: أنَّ الأقوى فيه أنه لايجوز؛ لحصول الإجماع عليه، ولقد سمعت الإمام أبا بكر بن فُورك، رضي الله عنه، يحكي عن أبي الحسن الأشعريّ أنه قال في ذلك قولين في كتاب «الرؤية الكبير».

فصــل

فإنْ قيل: فهل يجوز أنْ يكون ولياً في الحال ثم تتغير عاقبته؟

قيل: مَن جعل مَن شرط الولاية حُسن الموافاة لا يجوز ذلك.

ومن قال: إنه في الحال مؤمن على الحقيقة وإنْ جاز أن يتغير حاله بعد لا يبعد أن يكون ولياً في الحال صديقاً، ثم يتغير، وهو الذي تختاره.

ويجوز أنْ يكون من جملة كرامات الوليّ أنْ يعلم أنه مأمون العاقبة، وأنه لا تتغير عاقبته، فتلتحق هذه المسألة بما ذكرنا أنَّ الولي يجوز أنْ يعلم أنه ولي.

فصــل

فإنْ قيل: فهل يزايل الوليّ خوف المكر؟

قيل: إنْ كان مصطلماً عن شاهده، مختطفاً عن إحساسه بحالة فهو مستهلك عنه فيما استولى عليه، والخوف من صفات الحاضرين بهم.

فصــل

فإنْ قيل: فما الغالب على الوليّ في حال صحوه؟

قيل: صدقة في أداء حقوقه، سُبحانه، ثم رفقه وشفقته على الخلق في جميع أحواله، ثم انبساط رحمته لكافة الخلق. ثم دوام تحمله عنهم بجميل الخُلق. وابتدائه لطلب الإحسان من الله عزَّ وجلّ إليهم من غير التماس منهم. وتعليق الهمة بنجاة الخلق، وترك الإنتقام منهم، والتوقي عن استشعار حقد عليهم مع قصر اليد عن أموالهم، وترك الطمع بكل وجه فيهم، وقبض اللسان بعد بسطه بالسوء فيهم، والتصاون عن شهود مساويهم، ولا يكون خصماً لأحدٍ في الدنيا ولا في الآخرة.

واعلم أنَّ من أجَلّ الكرامات التي تكون للأولياء: دوامَ التوفيق للطاعات، والعصمة

عن المعاصي والمخالفات، ومما يشهد من القرآن على إظهار الكرامات على الأولياء قوله، سُبحانه، في صفة مريم عليها السلام ولم تكن نبياً ولا رسولاً:

﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ﴾ [آل عمران: ٣٧]. وكان يقول: ﴿ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ ﴾ [آل عمران: ٣٧] فتقول مريم: ﴿ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ﴾. وقوله سُبحانه: ﴿ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾ [مريم: ٢٥] وكان في غير أوان الرطب، وكذلك قصة أصحاب الكهف[1] والأعاجيب التي ظهرت عليهم من كلام الكلب معهم وغير ذلك، ومن ذلك قصة «ذي القرنين»[2] وتمكينه سُبحانه له ما لم يمكن لغيره، ومن ذلك ما أظهر على يدي الخضر عليه السلام من إقامة الجدار وغيره من الأعاجيب، وما كان يعْرِفه مما خفي على موسى عليه السلام. كلُّ ذلك أمور ناقضة للعادة اختصَّ الخضر عليه السَّلام بها، ولم يكن نبياً، وإنما كان ولياً.

ومما رُوي من الأخبار في هذا الباب حديث «جُريج الرَّاهب»؛ أخبرنا أبو نعيم عبد الملك بن الحسن الإسفريني قال: أخبرنا أبو عوانة يَعقوب بن إبراهيم بن إسحاق قال: حدّثنا عمَّار بن رجاء قال: حدّثنا وهب بن جرير قال: حدّثنا أبي قال: سمعت مُحمَّد بن سيرين، عن أبي هُريرة قال: قال رسول الله ﷺ. قال أبو عَوانة: وحدَّثني الصنعانيُّ، وأبو أمية قالا: حدّثنا الحُسين بن مُحمَّد المروذي قالا: حدّثنا جرير بن حازم، عن مُحمَّد بن سيرين، عن أبي هُريرة، عن النبيّ ﷺ قال:

«لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة: عيسى بن مريم، وصبي في زمن جُريج، وصبي آخر»[3]. فأما عيسى فقد عرفتموه. وأما جُريج فكان رجلاً عابداً في بني إسرائيل. وكانت له أمٌّ. فكان يوماً يصلي إذا اشتاقت إليه أمه. فقالت: يا جُريج. فقال: يا ربّ؛ الصلاة خير أم آتيها؟ ثم صلى. فدعته، فقال مثل ذلك. ثم صلى. فاشتدّ على أمه. فقالت: اللهمَّ لا تمته حتى تريه وجوه الموسمات[4]. وكانت زانيةٌ في بني إسرائيل، فقالت لهم: أنا أفتن جُريجاً حتى يزني؛ فأتته، فلم تقدر على شيء، وكان راع يأوي بالليل إلى أصل صومعته[5]، فلما أعياها راودت الراعي على نفسها؛ فأتاها، فولدت، ثم قالت: ولدي هذا من جُريج.

فأتاه بنو إسرائيل، وكسروا صومعته، وشتموه، ثم صلى ودعا، ثم نخس[6] الغلام. .

---

(١) أصحاب الكهف: جماعة هربوا بدينهم إليه هرباً من ظلم السلطان وناموا فيه، وقد نزل القرآن بقصتهم.

(٢) ذو القرنين: لقب الملك الإسكندر الكبير لأنه بلغ في فتوحاته مشرق الأرض ومغربها.

(٣) أخرجه البخاري (أنبياء ٤٨)، ومسلم (برّ ٨)، وأحمد بن حنبل ٢، ٣٠٧، ٣٠٨.

(٤) الموسمات: الزانيات.

(٥) الصومعة: كل ما ارتفع من البناء.

(٦) نخس: غرز أو طعن.

قال مُحمَّد قال أبو هريرة: كأني أنظر إلى النبي ﷺ حين قال بيده: «يا غلام من أبوك»؟[1].

فقال: الراعي؛ فندموا على ما كان منهم، واعتذروا إليه، وقالوا: نبني صومعتك من ذهب ـ أو قال: من فضة ـ فأبى عليهم، وبناها كما كانت. .

وأمّا الصبيّ الآخر فإنَّ امرأة كان معها صبي لها ترضعه، إذ مرَّ بها شاب جميل الوجه، ذو شارة فقالت: اللهم اجعل ابني مثل هذا، فقال الصبيّ: اللهم لا تجعلني مثله. .

قال مُحمَّد: قال أبو هُريرة: كأني أنظر إلى النبي ﷺ حين كان يحكي الغلام وهو يرضع ثم مرت بها أيضاً امرأة ذكروا أنها سرقت، وزنت، وعوقبت، فقالت: اللهم لا تجعل ابني مثل هذا!!

فقال: اللهم اجعلني مثلها. .

فقالت له أمه في ذلك، فقال: إنَّ الشابَّ جبَّار من الجبابرة، وإنَّ هذه (المرأة) قيل: إنها زنت ولم تزن، وقيل: سرقت ولم تسرق، وهي تقول: حسبي الله.

وهذا الخبر روي في الصحيح، ومن ذلك حديث الغار، وهو مشهور مذكور في الصحاح.

حديث الغار

أخبرنا أبو نَعيم عبد الملك بن الحسن الإسفرايني قال: حدّثنا أبو عوانة يَعقوب بن إبراهيم بن إسحاق قال: حدّثنا مُحمَّد بن عون، وزيد بن عبد الصَّمد الدمشقيّ، وعبد الكريم بن الهيثم الديرعاقولي[2]، وأبو الخصيب بن المستنير المصيصي قالوا: حدّثنا أبو اليمان قال: حدّثنا شُعيب عن الزُّهريّ، عن سالم، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«انطلق ثلاثة رهط[3] ممن كان قبلكم، فآواهم المبيت إلى غار فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل، فسدّت عليهم الغار. فقالوا: إنه والله لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أنْ تدعوا الله تعالى بصالح أعمالكم؛ فقال رجل منهم: إنه كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أغبِق[4] قبلها أهلاً ولا مالاً، فعاقني طلب الشجر يوماً، فلم أرح عليهما حتى ناما، فحلبت لهما غبُوقهما، فجئتهما به. . فوجدتهما نائمين. . فتحرجت أنْ أوقظهما، وكرهت أن أغبق**

(١) أخرجه أحمد بن حنبل ٢، ٣٠٧.

(٢) الدير عاقولـي: نسبة إلى دير عاقول: بين مدائن كسرى والنعمانية، بينه وبين بغداد خمسة عشر فرسخاً على شاطىء دجلة كان فأما الآن فبينه وبين دجلة مقدار ميل. معجم البلدان ٢/ ٥٢٠.

(٣) الرهط: ما دون العشرة من الرجال.

(٤) الغبوق: ما يشرب بالعشي.

قبلهما أهلاً ولا مالاً، فقمت والقدح على يدي أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر، فاستيقظا، فشربا غبوقهما، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت انفراجاً لا يستطيعون الخروج منه». فقال رسول الله ﷺ: «وقال الآخر: اللهم إنه كانت لي بنت عمّ، وكانت أحبّ الناس إليّ، فراودتها عن نفسها، فامتنعت، حتى ألمت بها سنةٌ من السنين، فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أنْ تخلي بيني وبين نفسها، ففعلت.. حتى إذا قدرت عليها، قالت: لا يحلّ لك أنْ تفضَّ الخاتم إلاّ بحقه!! فتخرجت من الوقوع عليها.. فانصرفت عنها وهي أحبّ الناس إليّ.. وتركت الذهبَ الذي أعطيتها: اللهم، إنْ كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها»، قال رسول الله ﷺ: «ثم قال الثالث: اللهم إني استأجرت أجراء فأعطيتم أجورهم، غير رجل واحد منهم ترك الذي له وذهب، فثمرت أجره، فجاءني بعد حين فقال: يا عبد الله، أدّ إليّ أجرتي، فقلت له كلَّ ما ترى من أجرتك من الإبل والغنم والبقر والرقيق، فقال: يا عبد الله لا تستهزيء بي!! فقلت: إني لا أستهزيء بك، فأخذ ذلك كله فاستاقه، ولم يترك منه شيئاً. اللهم فإنْ كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه.. فانفرجت الصخرة، فخرجوا من الغار يمشون»[1].

ومن ذلك الحديث الذي قال ﷺ فيه إنَّ البقرة كلمتهم: أخبرنا أبو نعيم الإسفرايني قال: أخبرنا أبو عَوانة قال: حدّثنا يُونس بن عبد الأعلى قال: أخبرنا ابن وَهْب قال: أخبرني يُونس بن يزيد، عن ابن شهاب قال: حدّثني سعيد بن المسيب[2]، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال:

«بينا رجل يسوق بقرة قد حمل عليها.. التفتت البقرة وقالت: إني لم أخلق لهذا؛ إنما خلقت للحرث!! فقال الناس: سُبحان الله!! فقال النبيّ ﷺ: آمنت بهذا أنا وأبو بكر وعُمر»[3].

ومن ذلك حديث أويس القرنيّ، وما شهد به عُمر بن الخطاب رضي الله عنه من حاله وقصته، ثم التقاؤه مع هرم بن حيَّان، وتسليم أحدهما على صاحبه من غير معرفة تقدمت بينهما، وكل ذلك أحوال ناقضة للعادة. وتركنا شرح حديث أويس لشهرته.

---

(١) أخرجه البخاري (إجارة ١٢)، وأحمد بن حنبل ٢، ١١٦، ومسلم (دعوات ١٠١).

(٢) سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب المخزومي القرشي، أبو محمد سيد التابعين، وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة. جمع بين الحديث والفقه والزهد والورع، وكان يعيش من التجارة بالزيت. وكان أحفظ الناس لأحكام عمر وأقضيته، ولد سنة (١٣ هـ ـ ٦٣٤ م) وتوفي بالمدينة سنة (٩٤ هـ ـ ٧١٣ م). الأعلام ٣/ ١٠٢، ووفيات الأعيان ٢/ ٣٧٥، وشذرات الذهب ١/ ١٠٢.

(٣) أخرجه البخاري (فضائل الصحابة ٥)، (أنبياء ٥٤)، ومسلم (فضائل الصحابة ١٣)، والترمذي (مناقب ١٦).

ولقد ظهر على السلف من الصحابة والتابعين، ثم على من بعدهم من الكرامات ما بلغ حدّ الإستفاضة.

وقد صُنف في ذلك كتب كثيرة وسنشير إلى طرف منها على وجه الإيجاز، إنْ شاء الله عزَّ وجلّ، فمن ذلك: أنَّ ابن عُمر كان في بعض الأسفار فلقي جماعة وقفوا على الطريق من خوف السبّع، فطردَ السبع من طريقهم، ثم قال: إنما يسلط على ابن آدم ما يخافه، ولو أنه لم يخف غير الله لما سلط عليه شيء وهذا خبر معروف.

وروي أنَّ رسول الله ﷺ بعث العلاء بن الحضرمي[1] في غزاة، فحال بينهم وبين الموضع قطعة من البحر، فدعا الله باسمه الأعظم ومشوا على الماء.

وروي أنَّ عتَّاب بن بشير، وأُسيد بن خُضير خرجا من عند رسول الله ﷺ، فأضاء لهما رأس عصا أحد كالسراج.

وروي أنه كان بين يدي سَلْمان وأبي الدَّرداء قصعة[2].. فسبحت حتى سمعا التسبيح.

وروي أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**كم من أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره**»[3].

ولم يفرق بين شيء وشيء فيما يقسم به على الله سُبحانه.

وهذه الأخبار لشهرتها أضربنا عن ذكر أسانيدها.

وحكي عن سهيل بن عبد الله أنه قال: «من زهد في الدنيا أربعين يوماً صادقاً من قلبه مخلصاً في ذلك ظهرت له الكرامات، ومن لم تظهر له، فلعدم الصدق في زهده». فقيل لسهل: كيف تظهر له الكرامة؟ فقال: يأخذ ما يشاء كما يشاء من حيث يشاء.

أخبرنا عليّ بن أحمد بن عبدان قال: حدّثنا أحمد بن عُبيد الصفَّار قال: حدّثنا أبو مُسلم قال: حدّثنا عَمرو بن مَرزوق قال: حدّثنا عبد العزيز بن أبي سَلَمة الماجشون قال: حدّثنا وَهْب بن كيسان، عن ابن عُمر، عن أبي هُريرة عن النبيّ ﷺ قال: «**بينا رجل ذكر كلمة إذ سمع رعداً في السحاب. فسمع صوتاً في السحاب: أنْ اسق حديقة فلان، فجاء ذلك السحاب إلى «سرحة»[1] فأفرع ماءه فيها، فأتبع السحاب. فإذا رجل قائم يصلي في**

---

(١) العلاء بن عبد الله الحضرمي، صحابي من رجال الفتوح في صدر الإسلام. ولد ونشأ بمكة وولاه رسول الله ﷺ البحرين سنة (٨ هـ)، وجعل له جباية الصدقة، وبعد وفاة الرسول ﷺ أقره أبو بكر ثم عمر ووجهه إلى البصرة فمات في الطريق سنة (٢١ هـ ـ ٦٤٢ م). الأعلام ٤/ ٢٤٥، وشذرات الذهب ١/ ٣٢.

(٢) القصعة: الصحفة الضخمة تتخذ للأكل (ج) قصاع، وقصع، وقصات.

(٣) أخرجه الترمذي (مناقب ٥٤).

(٤) السرحة: فسحة أو حديقة.

حديقة. فقال: ما اسمك؟ فقال: فلان بن فلان باسمه. قال: فما تصنع بحديقتك هذه إذ صرمتها[1]؟ قال؛ ولم تسأل عن ذلك؟ قال: إني سمعت صوتاً في الحساب أنْ اسق حديقة فلان. قال: أما إذ قلت فإني اجعلها أثلاثاً. فأجعل لنفسي ولأهلي ثلثاً وأرد عليها ثلثاً. واجعل للمساكين وابن السبيل ثلثاً»[2].

سمعت أبا حاتم السجستاني يقول: سمعت أبا نصر السرَّاج يقول: دخلنا «تستر»[3] فرأينا في قصر سهل بن عبد الله بيتاً كان الناس يسمونه «بيت السِّباع» فسألنا الناس عن ذلك. فقالوا: كان السّباع تجيء إلى سهل، فكان يدخلهم هذا البيت، ويضيفهم، ويطعمهم اللحم، ثم يخليهم.

قال أبو نَصر: ورأيت أهل «تستر» كلهم متفقين على هذا لا ينكرونه وهم الجمع الكثير.

سمعت مُحمَّد بن أحمد بن محمد التميميّ يقول: سمعت عبد الله بن عليّ الصوفي يقول: سمعت حَمزة بن عبد الله العلويّ يقول: دخلت على أبي الخير التيناتي، وكنت اعتقدت في نفسي أنْ أسلم عليه وأخرج ولا آكل عنده طعاماً، فلما خرجت من عنده ومشيت قدراً فإذا به خلفي، وقد حمل طبقاً عليه طعام، فقال: يا فتى. كل هذا؛ فقد خرجتَ الساعة من اعتقادك.

وأبو الخير التيناتي مشهور بالكرامات.

وحكي عن إبراهيم الرقيّ أنه قال: قصدته مسلماً عليه، فصلى صلاة المغرب فلم يقرأ الفاتحة مستوياً. فقلت في نفسي: ضاعت سفرتي، فلما سلمت خرجت للطهارة فقصدني السّبع، فعدت إليه وقلت: إنَّ الأسد قصدني!! فخرج وصاح على الأسد وقال: ألم أقل لك لا تتعرض لضيفاتي؟ وتنحى وتطهرت. فلما رجعت قال: اشتغلتم بتقويم الظواهر فخفتم الأسد، واشتغلنا بتقويم القلب فخافنا الأسد.

وقيل: كان لجعفر الخلديّ «فص»[4] فوقع يوماً في «دجلة» وكان عنده دعاء مجرَّب للضالة ترد فدعا به؛ فوجد الفصّ في وسط أوراق كان يتصفحها.

سمعت أبا حاتم السجستاني يقول: سمعت أبا نصر السرَّاج يقول:
إنَّ ذلك الدعاء: «يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه أجمع على ضالتي».

---

(١) صرم: قطع.
(٢) أخرجه مسلم (زهد ٤٥)، وأحمد بن حنبل ٢، ٢٩٦.
(٣) تستر: أعظم مدينة بخوزستان اليوم. معجم البلدان ٢/ ٢٩.
(٤) الفص: ما يركّب في الخاتم من الحجارة الكريمة وغيرها (ج) فصوص.

قال أبو نصر السرَّاج: أراني أبو الطيّب العكي جزءاً ذكر فيه من ذكر هذا الدعاء على ضالة وجدها، وكان الجزء أوراقاً كثيرة.

سألت أحمد الطابراني السرخسيّ، رحمه الله، فقلت له:

هل ظهر لك شيء من الكرامات؟ فقال: في وقت إرادتي وابتداء أمري ربما كنت أطلب حجراً أستنجي به فلم أجد، فتناولت شيئاً من الهواء فكان جوهراً، فاستنجيت به وطرحته.

ثم قال: وأيّ خطر للكرامات؟! إنما المقصود منه: زيادة اليقين في التوحيد، فمن لا يشهد غيره موجداً في الكون فسواء أبصر فعلاً معتاداً، أو ناقضاً للعادة.

سمعت مُحمَّد بن أحمد الصوفي يقول: سمعت عبد الله بن عليّ يقول: سمعت أبا الحسن البصريّ يقول:

كان بـ «عبادان»[1] رجل أسود فقير يأوي إلى الخرابات، فحملتُ معي شيئاً وطلبته، فلما وقعت عينه عليّ تبسم، وأشار بيده إلى الأرض، فرأيت الأرض كلها ذهباً يلمع، ثم قال: هات ما معك، فناولته، وهالني أمره، وهربت.

سمعت منصور المغربيّ يقول: سمعت أحمد بن عَطاء الروذباري يقول: كان لي استقصاء في أمر الطهارة، فضاق صدري ليلة، لكثرة ما صببت من الماء، ولم يسكن قلبي، فقلت: يا ربّ عفوك، فسمعت هاتفاً يقول: العفو في العلم، فزال عني ذلك.

سمعت منصوراً المغربيّ يقول: فرأيته يوماً قعد على الأرض في الصحراء وكان عليها آثار الغنم بلا سجادة، أيها الشيخ هذه آثار الغنم!! فقال: اختلف الفقهاء فيه.

سمعت أبا حاتم السجستاني يقول: سمعت أبا نصر السرّاج يقول: سمعت الحُسين بن أحمد الرازي يقول: سمعت أبا سُليمان الخوَّاص يقول: كنت راكباً حماراً يوماً، وكان الذباب يؤذيه، فيطأطىء رأسه، فكنت أضرب رأسه بخشبة في يدي، فرفع الحمار رأسه وقال: اضرب، فإنك على رأسك هوذا تضرب.

قال الحُسين: فقلت لأبي سُليمان لك وقع هذا؟ فقال: نعم؛ كما تسمعني.

وذكر عن ابن عطاء أنه قال: سمعت أبا الحُسين النوري يقول:

كان في نفسي شيء من هذه الكرامات، فأخذت قصبة من الصبيان وقمت بين زورقين، ثم قلت: وعزّتك إنْ لم تخرج لي سمكة فيها ثلاثة أرطال لأغرقنّ نفسي. قال: فخرج لي سمكة فيها ثلاثة أرطال.

فبلغ ذلك الجُنيد فقال: كان حكمه أنْ تخرج له أفعى تلدغه.

---

(١) عبادان: موضع تحت البصرة قرب البحر الملح. معجم البلدان ٤/ ٧٤.

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السلمي يقول: سمعت أبا الفتح يُوسف بن عُمر الزاهد القوَّاس ببغداد يقول: حدّثنا مُحمَّد بن عطية قال: حدّثنا عبد الكبير بن أحمد قال: سمعت أبا بكر الصَّائغ قال: سمعت أبا جعفر الحداد أستاذ الجُنيد قال: كنت بمكة، فطال شعري ولم يكن معي قطعة من حديد آخذ بها شعري، فتقدمت إلى مزيّن توسمت فيه الخير، فقلت: تأخذ شعري لله تعالى؟ فقال: نعم، وكرامة، وكان بين يديه رجل من أبناء الدنيا فصرفه وأجلسني، وحلق شعري، ثم دفع إليّ قرطاساً[١] فيه دراهم، وقال لي: استعن بها على بعض حوائجك، فأخذتها واعتقد أنْ أدفع إليه أوَّل شيء يفتح عليّ به.

قال: فدخلت المسجد، فاستقبلني بعض أصحابي وقال لي: جاء بعض إخوانك بصُرة من البصرة من بعض إخوانك فيها ثلاثمائة دينار.

قال: فأخذت الصرّة وحملتها إلى المزين وقلت: هذه ثلاثمائة دينار تصرفها في بعض أمورك. فقال لي: ألا تستحي يا شيخ!! تقول لي: احلق شعري لله، ثم آخذ عليه شيئاً.. انصرف عافاك الله.

سمعت أبا حاتم السجستاني يقول: سمعت أبا نصر السرَّاج يقول: سمعت ابن سالم يقول: لما مات إسحاق بن أحمد دخل عليه سهل بن عبد الله صومعته فوجد فيها «سفطاً»[٢] فيه قارورتان في واحدة منهما شيء أحمر، وفي الأخرى شيء أبيض، ووجد «شوشقة»[٣] ذهب، وشوشقة فضة، قال: فرمى بالشوشقين في الدجلة؛ وخلط ما في القارورتين بالتراب، وكان على إسحاقَ دين قال ابن سالم: قلت لسهل: ماذا كان في القارورتين؟ قال: إحداهما لو طرح منها وزن درهم على مثاقيل من النحاس صار ذهباً، والأخرى لو طرح منها مثقال على مثاقيل من الرصاص صار فضة، فقلت: وماذا عليه لو قضى منه ديْنه؟

فقال: أي «دوست» خاف على إيمانه.

وحكي عن النوري أنه خرج ليلة إلى شط «دجلة» فوجدها وقد التزق الشطَّان، فانصرف وقال: وعزتك لا أجوزها إلا في زورق.

سمعت أبا حاتم السجستاني يقول: سمعت أبا نصر السرَّاج يقول: أملى علينا الوجيهي حكاية عن مُحمَّد بن يُوسف البنَّاء قال: كان أبو تُراب النخشبيّ صاحب كرامات، فسافرت معه سنة، وكان معه أربعون نفساً: ثم أصابتنا مرّة فاقة، فعدل أبو تُراب عن الطريق، وجاء «بِعذْق»[٤] موز فتناولنا، وفينا شاب فلم يأكل!! فقال له أبو تُراب: كُلْ.

---

(١) القرطاس: الغرض الذي يُرمى، أو الصحيفة التي يكتب فيها (ج) قراطيس.

(٢) السَّفط: وعاء كالقفة (مو).

(٣) الشوشقة: القطعة.

(٤) العِذق من النخل: كالعنقود من العنب، أو إذا أُكل ما عليه، أو كل غصن له شعب (ج) أعذاق وعذوق.

فقال: الحال الذي اعتقدته تركُ المعلومات، وصرت أنت معلومي فلا أصحبك بعد هذا!!

فقال له أبو تُراب: كُنْ مع ما وقع لك.

وحكى أبو نَصر السرَّاج عن أبي يزيد قال: دخل عليٌّ أبو عليّ السندي وكان أستاذه وبيده جراب[1]، فصبَّها فإذا هي جواهر، فقلت: من أين لك هذا؟ فقال: وافيت وادياً ها هنا، فإذا هو يضيء كالسِّراج، فحملت هذا.

فقلت: كيف كان وقتك الذي وردت فيه الوادي؟

فقال: وقت فترة عن الحال التي كنت فيها.

وقيل لأبي يزيد: فلان يمشي في ليلة إلى مكة!

فقال: الشيطان يمشي في ساعة من المشرق إلى المغرب في لعنة الله.

وقيل له: فلان يمشي على الماء، ويطير في الهواء.

فقال: الطير يطير في الهواء، والسمك يمر على وجه الماء.

وقال سهل بن عبد الله: أكبر الكرامات أنْ تُبدّل خلقاً مذموماً من أخلاقك...

سمعت مُحمَّد بن أحمد بن مُحمَّد التميميّ يقول: سمعت عبد الله بن عليّ الصوفي يقول: سمعت ابن سالم يقول: سمعت أبي يقول: كان رجل يُقال له: «عبد الرحمن بن أحمد» يصحب سهل بن عبد الله، فقال له يوماً: ربما أتوضأ للصلاة فيسيل الماء بين يدي قضبان ذهب وفضة.

فقال سهل: أما علمت أنَّ الصبيان إذا بكوا يعطون «خشخاشة»[2] ليشتغلوا بها؟!

سمعت أبا حاتم السجستاني يقول: سمعت أبا نصر السرّاج يقول: أخبرني جعفر بن مُحمَّد قال: حدّثني الجُنيد قال:

دخلت على السريّ يوماً فقال لي: عصفور كان يجيء في كل يوم فأفتُّ له الخبز، فيأكل من يدي، فنزل وقتاً من الأوقات فلم يسقط على يدي، فتذكرت في نفسي: ماذا يكون السبب؟ فذكرت أني أكلت ملحاً بأبزار[3]، فقلت في نفسي: لا آكل بعدها، وأنا تائب منه؛ فسقط على يدي وأكل.

وحكى أبو عَمرو الأنماطيّ قال: كنت مع أستاذي في البادية، فأخذنا المطر، فدخلنا

---

(١) الجراب: وعاء يحفظ فيه الزاد ونحوه (ج) جُرب وأجربة.

(٢) الخشخاش: كل شيء يابس إذا حُك بعضه ببعض صوَّت. و: جنس نباتات عشبية من الفصيلة الخشخاشية، فيه أنواع برية، وأخرى تزرع لزهرها، وفيه النوع الذي يستخرج الأفيون من ثماره.

(٣) البزر: التابل وهو ما يطيب به الغذاء كالفلفل والكمون (ج) أبزار و (جج) أبازير.

مسجداً نستكنُّ فيه، وكان السقف يكف[١]، فصعدنا السطح، ومعنا خشبة نريد إصلاح السقف، فقصر الخشب عن الجدار، فقال لي أستاذي: مدّها، فمددتها. . فركبت الحائط من هاهنا ومن هاهنا.

سمعت مُحمَّد بن عبد الله الصوفي يقول: سمعت مُحمَّد بن أحمد النجَّار يقول: سمعت الرقي يقول: سمعت أبا بكر الدقَّاق يقول:

كنت ماراً في تيه[٢] بني إسرائيل فخطر لي أنَّ علم الحقيقة مباين للشريعة، فهتف بي هاتف من تحت شجرة: كل حقيقة لا تتبعها الشريعة فهي كفر.

وقال بعضهم: كنت عند خير النسَّاج، فجاءه رجل وقال: أيها الشيخ رأيتك أمس وقد بعت الغزل بدرهمين، فجئت خلفك، فخللتهما من طرف إزارك، وقد صارت يدي منقبضة على الدرهمين في كفي، قال: فضحك خير وأومأ بيده إلى يدي ففتحها، ثم قال: امض واشتر بهما لعيالك شيئاً، ولا تعد لمثله.

وحكي عن أحمد بن مُحمَّد السلمي قال: دخلت على ذي النُّون المصري يوماً، فرأيت بين يديه طشتاً[٣] من ذهب، وحوله الند[٤]، و «العنبر»[٥] يسجر فقال لي: أنت ممن يدخل على الملوك في حال بسطهم؟ ثم أعطاني درهماً، فأنفقت منه إلى بَلْخ.

وحكي عن أبي سعيد الخرّاز قال: كنت في بعض أسفاري، وكان يظهر لي كل ثلاثة أيام شيء، فكنت آكله، واستقلّ به، فمضى علي ثلاثة أيام وقتاً من الأوقات ولم يظهر شيء فضعفت!! وجلست، فهتف بي هاتف. أيما أحبّ إليك: سبب، أو قوة؟

فقلت: القوة: فقمت من وقتي، ومشيت اثني عشر يوماً لم أذق فيها شيئاً، ولم أضْعُف.

وعن المرتعش قال: سمعت الخوَّاص يقول: تهت في البادية أياماً، فجاءني شخص وسلم عليّ، وقال لي: تهت!! فقلت له: نعم، فقال: ألا أدلك على الطريق؟

ومشى بين يديّ خطوات، ثم غاب عن عيني، وإذا أنا على الجادة، فبعد ذلك ما تهت ولا أصابني في سفر جوع ولا عطش.

---

(١) وكف البيت: قطر سقفه.

(٢) التيه: موضع بين مصر والعقبة تاه فيه بنو إسرائيل بعد خروجهم من مصر وحاروا فلم يهتدوا للخروج منه.

(٣) الطشت: إناء كبير مستدير من نحاس أو نحوه لغسل الأيدي (ج) طشوت (مع) يذكر ويؤنث.

(٤) النَّدُّ: ضرب من النبات يتبخر بعوده.

(٥) العنبر: من الطيب.

سمعت مُحمَّد بن عبد الله الصوفي، يقول: سمعت عُمر بن يحيى الأردبيلي يقول: سمعت الرقيّ يقول: سمعت ابن الجلاَّء يقول لي:

لما مات أبي ضحك عن المغتسل؛ فلم يجسر أحد يغسله، وقالوا: إنه حيّ، حتى جاء واحد من أقرانه وغسله.

سمعت مُحمَّد بن أحمد التميمي يقول: سمعت عبد الله بن علي يقول: سمعت طلحة القصائري يقول: سمعت المنيحي صاحب سهل بن عبد الله يقول: كان سهل يصبر عن الطعام سبعين يوماً، وكان إذا أكل ضعف، وإذا جاع قوي.

وكان أبو عبيد البسريّ إذا كان أولّ شهر رمضان يدخل بيتاً، ويقول لامرأته: طيني عليّ الباب، وألقي إليّ كل ليلة من الكوة[1] رغيفاً، فإذا كان يوم العيد فتح الباب ودخلت امرأته البيت فإذا بثلاثين رغيفاً في زاوية البيت، فلا أكل ولا شرب، ولا نام، ولا فاتته ركعة من الصلاة.

وقال أبو الحارث الأولاشيّ: مكثت ثلاثين سنة ما يسمع لساني إلاّ من سرّي، ثم تغيرت الحال؛ فمكثت ثلاثين سنة لا يسمع سري إلاّ من ربي..

حدّثنا مُحمَّد بن عبد الله الصوفي قال: حدّثنا أبو الحُسين غلام شعوانة قال: سمعت عليّ بن سالم يقول: كان سهل بن عبد الله أصابته زمانة في آخر عمره، فكان إذا حضر وقت الصلاة انتشرت يداه ورجلاه، فإذا فرغ من الفرض عاد إلى حال الزمانة.

وحكي عن أبي عمران الواسطيّ قال: انكسرت السفينة وبقيت أنا وامرأتي على لوح، وقد ولدت في تلك الحالة صبية، فصاحت بي وقالت لي: يقتلني العطش!! فقلت: هوذَا يرى حالنا؛ فرفعت رأسي، فإذا رجل في الهواء وفي يده سلسلة من ذهب وفيها كوز من ياقوت أحمر، وقال: هاكَ اشربا. قال: فأخذت الكوز وشربنا منه فإذا هو أطيب من المسك وأبرد من الثلج، وأحلى من العسل. فقلت: من أنت رحمك الله؟

فقال: عبد لمولاك. فقلت: بِمَ وصلت إلى هذا؟

فقال: تركت هواي لمرضاته فأجلسني في الهواء. ثم غاب عني ولم أره.

أخبرنا مُحمَّد بن عبد الله الصوفي قال: حدّثنا بكران بن أحمد الجيليّ قال: سمعت يُوسف بن الحُسين يقول: سمعت ذا النُّون المصريّ يقول:

رأيت شاباً عند الكعبة يكثر الركوع والسجود فدنوت منه، وقلت: إنك تكثر الصلاة!! فقال: أنتظر الأذن من ربي في الإنصراف.

---

(١) الكوة: خرق في الجدار يدخل منه الهواء والضوء (ج) كوىً.

قال: فرأيت رقعة سقطت عليه، مكتوب فيها: «من العزيز الغفور إلى عبدي الصَّادق: انصرف مغفوراً لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر».

وقال بعضهم:

كنت بمدينة الرسول ﷺ في مسجده مع جماعة نتجارى الآيات، ورجل ضرير بالقرب منا يسمع، فتقدّم إلينا، وقال: أنست بكلامكم؛ اعلموا أنه كان لي صبية وعيال، وكنت أخرج إلى البقيع[1] أحتطب. فخرجت يوماً.. فرأيت شاباً عليه قميص كتان[2] ونعله في إصبعه، فتوهمت أنه تائه. فقصدته أسلب ثوبه؛ فقلت له: إنزع ما عليك. فقال: سر في حفظ الله. فقلت الثانية والثالثة. فقال: لا بد؟ فقلت: لا بد!! فأشار من بعيد بأصبعه إلى عيني فسقطتا. فقلت: بالله عليك. من أنت؟ فقال: إبراهيم الخوّاص.

وقال ذو النُّون المصريّ:

كنت وقتاً في السفينة فسرقت قطيفة[3]. فاتهموا بها رجلاً. فقلت: دعوه حتى أرفق به. وإذا الشاب نائم في عباءة، فأخرج رأسه من العباءة فقال له ذو النُّون في ذلك المعنى. فقال: أليَ تقول ذلك؟! أقسمت عليك يا ربّ أنْ لا تدع واحداً من الحيتان إلا جاء بجوهرة. قال: فرأينا وجه الماء حيتاناً في أفواههم الجواهر، ثم ألقى الفتى نفسه في البحر ومرّ إلى الساحل.

وحكي عن إبراهيم الخوَّاص قال:

دخلت البادية مرة فرأيت نصرانياً على وسطه «زنار»[4] فسألني الصحبة فمشينا سبعة أيام فقال لي: يا راهب الحنيفية هات ما عندك من الإنبساط فقد جعنا فقلت: إلهي لا تفضحني مع هذا الكافر. فرأيت طبقاً عليه خبز وشِوَاء ورطب وكرز وماء. فأكلنا وشربنا ومشينا سبعة أيام ثم بادرت وقلت: يا راهب النصارى. هات ما عندك. فقد انتهت النوبة إليك. فاتكأ على عصاه. ودعا. فإذا بطبقين عليهما أضعاف ما كان على طبقي قال: فتحيرت، وتغيرت. وأبيت أنْ آكل. فألح عليَّ فلم أجبه. فقال: كُل؛ فإني أبشرك ببشارتين إحداهما: أني أشهد أنَّ لا إله إلا الله، وأشهد أنَّ مُحمَّداً رسول الله. وحَلّ الزُنار.

---

(١) البقيع: المكان المتسع فيه شجر أو أصول شجر.

(٢) الكتان: نبات من الفصيلة الكتانية، حولي يُزرع في المناطق المعتدلة والدفيئة، يزيد ارتفاعه على نصف متر، زهرته زرقاء جميلة، وثمرته مدورة تعرف باسم بزر الكتان يُعتصر منها زيت، تُنسج من ألياف الكتان بعض الثياب.

(٣) القطيفة: كساء له خمل، أو دثار مخمل أو نسيج من الحرير أو القطن صفيق أو بر تتخذ منه ثياب وفرش (مج) (ج) قطف وقطائف.

(٤) الزنار: حزام أو خيط غليظ من الحرير بقدر الإصبع يُشد على الوسط (ج) زنانير.

والأخرى: أني قلت: اللهم إنْ كان لهذا العبد خطر عندك فافتح عليّ بهذا؛ ففتح. فأكلنا ومشينا وحجّ. وأقمنا بمكة سنة ثم إنه مات ودفن بالبطحاء[1].

وقال مُحمَّد بن المبارك الصوريّ:

كنت مع إبراهيم بن أدهم في طريق بيت المقدس فنزلنا وقت القيلولة[2] تحت شجرة رمّان، فصلينا ركعات، فسمعت صوتاً من أصل الرمان: يا أبا إسحق أكرمنا بأنْ تأكل منا شيئاً، فطأطأ إبراهيم رأسه، فقال ثلاث مرات. ثم قال: يا مُحمَّد كن شفيعاً إليه؛ ليتناول منا شيئاً فقلت: يا أبا إسحق، لقد سمعت. فقام وأخذ رمانتين، فأكل واحدة وناولني الأخرى فأكلتها وهي حامضة، وكانت شجرة قصيرة، فلما رجعنا مررنا بها فإذا هي شجرة عالية ورمانها حلو. وهي تثمر في كل عام مرتين. وسموها «رمانة العابدين» ويأوي إلى ظلها العابدون.

سمعت مُحمَّد بن عبد الله الصوفي يقول: سمعت مُحمَّد بن الفَرحان يقول: سمعت الجُنيد يقول: سمعت أبا جعفر الخصَّاف يقول: حدثني جابر الرحبي قال:

أكثر أهل الرحبة عليَّ الإنكارَ في باب الكرامات، فركبت السبع يوماً ودخلت الرحبة، وقلت: أين الذين يكذبون أولياء الله؟ قال: فكفوا بعد ذلك عني.

سمعت مَنْصوراً المغربي يقول: رأى بعضهم الخضر عليه السلام، فقال له: هل رأيت فوقك أحداً؟

فقال: نعم، كان عبد الرزاق بن همَّام[3] يروي الأحاديث بالمدينة، والناس حوله يستمعون..

فرأيت شاباً بالبعد منهم رأسه على ركبتيه. فقلت له: يا هذا عبد الرزاق يروي أحاديث رسول الله ﷺ. فلم لا تسمع منه؟ فقال: إنه يروي عن ميت، وأنا لست بغائب عن الله؟

فقلت: إنْ كنت كما تقول، فمن أنا؟ فرفع رأسه وقال: أنت أخي أبو العبَّاس الخضر، فعلمت أنَّ لله عباداً لم أعرفهم.

وقيل: كان لإبراهيم بن أدهم صاحب يُقال له: يحيى يتعبد في غرفة ليس إليها سُلم

---

(١) البطحاء: موضع قريب من ذي قار، وبطحوا مكة، وبطحاء: مدينة بالمغرب قرب تلمسان بينهما نحو ثلاثة أيام أو أربعة. معجم البلدان ١/٤٤٦.

(٤) القيلولة: نومة نصف النهار، أو الإستراحة فيه، وإن لم يكن نوم.

(٣) أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الصنعاني، يروي عن معمر بن راشد وعن غيره، وروى عنه أئمة الإسلام في ذلك العصر منهم سفيان بن عيينة وغيره. كانت ولادته في سنة ست وعشرين ومائة، وتوفي سنة إحدى عشرة ومائتين باليمن. وفيات الأعيان ٣/٢١٦.

ولا دَرَج، فكان إذا أراد أنْ يتطهر، يجيء إلى باب الغرفة ويقول: لا حول ولا قوة إلا بالله. ويمر في الهواء كأنه طير، ثم يتطهر، فإذا فرغ يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله ويعود إلى غرفته.

أخبرنا مُحمَّد بن عبد الله الصوفي قال: سمعت عُمر بن مُحمَّد بن أحمد الشيرازيّ بالبصرة قال: سمعت أبا مُحمَّد جَعفر الحذَاء بشيراز[1] قال:

كنت أتأدب بأبي عُمر الإصطخريّ، فكان إذا خطر لي خاطر أخرجُ إلى «إصطخر»[2] فربما أجابني عما احتاج إليه من غير أنْ أسأله، وربما سألته فأجابني. ثم شغلت عن الذهاب فكان إذا خطر على سرّي مسألة أجابني من إصطخر، فيخاطبني بما يَردُ عليَّ.

وحكي عن بعضهم قال:

مات فقير في بيت مُظلم، فلما أردنا غسله تكلفنا طلب سِراج، فوقع من كوة ضوء.. فأضاء البيت، فغسلناه، فلما فرغنا ذهب الضوء كأنه لم يكن.

وعن آدم بن أبي إياس قال:

كنا بعسقلان[3]، وشاب يغشانا ويجالسنا. ويتحدث معنا؛ فإذا فرغنا قام إلى الصلاة يصلي، قال: فودعنا يوماً وقال: أريد الإسكندرية. فخرجت معه، وناولته دريهمات، فأبىٰ أنْ يأخذها. فألححت عليه فألقى كفاً من الرمل في ركوته. واستقى من ماء البحر. وقال: كله!! فنظرت فإذا هو سويق[4] بسكر كثير فقال، من كان حاله معه مثل هذا يحتاج إلى دراهمك؟!

ثم أنشأ يقول:

بحـقّ الهـوى يـا أهـل ودّي تفهمـوا ... لسـانَ وجـدي بـالـوجـود غـريـب
حـرام علـى قلـب تعـرّض للهـوى ... يكـونُ لغيـر الحـقّ فيـه نصيـب

ولغيره:

ليـس فـي القلـب والفـؤاد جميعـاً ... مـوضـعٌ فـارغ يـراه الحبيـب
هـو سُـؤلـي ومُنيتـي وسـروري ... وبـه مـا حييـت عيشـي يطيـب
وإذا مـا السَّقـام[5] حـلّ بقلبـي ... لـم أجـد غيـره لقسمـي طبيـب

---

(١) شيراز: بلد عظيم مشهور، وهو قصبة بلاد فارس. معجم البلدان ٣/ ٣٨٠.
(٢) اصطخر: بلدة بفارس وهي من أعيان حصون فارس ومدنها وكورها. معجم البلدان ١/ ٢١١.
(٣) عسقلان: مدينة بالشام من أعمال فلسطين على ساحل البحر بين غزة وبيت جبرين ويُقال لها: عروس الشام. معجم البلدان ٤/ ١٢٢.
(٤) السويق: طعام يتخذ من دقيق الحنطة أو الشعير (ج) أسوقة.
(٥) السَّقام: المرض.

وحكي عن إبراهيم الآجريّ قال:

جاءني يهوديّ يتقاضى عليّ في دين كان له عليَّ. وأنا قاعد عند الأتون[1] أوقد تحت الآجر. فقال لي اليهودي: يا إبراهيم، أرني آية أسلم عليها..

فقلت له: تفعل؟! فقال: نعم. فقلت: إنزع ثوبك. فنزع، فلففته، ولففت على ثوبه ثوبي، وطرحته في النار، ثم دخلت الأتون وأخرجت الثوب من وسط النار وخرجت من الباب الآخر، فإذا ثيابي بحالها لم يصيبها شيء، وثيابُه في وسطها صارت حراقةً. فأسلم اليهوديّ.

وقيل: كان حبيب العجميّ يُرى بالبصرة يوم التروية[2]، ويوم عرفة[3] بعرفات.

سمعت مُحمَّد بن عبد الله الصوفي يقول: سمعت أحمد بن مُحمَّد بن عبد الله الفرغاني يقول:

تزوج عبَّاس بن المهتدي امرأة، فلما كانت ليلة الدخول وقع عليه ندامة، فلما أراد الدنوَّ منها زُجر عنها، فامتنع من وطئها، وخرج.. فبعد ثلاثة أيام ظهر لها زوج!!

قال الأستاذ الإمام: هذا هو الكرامة على الحقيقة؛ حيث حَفظ عليه العلم.

وقيل: كان الفُضيل بن عيَّاض على جبل من جبال «مِنى»، فقال: لو أنَّ ولياً من أولياء الله تعالى أمر هذا الجبل أن يميد لماد، قال: فتحرك الجبل. فقال: اسكن، لم أردك بهذا!! فسكن الجبل.

وقال عبد الواحد بن زيد لأبي عاصم البصريّ:

كيف صنعت حين طلبك الحجاج؟ قال: كنت في غرفتي فدقوا على الباب، فدخلوا، فدَفعت بي دفعةً، فإذا أنا على جبل «أبي قُبيس»[4] بمكة، فقال له عبد الواحد: من أين كنت تأكل؟ قال: كانت تصعد إلي عجوز كلَّ وقت إفطاري بالرغيفين اللذين كنت آكلهما بالبصرة.

فقال عبد الواحد: تلك الدنيا أمرها الله تعالى أنْ تخدم أبا عاصم.

وقيل: كان عَامر بن عبد قيس يأخذ عطاءه، ولا يستقبله أحد إلا أعطاه شيئاً، فكان إذا أتى منزله رمي إليه بالدراهم، فتكون بمقدار ما أخذه لم ينقص شيئاً.

---

(١) الأتون: الموقد الكبير كموقد الحمام (ج) أقاتين.

(٢) يوم التروية: هو الثامن من ذي الحجة، وكان يتزود فيه الحجاج بالماء ويرتوون فيه لما بعد.

(٣) عرفة وعرفات: جبل قرب مكة يقف عليه الحجاج يوم التاسع من ذي الحجة.

(٤) أبو قبيس: جبل مشرف على مكة، وجهه إلى قعيقعان ومكه بينهما، أبو قبيس من شرقيها وقعيقعان من غربيها. معجم البلدان ١/ ٨٠.

سمعت أبا عبد الله الشيرازيّ يقول: سمعت أبا أحمد الكبير يقول: سمعت أبا عبد الله بن خفيف يقول: سمعت أبا عَمرو الزجاجيّ يقول:

دخلت على الجُنيد، وكنت أريد أنْ أخرج إلى الحج، فأعطاني درهماً صحيحاً، فشددته على مئزري، فلم أدخل منزلاً إلا وجدت فيه رفقاء، ولم أحتج إلى الدرهم؛ فلما حججت، ورجعت إلى بغداد دخلت على الجُنيد. فمدَّ يده وقال: هات، فناولته الدرهم، فقال: كيف كان؟ فقلت: كان الحتم نافذاً.

وحكي عن أبي جعفر الأعور قال:

كنت عند ذي النُّون المصريّ، فتذاكرنا حديث طاعة الأشياء للأولياء، فقال ذو النُّون: من الطاعة أنْ أقول لهذا السرير يدور في أربع زوايا البيت، ثم يرجع إلى مكانه فيفعل، قال: فدار السرير في أربع زوايا البيت، وعاد إلى مكانه. وكان هناك شاب فأخذ يبكي حتى مات في الوقت.

وقيل: إنَّ واصلاً الأحدب[1] قرأ: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢]. فقال: رزقي في السماء وأنا أطلبه في الأرض؟ والله لا طلبته أبداًا! فدخل خَربة ومكث يومين فلم يظهر له شيء. فاشتد عليه، فلما كان اليوم الثالث إذا «بدوخله»[2] من رطب، وكان له أخ أحسن من نيّة، فصار معه، فإذن: قد صار دوخلتين فلم يزل ذلك حالهما حتى فرّق بينهما الموت.

وقال بعضهم: أشرفت على إبراهيم بن أدهم، وهو في بستان يحفظه، وقد أخذه النوم، وإذا حية في فيها طاقةُ نرجس[3] تروِّحه بها.

وقيل: كان جماعة مع أيوب السجستاني في السفر فأعياهم طلب الماء، فقال أيوب: أتسترون عليّ ما عشت؟ فقالوا: نعم، فدور دائرة فنبع الماء، فشربنا قال: فلما دخلنا البصرة أخبر به حماد بن زيد، فقال عبد الواحد بن زيد: شهدتُ معه ذلك اليوم.

وقال بكر بن عبد الرَّحمن:

كنا مع ذي النُّون المصري في البادية، فنزلنا تحت شجرة من «أم غيلان» فقلنا: ما أطيب هذا الموضع لو كان فيه رطب؛ فتبسم ذو النُّون وقال: أتشتهون الرطب؟ وحرّك

---

(١) واصل الأحدب، يروي عن أبيه وائل وطبقته. توفي سنة عشرين ومائة. شذرات الذهب ١/١٥٧.

(٢) الدوخلة: قفة من خوص يوضع فيها الرطب.

(٣) النرجس: جنس نباتات بصلية حولية من فصيلة النرجسيات، أنواعه كثيرة العدد، يعيش ويجوز في جميع الأتربة الزراعية، ومنه أنواع تزرع لجمال زهرها وطيب رائحتها وزهرته تشبه بها الأعين، واحدته نرجسة.

الشجرة وقال: أقسمت عليك بالذي ابتدأك وخلقك شجرة إلا نثرتِ علينا رطباً جنياً. . ثم حرّكها، فنثرت رطباً جنياً. فأكلنا وشبعنا. ثم نمنا فانتبهنا وحركنا الشجرة فنثرت علينا شوكاً.

وحكي عن أبي القاسم بن مروان النهاوندي قال:

كنت أنا وأبو بكر الورَّاق مع أبي سعيد الخرَّاز نمشي على ساحل البحر نحو «صيدا»[1] فرأى شخصاً من بعيد، فقال: اجلسوا. لا يخلو هذا الشخص أن يكون ولياً من أولياء الله. قال: فما لبثنا أنْ جاء شاب حسن الوجه. وبيده رِكوة و «محبرة» وعليه مرقّعة. فالتفت أبو سعيد إليه منكراً عليه لحمله المحبرة مع الركوة فقال له: يا فتى، كيف الطرق إلى الله تعالى؟ فقال: يا أبا سعيد، أعرف إلى الله طريقين: طريقاً خاصاً، وطريقاً عاماً، فأما الطريق العام فالذي أنت عليه. وأما الطريق الخاص: فهلم، ثم مشى على الماء حتى غاب عن أعيننا. فبقي أبو سعيد حيران مما رأى!!

وقال الجُنيد:

جئت مسجد «الشونزية»[2] فرأيت فيه جماعة من الفقراء يتكلمون في الآيات فقال فقير منهم: أعرف رجلاً لو قال لهذه الأسطوانة: كُوني ذهباً نصفك، ونصفك فضّة كانت. . قال الجُنيد: فنظرت. فإذا الأسطوانة نصفها ذهب ونصفها فضة.

وقيل: حجّ سُفيان الثوريّ مع شَيبان الراعي، فعرض لهما سبع، فقال سُفيان لشيبان: أما ترى هذا السَّبع؟ فقال: لا تخف. فأخذ شَيبان أذنه فعركها. . فبصبص[3] وحرَّك ذنبه. . فقال سُفيان: ما هذه الشهوة؟! فقال: لولا مخافة الشهرة لما وضعت زادي إلا على ظهره حتى آتي مكة!!

وحكي أنَّ السري لما ترك التجارة كانت أخته تنفق عليه من ثمن غزلها. فأبطأت يوماً، فقال لها السري: لم أبطأت؟ فقال: لأنَّ غزلي لم يشتر، وذكروا أنه مخلط. فامتنع السري عن طعامها، ثم إنَّ أخته دخلت عليه يوماً فرأت عنده عجوزاً تكنس بيته، وتحمل إليه كل يوم رغيفين فخرجت أخته وشكت إلى أحمد بن حَنبل، فقال أحمد بن حنبل للسري فيه؛ فقال: لما امتنعتَ من أكل طعامها قيض الله لي الدنيا لتنفق علي وتخدمني.

أخبرنا مُحمَّد بن عبد الله الصوفي قال: حدّثنا عليّ بن هارون قال: حدّثنا عليّ بن أبي

---

(١) صيدا: وهي مدينة على ساحل بحر الشام من أعمال دمشق شرقي صور بينهما ستة فراسخ. معجم البلدان ٣/ ٤٣٧.

(٢) الشونزية: مقبرة ببغداد بالجانب الغربي. معجم البلدان ٣/ ٣٧٤.

(٣) بصبص الكلب: حرك ذنبه طمعاً أو ملقاً أو خوفاً.

مُحمَّد التميميّ قال: حدّثنا جَعفر بن القاسم الخوَّاص قال: حدّثنا أحمد بن مُحمَّد الطوسيّ قال: حدّثنا مُحمَّد بن مَنصور الطوسيّ قال:

كنت عند أبي مَحفوظ مَعروف الكرخيّ، فدعا لي؛ فرجعت إليه من الغد وفي وجهه أثر، فقال له إنسان: يا أبا محفوظ، كنا عندك بالأمس ولم يكن بوجهك هذا الأثر، فما هذا؟! فقال: سَل عما يعنيك!! فقال الرجل: بمعبودك أنْ تقول، فقال: صليت البارحة هاهنا، واشتهيت أن أطوف بالبيت، فمضيت إلى مكة، وطفتُ، ثم مِلت إلى زمزم[1]؛ لأشرب من مائها. فزلقت على الباب، فأصاب وجهي ما تراه.

وقيل: كان عتبة الغلام يقعد فيقول: «يا وَرَشان»[2] إنْ كنت أطوع لله عزَّ وجلّ مني فتعال واقعد على كفي؛ فيجيء «الوَرَشان» ويقعد على كفه.

وحكي عن أبي عليّ الرازي أنه قال:

مررت يوماً على الفُرات، فعرّضت لنفسي شهوة السمك الطريّ، فإذا الماء قد قذف سمكة نحوي، وإذا رجل يعدو ويقول: أشويها لك؟

فقلت: نعم. فشواها، فقعدت وأكلتها.

وقيل: كان إبراهيم بن أدهم في رفقة فعرض لهم السّبع؛ فقالوا: يا أبا إسحاق قد عرض لنا السبع!! فجاء إبراهيم وقال: يا أسد، إنْ كنت أمرت فينا بشيء غامض، وإلا فارجع. فرجع الأسد، ومضوا.

وقال حامد الأسود:

كنت مع الخوَّاص في البرية، فبتنا عند شجرة، إذ جاء السبع، فصعدت الشجرة إلى الصباح لا يأخذني النوم، ونام إبراهيم الخوَّاص والسّبع يشم من رأسه إلى قدمه.. ثم مضى.

فلما كانت الليلة الثانية بتنا في مسجد في قرية، فوقعت بقّة على وجهه فضرَبته، فأنَّ أنةً، فقلت: هذا عجب، البارحة لم تجزع من الأسد، والليلة تصيح من البقّ!!

فقال: أما البارحة، فتلك حالة كنت فيها بالله عزَّ وجلّ، وأما الليلة، فهذه حالة أنا فيها بنفسي.

وحكي عن عَطاء الأزرق: أنه دفعت إليه امرأته درهمين من ثمن غزلها؛ ليشتري لهم شيئاً من الدقيق، فخرج من بيته، فلقي جارية تبكي، فقال لها: ما بالك؟ فقالت: دفع إلي مولاي درهمين اشترى لهم شيئاً. فسقطا مني فأخاف أنْ يضربني!! فدفع عطاء الدرهمين

---

(١) زمزم: بئر بمكة عند الكعبة غير منصرف للعلمية والتأنيث.

(٢) ورشان: نوع من أنواع الطيور.

إليها. ومرّ. وقعد على حانوت صديق له ممن يشق الساج[1]، وذكر له الحال وما يخاف من سوء خلق امرأته. فقال له صاحبه: خذ من هذه النشارة[2] في هذا الجراب لعلكم تنتفعون بها في سجر التنور؛ إذ ليس يساعدني الإمكان في شيء آخر.. فحمل النشارة، وفتح باب داره، ورمى بالجراب، وردّ الباب ودخل المسجد إلى ما بعد العُتْمة؛ ليكون النوم أخذهم ولا تستطيل عليه المرأة، فلما فتح الباب وجدهم يخبزون الخبز، فقال: من أين لكم هذا الخبز؟ فقالوا: من الدقيق الذي كان في الجراب. لا تشتر من غير هذا الدقيق! قال: أفعل إنْ شاء الله.

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السلميّ يقول: سمعت مَنْصور بن عبد الله يقول: سمعت أبا جعفر بن بَركات يقول:

كنت أجالس الفقراء، ففتح عليَّ بدينار، فأردت أنْ أدفعه إليهم، ثم قلت في نفسي: لعلي أحتاج إليه.. فهاج بي وجع الضرس، فقلعت سِناً، فوجعت الأخرى حتى قلعتها..

فهتف بي هاتف: إنْ لم تدفع إليهم الدينار، فلا يبقى في فمك سنٌّ واحدة!!

قال الأستاذ: وهذا في باب الكرامة أتم من أنْ كان يفتح عليه بدينار كثيرة وتنقض العادة.

وحكى أبو سُليمان الداراني قال:

خرج عامر بن قيس إلى الشام، ومعه «شِكوَة»[3] إذا شاء صبَّ منها ماءً ليتوضأ للصلاة، وإذا شاء صبّ منها لبناً يشربه.

وروى عُثمان بن أبي العاتكة[4] قال:

كنا في غزاة في الأرض الروم، فبعث الوالي سرية إلى موضع، وجعل الميعاد في يوم كذا.

قال: فجاء الميعاد ولم تقدم السرية، فبينا أبو مُسلم يصلي إلى رمحه الذي ركزه بالأرض إذ جاء طائر إلى رأس السّنان وقال: إنَّ السرية قد سلمت وغنمت وسيردون عليكم يوم كذا في وقت كذا.

---

(١) الساج: شجر عظيم صلب الخشب أسوده يعظم جداً ويذهب طولاً وعرضاً وله ورق كبير (ج) سيجان والواحدة ساجة.

(٢) النشارة: ما سقط من الخشب ونحوه عند النشر.

(٣) الشكة: وعاء من جلد للماء أو للّبن (ج) شكوات وشكاء.

(٤) عثمان بن أبي عاتكة الدمشقي القاص. روى عن عمير بن هانيء العنسي وجماعة. توفي سنة خمس وخمسين ومائة. شذرات الذهب ١/٢٣٩.

فقال أبو مُسلم للطير: من أنت، رحمك الله تعالى؟

فقال: أنا مذهب الحزن عن قلوب المؤمنين.

فجاء أبو مُسلم إلى الوالي وأخبره بذلك، فلما كان اليوم الذي قال أتت السرية على الوجه الذي قال:

وعن بعضهم قال:

كنا في مركب فمات رجل كان معنا عليلٌ، فأخذنا في جهازه، وأردنا أنْ نلقيه في البحر فصار البحر جافاً، ونزلت السفينة، فخرجنا وحفرنا له قبراً، ودفناه، فلما فرغنا استوى الماء، وارتفع المركب، وسرنا.

وقيل: إنَّ الناس أصابتهم مجاعة بالبصرة، فاشترى حَبيب العجميّ طعاماً بالنسيئة، وفرقه على المساكين وأخذ كيسه فجعله تحت رأسه، فلما جاءوا يتقاضونه أخذه، وإذا هو مملوء دراهم، فقضى منها ديونهم.

وقيل: أراد إبراهيم بن أدهم أنْ يركب السفينة فأبوا إلا أنْ يعطيهم ديناراً، فصلى على الشط ركعتين، وقال: اللهم إنهم قد سألوني ما ليس عندي، فصار الرمل بين يديه دنانير.

حدّثنا مُحمَّد بن عبد الله الصوفي قال: حدّثنا عبد العزيز بن الفَضل قال: حدّثنا مُحمَّد بن أحمد المروزي قال: حدّثنا عبد الله بن سُليمان قال: قال أبو حمزة نَصر بن الفَرج خادم أبي مُعاوية الأسود قال:

كان أبو مُعاوية ذهب بصره، فإذا أراد أنْ يقرأ نشر المصحف فيرد الله عليه بصره، فإذا أطبق المصحف ذهب بصره..

وقال أحمد بن الهيثم المتطيب: قال لي بِشْر الحافي: قُل لمعروف الكرخيّ: إذا صليت جئتك؛ قال: فأديت الرسالة وانتظرته، فصلينا الظهر ولم يجيء، ثم صلينا العصر، ثم المغرب، ثم العشاء، فقلت في نفسي: سُبحان الله مثلُ بشرٍ يقول شيئاً ثم لا يفعل!! لا يجوز أنْ لا يفعل!! وانتظرته وأنا فوق مسجد على مَشْرعة[1]، فجاء بِشر بعد هوى من الليل، وعلى رأسه سجادة، فتقدم إلى دجلة ومشى على الماء، فرميت بنفسي من السطح، وقبلت يديه ورجليه، وقلت: ادع الله لي، فدعا لي، وقال: استره عليّ. قال: فلم أتكلم بهذا حتى مات.

سمعت أبا عبد الله الشيرازيّ قال: حدّثنا أبو الفرج الورثاني قال: سمعت عليّ بن يعقوب بدمشق قال: سمعت أبا بكر مُحمَّد بن أحمد يقول: سمعت قاسماً الجرعيّ يقول:

رأيت رجلاً في الطواف لا يزيد على قوله: إلهي، قضيت حوائج الكل ولم تقض حاجتي..

---

(١) المشرعة: المواضع التي يُنحدر منها إلى الماء. كذلك الشريعة: مورد الماء.

فقلت: ما لك لا تزيد على هذا الدعاء؟

فقال: أحَدِّثك.. اعلم أنا كنا سبعة أنفس من بلدان شتى، فخرجنا إلى الجهاد، فأسرَنا الروم، ومضوا بنا لنقتل؛ فرأيت سبعة أبواب فتحت من السماء وعلى كل باب جارية حسناء من الحور العين، فقدم واحد منا فضربت عنقه، فرأيت جارية منهن هبطت إلى الأرض وبيدها منديل فقبضت روحه حتى ضُربت أعناق ستة منا، فاستوهبني بعض رجالهم، فقالت الجارية: أيُّ شيء فاتك يا محروم!! وغلَّقت الأبواب؛ فأنا يا أخي متأسف متحسّر على ما فاتني..

قال قاسم الجرعيّ:

أراه أفضلهم، لأنه رأى ما لم يروا.. وعمل على الشوق بعدهم.

وسمعته يقول: سمعت أبا النجم أحمد بن الحُسين «بخورستان»[1] يقول: سمعت أبا بكر الكتاني يقول:

كنت في طريق مكة في وسط السنة، فإذا أنا «بهميان»[2] ملآن يلتمع دنانير، فهممت أنْ أحمله لأفرقه على فقراء مكة، فهتف بي هاتف: إنْ أخذته سلبناك فقرك.

حدّثنا مُحمَّد بن مُحمَّد بن عبد الله الصوفي قال: حدّثنا أحمد بن يُوسف الخيَّاط قال: سمعت أبا علي الرُّوذباري يقول: سمعت العبَّاس الشرقي يقول:

كنا مع أبي تُراب النخشبيّ في طريق مكة، فعدل على الطريق إلى ناحية فقال له بعض أصحابه: أنا عطشان. فضرب برجله إلى الأرض فإذا عين من ماء زلال، فقال الفتى: أحبّ أنْ أشربه في قدح، فضرب بيده إلى الأرض فناوله قدحاً من زجاج أبيض كأحسن ما رأيت، فشرب وسقانا، وما زال القدح معنا إلى مكة فقال لي أبو تُراب يوماً: ما يقول أصحابك في هذه الأمور التي يكرم الله بها عباده؟

فقلت: ما رأيت أحداً إلا وهو يؤمن بها.

فقال: من لم يؤمن بها فقد كفر، إنما سألتك من طريق الأحوال.

فقلت: ما أعرف لهم قولاً فيه.

قال: بلى، قد زعم أصحابك أنها خدع من الحقّ وليس الأمر كذلك، إنما الخدع في حال السكون إليها، فأمَّا من لم يقترح ذلك، ولم يساكنها فتلك مرتبة الرَّبانيين.

حدّثنا مُحمَّد بن عبد الله الصوفي قال: حدّثنا أبو الفرج الورثاني قال: سمعت مُحمَّد بن الحسين الخلديّ بطرسوس قال: سمعت أبا عبد الله بن الجلاَّء يقول:

---

(١) خوزستان: اسم لجميع بلاد الخوز. معجم البلدان ٢/ ٤٠٤.

(٢) الهميان: الكيس. وقيل: المنطقة والتكة.

كنا في غرفة سريّ السقطي ببغداد، فلما ذهب من الليل شيء لبس قميصاً نظيفاً وسراويل ورداء ونعلاً، وقام ليخرج؛ فقلت: إلى أين في هذا الوقت؟ فقال: أعود فتحاً الموصليّ.

فلما مشى في طرقات بغداد أخه العَسس[1] وحبسوه، فلما كان من الغد أمر بضربه مع المحبوسين، فلما رفع الجلاد يده ليضربه وقفت يده فلم يقدر أنْ يحركها فقيل للجلّاد: اضرب!!

فقال: بحذائي شيخ واقف يقول لي: لا تضربه، فتقف يدي لا تتحرك.

فنظروا من الرجل، فإذا هو فتح الموصلي؛ فلم يضربوه.

أخبرنا الشيخ أبو عبد الرَّحمن السلمي قال: حدّثنا الحارث الخطابي قال: حدّثنا مُحمَّد بن الفَضل قال: حدّثنا عليّ بن مُسلم قال: حدّثنا سعيد بن يَحيى البصريّ قال:

كان أناس من قريش يجلسون إلى عبد الواحد بن زيد، فأتوه يوماً وقالوا: إنا نخاف من الضيقة والحاجة!! فرفع رأسه إلى السماء وقال: اللهم إني أسألك باسم المرتفع الذي تكرم به من شئت من أوليائك، وتلهمه الصفي من أحبابك أنْ تأتينا برزق من لدنك تقطع به علائق الشيطان من قلوبنا وقلوب أصحابنا هؤلاء فأنت الحنّان المنّان القديم الإحسان، اللهم الساعة، الساعة.

قال: فسمعت والله قعقعة للسقف، ثم تناثرت علينا دنانير ودراهم، فقال عبد الواحد بن زيد: استغنوا بالله عزّ وجلّ عن غيره، فأخذوا ذلك، ولم يأخذ عبد الواحد بن زيد شيئاً.

سمعت أبا عبد الله الشيرازي يقول: سمعت أبا عبد الله مُحمَّد بن عليّ الجوزيّ بـ «جند يسابور»[2] قال: سمعت الكتاني يقول:

رأيت بعض الصوفية، وكان غريباً ما كنت أثبته قد تقدّم إلى الكعبة وقال: يا ربّ ما أدري ما يقول هؤلاء! ـ يعني الطائفين ـ فقيل له: انظر ما في هذه الرقعة. قال: فطارت الرقعة في الهواء وغابت.

وسمعته يقول: سمعت عبد الواحد بن بكر الورثاني يقول: سمعت مُحمَّد بن عليّ بن الحُسين المقريء بـ «طرسوس» يقول: سمعت أبا عبد الله بن الجلاَّء يقول:

اشتهت والدتي على والدي يوماً من الأيام سمكاً، فمضى والدي إلى السوق وأنا معه، فاشترى سمكاً، ووقف ينتظر من يحمله، فرأى صبياً وقف بحذائه مع صبي فقال: يا عم، تريد من يحمله؟ فقال: نعم، فحمله ومشى معنا، فسمعنا الأذان، فقال الصبيّ: أذّنَ

(١) العسس: مفردها عس وهو من يطوف بالليل يحرس الناس، ويكشف عن أهل الريبة.

(٢) جند يسابور: مدينة بخوزستان بناها سابور بن أردشير فنسبت إليه. معجم البلدان ٢/ ١٧٠.

المؤذن، وأحتاج أنْ أتطهر وأصلي، فإنْ رضيت، وإلا فاحمل السمك، ووضع الصبي السمك ومرّ.

فقال أبي: فنحن أولى أنْ نتوكل في السمك. فدخلنا المسجد فصلينا، وجاء الصبيّ وصلى، فلما خرجنا فإذا بالسمك موضوع مكانه، فحمله الصبي ومضى معنا إلى دارنا.

فذكر والدي ذلك لوالدتي، فقالت: قل لي حتى يقيم عندنا ويأكل معنا، فقلنا له، فقال: إني صائم. فقلنا: فتعود إلينا بالعشيّ، فقال: إذا حملت مرّة في اليوم لا أحمل ثانياً، ولكني سأدخل المسجد إلى المساء، ثم أدخل عليكم، فمضى..

فلما أمسينا دخل الصبي، وأكلنا، فلما فرغنا دللناه على موضع الطهارة، ورأينا فيه أنه يؤثر الخلوة، فتركناه في بيت، فلما كان في بعض الليل وكان لقريب لنا بنتُ زمنة، فجاءت تمشي، فسألناها عن حالها، فقالت: قلت يا رب بحرمة ضيفنا أنْ تعافيني، فقمت. قالت: فمضينا لنطلب الصبي، فإذا الأبواب مغلقة كما كانت، ولم نجد الصبيّ. فقال أبي: فمنهم صغير، ومنهم كبير.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين يقول: حدّثنا أبو الحارث الخطابي قال: حدّثنا مُحمَّد بن الفضل قال: حدّثنا عليّ بن مسلم قال: حدّثنا سعيد بن يَحيى البصريّ قال:

أتيت عبد الواحد بن زيد وهو جالس في ظلّ، فقلت له: لو سألتَ الله أنْ يوسع عليك الرزق لرجوت أنْ يفعل: فقال: ربي أعلم بمصالح عباده، ثم أخذ حصى من الأرض، ثم قال: اللهم إنْ شئت أنْ تجعلها ذهباً فعلت، فإذا هي والله في يده ذهب، فألقاها إليّ وقال: أنفقها أنت فلا خير في الدنيا إلا للآخرة.

سمعت مُحمَّد بن عبد الله الصوفي يقول: سمعت الحُسين بن أحمد الفارسيّ يقول: سمعت الرِّقي يقول: سمعت أحمد بن مَنصور يقول:

قال لي أستاذي أبو يَعقوب السوسيّ: غسلتُ فريداً فأمسك إبهامي وهو على المغتسل. فقلت: يا بني خلّ يدي؛ أنا أدْري أنك لست بميت، وإنما هي نقلة من دار إلى دار.. فخلى يدي..

وسمعته يقول: سمعت أبا بكر أحمد بن مُحمَّد الطرسوسيّ يقول: سمعت إبراهيم بن شَيبان يقول:

صحبني شاب حسن الإرادة، فمات، فاشتغل قلبي به جدًّا، وتوليت غسله، فلما أردت غسل يديه بدأت بشماله من الدهشة، فأخذها مني وناولني يمينه فقلت: صدقت يا بني، أنا غلطت.

وسمعته يقول: سمعت أبا النجم المقريء البرذعي بشيراز يقول: سمعت الرّقي يقول: سمعت أحمد بن مَنصور يقول: سمعت أبا يعقوب السوسيّ يقول:

جاءني مريد بمكة فقال: يا أستاذ، أنا غداً أموت وقت الظهر؛ فخذ هذا الدينار فاحفر لي بنصفه، وكفني بنصفه الآخر، ثم لما كان الغد جاء وطاف بالبيت، ثم تباعد ومات، فغسلته، وكفّنته ووضعته في اللحد[١]، ففتح عينيه، فقلت: أحياة بعد موت؟! فقال: أنا حيّ، وكل محبٍّ لله حيّ.

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السلمي يقول: سمعت مُحمَّد بن الحُسين البغدادي يقول: سمعت أبا عليّ بن وصيف المؤدب يقول:

تكلم سهل بن عبد الله يوماً في الذكر فقال: إنَّ الذاكر لله على الحقيقة لو همّ أنْ يحيي الموتى لفعل، ومسح يده على عليلٍ بين يديه، فبريء، وقام.

سمعت أبا عبد الله الشيرازي يقول: أخبرني عليّ بن إبراهيم بن أحمد قال: حدّثنا عُثمان بن أحمد قال: حدّثنا الحُسين بن عُمر قال: سمعت بِشْر بن الحارث يقول:

كان عَمرو بن عُتبة يصلي والغمام فوق رأسه، والسباع حوله تحرك أذنابها.

وسمعته يقول: سمعت أبا عبد الله بن مفلح يقول: سمعت المغازلي يقول: سمعت الجُنيد يقول:

كانت معي أربعة دراهم فدخلت على السري وقلت: هذه أربعة دراهم حملتها إليك، فقال: أبْشِر يا غلام بأنك تُفلح؛ كنت أحتاج إلى أربعة دراهم؛ فقلت: «اللهم ابعثها على يد من يفلح عندك».

وسمعته يقول: حدثني إبراهيم بن أحمد الطبري قال: حدّثنا أحمد بن يُوسف قال: حدّثنا أحمد بن إبراهيم بن يحيى قال: حدّثني أبي قال: حدّثني أبو إبراهيم اليماني قال:

خرجنا نسير على ساحل البحر مع إبراهيم بن أدهم فانتهينا إلى «غيضة»[٢] فيها حطب يابس كثير، وبالقرب منه حصن، فقلنا لإبراهيم بن أدهم: لو أقمنا الليلة هاهنا وأوقدنا من هذا الحطب؟ فقال: افعلوا فطلبنا النار من الحصن. فأوقدنا، وكان معنا الخبز فأخرجنا نأكل، فقال واحد منا: ما أحسن هذا الجمر، لو كان لنا لحم نشويه عليه؟! فقال إبراهيم بن أدهم: إنَّ الله تعالى لقادر على أنْ يطعمكموه. قال: فبينا نحن كذلك إذا بأسد يطرد «إيَّلا»[٣] فلما قرب منا وقع، فاندقت عنقه، فقام إبراهيم بن أدهم وقال: اذبحوه، فقد أطعمكم الله. فذبحناه.. وشوينا من لحمه والأسد واقف ينظر إلينا.

---

(١) اللحد: شق يكون في جدار القبر، يوضع فيه الميت (ج) لحود.

(٢) الغيضة: الشجر الكثير الملتف.

(٣) الأيِّل: الوعل أو ذكر الأوعال (ج) أيايل (والأنثىء بالهاء): جنس من ذوات الظلف، لذكورها قرون متشعبة مصمتة لا تجويف فيها.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين يقول: سمعت أبا القاسم عبد الله بن عليّ الشجريّ يقول: سمعت حَامداً الأسود يقول:

كنت مع إبراهيم الخوَّاص في البادية سبعة أيام على حالة واحدة، فلما كان السابع ضعفت، فجلست، فالتفت إلي وقال: مالك؟ فقلت: ضعفت!! فقال: أيما أغلب عليك: الماء أو الطعام؟ فقلت: الماء، فقال: الماء وراءك.

فالتفت فإذا عين ماء كاللبن الحليب، فشربت وتطهرت، وإبراهيم ينظر ولم يقربه.

فلما أردت القيام هممت أنْ أحمل منه، فقال: أمسك؛ فإنه ليس مما يتزود منه.

سمعت أبا عبد الله بن عبد الله يقول: سمعت أبا عبد الله الدبَّاس البغداديّ يقول: سمعت فاطمة أخت أبي علي الروذباري يقول: سمعت زيتونة خادمة أبي الحُسين النوري ـ وكانت تخدمه، وخدمت أبا حمزة، والجُنيد ـ قالت:

كان يوم بارد، فقلت للنوري: أحمل إليك شيئاً؟ فقال: نعم، فقلت: ماذا تريد؟ قال: خبز ولبن، فحملت، وكان بين يديه فحم، وكان يقلبها بيده وقد اشتغلت يده، فأخذ يأكل الخبز واللبنُ يسيل على يده وعليها سواد الفحم، فقلت في نفسي: ما أقذر أولياءك يا رب!! ما فيهم أحد نظيف!! قالت: فخرجت من عنده، فتعلقت بي امرأة وقالت: سرقت لي رزمةَ ثياب وجروني إلى الشرطيّ، فأخبر النوري بذلك، فخرج وقال للشرطي: لا تتعرضوا لها؛ فإنها وليّة من أولياء الله تعالى، فقال الشرطي: كيف أصنع والمرأة تدّعي؟!

قال: فجاءت جارية ومعها الرزمة المطلوبة، فاستردّ النوري المرأة، وقال لها: تقولين بعد هذا ما أقذر أولياءك، قالت: فقلت قد تبت إلى الله تعالى.

سمعت مُحمَّد بن عبد الله الشيرازي يقول: سمعت مُحمَّد بن فارس الفارسيّ يقول: سمعت أبا الحسن خيراً النسَّاج يقول: سمعت الخوَّاص يقول:

عطشت في بعض أسفاري، وسقطت من العطش فإذا أنا بماء رُشَّ على وجهي ففتحت عيني فإذا برجل حسن الوجه راكب دابة شهباء، فسقاني الماء، وقال: كن رديفي[1]، وكنت بالحجاز فما لبثت إلاَّ يسيراً، فقال لي: ما ترى؟ فقلت: أرى المدينة، فقال: انزل واقريء رسول الله ﷺ مني السلام، وقل: أخوك الخضر يقرئك السلام.

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السلمي يقول: سمعت مُحمَّد بن الحسن البغدادي يقول: قال أبو الحديد: سمعت المظفر الجصّاص يقول:

كنت أنا ونَصر الخرَّاط ليلة في موضع فتذاكرنا شيئاً من العلم، فقال الخرَّاط: إنَّ

(١) الرديف: الراكب خلف الراكب. أو: كل تابع لشيء (ج) ردفاء.

الذاكر لله تعالى فائدته في أول ذكره أنْ يعلم أنَّ الله تعالى ذكره فبِذكر الله تعالى ذكرهُ. قال فخالفته، فقال: لو كان الخضر عليه السلام هاهنا لشهد بصحته. قال: فإذا نحن بشيخ يجيء بين السماء والأرض حتى بلغ إلينا وسلم وقال: صدق الذاكرُ لله تعالى بفضل ذكر الله تعالى له ذكره، فعلمنا أنه الخضر، عليه السلام.

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقَّاق يقول:

جاء رجل إلى سهل بن عبد الله وقال: إنَّ الناس يقولون إنك تمشي على الماء. فقال: سَلْ مؤذِّن المحلة، فإنه رجل صالح لا يكذب. قال: فسألته، فقال المؤذن: لا أدري هذا!! ولكنه كان في بعض هذه الأيام نزل الحوض ليتطهر فوقع في الماء فلو لم أكن لبقي فيه.

قال الأستاذ أبو عليّ الدقَّاق:

إنَّ سهلاً كان بتلك الحالة التي وصف بها، ولكن الله سُبحانه يريد أنْ يستر أولياءه فأجرى ما وقع من حديث المؤذن والحوض ستراً لحال سهل، وسهل كان صاحب الكرامات.

وفي قريب من هذا المعنى ما حكي عن أبي عُثمان المغربيّ قال:

رأيته بخط أبي الحُسين الجرجاني قال: أردت مرة أنْ أمضي إلى مصر، فخطر لي أنْ أركب السفينة، ثم خطر ببالي أني أعرف هناك، فخفت الشهرة، فمرّ المركب فبدا لي، فمشيت على الماء ولحقت بالمركب ودخلت السفينة والناس ينظرون، ولم يقل أحد إنَّ هذا ناقض للعادة أو غير ناقض، فعرفت أنَّ الولي مستور وإنْ كان مشهوراً.

ومما شاهدنا من أحوال الأستاذ أبي عليّ الدقَّاق، رضي الله عنه، معاينة أنه كان به علة حرقة البول، وكان يقوم في ساعة غير مرة، حتى كان يجدد الوضوء غير مرة لركعتي فرض، وكان يحمل معه قارورة في طريق المجلس، وربما كان يحتاج إليها في الطريق مرات ذاهباً وجائياً، وكان إذا قعد على رأس الكرسي يتكلم لا يحتاج إلى الطهارة ولو امتد به المجلس زماناً طويلاً، وكنا نعاين ذلك منه سنين، ولم يقع لنا في حياته أنَّ هذا شيء ناقض للعادة، وإنما وقع لي هذا وفتح عليَّ علمه بعد وفاته.

وفي قريب من هذا ما يحكى عن سهل بن عبد الله أنه كان قد أصابته زمانة في آخر عمره، فكان ترد عليه القوة في أوقات الفرض فيصلي قائماً.

ومن المشهور أنَّ عبد الله الوزَّان كان مقعداً، وكان في السماع إذا ظهر به وجد يقوم ويستمع.

سمعت مُحمَّد بن عبد الله الصوفي يقول: حدّثنا إبراهيم بن مُحمَّد المالكي قال: حدّثنا يُوسف بن أحمد البغدادي قال: حدّثنا أحمد بن أبي الحوارى قال:

حججت أنا وأبو سُليمان الداراني، فبينا نحن نسير إذا سقطت السطيحة[1] مني، فقلت لأبي سُليمان: فقدت السطيحة. وبقينا بلا ماء، وكان برد شديد، فقال أبو سُليمان: يا راد الضلة.. ويا هادياً من الضلالة اردد علينا الضالة، فإذا واحد ينادي: من ذهبت له سطيحة؟ قال: فقلت: أنا.. فأخذتها، فبينا نحن نسير وقد تدَرَّعنا بالفراء من شدة البرد فإذا نحن بإنسان عليه طِمْران وهو يترشح عرقاً، فقال أبو سُليمان: تعالى ندفع إليك شيئاً مما علينا من الثياب، فقال: يا أبا سليمان أتشير إليّ بالزهد وأنت تجد البرد؟ أنا أسيح في هذه البرية منذ ثلاثين سنة ما انتفضت، ولا ارتعدت، يلبسني الله في البرد قيحاً من محبته، ويلبسني في الصيف مذاق برد محبته.. ومرَّ.

وسمعته يقول: سمعت أبا بكر مُحمَّد بن عليّ التكريتيّ يقول: سمعت مُحمَّد بن عليّ الكتاني بمكة يقول: سمت الخوَّاص يقول: كنت في البادية مرة، فسرت في وسط النهار، فوصلت إلى شجرة، وبالقرب منها ماء، فنزلت، فإذا بسبع عظيم أقبل، فاستسلمت، فلما قرب مني إذا هو يعرج، فحمحم وبرك بين يدي، ووضع يده في حجري، فنظرت فإذا يده منتفخة فيها قيح ودم، فأخذت خشبة وشققت الموضع الذي فيه القيح، وشددت على يده خرقة، ومضى، فإذا أنا به بعد ساعة ومعه شبلان[2] يبصبصان لي، وحملا إلي رغيفاً.

وسمعته يقول: حدّثنا أحمد بن عليّ السائح قال: حدّثنا مُحمَّد بن عبد الله بن مطرف قال: حدّثنا مُحمَّد بن الحُسين العسقلاني قال: حدّثنا أحمد بن أبي الحواري قال: اشتكى مُحمَّد بن السّماك، فأخذنا ماءه وانطلقنا به إلى الطبيب، وكان نصرانياً.

قال: فبينا نحن نسير بين «الحيرة» و«الكوفة» استقبلنا رجل حسن الوجه، طيب الرائحة، نقي الثوب، فقال لنا: إلى أين تريدان؟ فقلنا: نريد فلاناً الطبيب نريه ماء ابن السّماك.

فقال: سُبحان الله!! تستعينون على وليّ الله بعدوّ الله!!.. اضربوا به الأرض، وارجعوا إلى ابن السّماك وقولوا له: ضع يدك على موضع الوجع وقل: «وبالحق أنزلناه وبالحق نزل» ثم غاب عنا فلم نره.

فرجعنا إلى ابن السّماك فأخبرناه بذلك، فوضع يده على موضع الوجع وقال ما قال الرجل، فعوفي في الوقت، فقال: كان ذلك الخضر عليه السَّلام.

سمعت مُحمَّد بن الحُسين يقول: سمعت عبد الرَّحمن بن مُحمَّد الصوفي يقول:

---

(١) السطيحة: المزادة التي من أديمين قوبل أحدهما بالآخر، وتكون صغيرة وتكون كبيرة أو مزادة تكون من جلدين.

(٢) الشِّبل: ولد الأسد إذا أدرك الصيد (ج) أشبال وأشبل وشبول وشبال.

سمعت عمي البسطاميّ يقول: كنا قعوداً في مجلس أبي يزيد البسطاميّ، فقال: قوموا بنا نستقبل ولياً من أولياء الله تعالى. فقمنا معه، فلما بلغنا الدرب فإذا إبراهيم بن شيبة الهرويّ، فقال له أبو يزيد: وقع في خاطري أنْ أستقبلك، وأشفع لك إلى ربّي. فقال إبراهيم بن شيبة: ولو شفعت في جميع الخلق لم يكن بكثير، إنما هم قطعة طين!! فتحير أبو يزيد من جوابه.

قال الأستاذ: وكرامة إبراهيم في استصغار ذلك أتم من كرامة أبي يزيد فيما حصل له من الفراسة، وصدق له من الحالة في باب الشفاعة.

سمعت الشيخ أبا عبد الرّحمن السلميّ يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت يُوسف بن الحُسين يقول: سمعت ذا النُّون المصريّ يقول وقد سأله سالم المغربي عن أصل توبته، فقال: خرجت من مصر إلى بعض القرى، فنمت في الطريق، ثم انتبهت، وفتحت عيني، فإذا أنا بقنبرة عمياء سقطت من شجرة على الأرض، فانشقت الأرض، فخرج منها «سكرجتان» إحداهما من ذهب، والأخرى من فضة، وفي إحداهما سمسم، وفي الأخرى ماء ورد فأكلت من هذه، وشربت من هذه فقلت: حسبي.. تبت، ولزمت الباب إلى أن قبلني..

وقيل: أصاب عبد الواحد بن زيد «فالج»[1] فدخل وقت الصلاة واحتاج إلى الوضوء، فقال: من هاهنا، فلم يجبه أحد فخاف فوت الوقت، فقال: يا رب أحللني من وثاقي؛ حتى أقضي طهارتي، ثم شأنك وأمرك. قال: فَصَح، حتى أكمل طهارته، ثم عاد إلى فراشه، وصار كما كان.

وقال أبو أيُّوب الحمال: كان أبو عبد الله الديلميّ إذا نزل منزلاً في سفر عمد إلى حماره وقال في أذنه: كنت أريد أنْ أشدّك، فالآن لا أشدّك، وأرسلك في هذه الصحراء؛ لتأكل الكلأ[2]، فإذا أردنا الرحيل فتعال.. فإذا كان وقت الرحيل يأتيه الحمار.

وقيل: زوج أبو عبد الله الديلميّ ابنته، واحتاج إلى ما يجهزها به، وكان له ثوب يخرج به كل وقت فيُشترى بدينار، فخرج له ثوب، فقال له البياع: إنه يساوي أكثر من دينار، فلم يزالوا يزيدون في ثمنه حتى بلغ مائة دينار، فجهزها..

وقال النَّضر بن شُميل[3]: ابتعت إزاراً فوجدته قصيراً فسألت ربي تعالى أنْ يمخط لي

---

(١) الفالج: شلل يُصيب أحد شقي البدن وربما كان من الشقين ويحدث بغتة فيبطل إحساس الشق وحركته.

(٢) الكلأ: العشب رطبه ويابسه (ج) أكلاء.

(٣) النضر بن شميل بن خرشة بن يزيد المازني التميمي أبو الحسن. أحد الأعلام بمعرفة أيام العرب، ورواية الحديث، وفقه اللغة. ولد بمرو سنة (١٢٢ هـ ـ ٧٤٠ م)، وانتقل إلى البصرة مع أبيه فأقام زمناً، وعاد إلى مرو فولي قضاءها، واتصل بالمأمون العباسي فأكرمه وقربه، وتوفي بمرو سنة (٢٠٣ هـ ـ ٨١٩ م)،

ذرعاً، ففعل (يمغط: أي يمد، من مغط القوس، وهو «مدة») قال النَّضر بن شُميل: ولو استزذته لزادني.

وقيل: كان عامر بن عبد قيس سأل أنْ يهوّن عليه طهوره في الشتاء؛ فكان يؤتى به وله بخار، وسأل ربه أن ينزع شهوة النساء من قلبه فكان لا يبالي بهن، وسأله أنْ يمنع الشيطان من قلبه وهو في صلاته فلم يجبه إليه.

وقال بِشْر بن الحارث: دخلت الدار فإذا أنا برجل، فقلت: من أنت؟ دخلت داري بغير إذني، فقال: أخوك الخضر. فقلت: ادع الله لي. فقال: هوّن الله عليك طاعته؛ فقلت: زدني، فقال: وسترها عليك.

وقال إبراهيم الخوَّاص: دخلت خربة[1] في بعض الأسفار في طريق مكة ؛ فإذا فيها سبع عظيم، فخفت، فهتف بي هاتف: اثبت؛ فإنَّ حولك سبعين ألف ملك يحفظونك.

أخبرنا مُحمَّد بن الحُسين قال: أخبرنا أبو الفَرج الورثاني قال: سمعت أبا الحسن عليّ بن مُحمَّد الصيرفيّ يقول: سمعت جَعفراً الدبيلي يقول: دخل النوري الماء فجاء لص فأخذ ثيابه، ثم إنه جاء ومعه الثياب وقد جفت يده؛ فقال النوري: قد ردّ علينا الثياب فرُدَّ عليه يده. فعوفي.

وقال الشِّبلي: اعتقدت وقتاً أنْ لا آكل إلا من الحلال، فكنت أدور في البراري، فرأيت شجرة تين، فمددت يدي إليها لآكل، فنادتني الشجرة: إحفظ عليك عقدك، لا تأكل مني فإني ليهوديّ.

وقال أبو عبد الله بن خفيف: دخلت بغداد قاصداً إلى اللج[2] وفي رأسي نخوة الصوفية، ولم آكل الخبز أربعين يوماً، ولم أدخل على الجُنيد، وخرجت ولم أشرب الماء إلى «زُبالة»[3]، وكنت على طهارتي، فرأيت ظبياً[4] على رأس البئر وهو يشرب، وكنت عطشان، فلما دنوت من البئر ولى الظبي، وإذا الماء في أسفله.. فمشيت وقلت: يا سيدي، ما لي محل هذا الظبي؟!

= من كتبه «الصفات» و «غريب الحديث» وغيرهما. الأعلام ٨/ ٣٣، والوفيات ٥/ ٣٩٧، وشذرات الذهب ٢/ ٧.

(١) الخربة: الموضع الخرب (ج) خرب.

(٢) اللج: معظم الماء حيث لا يُدرك قعره.

(٣) زبالة: منزل معروف بطريق مكة من الكوفة وهي قرية عامرة بها أسواق بين واقصة والثعلبية وقيل: هي بعد القاع من الكوفة وقبل الشقوق. معجم البلدان ٣/ ١٢٩.

(٤) الظبي: جنس حيوانات من ذوات الأظلاف والمجوّفات القرون، من فصيلة البقريات أشهرها الظبي العربي (ج) ظباء، وأظب، وظبي.

فسمعت من خلفي: جربناك فما صبرت!! ارجع وخُذ الماء..

فرجعت، فإذا البئر ملأى ماء، فملأت ركوتي وكنت أشرب منه وأتطهر إلى المدينة، ولم

ولما استقيت سمعت هاتفاً يقول: إنَّ الظبي جاء بلا ركوة ولا حبل، وأنت جئت مع الركوة والحبل!! فلما رجعت من الحج دخلت الجامع، فلما وقع بصر الجُنيد عليّ قال: لو صبرت لنبع الماء من تحت رجلك، لو صبرت صبر ساعة!

سمعت حمزة بن يُوسف السهميّ الجرجاني يقول: سمعت أبا أحمد بن عليّ الحافظ يقول: سمعت أحمد بن حمزة بمصر يقول: حدثني عبد الوهَّاب - وكان من الصالحين - قال: قال مُحمَّد بن سعيد البصريّ: بينا أنا أمشي في بعض طرق البصرة إذ رأيت أعرابياً يسوق جملاً، فالتفتُ فإذا الجمل قد وقع ميتاً، ووقع الرحل والقتب[1]، فمشيت ثم التفتت فإذا الأعرابي يقول: يا مسبب كلّ سبب، ويا مولى من طلب، ردّ عليّ ما ذهب من جمل يحمل الرحل والقتب، فإذا الجمل قائم والرحل والقتب فوقه.

وقيل: إنَّ شبلاً المروذيّ اشتهى لحماً فأخذه بنصف درهم، فاستلبته منه حدأة[2] في الطريق، فدخل شبل مسجداً ليصلي، فلما رجع إلى منزله قدمت امرأته إليه لحماً، فقال: من أين هذا؟ فقالت: تنازعت حدأتان، فسقط هذا منهما، فقال شِبَل: الحمد لله الذي لم ينس شبلاً، وإن كان شبلٌ كثيراً ينساه.

أخبرنا مُحمَّد بن عبد الله الصوفي قال: حدّثنا عبد الواحد بن بكر الورثانيّ قال: سمعت مُحمَّد بن داود يقول: سمعت أبا بكر بن مَعْمر يقول: سمعت ابن أبي عُبيد البسري يحدّث عن أبيه أنه غزا سنة من السنين، فخرج في السرية، فمات المهر الذي كان تحته وهو في السرية، فقال: يا رب، أعرناه حتى نرجع إلى «بُسرى» يعني: «قريته»، فإذا المهر قائم، فلما غزا ورجع إلى «بُسرى» قال: يا بني، خذ السِرج عن المهر، فقلت: إنه عَرِقَ فإن أخذتُ السرج عنه داخله الريح، فقال: يا بني، إنه عاريه، قال: فلما أخذتُ السرج عنه وقع المهر ميتاً.

وقيل: كان بعضهم نباشاً، فتوفيت امرأةٌ، فصلى الناس عليها وصلي هذا النباش؛ ليعرف القبر، فلما جنَّ عليه الليل نبش قبرها، فقالت: سُبحان الله، رجل مغفور له يأخذ كفن امرأة مغفور لها؟! قال: هبي أنك مغفور لك، فأنا من أين؟! فقالت: إنَّ الله تعالى غفر لي ولجميع من صلى عليّ، وأنت قد صليت عليَّ. قال: فتركتها، ورددتُ التراب عليها، ثم تاب الرجل وحسنت توبته.

---

(١) القتب: الرَّحل الصغير على قدر سنام البعير (ج) أقتاب.

(٢) الحِدأة: طائر من الجوارح من فصيلة الصقور، ورتبة الصقريات، وجسمه متوسط رشيق، وأجنحة كبيرة طويلة، له ذنب طويل ينقض على الدواجن والجرذان والأطعمة ونحوها (ج)، حدأ، وحدآن، وحداء.

سمعت حمزة بن يُوسف يقول: سمعت أبا الحسن إسماعيل بن عَمرو بن كامل بمصر يقول: سمعت أبا محمد نُعمان بن موسى الحيريّ بالحيرة يقول: رأيت ذا النُّون المصري وقد تقاتل اثنان: أحدهما من أولياء السلطان، والآخر من الرعية، فعدا الذي من الرعية عليه، فكسر ثنيته[1]، فتعلق الجندي بالرجل وقال: بيني وبينك الأمير، فجازوا بذي النُّون، فقال لهم الناس: اصعدوا إلى الشيخ؛ فصعدوا إليه، فعرفوه ما جرى، فأخذ السن، ثم بلها بريقه، وردّها إلى فم الرجل في الموضع الذي كانت فيه، وحرّك شفتيه، فتعلقت بإذن الله تعالى، فبقي الرجل يفتش فاه، فلم يجد الأسنان إلا سواء.

حدّثنا أبو الحُسين مُحمَّد بن الحُسين القطَّان ببغداد قال: حدّثنا أبو علي إسماعيل بن مُحمَّد بن إسماعيل الصفَّار قال: حدّثنا الحُسين بن عَرفة بن يزيد قال: حدّثنا عبد الله بن إدريس الأوديّ[2]، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي سيرة النخعيّ قال: أقبل رجل من اليمن. . فلما كان في بعض الطريق نفق حماره، فقام وتوضأ، ثم صلى ركعتين، ثم قال: اللهم إني جئت مُجاهداً في سبيل ابتغاء مرضاتك، وأنا أشهد أنك تحيي الموتى وتبعث من في القبور، لا تجعل لأحد عليَّ منة، اليوم أطلب منك أنْ تبعث حماري، فقام الحمار ينفض أذنيه.

سمعت حَمزة بن يُوسف يقول: سمعت أبا بكر النابلسيّ يقول: سمعت أبا بكر الهمداني يقول: بقيت في برِّية الحجاز أياماً لم آكل شيئاً، فاشتهيت باقلاً حاراً وخبزاً من «باب الطاق»[3]؛ فقلت: أنا في البرية وبيني وبين العراق مسافة بعيدة، فلم أتمَّ خاطري إلا وأعرابي من بعيد ينادي: باقلاً حارٌ وخبز. فتقدمت إليه فقلت: عندك باقلاً حار وخبز؟ فقال: نعم. وبسط مئزراً كان عليه، وأخرج خبزاً وباقلاً، وقال لي: كُل. فأكلت، ثم قال لي: كُل. فأكلت، ثم قال لي: كُل. فأكلت. فلما قال لي في الرابعة، قلت: بحق الذي بعثك إليّ إلا ما قلت لي من أنت؟ فقال: أنا الخضر. وغاب عني فلم أره.

سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السلمي يقول: سمعت أبا العبَّاس بن الخشَّاب البغدادي يقول: سمعت مُحمَّد بن عبد الله الفرغاني يقول: سمعت أبا جعفر الحدَّاد يقول: جئت «الثعلبية»[4] وهي خراب، ولي سبعة أيام لم آكل شيئاً، فدخلت القبة، وجاء قوم خراسانيون

---

(١) الثَّنِيَّة: من الأضراس: واحدة الأربع التي في مقدم الفم، ثنتان من فوق، وثنتان من أسفل (ج) ثنايا وثنيات.

(٢) عبد الله بن إدريس الأودي الكوفي، من أعلام حفاظ القرآن، كان فاضلاً عابداً، حجة في ما يرويه، أراد الرشيد توليته القضاء فامتنع تورعاً، ووصله فرد عليه صلته. وكان مذهبه في الفتيا مذهب أهل المدينة ولد سنة (١٢٠ هـ)، وتوفي (١٩٢ هـ). الأعلام ٤/ ٧١، وشذرات الذهب ١/ ٣٣٠.

(٣) باب الطَّاق: محلة كبيرة ببغداد بالجانب الشرقي. معجم البلدان ١/ ٣٠٨.

(٤) الثعلبية: من منازل طريق مكة من الكوفة بعد الشقوق وقبل الخزيمية، وهي ثلثا الطريق. معجم البلدان ٢/ ٧٨.

أصابهم جهدٌ فطرحوا أنفسهم على باب القبة، فجاء أعرابي على راحلة وصبَّ تمراً بين أيديهم فاشتغلوا بالأكل ولم يقولوا لي شيئاً، ولم يرني الأعرابي، فلما كان بعد ساعة، فإذا بالأعرابي جاء وقال لهم: معكم غيركم؟ فقالوا: نعم، هذا الرجل داخل القبة. قال: فدخل الأعرابي، وقال لي: من أنت؟ لم لم تتكلم؟ مضيتُ، فعارضني إنسان فقال لي: قد خلفت إنساناً لم تطعمه. ولم يمكنني أنْ أمضي، فتطوَّلت على الطريق، لأني رجعت عن أميال!! وصبَّ بين يدي التمر الكثير، ومضى، فدعوتهم، فأكلوا وأكلت.

سمعت حمزة بن يُوسف يقول: سمعت أبا طاهر الرقي يقول: سمعت أحمد بن عَطاء يقول: كلمني جمل؛ في طريق مكة رأيت جمالاً والمحامل عليها، وقد مدّت أعناقها في الليل، فقلت: سُبحان من يحمل عنها ما هي فيه، فالتفت إليّ جمل وقال لي: قُل جلّ الله. فقلت: جلّ الله.

سمعت مُحمَّد بن عبد الله الصوفي يقول: سمعت الحسن بن أحمد الفارسيّ يقول: سمعت الرقيّ يقول: سمعت أبا بكر بن مَعْمر يقول: سمعت أبا ذرعة الجنبيّ يقول: مكرت بي امرأة فقالت: ألا تدخل الدار فتعود مريضاً؛ فدخلت فأغلقت الباب.. ولم أر أحداً؛ فعلمت ما فعلت، فقلت: اللهم سوّدها. فاسودّت؛ فتحيرتُ. وفتحت الباب؛ فخرجت، فقلت: اللهم ردها إلى حالها فردّها إلى ما كانت عليه.

سمعت حَمزة بن يُوسف يقول: سمعت أبا مُحمَّد الغطريفي يقول: سمعت السرَّاج يقول: سمعت أبا سُليمان الرومي يقول سمعت: خليلاً الصياد يقول: غاب ابني مُحمَّد فوجدنا عليه وجداً شديداً؛ فأتيت معروفاً الكرخي فقلت: يا أبا محفوظ، غاب ابني وأمه واجدة عليه!!

فقال: ما تشاء؟

فقلت: ادع الله أنْ يردّه.

فقال: اللهم إنَّ السماء سماؤك، والأرض أرضك.. وما بينهما لك.. أئت بمُحمَّد..

قال خليل: فأتيت باب الشام فإذا هو واقف، فقلت: أين كنت يا مُحمَّد؟ فقال: يا أبت كنت الساعة بالأنبار.

قال الأستاذ أبو القاسم: واعلم أنَّ الحكايات في هذا الباب تربو على الحصر. والزيادة على ما ذكرناه تخرجنا عن المقصود من الإيجاز: وفيما ذكرناه مَقْنع في هذا الباب.

باب رؤيا القوم

قال الله تعالى: ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ [يونس: ٦٤].

قيل: هي الرؤيا الحسنة يراها المرء، أو ترى له.

أخبرنا أبو الحسن الأهوازيّ قال: أخبرنا أحمد بن عُبيد البصريّ قال: حدّثنا إسحق بن إبراهيم المنقريّ قال: حدّثنا مَنصور بن أبي مُزاحم قال: حدّثنا أبو بكر بن عيَّاش، عن عاصم، عن أبي صالح، عن أبي الدرداء قال: «سألت النبيّ ﷺ عن هذه الآية: ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ قال ﷺ: «**ما سألني عنها أحد قبلك. هي الرؤيا الحسنة يراها المرء، أو ترى له**»[1].

أخبرنا السيد أبو الحسن مُحمَّد بن الحُسين العلويّ قال: أخبرنا أبو عليّ الحسن بن مُحمَّد زيد قال: حدّثنا عليّ بن الحُسين قال: حدّثنا عبد الله بن الوليد، عن سُفيان، عن يَحيى بن سعيد، عن أبي سَلمة، عن أبي قتادة قال: قال رسول الله ﷺ: «**الرؤيا من الله، والحلم من الشيطان؛ فإذا رأى أحدكم رؤيا يكرهها فليتفل عن يساره، وليتعوذ؛ فإنها لن تضرّه**»[2].

أخبرنا أبو بكر مُحمَّد بن أحمد عبدوس المزكي قال: حدّثنا أبو أحمد حمزة بن العبَّاس البزَّار قال: حدّثنا عيَّاش بن مُحمَّد بن حاتم قال: حدّثنا عبد الله بن موسى قال: حدّثنا إسرائيل، عن أبي إسحق، عن أبي الأحوص وأبي عُبيدة، عن عبد الله بن مَسعود قال: قال رسول الله ﷺ:

«**من رآني في المنام فقد رآني؛ فإنَّ الشيطان لايتمثل في صورتي**»[3].

ومعنى الخبر: أنَّ تلك الرؤيا صدق، وتأويلها حق، وأنَّ الرؤيا نوع من أنواع الكرامات، وتحقيق الرؤيا خواطر ترد على القلب، وأحوال تتصور في الوهم إذا لم يستغرق النوم جميع الإستشعار، فيتوهم الإنسان عند اليقظة أنه كان رؤية في الحقيقة، وإنما كان ذلك تصوراً وأوهاماً للخلق تقررت في قلوبهم، وحين زال عنهم الإحساس الظاهر تجردت تلك الأوهام عن المعلومات بالحس والضرورة فقويت تلك الحالة عند صاحبها، فإذا استيقظ ضعفت تلك الأحوال التي تصوَّرها بالإضافة إلى حال إحساسه بالمشاهدات وحصول العلوم الضرورية، ومثاله: كالذي يكون في ضوء السِّراج عند اشتداد الظلمة، فإذا طلعت

---

(١) أخرجه البخاري (بقير ٢، ٤)، وابن ماجة (رؤيا، ١)، والدارمي (رؤيا، ٦)، والموطأ (رؤيا، ١)، وأحمد بن حنبل ٣، ١٢٦، ١٣٥، ١٤٩، ٢٥٧، ٥، ٥٠، ٤٥٤.

(٢) أخرجه البخاري (تعبير ٣، ٤، ١٠، ١٤)، (بدء الخلق، ١١)، (طب، ٣٩)، ومسلم (رؤيا، ٢٠١)، وأبو داود (أدب، ٨٨)، والترمذي (رؤيا، ٥)، وابن ماجة (رؤيا، ٤)، والدارمي (رؤيا، ٥)، والموطأ (رؤيا، ٤)، وأحمد بن حنبل ٥، ٢٩٦، ٣٠٠، ٣٠٥، ٣١٠.

(٣) أخرجه البخاري (علم، ٣٨)، (تعبير، ١٠)، ومسلم (رؤيا، ١١)، وأبو داود (أدب، ٨٨)، والترمذي (رؤيا، ٤، ٧)، وابن ماجة (رؤيا، ٢)، والدارمي (رؤيا، ٤)، وأحمد بن حنبل ٢، ٢٣٢، ٢٦١، ٣٤٢، ٤١٠، ٤١١، ٤٢٥، ٤٦٣، ٤٦٩، ٤٧٢، ٥، ٣٠٦، ٦، ٣٩٤.

الشمس عليه غلبت ضوء السراج. فيتقاضر نور السِّراج بالإضافة إلى ضياء الشمس، فمثال حال النوم كمن هو في ضوء السِّراج، ومثال المستيقظ كمن تعالى عليه النهار؛ فإنَّ المستيقظ يتذكر ما كان متصوّراً له في حال نومه.

ثم إنَّ الأحاديث والخواطر التي كانت ترد على قلبه في حال نومه مرة تكون من قِبل الشيطان، ومرّة من هواجس النفس، ومرة بخواطر الملك، ومرة تكون تعريفاً من الله عزَّ وجلّ بخلق تلك الأحوال في قلبه ابتداء، وفي الخبر: «**أصدقكم رؤيا أصدقكم حديثاً**»[1].

واعلم أنَّ النوم على أقسام: نوم غفلة، ونوم عادة؛ وذلك غير محمود، بل هو معلوم؛ لأنه أخو الموت، وفي بعض الأخبار المروية: «**النوم أخو الموت**».

وقال الله عزَّ وجلّ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ﴾ [الأنعام: ٦٠].
وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا﴾ [الزمر: ٤٢].

وقيل: لو كان في النوم خير لكان في الجنة نوم.
وقيل: لما ألقى الله على آدم النوم في الجنة أخرج منه حوّاء. وكلُّ بلاء به إنما حصل حين حصلت حواء.

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقَّاق يقول: لما قال إبراهيم لإسماعيل، عليهما السلام: يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك قال إسماعيل: يا أبت، هذا جزاء من نام عن حبيبه، لو لم تَنم لما أمرت بذبح الولد.

وقيل: أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: كذب من ادّعى محبتي، فإذا جنّه الليل نام عني!!

والنوم ضد العلم؛ ولهذا قال الشبلي: نعسةٌ في ألف سنة فضيحة.
وقال الشِّبلي: اطلع الحقّ على الخلق فقال: من نام غَفَل، ومن غَفَل حُجب، فكان الشبلي يكتحل بالملح بعده حتى كان لا يأخذه النوم، وفي معناه أنشدوا:

عجباً للمحب كيف ينام ... كلّ نوم على المحب حرامُ

وقيل: المريد: أكله فاقة، ونومه غلبةٌ، وكلامه ضرورة.
وقيل: لما نام آدم عليه السَّلام بالحضرة قيل له: هذه حواء لتسكن إليها، هذا جزاء من نام بالحضرة.

وقيل: إنْ كنت حاضراً فلا تنم؛ فإنَّ النوم في الحضرة سوءُ أدب، وإنْ كنت غائباً فأنت من أهل الحسرة والمصيبة، والمصاب لا يأخذه نوم. وأمَّا أهل المجاهدات فنومهم

---

(١) أخرجه مسلم (رؤيا، ٦)، والترمذي (رؤيا، ١، ١٠).

صدقة من الله عليهم، وأنَّ الله عزَّ وجلّ يباهي بالعبد إذا نام في سجوده، يقول: انظروا إلى عبدي نام وروحه عندي، وجسده بين يدي.

وقال الأستاذ: أي روحه في محل النجوى، وبدنه على بساط العبادة.

وقيل: كل من نام على الطهارة يؤذن لروحه أنْ تطوف بالعرش وتسجد لله عزَّ وجلّ قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ [النبأ: ٩].

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقَّاق يقول: شكا رجل إلى بعض المشايخ من كثرة النوم، فقال: اذهب فاشكر الله تعالى على العافية، فكم من مريض في شهوة غمضة من النوم الذي تشكو منه.

وقيل: لا شيء أشد على إبليس من نوم العاصي، يقول: متى ينتبه ويقوم حتى يعصي الله!!

وقيل: أحسن أحوال العاصي أنْ ينام: إنْ لم يكن الوقت له لم يكن عليه.

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقَّاق يقول: تعود شاه الكرمانيُّ السهر، فغلبه النوم مرة، فرأى الحقّ، سُبحانه، في النوم، فكان يتكلف النوم بعد ذلك، فقيل له في ذلك؛ فقال:

رأيت سرور قلبي في منامي ... فأحببت التنعسَ والمناما

وقيل: كان رجل له تلميذان، فاختلفا فيما بينهما، فقال أحدهما: النوم خير، لأنَّ الإنسان لا يعصي الله في تلك الحالة. وقال الآخر: اليقظة خير، لأنه يعرف الله تعالى في تلك الحالة.

فتحاكما إلى ذلك الشيخ فقال: أما أنت الذي قلت بتفضيل النوم فالموت خير لك من الحياة، وأما أنت الذي قلت بتفضيل اليقظة، فالحياة خيرٌ لك من الموت.

وقيل: اشترى رجل مملوكة[١]، فلما دخل الليل قال: افرشي الفراش. فقالت المملوكة: يا مولاي، ألك مولى؟ قال: نعم، فقالت: ينام مولاك؟ فقال: لا. قالت: ألا تستحي أنْ تنام ومولاك لا ينام!!

وقيل: قالت بنية لسعيد بن جُبير: لم لا تنام؟ فقال: إنَّ جهنم لا تدعني أنْ أنام.

وقيل: قالت بنت لمالك بن دينار: لم لا تنام؟ فقال: إنَّ أباك يخاف البيات.

وقيل: لما مات الرّبيع بن خيثم قالت بنية لأبيها: الأسطوانة[٢] التي كانت في دار جارنا أين ذهبت؟ فقال: إنه كان جارنا الصالح يقوم من أول الليل إلى آخره؛ فتوهمت البنية أنه كان سارية؛ لأنها كانت لا تصعد السطح إلا بالليل فتجده قائماً.

---

(١) المملوك: الرقيق من البشر (ج) مماليك.
(٢) الأُسطوانة: العمود أو السارية.

وقال بعضهم: في النوم معان ليست في اليقظة؛ منها أنه يرى المصطفى، ﷺ، والصحابة، والسلف الماضيين في النوم، ولا يراهم في اليقظة وكذلك يرى الحقّ في النوم، وهذه مزية عظيمة.

وقيل: رأى أبو بكر الآجريّ الحقّ، سُبحانه في النوم، فقال له: سَل حاجتك، فقال: اللهم اغفر لجميع عصاة أمة مُحمَّد ﷺ، فقال: أنا أولى بهذا منك، سَل حاجتك.

وقال الكتاني: رأيت النبيّ ﷺ في المنام، فقال لي: من تزين للناس بشيء يعلم الله منه خلافه شانه الله.

وقال الكتاني أيضاً: رأيت النبيّ ﷺ في المنام، فقلت: ادع الله أنْ لا يميت قلبي، فقال: قل كل يوم أربعين مرة: «يا حي، يا قيوم، لا إله إلا أنت» فإنَّ الله يحيي قلبك.

ورأى الحسن بن عليّ، رضي الله عنهما، عيسى بن مريم، في المنام، فقال: إني أريد أنْ أتخذ خاتماً، فما الذي أكتب عليه؟ فقال: اكتب عليه: لا إله إلا الله، الملك الحقّ المبين، فإنه في آخر الإنجيل.

وروي عن أبي يزيد أنه قال: رأيت ربي عزّ وجلّ في المنام، فقلت: كيف الطريق إليك؟ فقال: اترك نفسك وتعال.

وقيل: رأى أحمد بن خضرويه ربه في المنام، فقال: يا أحمد، كل الناس يطلبون مني إلا أبا يزيد فإنه يطلبني.

وقال يَحيى بن سعيد القطّان: رأيت ربي في المنام فقلت: يا ربّ، كم أدعوك فلا تستجيب لي!! فقال تعالى: يا يَحيى إني أحبّ أنْ أسمع صوتك.

وقال بِشْر بن الحارث: رأيت أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، رضي الله عنه في المنام، فقلت: يا أمير المؤمنين عظني، فقال: ما أحسن عطف الأغنياء على الفقراء طلباً لثواب الله تعالى، وأحسن من ذلك تيه الفقراء على الأغنياء ثقة بالله تعالى، فقلت له: يا أمير المؤمنين: زدني، فقال:

قد كنت ميتاً فصرت حيّاً   وعن قريب تصير ميتا
عِزْ بدار الفناء بيت   فابن بدار البقاء بيتا

وقيل: رؤي سُفيان الثوري في المنام، فقيل له: ما فعل الله تعالى بك؟ فقال: رحمني، فقيل له: ما حال عبد الله بن المبارك؟ فقال: هو ممن يلج على ربه كل يوم مرتين.

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقّاق يقول: رأى الأستاذ أبو سهل الصعلوكي أبا سهل الزجاجي في المنام، وكان الزجاجي يقول بوعيد الأبد، فقال له: ما فعل الله بك؟ فقال الزجاجي: الأمر هاهنا أسهل مما كنا نظنه!!

ورؤي الحسن بن عَاصم الشيباني في المنام، فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: ما يكون من الكريم إلى الكرم.

ورؤي بعضهم في المنام فسُئل عن حاله، فقال:

حــاسبــونــا فــدققــوا ثـــم منّـــوا فـــأعتقـــوا

ورؤي حبيب العجمي في المنام، فقيل له: متَّ يا حبيب العجمي؟ فقال: هيهات.. ذهبت العجمة وبقيت في النعمة.

وقيل: دخل الحسن البصريّ مسجداً ليصلي فيه المغرب، فوجد إمامهم حبيباً العجميّ، فلم يصل خلفه لأنه خاف أنْ يلحن لعجمة في لسانه، فرأى في المنام تلك الليلة قائلاً يقول له: لِمَ لم تصل خلفه؟ لو صليت خلفه لغفر لك ما تقدم من ذنبك.

ورؤي مالك بن أنس في المنام. فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي بكلمة كان يقولها عُثمان بن عفَّان رضي الله عنه عند رؤية الجنازة: «سُبحان الحيّ الذي لا يموت».

ورؤي في الليلة التي مات فيها الحسن البصريّ كأنَّ أبواب السماء مفتحة، وكان منادياً ينادي: ألا إنَّ الحسن البصري قدم على الله تعالى وهو عنه راضٍ.

سمعت أبا بكر بن أشْكيب يقول: رأيت الأستاذ أبا سهل الصعلوكي في المنام على حالة حسنة فقلت: يا أستاذ، بم وجدت هذا؟ فقال: بحسن ظني بربي.

وقيل: رؤي الجاحظ[1] في المنام، فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال:

فـــلا تكتـــب بخطـــك غيـــر شـــيء يســـرّك فـــي القيـــامـــة أن تـــراه

وقيل: رأى الجُنيد إبليس في منامه عرياناً، فقال له: ألا تستحي من الناس؟ فقال: هؤلاء لا ناس، إنما الناس أقوام في مسجد «الشونزية» أضنوا جسدي وأحرقوا كبدي، قال الجُنيد: فلما انتبهت غدوت إلى المسجد فرأيت جماعة وضعوا رؤوسهم على ركبهم متفكرين، فلما رأوني قالوا: لا يغرنك حديث الخبيث.

ورؤي النصراباذي بمكة بعد وفاته في النوم، فقيل له: ما فعل الله تعالى بك؛ فقال: عوتبت عتاب الأشراف، ثم نوديت: يا أبا القاسم، أبعد الإتصال انفصال؟ فقلت: لا يا ذا الجلال، فما وضعت في اللحد حتى لحقت بالأحد.

---

(١) عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء الليثي أبو عثمان الشهير بالجاحظ، كبير أئمة الأدب ورئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة، مولده ووفاته بالبصرة (١٦٣ ـ ٢٥٥ هـ)، وقيل: ٢٥٠ هـ، (٧٨٠ ـ ٨٦٩ م) فُلج في آخر عمره، وكان مشوه الخلقة. له تصانيف كثيرة منها «الحيوان» و «البيان والتبيين» وغيرهما. الأعلام ٥/ ٧٤، ووفيات الأعيان ٣/ ٤٧٠، وشذرات الذهب ٢/ ١٢١.

ورؤي ذو النُّون المصري في المنام، فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: كنت أسأله ثلاث حوائج في الدنيا، فأعطاني البعض. وأرجو أنْ يعطيني الباقي؛ كنت أسأله أنْ يعطيني من العشرة التي على يد رضوان واحدة، ويعطيني بنفسه، وأنْ يعذبني عن الواحدة التي بيد مالك بعشرة ويتولّى هو، وأنْ يرزقني أنْ أذكره بلسان الأبدية.

وقيل: رؤي الشِّبلي في المنام بعد موته، فقيل له: ما فعل الله تعالى بك؟ فقال: لم يطالبني بالبراهين على الدعاوى إلا على شيء واحد، قلت يوماً: لا خسارة أعظم من خسران الجنة، ودخول النار. فقال لي: وأيّ خسارة أعظم من خسران لقائي!!

سمعت الأستاذ أبا عليّ يقول: رأى الجريري الجُنيد في المنام. فقال: كيف حالك يا أبا القاسم؟ فقال: طاحت تلك الإشارات، وبادت تلك العبارات، وما نفعنا إلا تسبيحات كنا نقولها بالغدوات. وقال النباجيّ: تشهّيت يوماً شيئاً، فرأيت في المنام كأن قائلاً يقول: أيجمل بالحرّ المريد أنْ يتذلل للعبيد، وهو يجد من مولاه ما يريد؟!

وقال ابن الجلاَّء: دخلت المدينة وبي فاقة، فتقدمت إلى القبر، وقلت أنا ضيفك يا نبي الله.. فغفوت غفوة، فرأيت النبيّ ﷺ في نومي وقد أعطاني رغيفاً فأكلت نصفه وانتبهت وبيدي النصف [الآخر].

وقال بعضهم: رأيت النبيّ ﷺ في المنام يقول: **«زوروا ابن عون؛ فإنه يحب الله ورسوله»**.

وقيل: رأي عُتبة الغلامُ حوراء في المنام على صورة حسنة، فقالت له: يا عُتبة، أنا لك عاشقة، فانظر أنْ لا تعمل من الأعمال شيئاً يحال بيني وبينك، فقال لها عُتبة: طلقت الدنيا ثلاثاً لا رجعة لي عليها. حتى ألقاك.

سمعت مَنْصوراً المغربي يقول: رأيت شيخاً في بلاد الشام كبير الشأن، وكان الغالب عليه الانقباضُ، فقيل لي: إنْ أردت أنْ ينبسط هذا الشيخ معك فسلم عليه وقل له: رزقك الله الحور العين؛ فإنه يرضى منك بهذا الدعاء. فسألت عن سببه، فقيل: إنه رأى شيئاً من الحور في منامه. فبقي في قلبه شيء من ذلك، فمضيت وسلمت عليه، وقلت: رزقك الله الحور العين، فانبسط الشيخ معي.

وقيل: رأى أيوب السختياني(١) جنازة عاص، فدخل دهليزاً(٢)؛ لئلا يحتاج إلى

---

(١) أيوب بن أبي تميمة كيسان السختياني البصري، أبو بكر، سيد فقهاء عصره، تابعي، من النساك الزهاد، من حفاظ الحديث، كان ثبتاً ثقة. روي عنه نحو ٨٠٠ حديث. ولد سنة (٦٦ هـ ـ ٨٦٥ م)، وتوفي سنة (١٣١ هـ ـ ٧٤٨ م). الأعلام ٢/٣٨، وشذرات الذهب ١/١٨١.

(٢) الدهليز: (مع) فارسية: المدخل بين الباب والدار (ج) دهاليز.

الصلاة عليها فرأى بعضهم الميت في المنام فقال له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر الله. وقال لي قُل لأيوب السختياني: ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّيٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ﴾ [الإسراء: ١٠٠].

وقيل: رؤي الليلة التي مات فيها مالك بن دينار كأن أبواب السماء قد فتحت، وقائلاً يقول: ألا إنَّ مالك بن دينار أصبح من سكان الجنة.

وقال بعضهم: رأيت الليلة التي مات فيها داود الطائيّ نوراً، وملائكة صعوداً وملائكة نزولاً، فقلت: أيّ ليلة هذه؟ فقالوا: ليلة مات فيها داود الطائي، وقد زخرفت الجنة لقدوم روحه على أهلها.

قال الأستاذ الإمام أبو القاسم القشيري: رأيت الأستاذ أبا عليّ الدقّاق في المنام، فقلت له: ما فعل الله بك؟ فقال: ليس للمغفرة هاهنا كبير خطر أقل من حضر هاهنا خطراً «فلان» أعطى كذا وكذا.

ووقع لي في المنام أنَّ ذلك الإنسان الذي عناه قتل نفساً بغير حقّ.

وقيل: لما مات كرز بن وبرة[1] رؤي في المنام كأنَّ أهل القبور خرجوا من قبورهم وعليهم ثياب جدد بيض فقيل: ما هذا؟ قيل: إنَّ أهل القبور كسوا ثياباً جدداً لقدوم كرز بن وبرة عليهم.

ورؤي يُوسف بن الحُسين في المنام، فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي، فقيل له: بماذا؟ فقال: لأني ما خلطت جداً بهزل قط.

ورؤي أبو عبد الله الزرّاد في المنام، فقيل له: ما فعل الله تعالى بك؟ فقال: أوقعني، وغفر لي كلَّ ذنب أقررت به في الدنيا، إلا واحداً استحييت أن أقرّ به، فوقفني في العرق، حتى سقط لحم وجهي!!

فقيل له: وما ذاك؟ فقال: نظرت يوماً إلى شخص جميل؛ فاستحييت أنْ أذكره.

سمعت أبا سعيد الشحَّام يقول: رأيت الشيخ الإمام أبا الطيب سهلاً الصعلوكي في المنام، فقلت له: أيها الشيخ، فقال: دعْ الشيخ!! فقلت: وتلك الأحوال التي شاهدتها؟! فقال: لم تغن عنا شيئاً، فقلت: ما فعل الله تعالى بك؟ فقال: غفر لي بمسائل كانت تسأل عنها العُجُز فأجبتهم عنها.

سمعت أبا بكر الرشيدي الفقيه يقول: رأيت مُحمَّداً الطوسي المعلّم في المنام، فقال لي: قل لأبي سعيد الصفَّار المؤدِّب:

---

(١) كرز بن وبرة الحارثي، أبو عبد الله، تابعي من أهل الكوفة، يُضرب به المثل في التعبد، دخل جرجان غازياً مع يزيد بن المهلب سنة (٩٨ هـ)، ثم سكنها وتوفي بها نحو سنة (١١٠ هـ). الأعلام ٥/ ٢٢١.

وكنّا على أن لا نخول عن الهوى فقد، وحياةِ الحب حلتُم، وما حِلنا
تشاغلتم عنا بصحبة غيرنا وأظهرتمُ الهجران، ما هكذا كنَّا!!
لعل الذي يقضي الأمور بعلمه سيجمعنا بعد الممات كما كنَّا

قال: فانتبهت، وقلت ذلك لأبي سعيد الصفَّار، فقال: كنت أزور قبره كل يوم جمعة، فلم أزره هذه الجمعة.

وحكي عن بعضهم أنه قال: رأيت في المنام رسول الله ﷺ وحوله جماعة من الفقراء، فبينما هو كذلك إذ نزل من السماء ملكان، وبيد أحدهما طشت، وبيد الآخر إبريق؛ فوضع الطشت بين يدي رسول الله ﷺ، فغسل يده، ثم أمر الملكين حتى غسلوا أيديهم، ثم وضع الطشت بين يدي، فقال أحدهما للآخر: لا تصبّ على يده؛ فإنه ليس منهم، فقلت يا رسول الله، أليس قد روي عنك أنك قلت: «المرء مع من أحبّ»؟ فقال: بلى، فقلت: وأنا أحبك، وأحبُّ هؤلاء الفقراء، فقال ﷺ: «صبّ على يده، فإنه منهم».

وحكي عن بعضهم أنه كان يقول، أبداً: العافية.. العافية، فقيل له: ما معنى هذا الدعاء؟ فقال: كنت حمالاً في ابتداء أمري، وكنت حملت يوماً صذراً من الدقيق، فوضعته لأستريح، فكنت أقول: يا رب، لو أعطيتني كلّ يوم رغيفين من غير تعب لكنت أكتفي بهما، فإذا رجلان يختصمان. فتقدمت أصلح بينهما: فضرب أحدهما رأسي بشيء أراد أنْ يضرب به خصمه، فدمي وجهي.. فجاء صاحب «الربع» فأخذهما، فلما رآني ملوثاً بالدم أخذني وظن أنني ممن تشاجر. فأدخلني السجن، وبقيت في السجن مدّة أوتي كلّ يوم برغيفين، فرأيت ليلة في المنام قائلاً يقول لي: إنك سألت الرغيفين كل يوم من غير نصب[1]، ولم تسأل العافية!! فأعطاك ما سألت. فانتبهت، وقلت: العافية. العافية، فرأيت باب السجن يُقرع، وقيل: أين عُمر الحمال؟ فأطلقوني وخلوا سبيلي.

وحكي عن الكتاني أنه قال: كان عندنا رجل من أصحابنا هاجت عينه، فقيل له: ألا تعالجها؟ فقال: عزمت على أنْ لا أعالجها حتى تبرأ، قال: فرأيت في المنام كأن قائلاً يقول: لو كان هذا العزم على أهل النار كلهم، لأخرجناهم من النار.

وحكي عن الجُنيد أنه قال: رأيت في المنام كأني أتكلم على الناس.. فوقف عليّ ملكٌ. فقال: أقرب ما تقرّب به المتقربون إلى الله ماذا؟ فقلت: عملٌ خفيّ بميزان وفيّ. قال: فولي الملك عني، وهو يقول: كلام موفق والله.

وقال رجل للعلاء بن زياد: رأيت في النوم كأنك من أهل الجنة. فقال: لعل الشيطان أراد أمراً فعُصمت منه، فأشخص إليّ رجلاً يعينه على مقصوده من إضلالي.

(١) النَّصب: التعب.

وقيل رؤي عطاء السلميّ في النوم، فقيل له: لقد كنت طويل الحزن، فما فعل الله تعالى بك؟ فقال: أما والله لقد أعقبني ذلك راحة طويلة وفرحاً دائماً، فقيل له: ففي أي الدرجات أنت؟

فقال: ﴿ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ . . ﴾ [النساء: ٦٩] الآية.

وقال النباجيّ: قيل لي في المنام: من وثق بالله في رزقه زيد في حسن خلقه، وسمحت نفسه في نفقته، وقلت وساوسه في صلاته.

وقيل: رؤيت زُبيدة[١] في المنام، فقيل لها: ما فعل الله تعالى بك؟ فقالت: غفر لي، فقيل: بكثرة نفقتك في طريق مكة؟ فقالت: لا، أما إنَّ أجرها عاد إلى أربابها، ولكن غفر لي بنيَّتي.

ورؤي سُفيان الثوري في المنام، فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: وضعت أول قدميّ على الصراط، والثاني في الجنة.

وقال أحمد بن أبي الحواري: رأيت في النوم جارية ما رأيت أحسن منها، يتلألأ وجهها نوراً، فقلت: ما أنور وجهك، فقالت: تذكر الليلة التي بكيت فيها؟ فقلت: نعم، فقالت: حملت إليّ دمعتك فمسحت بها وجهي، فصار وجهي هكذا.

وقيل: رأى يزيد القرشيّ النبيّ ﷺ في المنام، فقرأ عليه، فقال له: هذه القراءة فأين البكاء؟!

وقال الجُنيد: رأيت في المنام كأنَّ ملكين نزلا من السماء، فقال أحدهما لي: ما الصدق؟ فقلت: الوفاء بالعهد، فقال الآخر: صدق، ثم صعدا.

ورؤي بِشْر الحافي في المنام، فقيل له: ما فعل الله تعالى بك؟ فقال: غفر لي، وقال: أما استحييت يا بِشْر مني، كنت تخافني كلّ ذلك الخوف!!

وقيل: رؤي أبو سُليمان الداراني في المنام، فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي، وما كان شيء أضرَّ عليَّ من إشارات القوم!!

وقال عليّ بن الموفَّق: كنت أفكر يوماً في سبب عيالي والفقر الذي بهم، فرأيت في المنام رقعة فيها مكتوب «بسم الله الرحمن الرحيم: يا ابن الموفق، أتخشى الفقر وأنا ربُّك»!!

---

(١) زبيدة بنت جعفر بن المنصور الهاشمية العباسية، أم جعفر. زوجة هارون الرشيد، من فضليات النساء وشهيراتهن اسمها «أمة العزيز» لكن غلب عليها لقبها «زبيدة»، وإليها تُنسب «عين زبيدة» من مكة. كانت لها ثروة واسعة، وخلفت آثاراً نافعة. توفيت سنة (٢١٦ هـ ـ ٨٣١ م). الأعلام ٣/ ٤٢، ووفيات الأعيان ٢/ ٣١٤.

وقيل: رؤيّ الأوزاعي في المنام، فقال: ما رأيت هاهنا درجة أرفع من درجة العلماء، ثم المحزونين.

فلما كان وقت الغلس[1] أتاني رجل بكيس فيه خمسة آلاف دينار، وقال: خذها إليك يا ضعيف اليقين.

وقال الجُنيد: رأيت في المنام كأني واقف بين يدي الله تعالى فقال لي: يا أبا القاسم: من أين لك هذا الكلام الذي تقول؟ فقلت: لا أقول إلا حقاً، فقال: صدقت.

وقال أبو بكر الكتاني: رأيت في المنام شاباً لم أر أحسن منه، فقلت: من أنت؟ فقال: التقوى، قلت: فأين تسكن؟ قال: في قلب كل حزين، ثم التفت فإذا امرأة سوداء كأوحش ما يكون، فقلت: من أنتِ؟ فقالت: الضحك، فقلت: وأين تسكنين؟ فقالت: في كل قلب فرح، مرح، قال: فانتبهت، واعتقدت أنْ لا أضحك إلا غلبة.

وحكي عن أبي عبد الله بن خفيف أنه قال: رأيت رسول الله ﷺ في المنام كأنه قال لي: من عرف طريقاً إلى الله تعالى سلكه، ثم رجع عنه عذبه الله عذاباً لم يعذبه أحداً من العالمين.

ورؤي الشِّبلي في المنام، فقيل له: ما فعل الله تعالى بك؟ فقال: ناقشني حتى أيست، فلما رأى يأسي تغمدني برحمته.

وقال أبو عُثمان المغربي: رأيت في النوم كأن قائلاً يقول لي: يا أبا عُثمان، اتق الله في الفقر، ولو بقدر سمسمة.

وقيل: كان لأبي سعيد الخرَّاز ابن مات قبله، فرآه في المنام، فقال له: يا بني، أوصني.

فقال: يا أبت، لا تعامل الله على الجبن، فقال: يا بني، زدني.

فقال: لا تخالف الله تعالى فيما يطالبك به، فقال: زدني.

فقال: لا تجعل بينك وبين الله قميصاً قال؛ فما لبس القميص ثلاثين سنة.

وقيل: كان بعضهم يقول في دعائه: اللهم الشيء الذي لا يضرك وينفعنا لا تمنعه عنا، فرأى في المنام كأنه قيل له: وأنت. فالشيء الذي يضرك ولا ينفعك فدعه.

وحكي عن أبي الفضل الأصبهاني أنه قال: رأيت رسول الله ﷺ في المنام، فقلت: يا رسول الله سل الله أنْ لا يسلبني الإيمان، فقال ﷺ: ذاك شيء قد فرغ الله تعالى منه.

وحكي عن أبي سعيد الخرَّاز قال: رأيت إبليس في المنام، فأخذت عصاي لأضربه، فقيل لي: إنه لا يفزع من هذا، إنما يفزع من نور يكون في القلب.

---

(١) الغَلَس: ظلمة آخر الليل إذا اختلطت بضوء الصباح.

وقال بعضهم: كنت أدعو لرابعة العدوية، فرأيتها في النوم تقول: هداياك تأتينا على أطباق من نور، مخمّرة بمناديل من نور.

ويروى عن سماك بن حرب أنه قال: كفّ بصري، فرأيت في المنام كأن قائلاً يقول لي: إئت الفرات، فانغمس فيه، وافتح عينيك، قال: ففعلت، فأبصرت.

وقيل: رؤي بِشْر الحافي في المنام، فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: لما رأيت ربيّ عزَّ وجلّ قال لي: مرحباً يا بِشر، لقد توفيتك يوم توفيتك، وما على الأرض أحبّ إليّ منك.

باب الوصيّة للمُريد

قال الأستاذ الإمام: لما أثبتنا طرفاً من سير القوم، وضممنا إلى ذلك أبواباً من المقامات، أردنا أنْ نختم هذه الرسالة بوصيّة للمريدين، نرجو من الله تعالى حسن توفيقهم لاستعمالها، وأنْ لا يحرمنا القيام بها، وأنْ لا يجعلها ـ سُبحانه ـ حجة علينا.

فأول قدم للمريد في هذه الطريقة ينبغي أنْ يكون على الصدق، ليصحَّ له البناءُ على أصل صحيح؛ فإنَّ الشيوخ قالوا: إنما حُرموا الوصول لتضييعهم الأصول..

كذلك سمعت الأستاذ أبا عليّ يقول؛ فتجب البداية بتصحيح اعتقاد بينه وبين الله تعالى، صاف عن الظنون والشبه، خال من الضلالة والبدع، صادر عن البراهين والحجج.

ويقبح بالمريد أن ينتسب إلى مذهب من مذاهب من ليس من هذه الطريقة.

وليس انتساب الصوفيّ إلى مذهب من مذاهب المختلفين، سوى طريقة الصوفية، إلا نتيجة جهلهم بمذاهب أهل هذه الطريقة؛ فإنَّ هؤلاء حججهم في مسائلهم أظهر من حجج كل أحد، وقواعد مذاهبهم أقوى من قواعد كل مذهب.

والناس: إمَّا أصحاب النقل والأثر، وإما أصحاب العقل والفِكر.

وشيوخ هذه الطائفة ارتقوا عن هذه الجملة؛ فالذي للناس غيبٌ، فهو لهم ظهور، والذي للخلق من المعارف مقصود فلهم من الحَقّ، سُبحانه موجود، فهم أهل الوصال، والناسُ أهل الإستدلال.

وهم كما قال القائل:

ليلي بوجهك مشرق وظلامُه في الناس ساري
فالناس في سدف[1] الظلام ونحن في ضوءِ النهارِ

---

(١) السُّدفة: الظلمة (ج) سُدف.

ولم يكن عصر من الأعصار في مدة الإسلام إلا وفيه شيخ من شيوخ هذه الطائفة، ممن له علوم التوحيد، وإمامة القوم إلا وأئمة ذلك الوقت من العلماء استسلموا لذلك الشيخ، وتواضعوا له وتبركوا به. .

ولولا مزية، وخصوصية لهم، وإلا كان الأمر بالعكس. .

هذا أحمد بن حَنبل كان عند الشافعي، رضي الله عنهما، فجاء شَيبان الراعي فقال أحمد: أريد يا أبا عبد الله أن أُنبِّه هذا على نقصان علمه، ليشتغل بتحصيل بعض العلوم.

فقال الشافعيّ: لا تفعل!!

فلم يقنع؛ فقال لشيبان: ما تقول فيمن نسي صلاة من خمس صلوات في اليوم والليلة، ولا يدري أيّ صلاة نسيها، ما الواجب عليه: يا شَيبان؟!

فقال شَيبان: يا أحمد، هذا قلب غفل عن الله تعالى، فالواجب أنْ يؤدب حتى لا يغفل عن مولاه بعدُ!!

فغشي على أحمد. . فلما أفاق، قال له الإمام الشافعيّ، رحمه الله: ألم أقل لك لا تحرك هذا!!

وشَيبان الراعي كان أميًّا منهم، فإذا كان حالُ الأميِّ منهم هكذا، فما الظنُّ بأئمتهم؟؟

وقد حكي أنَّ فقيهاً من أكابر الفقهاء كانت حلقته بجنب حلقة الشِّبلي في جامع «المنصور»، وكان يُقال لذلك الفقيه: «أبو عِمران» وكان تتعطل عليهم حلقتهم لكلام الشبليّ.

فسأل أصحاب أبي عِمران يوماً الشبليّ عن مسألة في الحيض، وقصدوا إخجاله!! فذكر مقالات الناس في تلك المسألة، والخلاف فيها. .

فقام أبو عِمران وقَبّل رأس الشبليّ، وقال: يا أبا بكر، استفدت من هذه المسألة عشر مقالات لم أسمعها، وكان عندي من جملة ما قلت ثلاثة أقاويل. .

وقيل: اجتاز أبو العبَّاس بن سُريج الفقيه بمجلس الجُنيد، رحمهما الله، فسمع كلامه، فقيل له: ما تقول في هذا الكلام؟

فقال: لا أدري ما يقول. . ولكني أرى لهذا الكلام صولة ليست بصولة مبطل.

وقيل لعبد الله بن سعيد بن كُلَّاب[1]: أنت تتكلم على كلام كل أحد، وهاهنا رجل يُقال له: الجُنيد، فانظر هل تعترض عليه أم لا؟ فحضر حلقته. .

---

(١) عبد الله بن سعيد بن كُلَّاب، أبو محمد القطان، متكلم من العلماء. له كتب منها «الصفات» و «خلق الأفعال»، و «الرد على المعتزلة». توفي سنة (٢٤٥ هـ ـ ٨٦٠ م). الأعلام ٤/ ٩٠.

فسأل الجُنيد عن التوحيد فأجابه، فتحيّر عبد الله وقال: أعد عليّ ما قلت؟

فأعاده ولكن لا بتلك العبارة.

فقال له عبد الله: هذا شيء آخر لم أحفظه، تعيده عليّ مرّة أخرى..

فأعاد بعبارة أخرى، فقال عبد الله: ليس يمكنني حفظ ما تقول!! أَمْلِه علينا، فقال: إنْ كنت أَجزْته فأنا أمليه، فقام عبد الله، وقال بفضله، واعترف بعلوِّ شأنه.

فإذا كان أصول هذه الطائفة أصحَّ الأصول، ومشايخهم أكبرَ الناس، وعلماؤهم أعلمَ الناس، فالمريد الذي له إيمان بهم: إنْ كان من أهل السلوك والتدرج إلى مقاصدهم فهو يساهمهم فيما خُصُّوا به من مكاشفات الغيب، فلا يحتاج إلى التطفل على من هو خارج عن هذه الطائفة، وإنْ كان مُريداً طريقةَ الإتباعِ وليس بمستقل بحاله، ويريد أنْ يعرّج في أوطان التقليد إلى أنْ يصل إلى التحقيق فليقلد سَلَفه، وليجر على طريقة هذه الطبقة؛ فإنهم أولى به من غيرهم.

ولقد سمعت الشيخ أبا عبد الرَّحمن السلمي يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت الشِّبلي يقول: ما ظنك بعلِم عَلِم العلماءُ فيه تهمة!!

وسمعته يقول: سمعت مُحمَّد بن عليّ بن مُحمَّد المخرمي يقول: سمعت مُحمَّد بن عبد الله الفرغاني يقول: سمعت الجُنيد يقول: لو علمت أنَّ لله عِلْماً تحت أديم[1] السماء أشرفُ من هذا العلم الذي نتكلم فيه مع أصحابنا وإخواننا لسعيت إليه، ولقصدته.

وإذا أحكم المريدُ بينه وبين الله عقدَه، فيجب أنْ يحصل من علم الشريعة، إمّا بالتحقيق، وإما بالسؤال عن الأئمة ما يؤدّي به فَرْضَه، وإنْ اختلف عليه فتاوَى الفقهاء يأخذُ بالأحوط، ويقصد الخروجَ من الخلاف، فإنَّ الرُّخَص في الشريعة للمستضعفين وأصحاب الحوائج والأشغال.

وهؤلاء الطائفة ليس لهم شغل سوى القيام بحقِّه سُبحانه، ولهذا قيل: إذا انحطّ الفقير عن درجة الحقيقة إلى رُخصة الشريعة فقد فسخ عقده مع الله، ونقض عهده فيما بينه وبين الله تعالى.

ثم يجب على المريد أنْ يتأدَّب بشيخ؛ فإنْ لم يكن له أستاذ لا يفلح أبداً.

هذا أبو يزيد يقول: من لم يكن له أستاذ فإمامه الشيطان.

وسمعت الأستاذ أبا علي الدقَّاق يقول؛ الشجرة إذا نبتت بنفسها من غير غارس فإنها تورق، ولكن لا تُثمر؛ كذلك المريد إذا لم يكن له أستاذ يأخذ منه طريقته نَفَساً نفساً فهو عابد هواه، لا يجد نفاذاً.

---

(١) أديم: وجه أو ظاهر (ج) أُدُم.

ثم إذا أراد السلوكَ فبعد هذه الجملة يجب أنْ يتوب إلى الله سُبحانه من كلّ زلة؛ فيدع جميع الزلات: سرِّها وجهرها، صغيرها وكبيرها، ويجتهد في إرضاء الخصوم أولاً، ومن لم يُرض خصومَه لا يفتح له من هذه الطريقة بشيء.

وعلى هذا النحو جروا، ثم بعد هذا يعمل في حذف العلائق والشواغل؛ فإنَّ بناء هذا الطريق على فراغ القلب.

وكان الشبليُّ يقول للحصريِّ في ابتداء أمره: إنْ خطر ببالك من الجمعة إلى الجمعة الثانية التي تأتيني فيها غيرَ الله تعالى فحرام عليك أنْ تحضرني.

وإذا أراد الخروجَ عن العلائق فأوّلها: الخروج عن المال؛ فإنَّ ذلك الذي يميل به عن الحقّ، ولم يوجد مريدٌ دخل في هذا الأمر ومعه علاقة من الدنيا إلاّ جرّته تلك العلاقة عن قريب إلى ما منه خرج، فإذا خرج عن المال، فالواجب عليه الخروجُ عن الجاه، فإنَّ ملاحظة حبّ الجاه مقطعة عظيمة.

وما لم يستو عند المريد قبول الخلق وردّهم لا يجيء منه شيء، بل أضرُّ الأشياء له ملاحظة الناس إياه بعين الإثبات والتبرُّك به لإفلاس الناس عن هذا الحديث، وهو بعد لم يصحح الإرادة، فكيف يصحّ أنْ يتبرّك به؟!

فخروجهم من الجاه واجب عليهم؛ لأنَّ ذلك سمٌّ قاتل لهم، فإذا خرج عن ماله وجاهه فيجب أنْ يصحح عقده بينه وبين الله تعالى، وأنْ لا يخالف شيخه في كلٍّ ما يشير عليه؛ لأنَّ الخلاف للمريد في ابتداء أمره عظيم الضرر؛ لأنَّ ابتداء حاله دليل على جميع عمره.

ومن شرطه: أنْ لا يكون له بقلبه اعتراض على شيخه، فإذا خطر ببال المريد أن له في الدنيا والآخرة قدراً أو قيمة، أو على بسيط الأرض أحد دونه لم يصح له في الإرادة قدم، لأنه يجب أنْ يجتهد، ليعرف ربه، ولا ليحصِّل لنفسه قدراً.

وفرق بين من يريد الله تعالى وبين من يريد جاه نفسه، إما في عاجلة وإما في آجلة، ثم يجب عليه حفظ سره حتى عن زِرّه إلا عن شيخه، ولو كتم نفساً من أنفاسه عن شيخه فقد خانه في حق صحبته، ولو وقعت له مخالفة فيما أشار عليه شيخه، فيجب أنْ يقر بذلك بين يديه في الوقت، ثم يستسلم لما يحكم به عليه شيخه عقوبة له على جنايته ومخالفته، إما بسفر يُكلفه، أو أمرٍ ما يراه.

ولا يصح للشيوخ التجاوز عن زلات المريدين، لأنَّ ذلك تضييع لحقوق الله تعالى، وما لم يتجرد المريد عن كل علاقة لا يجوز لشيخه أنْ يلقنه شيئاً من الأذكار، بل يجب أنْ يقدم التجربة له، فإذا شهد قلبه للمريد بصحة العزم فحينئذ يشترط عليه أنْ يرضى بما يستقبله في هذه الطريقة من فنون تصاريف القضاء، فيأخذ عليه العهد بأنْ لا ينصرف عن هذه

الطريقة بما يستقبله من الضرر والذل، والفقر والأسقام والآلام، وأنْ لا يجنح بقلبه إلى السهولة، ولا يترخص عند هجوم الفاقات وحصول الضرورات، ولا يؤثر الدعة، ولا يستشعر الكسل فإن وقفة المريد شر من فترته.

والفرق بين الفترة والوقفة أنَّ الفترة رجوع عن الإرادة وخروج منها، والوقفة سكون عن السير باستحلاء حالات الكسل.

وكل مُريد وقف في ابتداء إرادته لا يجيء منه شيء.

فإذا جَرَّبه شيخه، فيجب عليه أنْ يلقنه ذكراً من الأذكار على ما يراه شيخه فيأمره أنْ يذكر ذلك الاسم بلسانه، ثم يأمره أنْ يستوي قلبه مع لسانه، فيقول له: اثبت على استدامة هذا الذكر كأنك مع ربك أبداً بقلبك، ولا يجري على لسانك غير هذا الاسم ما أمكنك ثم يأمره أنْ يكون أبداً في الظاهر على الطهارة، وأنْ لا يكون نومه إلا غلبة، وأنْ يقلل من غذائه بالتدريج شيئاً بعد شيء حتى يقوى على ذلك، ولا يأمره أنْ يترك عادته بمرة، فإنَّ في الخبر: «إنَّ المنبت لا أرضاً قطع، ولا ظهراً بقى».

ثم يأمره بإيثار الخلوة والعزلة، ويجعل اجتهاده في هذه الحالة لا محالة في نفي الخواطر الدنيَّة والهواجس الشاغلة للقلب.

واعلم، أنَّ في هذه الحالة قلما يخلوا المريد في أوان خلوته في ابتداء إرادته من الوساوس في الاعتقاد، لا سيما إذا كان في المريد كياسة قلب، وقلَّ مريدٌ لا تستقبله هذه الحالة في ابتداء إرادته.

وهذه من الإمتحانات التي تستقبل المريدين، فالواجب على شيخه إنْ رأى فيه كياسة، أنْ يحيله على الحجج العقلية، فإنَّ بالعلم يتخلص لا محالة المتعرّف مما يعتريه من الوساوس.

وإنْ تفرّس شيخه فيه القوة والثبات في الطريقة أمره بالصبر واستدامة الذكر حتى تسطع في قلبه أنوار القبول، وتطلع في سره شموس الوصول، وعن قريب يكون ذلك.

ولكن لا يكون هذا إلا لأفراد المريدين، فأما الغالب فأن تكون معالجتهم بالرد إلى النظر، وتأمل الآيات بشرط تحصيل علم الأصول على قدر الحاجة الداعية للمُريد.

واعلم أنه يكون للمريدين على الخصوص بلايا من هذا الباب، وذلك أنهم إذا خلوا في مواضع ذكرهم، أو كانوا في مجالس سماع، أو غير ذلك فيهجس في نفسه ويخطر، ببالهم أشياء منكرة، يتحققون أنَّ الله، سُبحانه، منزَّه عن ذلك، وليس تعتريهم شبهة في أنَّ ذلك باطل، ولكن يدوم ذلك، فيشتد تأذيهم به، حتى يبلغ ذلك حداً يكون أصعب شتم وأقبح قول وأشنع خاطر، بحيْث لا يمكن المريد إجراء ذلك على اللسان، وإبداؤه لأحد وهذا أشد شيء يقع لهم.

فالواجب عند هذا ترك مبالاتهم بتلك الخواطر، واستدامة الذكر، والإبتهال إلى الله باستدفاع ذلك.

وتلك الخواطر ليست من وساوس الشيطان، وإنما هي من هواجس النفس، فإذا قابلها العبد بترك المبالاة بها ينقطع ذلك عنه.

ومن آداب المريد، بل من فرائض حاله، أنْ يلازم موضع إرادته، وأنْ لا يسافر مثل أنْ تقبله الطريق، وقبل الوصول بالقلب إلى الرب، فإنَّ السفر للمريد في غير وقته سمّ قاتل، ولا يصل أحد منهم إلى ما كان يرجى له إذا سافر في غير وقته.

وإذا أراد الله بمريد خيراً ثبته في أول إرادته، وإذا أراد الله بمريد شراً رَده إلى ما خرج عنه من حرفته أو حالته، وإذا أراد الله بمريد محنة شرَّده في مطارح غربته.

هذا إذا كان المريد يصلح للوصول: فأما إذا كان شاباً طريقته الخدمة في الظاهر بالنفس للفقراء، وهو دونهم في هذه الطريقة رتبة؛ فهو وأمثاله يكتفون بالترسم في الظاهر، فينقطعون في الأسفار، وغاية نصيبهم من هذه الطريقة حِجّات يحصّلونها، وزيارات لموضع يُرْتحل إليه، ولقاء شيوخ بظاهر سلام، فيشاهدون الظواهر، ويكتفون بما في هذا الباب من السير، فهؤلاء الواجب لهم دوام السفر، حتى لا تؤدِّيهم الدعة إلى ارتكاب محظور فإنَّ الشاب إذا وجد الراحة والدعة كان في معرض الفتنة.

وإذا توسَّط المريد جمعَ الفقراء والأصحاب في بدايته فهو مضر له جداً، فإنْ امتحن واحد بذلك فليكن سبيله احترام الشيوخ، والخدمة للأصحاب، وترك الخلاف عليهم، والقيامَ بما فيه راحة الفقير، والجهد في أنْ لا يستوحش منه قلب شيخ.

ويجب أنْ يكون في صحبته مع الفقراء أبداً خصمهم على نفسه، ولا يكون خصم نفسه عليهم، ويرى لكل واحد منهم عليه حقاً واجباً، ولا يرى لنفسه واجباً على أحد.

ويجب أنْ لا يخالف المريد أحداً، وإنْ لم علم أنَّ الحقّ معه يسكت، ويُظهر الوفاق لكل أحد.

وكل مُريد يكون فيه ضحك ولجاج(١) ومماراة(٢) فإنه لا يجيء منه شيء!!

وإذا كان المُريد في جمع من الفقراء، إمَّا في سفر أو حَضر، فينبغي أنْ لا يخالفهم في الظاهر، لا في أكل ولا صوم ولا سكون ولا حركة، بل يخالفهم بسرّه وقلبه، فيحفظ قلبه مع الله عزَّ وجلّ، وإذا أشاروا عليه بالأكل، مثلاً، يأكل لقمة أو لقمتين، ولا يعطى النفس شهوتها.

---

(١) اللجاجة: الإلحاح، والعناد في الخصومة والتمادي فيها.

(٢) المماراة: المجادلة والمناظرة.

وليس من آداب المريدين كثرة الأوراد في الظاهر، فإنَّ القوم في مكابدة إخلاء خواطرهم، ومعالجة أخلاقهم، ونفي الغفلة عن قلوبهم، لا في تكثير أعمال البر. والذي لا بدّ لهم منه إقامة الفرائض والسنن الراتبة.

فأما الزيادة من الصلوات النافلة فاستدامة الذكر بالقلب أتم لهم.

ورأس مال المريد: الاحتمال عن كل أحد، بطيبة النفس، وتلقي ما يستقبله بالرضا، والصبر على الضر والفقر، وترك السؤال والعارضة في القليل وتكثير ما هو حظ له.

ومن لم يصبر على ذلك فليدخل السوق، فإن من اشتهى ما يشتهيه الناس، فالواجب أنْ يحصِّل شهوته من حيث يحصِّلها الناس: من كد اليمين، وعرقَ الجبين. .

وإذا التزم المريد استدامة الذكر وآثر الخلوة فإن وجد في خلوته ما لم يجده قبله إمّا في النوم وإما في اليقظة، أو بين اليقظة والنوم من خطاب يُسمع، أو معنى يُشَاهد مما يكون نقضاً للعادة، فينبغي أنْ لا يشتغل بذلك ألبتة، ولا يسكن إليه، ولا ينبغي له أنْ ينتظر حصول أمثال ذلك، فإنَّ ذلك كله شواغل عن الحقّ سُبحانه.

ولا بد له في هذه الأحوال من وصف ذلك لشيخه حتى يصير قلبه فارغاً عن ذلك.

ويجب على شيخه أنْ يحفظ عليه سره، فيكتم عن غيره أمره، ويصغر ذلك في عينه، فإنَّ ذلك كله اختبارات، والمساكنة إليها مكر، فليحذر المريد عن ذلك، وعن ملاحظتها، وليجعل همته فوق ذلك.

واعلم أنَّ أضرّ الأشياء بالمريد: استئناسه بما يلقى إليه في سره من تقريبات الحقّ سُبحانه له، ومنته عليه بأني خصصتك بهذا وأفردتك عن أشكالك، فإنه لو قال بترك هذا فعن قريب سيختطف عن ذلك مما يبدو له من مكاشفات الحقيقة.

وشرح هذه الجملة بإثباته في الكتب متعذر.

ومن أحكام المريد إذا لم يجد من يتأدب به في موضعه أنْ يهاجر إلى من هو منصوب في وقته لإرشاد المريدين، ثم يقيم عليه، ولا يبرح عن سدّته[1] إلى وقت الإذن.

واعلم أنَّ تقديم معرفة ربّ البيت ـ سُبحانه ـ على زيارة البيت واجب، فلولا معرفة ربّ البيت ما وجبت زيارة البيت، والشبان الذين يخرجون إلى الحج ثم زيارة البيت من هؤلاء القوم من غير إشارة إلى الشيوخ فهي بدلالات نشاط النفوس، فهم متوسمون بهذه الطريقة، وليس سفرهم على أصل.

والذي يدل على ذلك: أنه لا يزداد سفرهم إلا وتزداد تفرقة، فلو أنهم ارتحلوا من عند أنفسهم بخطوة لكان أحظى لهم من ألف سفرة.

---

(١) السُدَّة: باب الدار.

ومن شرط المريد إذا زار شخصاً أنْ يدخل عليه بالحرمة، وينظر إليه بالحشمة، فإنَّ أهله الشيخ لشيء من الخدمة عدّ ذلك من جزيل النعمة.

فصــل

ولا ينبغي للمُريد أنْ يعتقد في المشايخ العصمة، بل الواجب أنْ يذرهم وأحوالهم؛ فيحسن بهم الظنّ ويراعى مع الله تعالى حدّة فيما يتوجه عليه من الأمر.

والعلم كافيه في التفرقة بين ما هو محمود وما هو معلول.

فصــل

وكلُّ مُريد بقي في قلبه لشيء من عروض الدنيا مقدار وخطر فاسم الإرادة له مجاز.

وإذا بقي في قلبه اختيار فيما يخرج عنه من معلومة فيريد أنْ يخص به نوعاً من أنواع البر، أو شخصاً دون شخص، فهو متكلف في حاله، وبالخطر أنْ يعود سريعاً إلى الدنيا، لأنَّ قصد المُريد في حذف العلائق الخروجُ منها، لا السعي في أعلى البرّ.

وقبيح بالمُريد أن يخرج من معلومه من رأس ماله، وقنيته، ثم يكون أسير حرفة.

وينبغي أنْ يستوي عنده وجود ذلك وعدمه، حتى لا ينافر لأجله فقيراً، ولا يضايق به أحداً، ولو مجوسياً.

فصــل

وقبول قلوب المشايخ للمُريد أصدق شاهد لسعادته.

ومن ردّه قلب شيخٌ من الشيوخ فلا محالة يرى غبّ[1] ذلك، ولو بعد حين.

ومن خُذل بترك حرمة الشيوخ فقد أظهر رقم شقاوته، وذلك لا يخطيء.

فصــل

التحذير من صحبة الأحداث

ومن أصعب الآفات في هذه الطريقة صحبة الأحداث.

ومن ابتلاه الله بشيء من ذلك فبإجماع الشيوخ: ذلك عبدٌ أهانه الله عزّ وجلّ وخذله، بل عن نفسه شغله، ولو بألف ألف كرامة أهله.

وهب أنه بلغ رتبة الشهداء، لما في الخبر تلويح بذلك، أليس قد شغل ذلك القلب بمخلوق!!

---

(١) الغِبُّ: العاقبة.

وأصعب من ذلك: تهوين ذلك على القلب، حتى يعد ذلك يسيراً، وقد قال الله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٥].

وهذا الواسطيّ رحمه الله، يقول: إذا أردا الله هوان عبد ألقاه إلى هؤلاء الأنتان[١] والجيف.

سمعت أبا عبد الله الصوفي يقول: سمعت مُحمَّد بن أحمد النجَّار يقول: سمعت أبا عبد الله الحصريّ يقول: سمعت فتحاً الموصليّ يقول: صحبت ثلاثين شيخاً كانوا يعدُّون من الأبدال[٢]، كلهم أوصوني عند فراقي إياهم، وقالوا لي: اتق معاشرة الأحداث ومخالطتهم.

ومن ارتقى في هذا الباب عن حالة الفسق، وأشار إلى أنَّ ذلك من بلاء الأرواح وأنه لايضرّ، وما قالوه من وساوس القائلين بالشاهد، وإيراد حكايات عن بعض الشيوخ، لما كان الأولى بهم إسبال الستر عن هناتهم وآفاتهم، الصادرة منهم فذلك نظير الشرك وقرين الكفر.

فليحذر المُريد من مجالسة الأحداث، ومخالطتهم؛ فإنَّ اليسير منه فتح باب الخذلان، وبدء حال الهجران، ونعوذ بالله من قضاء السوء.

فصــل

الحسد

ومن آفات المريد: ما يتداخل النفس من خفيِّ الحسد للإخوان، والتأثر بما يفرد الله عزَّ وجلّ به أشكاله من هذه الطريقة، وحرمانه إيّاه ذلك.

وليعلم أنَّ الأمور قِسَم وإنما يتخلص العبد عن هذا باكتفائه بوجود الحقّ، وقدمه عن مقتضى جوده ونعمه.

فكل من رأيت أيها المريد قَدَم الحقُّ، سُبحانه، رتبته فأحمل أنت غاشيته؛ فإنَّ الظرفاء من القاصدين على ذلك استمرت سنتهم.

فصــل

واعلم أنَّ من حقّ المُريد إذا اتفق وقوعه في جمع إيثارُ الكل بالكل، فيقدِّم الجائع والشبعان على نفسه، ويتلمذ لكل من أظهر عليه التشيخ، وإنْ كان هو أعلم منه، ولا يصل إلى ذلك إلا بتبرية عن حوله وقوته، وتوصله إلى ذلك بطول الحقّ ومنته.

---

(١) النتن: الرائحة الكريهة.

(٢) الأبدال: (عند الصوفية) إحدى طبقاتها، يزعمون أنه إذا مات بدل من الأبدال حلّ محله آخر.

فصـــل

وأمّا آداب المريد في السماع؛ فالمريد لا تسلم له الحركة في السماع بالاختيار ألبتة؛ فإن ورد عليه وارد حركة ولم يكن فيه فضل قوة فبمقدار الغلبة يعذر، فإذا زالت الغلبة يجب عليه القعود والسكون، فإنْ استدام الحركة مستحلياً للوجد من غير غلبة وضرورة لم يصح، فإن تعود ذلك يبقى متخلفاً لا يكاشف بشيء من الحقائق، فغاية أحواله حينئذ أن يطيب قلبه.

وفي الجملة إنَّ الحركة تأخذ من كل متحرك وتنقص من حاله، مريداً كان أو شيْخاً، إلا أنْ تكون بإشارة من الوقت، أو غلبة تأخذه عن التمييز.

فإنْ كان مُريداً أشار عليه الشيخ بالحركة فتحرك على إشارته فلا بأس إذا كان الشيخ ممن له حكم على أمثاله.

وأما إذا أشار عليه الفقراء بالمساعدة في الحركة فيساعدهم في القيام، وفي أداء ما لايجد منه بداً مما يراعي عن الإستيحاش لقلوبهم.

ثم إنّ صدقه في حاله يمنع قلوب الفقراء من سؤالهم عند المساعدة معهم.

وأما طرح الخِرقة فحقّ المُريد أنْ لا يرجع في شيء خرج منه البتة، اللهم إلا أنْ يشير عليه شيخ بالرجوع فيه، فيأخذه على نية العارية بقلبه، ثم يخرج عنه بعده من غير أنْ يستوحش قلب ذلك الشيخ.

وإذا وقع بين قوم عادتهم طرح الخُرقة، وعلم أنهم يرجعون فيها، فإنْ لم يكن فيهم شيخ تجب حشمته وحرمته، وكان طريق هذا المريد أنْ لا يعود في الخرقة فالأحسن له أنْ يساعدهم في الطرح، ثم يؤثر به القوّال إذا رجعوا هم فيها، ولو لم يطرح؛ فإنه يجوز إذا علم من عادة القوم أنهم يعودون فيما طرحوا فإنَّ القبيح إنما هو سنتهم في العود إلى الخِرق، لا في مخالفته لهم. على أنَّ الأولى الطرح على الموافقة، ثم ترك الرجوع فيه.

ولا يسلم للمريد ألبتة التقاضي على القوال؛ لأنَّ صدق حاله يحمل القوال على التكرار، ويحمل غيره على الإقتضاء.

ومن تبرك بمريد فقد جار عليه، لأنه يضره لقلة قوَّته، فالواجب على المريد ترك تربية الجاه عند من قال بتركه وإثباته.

فصـــل

وإنْ ابتلي مُريد بجاه، أو معلوم، أو صحبة حدث، أو ميل إلى امرأة، أو استنامة إلى

معلوم، وليس هناك شيخ يدله على حيلة يتخلص بها من ذلك، فعند ذلك حل له السفر والتحول عن ذلك الموضع، ليشوش على نفسه تلك الحالة.

ولا شيء أضر بقلوب المُريدين من حصول الجاه لهم قبل خمود بشريتهم.

ومن آداب المُريد: أنْ لا يسبق علمه في هذه الطريقة منازلته، فإنه إذا تعلم سير هذه الطائفة، وتكلف الوقوف على معرفة مسائلهم وأحوالهم قبل تحققه بها بالمنازلة والمعاملة بعد وصوله إلى هذه المعاني، ولهذا قال المشايخ: إذا حدّث العارف عن المعارف، فجهّلوه، فإنَّ الأخبار عن المنازل دون المعارف.

ومن غلب علمه منازلته فهو صاحب علم، لا صاحب سلوك.

فصل

ومن آداب المُريدين: أنْ لا يتعرّضوا للتصدر، أنْ يكون لهم تلميذاً ومُريداً فإن المُريد إذا صار مُراداً، قبل خمود بشريته وسقوط آفته، فهو محجوب عن الحقيقة، لا تنفع أحداً إشارته وتعليمه.

فصل

وإذا خدم المُريد الفقراء فخواطر الفقراء رُسلهم إليه. فلا ينبغي أنْ يخالف المُريد ما حكم به باطنه عليه من الخلوص في الخدمة، وبذل الوسع والطاقة.

فصل

ومن شأن المريد إذا كان طريقته خدمة الفقراء والصبر على جفاء القوم معه. وأنْ يعتقد أنه يبذل روحه في خدمتهم. ثم لا يجدون له أثراً. فيعتذر إليهم من تقصيره. ويقرّ بالجناية على نفسه؛ تطبيقاً لقلوبهم.

وإنْ علم أنه بريء الساحة، وإذا زادوه في الجفاء، فيجب أنْ يزيدهم في الخدمة والبرّ.

سمعت الإمام أبا بكر بن فُورك يقول: إنَّ في المثل: «إذا لم تصبر على المطرقة فلماذا كنت سنداناً»؟[1]. وفي معناه أنشدوا:

ربما جئته لأسلفه العذر   لبعض الذنوب قبل التجني

---

(١) السِّندان: (مع) من آلات الحدادين: ما يُطرق عليه الحديد (ج) سنادين.

فصــــل

وبناء على هذا الأمر ومِلاكه، على حفظ آداب الشريعة، وصون اليد عن المدّ إلى الحرام والشبهة، وحفظ الحواس عن المحظورات، وعدّ الأنفاس مع الله تعالى عن الغفلات، وأنْ لا يستحلّ مثلاً سمسمة فيها شبهة في أوان الضرورات فكيف عند الإختيار، ووقت الراحات؟!

ومن شأن المُريد دوام المجاهدة في ترك الشهوات، فإنَّ من وافق شهوته عدَم صفوته.

وأقبح الخصال بالمريد رجوعه إلى شهوة تركها لله تعالى.

فصــــل

ومن شأن المُريد: حفظ عهوده مع الله تعالى، فإن نقضَ العهد في طريق الإرادة كالرِّدة[1] عن الدين لأهل الظاهر.

ولا ينبغي للمُريد أنْ يعاهد الله تعالى على شيء باختياره ما أمكنه، فإنَّ في لوازم الشرع ما يستوفي منه كل وسع: قال الله تعالى في صفة قوم: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد: ٢٧].

فصــــل

ومن شأن المريد: قِصر الأمل؛ فإن الفقير ابنُ وقته.

فإذا كان له تدبير في المستقبل، وتطلُّع لغير ما هو فيه من الوقت، وأملٌ فيما يستأنفة لا يجيء منه شيء.

فصــــل

ومن شأن المُريد: أنْ لا يكون له معلوم، وإنْ قلّ، لا سيما إذا كان بين الفقراء؛ فإنَّ ظلمة المعلوم تطفيء نور الوقت.

فصــــل

ومن شأن المُريد، بل من طريقة سالكي هذا المذهب: ترك قبول رفق النسوان، فكيف التعرَّض لاستجلاب ذلك؟!

وعلى هذا درج شيوخهم، وبذلك نفذت وصاياهم.

ومن استصغر هذا، فعن قريب يلقى ما ‹فتضح فيه.

---

(١) الرِّدة: الرجوع إلى الكفر بعد الإسلام.

فصـــل

ومن شأن المُريد: التباعد عن أبناء الدنيا، فإنَّ صُحبتهم سمٌّ مجرَّب!! لأنهم ينتفعون به وهو ينتقص بهم، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾ [الكهف: ٢٨].

وأنّ الزّهاد يخرجون المال عن الكيس، تقرُّباً إلى الله تعالى، وأهل الصفاء يخرجون الخلق والمعارف من القلب تحققاً بالله تعالى.

* * *

قال الأستاذ الإمام أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيريّ، رضي الله تعالى عنه:

فهذه وصيتنا إلى المريدين، نسأل الله الكريم لهم التوفيق، وأنْ لا يجعلها وبالاً[١] علينا.

وقد نجز لنا إملاء هذه الرسالة في أوائل سنة: ثمان وثلاثين وأربعمائة، نسأل الله الكريم أنْ لا يجعلها حجة علينا ووبالاً، بل تكون لنا وسيلة ونوالاً، إنّ الفضل منه مألوف، وهو بالعفو موصوف.

والحمد لله حقّ حمده، وصلواته، وبركاته، ورحمته على رسوله سيدنا مُحمَّد النبي الأميّ وآله الطاهرين، وصحبه الكرام المنتخبين، وسلم تسليماً كثيراً.

(١) الوبال: الفساد، وسوء العاقبة. أو الضرر والمكروه يلحق المرء

فهرس المحتويات